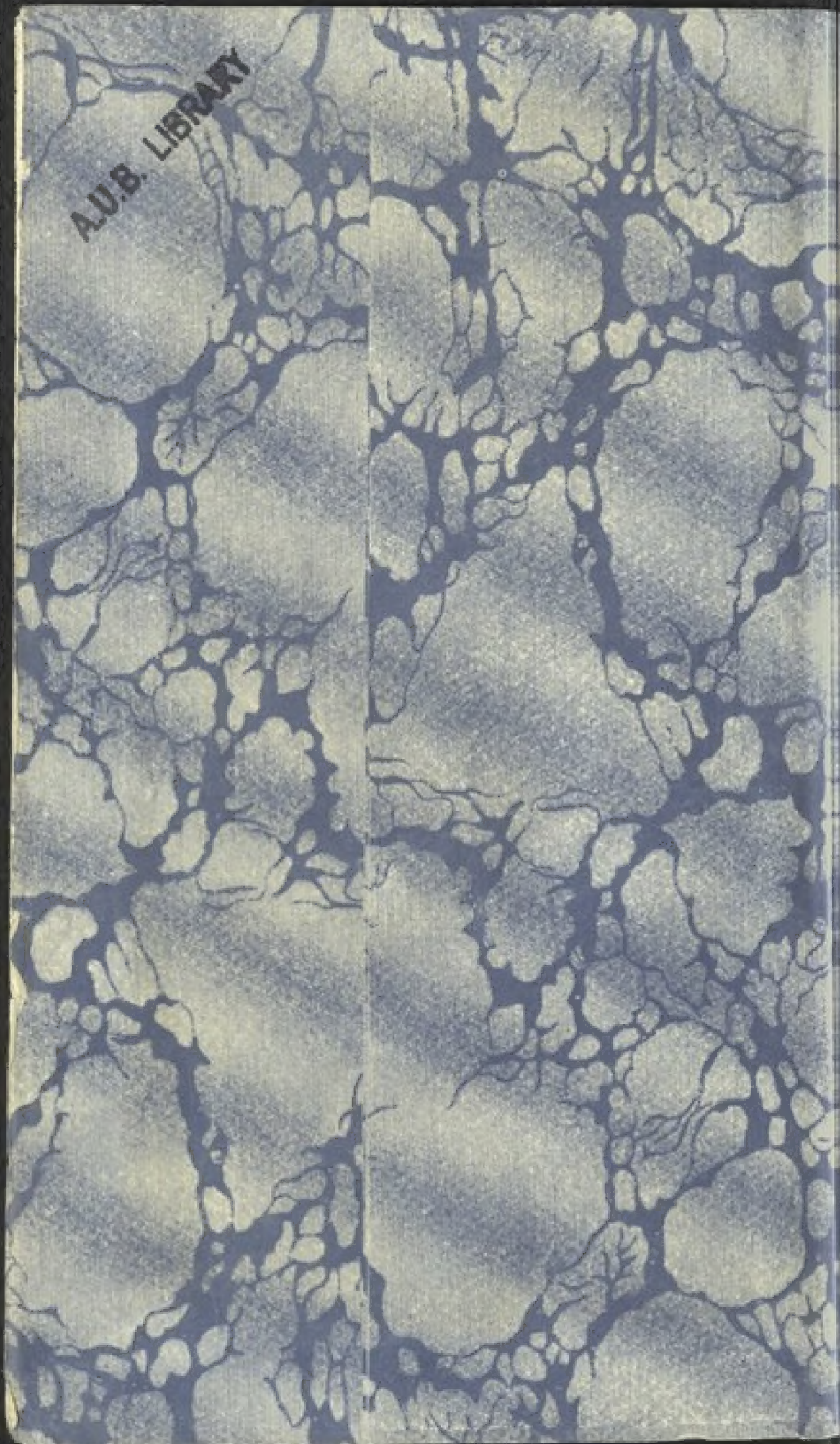


AMERICAN
UNIVERSITY OF
BEIRUT



A.D.B. LIBRARY





كتاب

CA

828

D314rA

1904

V.1-2

C.2

التحفة البستانية في الاستفار الكروزي

أو

رحلة روبنسن كروزي

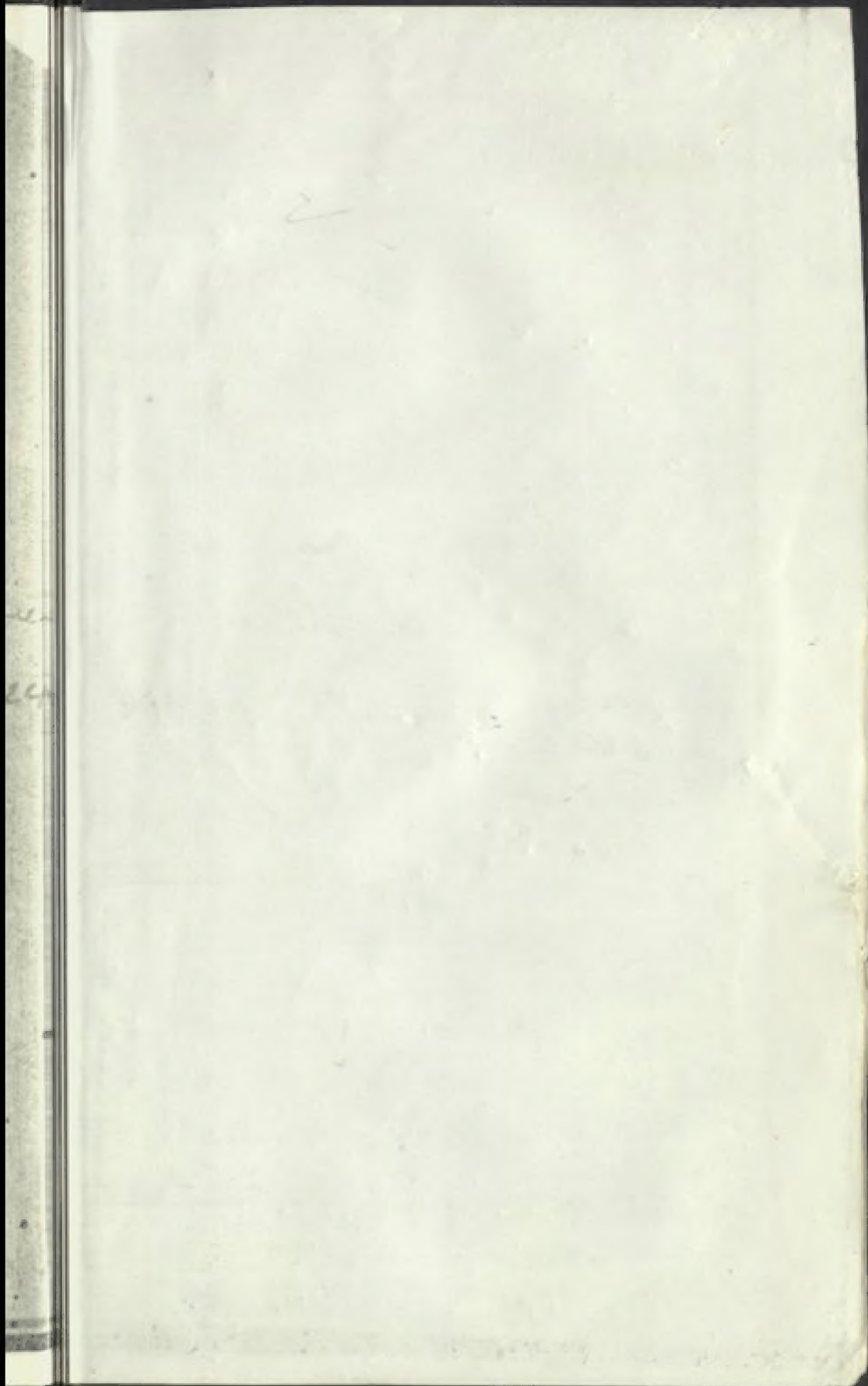
جزء أول - ٢

ترجمة ومقدمة المغفور له المعلم بطرس البستاني

طبعة ثالثة

برخصة نظارة المعارف العمومية المجلية ٢٤ تموز سنة ١٣٠٥

طبع في المطبعة الاميركانية في بيروت سنة ١٩٠٤



Hunter, J. P.

Deface and the Indian

Missionaries

Review of English Studies

Vol. 14 (1963) pp 243-244

|| ||

... ..

... ..

... ..

... ..

|| ||

... ..

... ..

... ..

... ..

... ..

... ..

... ..

... ..

... ..

... ..

... ..

... ..

... ..

... ..

مقدمة المترجم

أما بعد فهذه قصة لطيفة في رحلة روبنصن كروزي وأخبار ما فاساه من
الاهوال والمخاطر براً وبحراً وما اخترعه من الأدوات والوسائل تيسيراً لأسباب
معيشتهم وتسهيلاً لتسهيل رفاههم وهي عند الإفراج من أغرب القصص وأظرفها
والذمها ولما المزية على باقي القصص من عدة أوجه وهي

أولاً أنها مبنية على أساس صحيح وروايات صادقة. ثانياً إن ما فيها من
الأخبار والحوادث ممكن عقلاً وقبول نقلاً. ثالثاً أنها مهذبة ومتزهة عن كلام
السفاهة والمخلعة. رابعاً أنها معنوية على حكم وآداب ونكت كبيرة الفائدة تحسن
للخاصة والعامة وللا كابر والأصاغر. وإذ كانت موضوعات هذه القصة متنوعة
وإساليها متنفة وعريتها مفهومة ولغتها مأنوسة ومعانيها مستظرفة كان لا يخفى
على من تصفحها من الملل وكانت من أحسن الكتب التي تقرأ في المدارس البسيطة
تقوية للبلاد وإذ كانت مهذبة لا بد من أنها تكون أكثر قبولا لدى جمهور
هذا العصر الذي انتفع فيه باب المعارف لجنس النساء أيضاً والذي يجب فيه
الانتباه إلى تنظيف دواوين العرب وكتاباتهم ومجالسهم ما لا يليق من الكلام
والأعمال احتشاماً مع هذا الجنس ومحافظه عليه. هذا وإن من عرف أن ترجمتها
وعنديها وطبعها كانت معاً وقد أكملت في فضلات الوقت مدة خمسة أشهر
ملوثة من الاضطرابات والمهموم والمتاعب بسبب ذيل المعذرة على ما يعتد
عليه من الخلل والتساهل والزلل ويعلم أن الوقت لدن قابل الانقضاء
يطول وينصر بحسب المجتهاد صاحب وإن فضلات الأوقات التي بصرفها
كثيرون في الملاهي والكمل بمكهم أن بصرفوها في أعمال مفيدة لهم ولا ينهت
وعظهم

وكل امرئ لا نفع فيه لغيره فسيان عندي فقد وجوده



اسفار روبنسن كروزي

الفصل الاول

عائلة روبنسن ومفارقة والديه

حكى روبنسن عن نفسه وقال وُلِدْتُ سنة ١٦٣٢ في مدينة يورك من عائلة معتبرة من بريمان . وكان ابي غريباً في تلك البلاد واسم كروزيير . فاستوطن مولداً في هول و صار ذا مال كبير بواسطة التجارة . ثم افل الى مدينة يورك المذكورة واقام هناك تاركاً معاطاة التجارة . ثم تزوج باي واسم عائلتها روبنسن وهي عائلة معتبرة جداً في تلك البلاد فدُعِيَتْ باسم تلك العائلة اي روبنسن كروزيير . ثم تجاري عادة الانكليز في اعتماد الكلمات تدعى الآن اوبالبحري تدعو نفسها ونكتب اسمنا كروزي وهكذا كان ارفاقنا بدعوتنا دائماً . وكان لي اخوان اكبر مني كان احدهما امير الاي للشاه من عساكر الانكليز الموجودين في فلندرس الذي كان قائداً عليهم لوكرت المشهور . فقتل اخي هذا في الحرب التي اضطرت نارها بين الانكليز واهالي اسبانيا بقرب دترك واما اخي الآخر فلا اعلم ماذا اصابه اكثر مما يعلم الي وليس ماذا اصابني . واذ كنت ثالث ابن في العائلة ولم اقرن على صناعة اخذ رأسي بتلى منذ صغري من افكار اللهو والمرات . وكان ابي قد اتمكك الكبر فعلمني اموراً كثيرة مما من شأن الاولاد ان يتعلموه غالباً في بيوت والديهم والمدارس البسيطة المجانية الموجودة في الصبع . وكان قصدي ان يعلني الشريعة ولكن لم يكن شيء يرضيني

الآ. التوجه الى المهر. فكان مبلى الى ذلك يتنادى في نزع شديد جداً ضد ارادة
 ابي وامره وضد نوايا ابي وصالح باقي الاصحاب. وكان ذلك الميل الطيبي
 يجذبه بعنف شديد نحو الحياة النعيسة التي كانت مزعة ان تصاد في
 وكان ابي على جانب عظيم من الحكمة والرصانة فاخذ يقدم لي نصائح فاضلة
 وينذري ان اعدل عما عزمته عليه. وفي ذات يوم صباحاً دعاني الى محدة
 الذي لم يكن بفرقة لمضي في رجله واخذ بكفي جمرارة ونشاط عن هذا الامر.
 وسألني هل يوجد عندك حب غير حب الله والمجولان يحاك على
 مائة يني وترك وطبك العزيز حيث يكك الفاضل مع اصحاب النديم والحجاج
 في امور الدنيا بواسطة الاجتهاد والمجد وان نعيش مع ذلك عيشة راحة ولذة.
 ثم قال ان الذين يتفكرون بنقد الربح يكونون اما من القوم الذين سكت عليهم
 لمواهب النجاس في بلادهم او من اصحاب الفنى والثروة العظيمة. فان هؤلاء يطلبون
 الارقاء بواسطة جدم في طلب الاسباب ويعملون لانفسهم شهرة بواسطة اعمال
 خارقة العادة. ولكن هذه الامور هي اما اعلى او ادنى منك جداً وان حالك هي
 متوسطة او بالحري هي في اعلى طبقة من الدرجة الدنيا. والى قد وجد بالاختيار
 المستطيل ان هذه الدرجة هي احسن الحالات في العالم واكثرها موافقة لراحة
 الانسان لانها غير خاضعة للشقاء والمصاعب والاعتاب والوجاع التي تلاصق
 عيشة من كان في الدرجة الدنيا ولا تخوفه بالكبرياء والسم والطبع والحسد التي
 توجد في من هم في الدرجة العليا. وبذلك ان تفنى ما هذه الحالة من الراحة
 من ملاحظة هذا الامر وهو ان اصحاب هذه الحالة نراهم محسودين من باقي الناس
 وان الملوك كثيراً ما تأسوا من الشايع النعيسة الناجمة من ولادتهم للامور العظام
 ورغبوا ان يوضعوا في وسط طرفين اي بين العطاء والادب حتى ان الحكيم
 شهد لهذا الحالة بكونها دستوراً عادلاً للنسبة الحقيقية عند ما طلب ان يكون
 لا فقيراً ولا غنياً

ثم قال اذا لاحظت الامور يظهر لك دائماً من مصائب الحياة يشترك فيها

النفس الاعلى والنفس الادنى من بني البشر . واما الحالة المتوسطة فان مصائبها
تكون اقل وتقلباتها لا تنواري تقلبات الحالتين الاخرتين . اي ان اصحاب
الحالة المتوسطة لا يكونون عرضة ومدقا لامراض الجسد وقلق العقل كما يكون
الذين بواسطة سوء التصرف والفتنات والشرافة من الجهة الواحدة او بواسطة
مصاعب العمل وتعذر الاحتياجات وقلة الأكل وخيانة الاطمعة من الجهة
الاخرى يجلبون على انفسهم امراضا وعلا من شأنها ان تنزع بالطبع من معيشتهم
وان الحالة المتوسطة تكون دائما مقرونة بجميع انواع النعمات والفتنات . وان
السلامة والسعادة ما جاريان لمن كانت احواله متوسطة . والنعمة والاعتدال
والهدوء والصحة والاعتماد وكل امر محبوب وانه خالصة في بركتها ترافق الحالة
المتوسطة من المعيشة . وانه بهذا الطريق يسير الناس بسكوت وعدو في العالم
ويخرجون من راحة من ان يرتكبوا تعيب اليد او قلبي الرأس او يبعوا انفسهم
للمعبودية لاجل غيظ البوي او يزعموها بامور من شأنها ان تنزع سلامة
الضمير وراحة الجسد او يكفروا بالجسد او شدة الطمع في طلب امور عظيمة
واكثهم بالام في من الراحة يسهون القربى في العالم ويندفعون حلالة الحياة
من دون مرارها ويغمرون بانهم . هذه ويتعلمون بالاختيار يوما فيوما معرفة
ذلك والاعمار به

ثم الخ علي بمرارة موجبة حننا وشقة ان ارفع هذه المادة من رأسي ولا اطرح
نفس في اخطار لا تنزلي اذ كنت غير مضطر الى طلب خيري . وقال انه يذل
جهته في مساعدتي ووضعني في المركز الذي عرفه علي . واني اذا لم اكن مرتاحا
جدا وسعيدا في العالم يكون المانع من ذلك سوء حظي وذني . وانه لا يكون
علي لوم ولا مواخذة من جرى ذلك لانه قد تم واجباتي نحو بني البشر ونحو مربي
من امور عرف انها تكون مضرّة لي . وبالاجمال كما انه مستعد لان يعاملني
بكامل المساعدة والمعروف اذا ثبت ثابتي في البيت لا يريد ان يكون له ادنى
بد في مصائبي شجوه ابائي في امر الناس . وختم كلامه بقوله انه يكره ان اتخذ

أخي نموذجاً . فانه قدم له هذه النصائح بعونها لكي يبتعد عن الفوج إلى حروب
 البلاد الواطئة فلم يندفع على اقتناعه لما كان له من الرغبة المبرحة في دخول
 العسكرية فقتل هناك . ثم قال انه لا يكتف عن الصلاة من أجله إلا انه يتعاسر ويقول
 اني اذا بقيت مصر على عزمي وفعلت ما انا فاضلة فان الله لا يبارك علي . وادف
 قوله هذا بقوله سيكون لك فرصة فيما يأتي لان تذكر بانك قد حاولت بمشورتي
 وتقدم ولكن لا يكون لك عند ذلك من هذا ما ساعدتك في التخلص من مصيبتك
 وعند ما انتهى إلى القسم الأخير من خطابه الذي هو بالحقيقة نبوي مع اني
 اظن انه هو نفسه لم يكن عالماً بأنه كذلك لاحظت ان الدموع كانت تساقط
 مخدرة على خدي بكثرة وعلى الخصوص عند ذكره أخي الذي قتل في الحرب .
 ولما قال انه سيكون لي فرصة للتذكير والندم ولا يكون حينئذ من يساعدني تأثر
 جداً حتى انقطع حديثه وقال لي ان قلبه اضلأ حتى ما عاد يتمكن ان يكلمني
 واما انا فتأثرت جداً من هذا الخطاب ومن لا يتأثر من خطاب كهذا وعزمت
 على اني ما عدت افكر ابداً في امر المغرب بل اني في البيت طين مرغوب
 اني . ولكن والافاء لم تض إلا ايام قليلة حتى برد هذا العزم فتوبت بعد اسابيع
 قليلة ان اهرب إلى بلاد بعيدة واخص من انشأرت اني ولجأته . ألا اني لم افعل
 ذلك بالسرعة كما كانت تحركي حرارة عزمي الأولى بل انفردت بامي في وقت
 حسنها فهو أكثر بشاشة من جاري عادتها وقلت لما ان قلبي مايل جداً إلى
 التفرج على العالم حتى اني لا اقدر ان اشدني بشيء وانيت ان اتمه . فالأوفى
 ان اني يجب سؤالي طوعاً ولا يحملني على الذهاب بدون خاطره ورضاه .
 واذ قد بلغت السنة الثامنة عشرة من العمر فقد فأت وقت دخولي في صناعة
 أو في حرفة أو في وظيفة كاتب عند احد القهاء . ولست اشك بانني اذا
 فعلت ذلك لا اثبت إلى ان اكمل مدتي بل ساهرب من عدم معلمي قبل
 نهاية وقتي لاكون مجرباً ثم ترجعها ان تستأذن لي من اني بسفرة واحدة إلى
 الغرب فاذا رجعت بالسلامة ولم يعيبي ذلك لا اعود اسافر ايضاً بل اني في

البيت واعرض باجتهاد مضاعف ما اكون قد اضعت من الوقت
 فلما سمعت والدي هذا الكلام استشاطت غضبا وقالت لا فائدة من الكلام
 مع ابيك بهذا الشأن . فانه هو اعلم بصالحك ولا يمكن ان يسمع بامر يتبع لك
 منه هذا المتدار من الضرر . وظهرت الحب من افكاري بهذا الامر بعد ذلك
 الخطاب الذي خاطبني به وذلك العبارات الموعبة رفقا وحقا التي بلغها انه
 حدثني بها . ثم خذمت خطاياها بقولها لي اذا اردت ان تعطل نفسك فلا حيلة
 في هذا الامر . ولكن يجب ان تعلم يقينا ان ذلك لا يمكن ان يجوز رضاي ولا
 رضا ابيك وانا لا اريد ان تكون لي مثل هذه اليد في تلك ولا ان اجعل لك
 فرصة لان تقول ان والدي رضى حال كون ابي لم يرض
 ومع ان والدي لم ترض ان تبلغ ذلك الى والدي بلغني فيما بعد انها اخبرته
 بكل ما جرى بينا من الحديث . وان ابي اضطرب من ذلك جدا وقال لما
 منهذا ان هذا الولد اذا بقي في البيت يكون مرناحا سعيدا واما اذا سافر وتعب
 فانه يكون اشقى الاشياء ومن ثم لا يمكنني ان اسمح له بالسفر
 ولم اقل الا بعد ذلك بسنة من الزمان . وكنت في تلك المدة مصرا بعناد
 على عدم قبول شيء من المصالح التي عرضت علي . وكثيرا ما كنت احدث والدي
 في امر منعهما لي عما اقبل اليه طبعيا . ثم سبغت ذات يوم فيها كنت في قول حيث
 كنت اذهب احيانا ولم تكن لي عند ذلك نية على السفر اتفق الي صادفت
 هناك احد اصحابي على هذه السفر الى لندن في مركب لا يو . فاخذ ذلك الصاحب
 يحسن لي على عادة الجربة ان ارافقه في تلك السفر بقوله ان ذلك لا يمكنني
 شيئا . فاجيت الى مرغوب وتوجهت معه من دون مشورة والدي ولا اخبارها
 بذلك ولا طلب بركة الله ولا مركة والدي ومن دون اعتبار الظروف ولا
 العواقب بل فعلت ذلك في ساعة غصص كما يعلم الله

الفصل الثاني

سفر روينهن كروزي الاول في البحر

في اليوم الاول من شهر الاول سنة الف وسفانة واحدى وخمسين طلعت على ظهر مركب متوجه الى لندن . ولا اعلم بوجود مسافر ابتدأت مصافحة ابرك من مصافحي ولا دام غصه اكثر من نحسي . وحالما اطلع ذلك المركب وخرج من الميناء ابتدأت الرياح عيب والامواج تتعالى على هيئة عجيبة جدا . واذ كانت هذه السفرة اول اسفاري في البحر اصابني في جسدي مرض لا اقدر ان اصفه واعتراني خوف شديد . فاحذت حينئذ افكر في ما فعلته وانامل بحكم الله العادل الذي دفع علي لاجل ردائي في ترك بيت ابي ونصرت امام عيني جميع نصائح والدي الصالحة ودموع ابي وتوسلات امي . واذ كان ضوحي لم يصل الى الدرجة القصوى من الفساق التي وصل اليها فيما بعد اخذ يوجهني بصرامه على ان اذدراني بالصالح وتركي لواجبالي

ثم اخذ الدؤ يتزايد شيئا فشيئا وجعل البحر الذي لم اركبه الا هذه المرة يرتفع متعاليًا جدًا ولكنه لم يصل الى الدرجة التي رايت فيها مرارًا فيما بعد ولا التي رايت فيها بعد ذلك بايام قليلة . الا انه كان مع ذلك كافيا لان يجيب بحرًا جديدًا نظيري لم ينق نظره قط على مثل هذه المناظر . فكان يتراءى لي ان كل موجة هي حاجنة علينا لتبتلعنا وان كل مرة كان يسقط فيها المركب كما كنت احظ في جوف البحر لا يعود ينهض بعدها ابداً . واذ كنت في هذه الحالة المرتعة نذرت نذورا كثيرة عارفا اني اذا وصلت سالما الى آخر السفر ويسر لي الله ان اضع قدمي على اليابسة اذهب حالا الى بيت ابي ثانيا كالابن الداهل ولا اعود اضع رجلي في مركب ما دمت حيا . والي اقبل نصيحة ابي ولا التي نفسي ابدا في مهالك كهذه . وظهر الآن صدقي كلام ابي عن العيشة المتوسطة وتذكرت كيف انه صرف جميع ايامه بسهولة وراحة ولم يبق نفسه قط في خطر انواء البحر ولا شاعب البر

فهذه الافكار المحكيمة الرزينة كانت تتردد في عقلي اذ كان النوم فاتها
ونمت من من الزمان بعد . وفي ثاني ذلك اليوم سكنت الريح وهذا البحر
وعند ذلك اجتمعت تلك الافكار تفارقي . الا اني صرفت ذلك النهار بالغم
والسوء لما كان باقيا في من تأثيرات مرض البحر . ولما اقبل المساء راق
الملك وصار مدو عظيم وكان منظر الشمس صافيا جدا عند غروبها كما كان
عند ما اشرقت في الغد . فكان منظر البحر عند مدوره والشمس مشرقة عليه
احسن المناظر التي وقعت تحت نظري . وعند المساء صحوت من مرضي ونمت
نوما هاديا في الليل وكنت اشعر بفرح لا يوصف وانظر الى البحر منبها كيف
صار هاديا بها بهذا المنظر بعد ذلك الهياج المائل بينة فصيرة

والآن فاني لا اثبت على عزمي الصالح تقدم الي ذلك الصاحب الشاب
الذي اغراقني الى هذه السفرة ولعلم كني رفق وقال كيف انت الآن يا صاح .
اظن انك خفت الليالي الماضية عندما هب علينا مل طربوش من الريح . اما انا
مصب في ظني . فاجبت عجا لشي ذلك مل الطربوش والحال انه كان نوا عظيم .
قال اني ذلك نوا يا صهيون . ان ذلك ليس شيئا عند من كان في مركب جيد .
انت مجري جديد يا صاحب ادني شي برعك . لم بنا نشرب قدح عرق فينسي
كل ما حدث . انظر ما اقم الغواء الآن . ولاجل الاختصار في هذا القسم المتكرر
من قصتي اقول اني اجبت الى مرغوب وسلكت طريق سائر الجربة فترست
عرقا حتى سكنت . فضجعت في شر تلك الليلة كل نومي وجميع تأملاتي في
سيرة الماضية وكل عزمي بالنظر الى المستقبل . واقول بالاحمال كما ان البحر
رجع الى حالة الهدوء والسكون عندما كف الوباء كذلك رجعت رغبتي
السابقة الى مراما ونسيت كل الفور والمواعيد التي صدرت مني في وقت
ضيئي عندما انتهت حركة افكاري السريعة وزالت من بالي الخوف والاموال
التي اعترضني عندما كان البحر هاتجا مرينا الا انه كان يحظر يالي احيانا ببعض
الافكار وكانت افكار الرضاة والمثل تحاول اوثمانا الرجوع الى رأسي الا اني

كنت ادفعها بنفوري كأنها وسائس البليس . واذ كنت اصرف وقتي في الشرب
ومتادمة الاصحاب لم يضرني الا القليل حتى كنت استحي تلك الافكار دوريات
وادفعها عني . وفي برهة خمسة او ستة ايام فزت بالظفر على الضمير وانصرت
عليه بقدر مرغوب خاطر شامس بطلب التخلص من رشقات سهام الحماة .
ولكن قد حفظ لي تجربة اخرى لانتاعي . فان الله عز وجل من عادته في كل
احوال ان لا يدع للانسان عذراً يعتذر به . واذ كنت لم احسب ما مضى نجاة
فصد بساير النافثة ان يوقعني في تجربة اخرى من شأن النجاة منها ان نحمل
ارداً واقسى شقي في العالم على الاقرار معترفاً بخطيئتنا وعظم الرحمة التي اقدت
منها

وفي اليوم السادس من ركوبنا للبحر وصلنا الى مكان يقال له موالى
بزموت وكان الهواء ضدنا والبحر مادناً فلم تقطع الا مسافة قصيرة بعد ذلك
التوحي اضطرنا الامر الى ان نرسي فارسينا هناك وبقي الهواء ضدنا مدة سبعة او
ثمانية ايام . وفيما كنا هناك قدمت مراكب كثيرة من نوكل الى ذلك الموضع
الذي هو موالى لجميع المراكب تنظر فيها الهواء لركوب نهر البليس . وبعد ان
انقضا في تلك المينا مقدار خمسة او ستة ايام اشتدت الريح جداً ولكن اذ كانت
موالى بزموت محطاً آمناً ومرساة مركبنا جيت وشراعه وبقي ادواته قوية كنت
نرى بحرنا بصرفون وقنم بالراحة والحظ كعادة سائر البحيرة ولا يبالون
بشيء ولا يخافون خطراً

وفي اليوم الثامن صباحاً فويت الريح فأخذ البحريون يشرون النفع
العلوية ويجعلون ما كان في المركب مرتباً مشدوداً لكي يعبر بقدر ما يمكن من
لكفة والمهولة . وعند الظهر هاج البحر وتعالى امواجه جداً فأخذ مركبنا يمشي
بموخره الى قدام ويندمو الى الوراء ثم دخلت مياه كثيرة وظلنا مرة ومرتين ان
المرساة قد انتطمت . وكان النوء عظيماً حتى صرت ارى الخوف والارتباك في
اوجه البوية انفسهم . وكانت الرئس مجتهداً في التلازم لاجل وفاة

المركب . وفيما كان يدخل ويخرج ماراً بجاني سمعته مراراً بنكم بصوت مختص
تتأهلاً يا رب نحن علينا . لقد اشرفنا جميعاً على الملك . وصرنا جميعاً الى حالة
الثلث وبما اشبه ذلك . واما انا فكنت في ابتداء هذا الاضطراب في حالة الجمول
مضطرباً في مخدعي كيمت لا انحرك . ولا افدر ان اصف كيف كانت حالتي في
ذلك الوقت . ولم افدر ان اجد نوفي الماضية التي كنت قد رقصتها برجلي
وطردتها منسفاً قلبي عليها . وكنت احسب ان مرارة الموت قد مضت وان هذا
كالاول لا يكون شيئاً . ولكن عند ما سمعت ما سمعته من الرئيس فتمو كما
تقدم اعترالي خوف شديد . ثم خرجت من مخدعي ونظرت الى الخارج فكان
المظهر كشيء جداً لم أر مثله قط . فان امواج البحر كانت كأنها جبال فوقنا
تقع في كل ثلاث او اربع دقائق مظيرة متكررة علينا . وكنت ارى الضيقة حولنا
من كل جهة . ثم رأيت مركبين بالقرب منا مشعورين وسفاً قد نُشرت سواربها
وقطعت من اصلها . وسمعت يجرتنا بصرخون فائلين ان مركباً قطعنا على
مسافة ميل منا قد امتلأ ماء ونزل الى قعر البحر . وكان مركبان آخران نائمين
في البحر من دون سوارب . ومع ان المراكب الخفيفة الوسي كانت في حالة
احسن من البقية قد ضيع الثمان منها او ثلاثة ومرأ بالقرب منا نائمين بقطع واحد
امام العاصف . وعند المساء تقدم ثاني الرئيس والناظر الى الرئيس وطالبنا منه
ان يأذن لما يقطع ساري المتدم ثاني فاتح عليه الناظر بهارات قوية قائلاً اذا
لم تفعل ذلك يتلى المركب ماء ويغرق الى قاع البحر فارضى اخيراً . فلما
قطعوا ساري المتدم ارغى ساري الوسط فكان يجره ويحرك المركب بهف
شديد فالتزموا ان يقطعوا ثم قطعوا ساري المؤخر فصار مركبنا قطعاً بلا
سوارب

ولا يخفى ماذا كانت حالتي في وسط تلك الاهوال التي لم ير نظيرها
برأسي . وفقدت ما يمكنني ان اذكر كانت اضطرابي وقلبي من جرى افئاعاتي
الماضية ورجوعي عنها الى عزمي الاول الردي أكثر جداً مما كانا من الموت نفسه .

وهذا الاضطراب والقلق واحوال التو او تعني في حالة لا أجد كلاماً لوصفها .
ومع هذا كما الى ذلك الوقت لم فصل الى الارض لان التو كان لم يزل في
ازدياد حتى ان الجهرية انفسهم افرأوا بانهم لم يروا قط ارباً مة . وان مركبنا كان
قوياً جداً الآن وفيه كان كبيراً فكان أكثر غائفاً في الماء حتى ان الجهرية
كانوا يصرخون المرة الاخرى قائلين انه سيغلي ماء . ولاجل ذلك التو وعظمه
رأيت في المركب منظر الأبرى مراراً كثيرة وهو ان الرئيس والناظر واخرين
معها أكثر انسياحاً مني طفتوا يصلون وكانوا ينتظرون في كل دقيقة نزول
المركب بهم الى قاع البحر . وعند انصاف الليل فيها نزل واحد الى قعر
المركب لينظر اذا عبادي قائلاً الياء دخلت المركب ثم نادى آخر قائلاً
انه يوجد نحو قامة ماء هناك . وعند ذلك انما الجميع يشغلون المضطحات .
واما اما قائلاً طرفت من الكلمات اذني ظننت ان قلبي جدد داخل فاستخرجت
الى الورا بجانب منجني مشياً على . فاني واحد من الجهرية ومنهني قائلاً ثم
سأخذنا فالك فيلاً ما كنت قادراً على عمل شيء . واما الآن فالك قادر على
تشغيل المنفعة كالبقية . فتمت الوقت وتوجهت اليها وكنت اشغل من كل
قلبي . وفيما كنت في هذه الحالة اذا برأكب الغم قد اشرفت علينا من بعيد
ولم تكن نشاء ان ندنو ما . فامر الرئيس باطلاق مدفع الضيقة واذ لم يكن
اعلم معنى ذلك خفت جداً وظننت ان المركب قد اخطى شطرين او حدث
امر مهول فأغني على لذة الخوف . واذ كان كل واحد منهم في حياته لم يكن
احد بانفت الى ولا يسأل عما اصابي . غير انه اني رجل الى موضعي على المنفعة
ورفتني برجاً وجاكاً ظناً مني بانني هتت ففتمت من طويله قبل ان استنقش من
هذه الحالة

ولم نزل المياه تزيد في جوف المركب حتى اننا باله بفرق لا محالة . ومع
ان التو كان قد ابتعداً يخف شيئاً فشيئاً كان المركب قد وصل الى حالة التلف
حتى ان الرئيس من لجأوا واخذ يقاتل على التو الى مدافع الضيقة طلباً للاجتماع .

وانفق ان مركبا صغيرا خفيفا كان قد سبنا فارسل رئيسه فاريا من قوارب
 لاجل انقاذنا . ولم يصل ذلك القارب الى مقابلنا الا بعد مكثنا انهاب
 واططار عظيمة . فافترغ بحرية جهودهم وخطروا بانفسهم لكي يخلصونا ومنع
 ذلك لم نستطع التزول اليه لبعده عن جانب المركب . واخيرا ربطت البحرية
 قطعة خشب الى رأس حبل طويل ورموه الى بحرية ذلك القارب وبعد
 ثوب جريل امسكوا طرفه فجذبناهم بالطرف الآخر الى القرب من مقدم المركب
 ونزلنا جميعا الى القارب . واذا لم يكن لنا ولا أمل بالوصول الى مركبهم اطلق
 رأي الجميع على اطلاق عنان القارب بعد تحويله نحو البر وتركه للقوة الدافعة
 والمجاذفة بقدر الامكان وان رئيسنا ضمن لم غائلة لنصل الى البر وقبل ذلك
 ذلك على نفسه . وهكذا بواسطة دفع البحر وجذب المجاذيف كانت القارب
 يسير بنا قاصدا البر الى ان وصلنا الى جوار وترطون

واما ما كان من امر مركبنا فانه بعد خروجه من مريع ساعة تقريبا رأينا
 يفرق الى جوف البحر . واقر باننا عند ما قال لي البونية ها المركب قد ابتدا
 يفرق كدت لا اجسر ان ارفع نظري لاراه . لان البحرية من تلك
 الدقينة وضعوني في القارب ولا يخفى لي ان اقول الي انا نزلت اليه وكان قلبي
 كأنه ميت داخلي وذلك من شدة الخوف واضطراب العقل والشر الى ما
 كان مزمعا ان يصادفني

ولما نحن في هذه الحالة المكرة والبحرية يحاولون بكل جهدهم ان يداوا
 بالقارب من البر الذي كانوا يظنون عليه كلما ركبا ظهر موجة رأينا جميعا
 غائبا من الناس يركضون على الشاطئ لاستقبالنا ومساعدتنا في الخروج الى
 البر . ولكن قدما نحو الشاطئ كان بطيئا ولم يسر لنا الوصول الى حدود
 الا بعد ان تجاوزنا منارة المركب في وترطون واشرفنا على كرومر . وبعد
 مقاساة صعوبات وانهاب كثيرة خرجنا من هناك الى البر بالسلامة واحدا
 فهدو حتى وصلنا الى برموث . فاحسن حالكم برموث ومن بها من التجار

واضحاب المراكب لنا ونا واجادوا مشوانا ثم اعطونا دراهم للتوجه الي لندن ان
الرجوع الي مول ناركين ذلك لارادنا . فلو كنت صاحب عقل لرجعت
الي مول وذهبت الي بيت ابي كالان الشاطر وكان ابي فلي بكل سرور
وذبح لي الجمل المملوف لانه اذا بلغ ان المركب الذي سافرت فيه قد غرق
في مواني مرموث فكيف يكون حاله اذ كانت اخبار سلافي من الشرق فيه
لا يمكن ان تصل اليه الا بعد ذلك بزمان طويل

وان سوء حظي كان يسوقي بهناد شديد وقوة لا تدفع . ومع ابي عند
مراجعة المادة في فكري كنت استصوب الرجوع الا انني كنت اشعر في الوقت
ذاتوا انه لا قوة لي على ذلك . ولا اعلم ماذا اسي هذا الحال . ولا اريد ان
اقطع جازما بوجود فضاء سريري شديد اليأس به ونا جيرا الي ما من شأن
ان يسبب هلاكنا ما يكون نحت ادراكنا ونظرنا ففضة مع اطلاقنا على
ردائنا . ولا شك بان لم يكن ممكنا شي غير شفاة مثل ذلك قد قضى بها
فضاء لا يدفع ولم يكن سبل لي الي الهابة منها ان يسوقي الي هذه الورطات
ضد تبهات عظمي الرائق وجميع ضميري المنرد ومع وجود ما قد صادفني في
اول سفرني من العبر الواضحة لدي

وان رغبي الذي مد يدك قبلا لمساعدتي في التماسه وهو ان صاحب
ذلك المركب كما علمت كان الآن اقل مني نفعا . ومن اول مرة كلمني بها
بعد سفرنا من مرموث بعد ذلك يومين او ثلاثة ايام . لاننا كنا قد تفرقنا في
البلد وتزلنا في حارات مختلفة . فلما قابلته رأيت ان غنائه قد تغيرت ومظنة
صار كشيء ووجهه نطبا مولدي المواجهة من برأسه ذات التبعث وذات
اليسار وما لي فاعلا كيف انت الآن . وعرفني بأبي واخبر اياه بان من الصفة
في اول سفراتي وذلك على سبل التجربة والامتحان وان قصدي السفر الي
اماكن ابعد . فالتفت ابيه الي وقال لي بصوت الشهامة والجد يا بني اري
لك ان لا تسافر ابدا في البحر بل ينبغي لك ان تحذ هذه المصيبة دليلا واضحا

محموساً على انك لست من رجال البحر . فاجبت . ولماذا يا مولاي . وانت ايضا
اما نذهب الى البحر . فقال هذه مسئلة اخرى . انت ركوب البحار هو متعلمي
فاذا هو من واجباتي . واما انت فما قد سافرت هذه المرة على سبيل التجربة
ورأيت ما اذافك الله اياه من مرارة المصائب التي لا يد من ان تدركك اذا
بنيت مصراً على عزيمتك . وربما كان اصابتنا ما اصابتنا بمبيك كما اصابك تلك
المنية المتوجهة الى نرسيس بسبب يونان . فاسألك ان تقول لي ما شئت
وما حملك على ركوب البحر . فاخبرته بشي من قصتي وشأني وللحال استشاط
غضباً وقال ما في خطيتي حتى دخل هذا الشقي المتكود الحظ مركبي . ثم اذنت
الي وقال بغيظ اني لا اريد ان اضع قدمي على قدمك في مركب تركبة وان
دفع لي الف ليرا . فقلت في نفسي لعل ما حملت على هذه المطاوعة المتجاوزة الحد
ما لم ينزل بنليو من الكد والتم بسبب خسارتي . ولكن لم يضر الا لحظة من
الزمان حتى استفاق من طيأنته واخذ يكلمني برصانة وهدوء وينذري بالرجوع
الى بيتي وان لا اجرب الله لاني . وقال انه يمكنني ان انظر كيف يد الله في
ضدي ثم اردف ذلك بقوله اعلم يقيناً يا فتى انك اذا لم ترجع فانما توجهت
لانصاف الا المصائب وخيبة الآمال فتم فبك كلمات ابيك التي اذكرك بها
واذ كنت لم اجاوبه الا قليلاً انصرف وانصرفت ولم اعد اراه ولا علمت
اين توجه . وكان في جيبى بعض دربهات فاستخدمتها في السفر الى لندن مرأ
وفيا اما هناك وفي الطريق كنت في حيرة وارتياء عظيم لا اعلم ماذا اعمل
وكنت متردداً بين الرجوع الى البيت وركوب البحر وكان الكحل والعار
يقاومان كل حركة تدفعني للرجوع الى البيت . فكنت كلما خطر بالي امر
الرجوع انصور امامي العار وما سيعترضني من الكحل عند مقابلة اي واي امر
احد معارف وائناء بلدي . ومن هنا تبين لي فيما بعد عظم جهل وحقارة طبيعة
الجنس البشري ولا سيما الشبان بالنظر الى العقل الذي ينبغي ان يكون مرشداً
اباهم في مثل هذه الاحوال . لاني كيف لا يخلون من ان يخطوا ولكم يخلون

من ان يروا وكيف لا يصفون من الافعال التي يجب تعديل ان يصيبهم
الناس حذاء يسيها وكنهم يصفون من الرجوع الذي هو الواسطة الوحيدة لم
لاكتساب الاعتبار في اعين الآخرين

فنبهت ملك من الزمان في هذه الحالة المكرمة . لا اعلم ماذا اعمل ولا كيف
يجب ان اصرف تعالي في هذا العالم . وكنت لم ازل مصراً بعناد على كراهة
الرجوع الى البيت . ولم يبق الا القليل حتى نسبت الصفة التي اصابني
وبذلك رالت تلك الرغبة الزهيدة التي كانت تحركني الى الرجوع فاحذت
اهتم في امر السفر . وذلك الشخص الشرير الذي جعلني اولاً على مباحة بيت
الي وشافني الى ذلك القفل المسمى بان اوسع دائرة اشغالي وسعادي ورسم
في نفسي ذلك الضرر الاحق ربما لا ينهي حتى صرت اصب لا اقبل شيئاً من
النصائح الصالحة ولا ابالي بتوسلات ابي ولا بأوامره . وتوابعه نعم ذلك الشخص
مهما كان هو الذي شخص امام عيني انفس الاشغال . وهكذا دخلت مراكباً قد
وجهت متقدمة نحو شطوط افريقية او على طول البحرية سفرة الى غربيها

ثم لسوء حظي لم ادخل في جميع هذه الاسفار في سلك البحرية لاني لو
فعلت ذلك كنت فعلت اشغال البحر وربما ترفعت الى رتبة كالي رئيس العالم
اصر رئيساً وان يكن ذلك يكلفني انماياً اكثر من العادة بقليل . ولكن كما
كانت عادي ودأبي ان اختار الارداً هكذا فعلت الان . واذ كان عهدي
سرام في حبي وثياب على يدي كنت اسافر دائماً بزي خواجه وهكذا لم اكن
اعمل شيئاً من الاعمال في المركب ولا فعلت عمل شيء . وكان لي حظ في اول
امري ان اعثر قوماً من ذوي الاعتبار في لندن وذلك بتدر حصول لمن
كان شاباً ذا خلاعة وطليانة نظيري . فابليس من عادتي ان لا يبتل عن
ان يلقي في طريق من كانوا كذلك فخاخاً بصطادهم بها في صغر سنهم . ولما انما
اعلم يكن حالي على هذه الصفة . فاني اولا تعرفت برئيس كلت قد سافر الى
شطوط غربيها ولما صادفته هناك بين التوقف والملاحج كان عازماً على التوجه

الى تلك الاطراف مرة اخرى . واذ اعجبه كلامي الذي لم يكن في ذلك الوقت
غير مقبول وسمعي انكلم عن سبلي الى الفرج على العالم قال لي اذا شئت ان
تراقبني فاني لا ادعك فتكلف شيئاً من المصاريف بل اتخذك كمسند وجلس
واذا اردت ان تأخذ معك بعض اشياء فاذا رجعت بها فيكون كل ربحها
لك وربما تصادف هناك ما يجيبك وينوي عزيمتك وآمالك . فشكرنا على
معروفه وعزمت على التوجه معه . وصارت بيننا صداقة قوية خالصة . وكان
رجلاً أميناً لين الجانب من المماطلة . فاشتريت بعض ائمة قليلة الثمن كثيرة
العدد وذهبت بها مع صديق المذكور الى شطوط غوبيا وبواسطة منه
وامانة عنها ورجعت بها رجلاً جريلاً . وكان رأس مالي اربعين ليرة كنت قد
حصلتها بواسطة من كنت اكانهم من انرياني واطن انهم جعلوا الي اوافلة ابي
تدفع ذلك مساعدة لي في اول اسفاري . فهذا اول سفر يمكنني القول بحسن
الي توقفت فيه وما ذلك الا بمؤازرة صديقي الامين الصادق الرئيس المذكور
الذي لا انسى معرفته بخوي ما دمت حياً . وفصلاً عن ذلك قد علمني
المساحة واصول سفر البحر وسك حساب سهر المراكب والرصد وبالانحصار
اكتسبت منه امورا كثيرة ما ينفع كثيراً البحري معرفته . وكما كان يلزم تعلمي
كنت انا الفذ بالتعلم منه وبالاجمال صرت بهذه السهرة بحرياً وتاجراً معاً .
ورجعت منها ومعي من الذهب الخالص كمية وافرة بعثتها بعد رجوعي الى لندن
بخمسة ثمانية ليرات . وبسبب هذا الشوق الى امتلاء رأسي من تصورات التقدم ونماطي
الاسباب الا ان ذلك صار اخيراً واسطة لثقتي . فلما علمت ان هذه السهرة ايضا
لم تغل من مصائب اكتسفتي فاني كنت دائماً متصرف المزاج واصاني حتى
صرفة ردية حصلت لي من شدة الحر هناك . وكان اكثر تجارتنا في السواحل
والشطوط من طول خمس عشرة درجة شمالاً الى الخط نفسه

الفصل الثالث

في اسر روينن كروزي في سالي

فصرت الآن تاجراً غريباً ولكن لعظم سوء حظي توفي الرئيس صديقي
بعد رجوعنا فقليل فعزمت على السفر ثانية الى هناك فتركت في نفس المركب
وكان ثاني الرئيس في السيرة الاولى قد صار الآن رئيساً له بعد وفاة رئيسه
المذكور وكان هذا السفر من انفس الاسفار التي مرت برأس اصاني. الا اني لم
أخذ معي كل ثروتي الجديدة بل اخذت نحو مئة ليرة فقط وودعت المشيخ
الباقين عند ارملة صديقي المرحوم وهي ايضاً كانت تريد خيري وصاحبي
كروجهما. فالمصائب التي حلت في هذه المرة هي عظيمة ومحنة جداً. فاول
مصيبة اصابني هي انه فيما كان مركبنا سائراً نحو جزائر كاري او بالبحري بين
الجزائر المذكورة وشطوط افريقية فاذ نبع البحر اقبل علينا طائفتان اي مركب
فيوفرسان اي لصوص يهر من اهل سالي كان قد وضع ما امكته وضمة من
القلوع وجعل يمد في طلبنا مطارداً مركباً. ولما وقت نشرنا نحن ما عندنا من
القلوع واطلقنا عنان المركب طالبين الفرار والنجاة. ولكن لما رأينا ذلك
يسرع اكثر من مركبنا ونحقتنا انه بعد ساعات قليلة سيدركنا اخذنا تناسب
للقتال والمدافعة والفضال. وكان معمول مركبنا اثني عشر مدفعاً ومعمول مركب
الترصان ثمانية عشر مدفعاً. وبعد الظهر نحو ثلث ساعة ادركنا العدو
فاطلقنا عليه ثمانية مدافع واطلق هو علينا المدافع ثم ارتد قليلاً الى الوراها واطلق
عليها الرصاص وكان فيو نحو مئتي رجل ولكن لم يصب احداً منا اذى. ثم
حمل علينا حملة اخرى وهي اننا نحن لنحمل عليه واككته وشب ثائراً على مركبنا من
الجاناب الذي كان خالياً من المدافع وقتئذ متأسيراً اباه ثم ادخل اليه ستين

رجلاً من رجاله فاخذوا في الحال يقطعون في التلوع ويجلون الفراغات .
فالعينا نهم الرصاص والبارود وكرزنا عليهم كرة الاسود وطردها من مريش
عن ظهر المركب . وبالاختصار نقول انه اذا كان مركبنا قد تفضل وقيل ثلاثة
من مريشنا وخرج منهم ثمانية وجدنا ان السلام اتم فسلمنا ومكنا اخذنا جميعاً
اسرى الى سلي وهي مينا مشهورة في بلاد المغاربة

وقد علموني هناك بافل رداة ما كنت احسب ولم ياخذوني الى داخله
البلاد الى بلاط الملك كما فعلوا بياني بمريشنا بل انما في ريس ذلك الطائف
عده . واذا رآني حدث السن خفيف الحركة ولا يثاق عده متو ادخلني في سلك
العبد . فعظم الخطب علي جداً عند تحويل حالي من تاجر معتبر الى عبد
دقيق . ووصرت انذكر خطاب ابي النوي وقوله لي اني اكون نعيماً ولا يكون
من يفرج عني . وحكمت ان تلك المصيبة ما هي الا نعيم لتلك الدعوة والله
لا يمكن ان اقع في حالة اردأ من تلك الحالة وان يد الله قد وقعت علي
فصرت الى العدم من دون مقدر . ولكن واسفاه لم يكن ذلك الا قدمة
لما كان مزمعاً ان يرأسي من النكات والمصائب كما سيظهر لمن وقف على
ما يأتي من قصي

فاخذني مولاي الجديد معه الى بيتو فالتحق لي باب اللامل بانه من سامر
الى البحر ياخذني ايضاً معه . والله اذا دارت النائرة علي في دوره وانقضى ان
احد مراكب اسيايا او البنوغال البحرية بفساده اعتنى انا بهذه الولاية من
عبوديتي . ولكن لم يرضي الا التلجل حتى خاب هذا الأمل وذلك عند ما رأيت
قد سامر في البحر وخلصني سبي البيت لاجل تدبير الجبهة والقيام بخدمة بيتو
كاحد العبد . ثم لما رجعت من السفر امرني ان انام في المركب واحرسه

وفيا كنت عند مولاي المذكور لم يكن شيء يثني الا بخاتي وطرائف
توصلي الى هذا المرغوب الا انني لم اجد طريقه فيها ادلى باب للرجاء حتى
ان فرض ذلك كان عدي ضريباً من الحال اذ لم يكن لي رفقي اني به ولا

شريك في الاسر لا انكليزي ولا ايرلندي ولا اسكونلندي بل كنت وحدي
ونيت ستين اعلل نفسي بتصورات فارغة لم يكن ادنى باب للامل بخارجها
وتفهمها فعلاً

ثم بعد مضي نحو ستين حدث امرٌ غير مألوف رَدَّ الى رأسي فكر
الاجتهاد في الحصول على حربي . فان مولاي اقام في البيت اكثر من العادة
من دون ان يعد مركبة للسفر وذلك لعدم وجود قنود يديه كما يلقب .
وكانت له عادة اذا كان الهراء معتدلاً ان يأخذ قارب المركب ويوجه كل
سنة مرة او مرتين واحياناً اكثر لاجل الصيد . واذ كان ياخذني دائماً معه وياخذ
ايضاً نفي اسمه فورسكو كما نجهد في خطه وصرت انا مامراً جداً في صيد
السمك حتى انه كان يرسلني احياناً مع مفرق من بني عمي والني فورسكو
لصود له قدر من السمك

وفيما كنا ذات يوم ذي صباح خرج ذاهبين في طلب الصيد اذا ضبابه
كثيفة جداً قد طلعت عليها حتى لم تعد نرى البر مع اننا لم تكن علة على اكثر
من نصف فرسخ . فكنا نشغل المجاذيف ونجري ولكن لا نعلم الى اين ولا في اي
طريق . فصرنا ذلك النهار كله والليل بعد على هذه الحالة المتعبة المرتبكة
حتى اقبل الصباح واذا بنا قد توغلنا في البحر عوض ان نقرب من البر
وصرنا بعدد من منار فرحين عن الشاطئ . ثم بعد مفاساة انعاب جريئة
ونطوح انفسنا في اخطار قوية ابتدأت ربح الشمال تهب عند الصباح وكانت
نسوقنا حتى وصلنا الى مرسى مرسانا وقد خارت قوارنا وغوى مولانا ايضاً من
جهة الجوع

ثم ان هذه الحادثة جعلت مولانا يعزم على زيادة الاهتمام بنسوه . وكانت لم
قبل عن القارب الطويل الذي كان لمركبة الانكليزي الذي استأمره كما
ذكرنا أننا نعزم على ان لا يسافر ايضاً من دون حُكْمٍ وراية . فأمر بخارج
المركب وكان اسيراً من الانكليز ان يني فمرة على ظهر ذلك القارب ناريًا

ورامها فصححة لاجل تشييل المجاذيف ورفع القلع الأكبر وفتح قدامها كالقوة
لان يقف فيها رجل او رجلان لاجل تشييل القلوع ففعل الجار كما امر
مولاه . فكان ذلك الفارس سريع الجري فيه مكان يسع مولاه مع واحد او
اثنين من عبيده ومائة يتناول عليها طعامه وصندوقه صغيرة يضع فيها فاني
مشروباته مع الخبز والرز والقهوة وسماه بالكور وهو اسم نهر في الجهة تسمى
وهي كذا

وفد ذهبنا مرارا كثيرة في ذلك الكور لاجل الصيد واذ كنت ماهرا
في صيد السمك لم يكن مولاه يذهب من دوني ان ياخذني معه . ثم اتفق ان
مولاه عزم ذات يوم على الخروج في الكور طلبا للثمن او الصيد رافقه اثنين
او ثلاثة من اصحابه المعبرين في ذلك الموضع . فاستعد لهم اكثر من العادة
وارسل الى المركب لئلا ما صدولت كثيرة وامرني ان اهي ثلاث يارب
وبارودا وخردقا ما يوجد في المركب فالا ان مراده صيد السمك ونقص
الطوبى ايضا

فبات كل شيء طيق امره وفي اليوم القادم غسلت الكور جيدا ورتبة
لاستقبال الضيوف واقمت وصباحا انظر قدومهم واذا بمولاه قادم بعد قليل
وحده فقال لي ان الضيوف عرض لم يشغل فعدوا عن الحضور . وامرني ان
اخرج انا ومفرني وغلان من اتباعه في الكور كجاري العادة وصعد لم سكة .
وقال لي اسرع في الاتيان بالسمك الى البيت . وذلك لان اصحابه كانوا مزعمين
ان يمشوا عنده . فاجبت حبا وطاعة . وفي تلك الدقيقة اخذت افكاري
القدية فالتفتي في امر النجاة . لاني رأيت الآن ان مركبا صغيرا تحت امري
ومطلق نصرفي . وحالما انصرف مولاه اخذت انامب ولكن لا لاصيد السمك
للمنر ولم اكن اعلم ولا جال في خاطري من ان ولا ابن اتوجه . ولكن اي
طريق يخلصني من ذلك الموضع وتلك العودية فذلك هو طريق
. واول حيلة استعملتها هو اني قلت لمفرني سهر ما يلزمنا من المؤنات

والزاد اذ لا يجوز لنا ان نأكل من خير مولانا . فقال صحيح ذلك . ثم اتى
بسلر كبير مملوء كعكاً مبرقعات من الدون وثلاث جرار مملوءة ماء عذبا .
واما انا فاذا كنت عارفاً بالموضع الذي كان فيه الصندوق وانقضت فتاتي
الشراب خاصة مولاي فبقا كان المغربي على البر فقلت مع السل الى الكونر
بقصد ايهامو بانها كانا هناك فبلا نحت طالب مولانا . وكان ذلك الصندوق
قد غصب من قوم الكونر كما يظهر من ثمانية شعلة . وقلت ايضا قطعة كبيرة
من شمع العسل وورقة من الخيطان وفأنا وشارا وفدوما . وجميع ذلك
نفعنا جدا فيما بعد وعلى الخصوص الشمع لاجل الضوء . ثم احضرت حيلة اخرى
على ذلك المغربي وكان اسمه اسعول ولكم كانوا بدعوة مولاي فقلت يا مولاي
لا ينبغي عليك ان يوارى مولانا في الكونر اما بكك ان نحضر لنا قليلا من
البارود والمردق لعلنا نقص لانفسنا بعض طيور تأكلها فقبل من الحيلة
ببساطة وخالوص نثر وقال لي . ثم ذهب وحضر جرانا كبيرا فيه نحو اثنين
من البارود وكسنا فيه نحو ست افق من المردق مع قليل من الرصاص
ووضع جميع ذلك في الكونر . وكذلك انا وجدت شيئا من البارود خاصة
مولانا في الفرة الكبيرة فملأت من قبعة اخرى . فلما انتهينا من التجهيز وصار
عندنا كل ما يلزمنا قلنا من الميا في طلب الصيد . واذا كان من في القلعة
التي في مدخل المينا يعرفون من نحن لم يعارضونا ولا سألونا . وما اهدنا
اكثر من ميلين عن المينا حتى طوبنا قلعا وجلسنا نصيد . وكانت الريح من
الشمال الشرقي وذلك ضد مرغوي . ولو كانت من جهة الجنوب لكانت
وصلت لاحالة الى حدود اسبانيا وفي آخر الامر الى اسان قانس . الا انني
تحررت عن مساعد الغنم لمباية ذلك الموضع الردي والحصول على حربي كفا
مال الريح وتركت ما بقي للندى والندى
فصرفنا من في الصيد ولكن لم نصد شيئا وكنت اذا طالع بك على صانري
لا اترجى بل ارده الى الماء خوفا من ان يراه المغربي . وبعد ذلك قلت

المغربي لا فائدة لنا من ذلك ولا يمكننا ان نرضي مولانا بهذا العمل دعنا نقدم
 ابناً مغرباً في البحر فقال لا بأس على ما ارى افعل مما بدالك . واذ كان
 جالساً عند مقدم الكور قام على الفور ونشر القلوع وامسكت اما الدفة واخذنا
 نبحر حتى ابعدنا مسافة ثلاثة اميال عن ذلك الموضع . ثم التفت ذات
 اليدين وذات اليسار وقمت كالتي اريد ان اصيد وسلمت الدفة للولد ووثقت
 على المغربي وثبة الاسد وامسكت به من وسطه وقذفته من المقدم الى لجة
 البحر . ولكن لم يضي الا كلمة بصر حتى طفا جالاً ساجداً على وجه المياه لانه
 كان اسبح من بطة . فتناداني طالباً الطلوع الى الكور وواعظاً باله العالم
 باسمه . فاني اذا اردت . واخذ يسبح بهزم وسرعة وراه الكور واذ كانت الريح
 خفيفة جداً ورأيت انه لا يضي الا قليل حتى يدركنا دخلت الفجرة وخرجت
 ويدي بارودة فادريها نحو . وقلت له يا مولاي اني لم اضرك قط شئ ولا
 اضرك الآن اذا رجعت عما انت قاصد فان العر هادي والبر غير بعيد
 فانت قادر ان تصل بسهولة ساجداً الى هناك . ولكن اذا اصررت على عزمك
 ودنوت من الكور فاني اطلق عليك هذه البارودة واربع مينا لاني انا
 طالب الدور بحري . ولوقفت دار بوجه راجعاً واخذ يسبح طالاً الى . ولست
 ادرك باله وصل بسهولة وسلافة لانه كان ساجداً مامراً

وكان يكفني ان اغرق الولد واخذ ذلك المغربي معي ولكن لم تكن لي
 حراة على ابناء المغربي لعدم ركوب . ثم عند انصراف المغربي التفت الى
 الولد وكان اسمه كسار فقلت يا كسار اذا كنت اميناً لي وصادقاً في خدمتي
 فاني اصبرك رجلاً كبيراً . ولكن اذا لم تحلف لي بفاعة دينك انك تكون
 اميناً لي ولا تخونني ابداً يضطربني الامر الى ان افدك انت ايضاً الى لجة البحر .
 فظفر الولد كسار اليّ متسماً وكفني بهيمنة صبر وفقاوة فلب زاد ركوبي و
 بحيث لم يبق لي سبل الى اساءة الظن فويعم حلف لي باله يكون اميناً
 صادقاً ويرافقني ابناً توجيهاً فوثقت بمركبنا اليه

• وإذا كنت لا تزال أرى المنبر وهو يسمع وجهت مقدم الكونر نحو البحر
 ضد الريح مبطاً لاوم الناس إلى ذاهب إلى ثم الخلق لأن من كان يظن أننا
 ما نرون إلى جهة الجنوب إلى شطوط بلاد البرابرة حقاً حيث نوقع أنفسنا في
 خطر من أن يحيط بنا قبائل كبيرة من السودان بنوارهم الصغيرة وأطواقهم
 ويهلكونا وإذا خرجنا إلى البر فرض أنفسنا للوحوش الضارية فنقتربنا أو
 لنوم برامة من بني البشر ثم اشتد شراسة من الوحوش نفسها فيهنوتنا . ولكن
 لما أقبل المساء وخيم الظلام غمرت طريقي وحولت مقدم الكونر نحو الجنوب
 الشرقي مائلاً قليلاً نحو الشرق لكي أكون دائماً قريباً من البر ومواجهاً له .
 وإذا كنت الريح قوية والبحر هادئاً رائناً كنت أسير بسرعة أظن أنني في اليوم
 القادم عند مصر حين قربت من البر لم أكن بعيداً عن جنوبي علي أقل
 من مائة وخمسين ميلاً . وذلك على بعد شاسع عن مالك مالك مراکش وعن
 كل ملك غيره في تلك الأطراف . لأننا لم نكن نرى أحداً هناك

ثم لفظة ما اعتدنا في من الأموال عند المغاربة والخوف من أن يقع ثانية
 بين أيديهم لم أكف عن المسير ولا خرجت إلى البر ولا عرجت إلى ميناء .
 فصافرت على هذه الحالة والريح معي مذ خمتة الهام . ولكن بعد ذلك تغيرت
 الريح وصارت تمهب من الجنوب مضادة لي . وإذا كان ذلك ما قوى علي
 بنوقف ما ربما يكون ساعياً في طلي من المراكب لامتساري اشتد عزمي
 وتقدمت إلى البر حتى أفلت على ميناء صغيرة على مصب نهر صغير . ولم
 أكن أعلم ماذا ولا أين ولا أي طول ولا أية بلاد ولا أي شعب ولا أي نهر .
 ولم أر ولا كانت لي رغبة في أن أرى انسا أو جماعة اناس . بل كنت أطلب
 على الأكثر الماء الذي لفتة الاحتياج اليه . وكانت وصولنا إلى قم ذلك
 النهر . عند المساء . فتبيننا أن نطلع إلى البر ساجدين حالماً بحجم الظلام وكنا
 نسمع أصواتاً هائلة وصراخاً رائناً وزفير أسود ووحوش برية من اجناس
 مختلفة . وأما الولد كمار فانه عند ما سمع تلك الأصوات المظلمة الهائلة بكاد

قوت من شدة الخوف وطلب التي بالحاجة ان لا انزل الى البر الا بعد طلوع
البحر . فاجتهد الى ذلك وفلت له ولكن رها رأيا في النهار اما انشد
شراة واذى من ذلك الوحوش الضاربة . فضحك . فقيل وقال اننا نرسمهم
بالرصاص فيبرمون منا . فسررت بما رأيت في يوم من شدة البأس والحماة
وطلافة الوجه والبشاعة فصفته قليلا من الشراب ما في الصندوق الذي
كان لمولانا لافرح قلبه واطربة وقلبت رأيه لاني استصوفته . فارتبنا هناك
وصرفنا ليلنا تلك في الكونر واحبينا ما بالهدوء والنفق والمكة والافق .
ولم يضي الا ساعات او ثلاث ساعات حتى رأينا خلائق كثيرة هائلة من
اجناس مختلفة لم نعلم ماذا تسميها قد نزلت الى الماء واخذت تنفخ منفرجة
تجريد ابدانها وكانت تخرج عجيبا هائلا رائعا لم يطارق قط اذ لم نظهره في
حوالي

وان كسارا لما سمع تلك الاصوات الرائعة خلف حوقا شديدا وقلت
انا ايضا . وزاد خوفا حين شعرنا ان واحدا من تلك الخلائق الهائلة يسبح
متقدما نحو كوننا . فلم نكن نراه لشدة الظلام بل كما نسمع صوت زفيره وكأننا لم
نعلم هل هو حوت بحري قاتل او وحش بري كاسر . فقال كسار المسمع
ورعا كان ما قال . ثم ناداني قاتلا يا صلي ارفع المرساة ودعنا نهرب من هذه
الداهية . فقلت لا يا كسار بل فكنا ان رخي السكان واضعين خشة في طرقي
وصول في البحر . فانها لا تقدر ان تبعدنا مسافة بعيدة . ولم اتم هذه العبارة
حتى رأيت تلك الداهية موشا كانت قد صارت على مسافة طول ثمانين
منا فارتعبت قليلا من ذلك . وفي الحال بادرت الى باب النمرة ونجوات
بارودي واطلقتها عليها فلما سمعت صوت البارود رجعت على عنقها ساجدة
الى البر

وما سمعناه من الاصوات الكريمة والجميع الهائل التبع على الداهية وفي
تلك السواحل عند وصول صوت البارود اليها ما لا يمكن وصفه . والظاهر

انت تلك الخلاق لم تسمع قط مثل هذا الصوت . وعند ذلك انبتت بانه
لا سهل لنا ان نخرج الى البر قبل طلوع الفجر حتى اننا كنا في ريب من
الامان في النهار ايضا . وذلك لان الوقوع في ايدي البرابرة ليس باقل
رداءة من الوقوع في محالب السباع الضاربة والذئاب الكاسرة . وكما كلانا
خائفين من الوقوع في الخطر

الا انه لم يكن لنا غنى عن التذول الى البر هنا او في مكان آخر لان
الماء العذب كان قد فرغ ولم يبق عندنا ولا ملء قدح . فقال كسار اذا
اذنت لي فلانا آخذ بجره وانزل الى البر وحدي فاذا وجدت ماء انبت بقليل
لشرب الآن ثم بعد ذلك نرى ماذا نعمل . فقلت له ولماذا تذهب انت
ولا اذهب انا ونفى انت في الكور . فاجاب بصحة عظيمة جدا جعلني انت
الغنى به دائما بعد ذلك وقال لانه اذا قيل قوم من البرابرة ياكلونني وانت
تسلم . فقلت لا يا كسار دعنا نذهب كلانا معا فاذا اتى علينا قوم من البرابرة
تقتلهم ولا تدعمهم باكلون ولا واحدا منا . ثم اعطينه كسرة خبز يابس وكأسا ماء
كان في صندوق مولانا المذكور آنفا وتقدمنا بالكور نحو البر بنذر الامكان
ثم خضت وخرجنا الى الشاطئ ولم نأخذ معنا شيئا سوى سلاحنا وجررتهم
فارغبين لاجل استقاء الماء

وكنت اخاف من ان ينزل قوم من البرابرة بفوارهم من النهر ولما لم
ادع كورتي بغيب عن ناظري . اما الولد كسار فانه اشرف من بعد على
مكان واطى على مسافة نحو ميل من الشاطئ فأخذ بعدو ذاهبا اليه هائما على
وجوه على غير هداه . ولم يغيب الا قليلا حتى رأته راجعا نحوي وكما فطننت
ان بربريا بطاردة لوانه خائف من وحش بري صادقة . فركضت نحوه
طلباً ليقبضوه فلما دنوت منه رأيت شيئا قد تدلى على منكبي ففترست فيه واذا
بوحوان قد اقتنصه ولم اعلم بما هو غير انه كان كانه ارنب الا ان لونه لم يكن
كلون الارنب وكانت ساقاه الطول من ساق الارنب . وكيفا كان فاني

سرت : لان لحة كان طيباً جداً . ولكن البشارة الجيدة التي اتاني كدار بها
في قوله لي انه وجد ماء عذبا ولم يصادف احداً من البراري
ثم رأينا بعد ذلك انه لا يلزمنا ان نكلف انفسنا هذا المشاء من التعب
في طلب الماء . وذلك لاننا وجدنا انه عند هبوط المد وانخفاض مياه البحر
التي لم تكن تدر الا قليلاً في ذلك النهر الذي ارسبنا مقابلة توجد مياه عذبة
فيه على بعد قليل منه . ولما ارتفع بالنا من هذا النيل اضرمنا النار وعملنا
وليمة من ذلك الصيد . ثم جعلنا ثيابنا للندم في طريقنا وانما لم نزار
اقلام نهر في تلك الجهة

واذ كنت قد سافرت مرة قبلاً الى تلك الاطراف كنت اعلم ان جزائر
وزد لم تكن بعيدة كثيراً عن تلك النطوط ولكن اذ لم يكن لي آلات التوصل
بها الى معرفة الطول الذي الآن فهو ولا كنت اعرف بالتحقيق او على الاقل
اذكر ما هو موقع تلك الجزائر من الطول كنت غير عارف ما هو المكان
الذي يجب ان اترقبها فيه ولا الزمان الذي ان احول فيه مقدم الكور نحو
البحر في طلبها ولو كانت لي الوسائط اللازمة لكنت الآن قد كشفت بسهولة
بعض تلك الجزر . فاحذت اعلى نفسي بالادل بالي اذا ظلمت سائراً بالقرب
من هذا الخط الى ان اصل الى القسم الذي كانت للاسكندر عادة ان يترددوا
اليه طلباً للنجاة ربما صادفت مركباً من مراكبهم فاركة والمخلص من تلك الحالة
العبوسة

ثم بعد ذلك الجهد في عمل الحساب نرجح عدي الطن بان المكان
الذي صرت الآن فيه ينبغي ان يكون تلك البلاد الشوحيشة الواقعة بين
مالك ملك مراكش والسودان التي لا يسكنها الا وحوش البرية . وذلك
لان السودان كانوا قد تركوها خوفاً من الممارية وتوطأوا الى الجنوب والممارية
لم يكونوا يحسبونها تستحق السكن اكونها غنية . ومن جملة ما حمل المرفيقون
على تركها كثرة السمرة والسماع والذئاب وغيرها من الوحوش الكاسرة

المجمعة فيها . على ان المغاربة كانوا يترددون اوقافا اليها طلبا للصيد فقط
فكانوا يذهبون اليها لظهير عسكر الذين او ثلاثة آلاف بما كل مرة . وفي
الحقيقة على مسافة نحو مئة ميل متواصلة على هذا الشاطئ لم تكن ترى شيئا في
النهار الا فلاة مفرقة غير مسكونة ولا تسمع شيئا في الليل الا عجب ورجرة
وحوش ضاربة

وقد نراه في مرة او مرتين نهرا اكفي قد رأيت يكون تاريف اي قبة
جبل تاريف في كرابا . فكان امل الوصول الى ذلك المكان بانائي بدنة
ليصلني على الشوغل في البحر فحارلت ذلك مرتين ولكن كانت الرياح المضادة
تصدني وتدفعني بعزم نحو البر . واذا رأيت ان امواج البحر قد تماطلت
وعظمت على فلكي الصغيرة عزمت على الاخذ ايضا في طرفي الاولى وعلى ان
ادوم السير في جوار البر . فمسلما يقول الشاعر

ما كل ما يمشي المرء يدركه فمري الرياح بالانقباض الدائم

ثم بعد ما قلنا من هذا الموضع اضطررني الامر ان ابرل مرارا الى البر
طلب الماء العذب . وفي ذات يوم باكرا جدا القينا المرساة فباله راس صغير
من الارض مرتفع قليلا . واذا كان المد قد اجتمع واخذ البحر يفيض وقدنا قللنا
قاصدين ان نتقدم ايضا نحو البر . وفيما نحن في هذه الحالة كانت عبدا كسار
معنا اكثر مني قد صاتي بصوت مخففى وقال الاحسن ان نبتدأ اكثر من
البر ثم اردف ذلك بقوله هوذا نجاب تلك الاكمة الصغيرة وحش هائل
رائض وقد استقرى في النوم . وفي الحال انقضت الى الموضع الذي اشار اليه
فرأيت وحشا عظيما جدا جائئا على جانب الشاطئ مستظلا في خلف تلك
الاكمة فحقت النظر فهو فانا بواحد كبير جدا هائل المظهر . فقلت لكسار
يجب ان تخرج وتباض بواحد . فلاححت عند ذلك علامات الخوف على وجه
كسار وارتعدت فرائضه فقال انا ابطش بواحد يا حيتني فواحد وهو
يعني لقبة واحدة . فكلمت عن الكلام مع الرائد الا اني قلت له املا . ثم اخذت

أكبر بارودة عندنا فدككتها دككتها بالارود ووضعت فيها رصاصتين
وسندتها بالقرب مني ثم دككت بارودة اخرى رصاصتين ثم دككت بارودة
ثالثة لانه كان عندنا ثلاث بواريد ووضعت في هذه خمس رصاصات صغار.
فوجهت البارودة الاولى نحوها محكما نحو فاصدا اصابة رأسه ولكه كان
قد وضع ساقه فوق خرطومه بقليل فأصاب الرصاص ساقه مما طوى الركبة
فكسر العظم. فوثب ثائرا وهر معرنا ولكه اذ كانت ساقه قد انكسرت
سقط الى الأرض. ثم طفر واقفا على ثلاث قوائم وهر مرة من اتبع ما طرق
اذني من الاصوات في حياتي وقد اخذني الخيرة من التي قد اخطأت رأسه.
ولساعتي تناولت البارودة الثانية ومع انه كان قد اخذ في الانتقال اطلتها
على فاصات رأسه فسقط سطرعا على الأرض بسقط في ديو من حلاوة
الروح ولم يصبه الا قولا. فنزلت عظام كسار جوفه وطلب مني ان اسبح
له بالوجه الى اليز. فقلت له اذهب. ونحال ففز الى الماء وكان يسبح بين
الواحدة وقد قبض بارودة صغيرة يتركها الاخرى فاصدا اليز. فلما دنا من
السبح وضع في البارودة في اذنه واطلها في رأسه. وبذلك انتهت حياته
ولكن هذا الصيد لم يندنا شيئا لان لحمه لا يؤكل. فأنسفت جثا على اصابة
البارود والرصاص في حيوان لا تسبح منه شيئا. الا ان كسار الال انه يريد
ان يأخذ منه شيئا ومطلب مني الساطور. فقلت له وماذا تريد ان تعمل به.
فقال لي ان افطع رأسه. الا انه لم ينقطع ان يقطع رأسه فنقطع رجلاه والى
بها الى الكور. وكانت كبيرة جثا. لنحال في خاطري ان جثا ربما يندنا
لامر من الامور فعزمت على شح. اذا امكنت. فذهبت انا وكسار واخذنا
لننفل في شح. وكان كسار امير مني في ذلك لان معرفتي في ابر السطح
كانت قليلة. وبالحقيقة انا صرفنا المار كله في معالجته. ولما فرغنا من رفع
جثته عن بدنواخذنا الجسد الى الكور ونشرناه على ظهر قمرتنا في الشمس
فجفت جيدا في برهة يومين وفيما بعد اعتدنا نظير قراش وكنت انا ماعيو

ثم بعد ذلك العاقبة اقلنا وكنا نسير نحو الجنوب من دون انقطاع مدة عشرة ايام والتي عشرة يوماً ونعيش بالتوفير والقتير لان زادنا كان قد فُتِلَ جُداً ولم تعد نتزل الى البر إلا اذا اضطررنا الحال الى ذلك لاجل استقاء الماء العذب . وكان قصدي في ذلك الوصول الى هر غيا او سنيغال اي الى اي مكان كان في جهات راس دي وزد حيث كان لي امل ان اصادف مركباً من مراكب اوربا لاننا اذا لم نقر بذلك لا يبقى لنا سبيل الا الذهاب الى الجزائر او الهلاك بين السودان . وكنت عارفاً ان جميع المراكب القادمة من اوربا الى شطوط غوينا او الى البرازيل او الى الهند الشرقي تصل الى ذلك الراس او تلك الجزائر . فعلمت كل امالي على هذه المادة الوحيدة وهي ان اصادف مركباً . لانه لم يكن لي واسطة للتخلص الا هذه الواسطة فقط

ثم بعد ما سافرت نحو عشرة ايام الى جهة الجنوب كما تقدم القول اجلنا نرى ان الارض فيها سكان ورأينا في مكانين او ثلاثة اماكن ونحن مأرُون اناساً واقفين على الشاطئ يظرون الينا فامعنا النظر فيهم فوجدنا انهم سود اللون عراة الجسم . وكنت قد املت الى التوجه اليهم الى البر ولكن رأي كسار كان احسن من رأيي فانه قال لا توجه . الا انني مع ذلك تقدمت قليلاً نحو البر لكي اتكلم معهم فركضوا حالاً من امامنا على الشاطئ حتى ابعدوا عنا مسافة . ولاحظت فلم ار اسلحة بأيديهم ما عدا واحداً كان يده عصا طويلة رفيعة قال كسار انها صخرة اي رجم قصير يرمونه مسافة بعيدة ويصيبون به . فبقيت بعيداً عنهم وكلتهم بالاشارات فندروا ما استطعت وطلبت منهم بالاشارة شيئاً للأكل . فارمأوا الي ان افف بكورني فيأتوني بشيء من الطعام فوطأت قلبي واوفقت الكور فركض اثنان منهم الى داخل البلد ثم في اقل من نصف ساعة رجعا ومعها قطعان من اللحم اليابس وشيء من ذرة ذلك البلاد . واما نحن فلم نعلم ماذا كان هذا امر ذاك . ومع ذلك ارتضينا ان نقبلها . ولكن كان المشكل في طريقة التوصل اليها لانني لم ارد ان اخاطر بنفسي وانزل الى البر

ولا كان خوفها منا اقل من خوفنا منها . الا انها استعملت طريقة موافقة لنا
جميعاً وهي انها اتت بذلك الى الشاطئ ووضعاء على الرمل وذهبوا ووقفنا
بعيننا جداً مع البنية الى ان اخذنا هديتها الى الكوز ثم رجع القوم فدنوا
منا ايضاً

فشكرناهم على معروفهم ولم يكن عندنا شيء تكافئهم به على ذلك المعروف .
الا انه اتى حصول فرصة في تلك اللحظة بمنها لعمل معروف عجب معهم .
وذلك انه فيما كنا لم نزل بالقرب من الدخول اذا برحمتين كاسرتين بطارد
احدهما الآخر بحدة عظيمة نارلين ركضاً من الجبل نحو البحر ولم تكن نعلم
افعلنا ذلك لئلا ام غيظاً او هو امر اعتيادي ام غير اعتيادي . ولكن ترجع
عندي الظن بان غير اعتيادي وذلك اولاً لان هذه الوحوش الصارية يندر
ظهورها نهاراً . ثانياً لاننا وجدنا السودان قد خافوا منها جداً ولا سيما النساء .
فبالذي كان منه الرجح لم يهرب منها ولما الباقون فانهم هربوا جميعاً ولكن بما
اتت دخلا حالاً في الماء ظهر انها لم ينصدوا الهجوم على احد السودان . ثم غاصا
متوغلين في البحر واخذوا بسبحان ذات البهين وذات الومار كأنها كنا قاصدين
النبوض والفترة . ثم اخذ احداهما يقدم نحو حكورنا . وكنت قد سمعت انه
مستعنا ان انا باله الرصاص وكما قد دككنا جيداً البواريد الثلاث التي عندنا .
لما صار مني على مسافة مرمى رصاص اطلقت البارودة عليه فأصابت رأسه
فقطس حالاً في الماء ثم طلقنا عاتقاً وكان يهوى نارة ويهوى اخرى كأنه في
حالة التزعزع . ثم رجع على نفسه قاصداً البر الا انه بسبب المرح الميت الذي
اصابه وما دخل خوفاً من المياه مات قبلما ادرك الشاطئ .

ولا يمكن وصف ما حصل عند اولئك السودان المساكين من العجب
والخبرة عندما سمعوا صوت بارودتي ورأوا نارها . فكاد البعض يهتدون خوفاً
وقد سقط البعض على الارض مشدداً عليهم من شدة الرعب . ولكن لما رأوا
ذلك الوحش المائل قد ما استغرق في المياه تجمعا واشتدت عزائم فاشربت

الهم ان يأتوا الى الشاطئ فأتوا واخذوا يتشربون من جنة ذلك القبل فوجدته
لم يستدلاً عليه من مياه البحر التي كانت قد صبغت بدمو وريحته من وسطه
بجبل سلطهم طرفه فجريه الى الشاطئ ولما امتعت النظر فيه وجدت انه
لم غرس في منظره ونفعه وطول ذنبه وازرار شاربيه وظرافة لونه . واما
السودان فانهم رفعوا ايديهم نحو السماء متعجبين جداً من الحادثة المستعرة ومن
الآلة التي استعملت بها على خلقه . واما الوحش الآخر رفينة فلما رأى نار
البارودة وضع صوته هرب محوفاً ساجداً الى البر وما صدق ان وصل الشاطئ
حتى اخذ يعدو راكضاً الى مغاره في تلك الجبال . ولم يكن ان اعرف أ كان
نمراً نظيره ام من جنس آخر من الوحوش وذلك ليعني القاضي عني

ثم لاح لي ان اولئك السودان كانوا يريدون ان يأخذوا لحم النمر فأكرت
عليهم . مروقاً مني الهم فقبلة بالشكر الجزيل والفرح واخذوا في الحال
يشعرون فيه . واذا لم يكن معهم سكن ملقوة بقطعة خشب حادة بأوفر سرعة
وسهولة مما يمكن ان فسله فمن بواسطة سكن . ولما انتهوا من ملقوة واخذوا في
نقطه عرضوا على قطعة من اللحم فأبيت قبولها متظاهراً بانني اريد ان اوفرها
لم إلا اني اشترت الهم بانني اريد الجلد فاعطوني اياه حالاً بكل رضى وقبول .
ثم اعطوني معه كثيراً من زادهم فقبلة منهم شاكرين إلا اني لم اكن اعلم ما هو .
ثم طلبت منهم ماء فالبوا ثم جري الى اسفل وقاعدتها الى اعلى اشارة الى انها
فارغة والى التي اريد ان يأتوها . فنادوا حالاً بعض اصحابهم واذا بالمرأتين قد
اقبلتا ومعها وعاء كبير من فخار كأنه خابية قد دويت بالشمس كانت مملوءة
ماء . فوضعا ذلك على حافة البحر كما فعلوا قبلاً فارسلت الولد كسار
بجرارنا الثلاث فبلاهم ورجع بهم الى الكوثر . وكانت السماء عريانات بالكلية
كما كانت الرجال

فصار عدنا الآن فلانس وذرة وان تكن رديئة وماء . ثم ودعت
اصديقي السودان واخذت أسير ليلاً ونهاراً مدة عشرة ايام من دون انقطاع

حتى اقبلت على راس من الارض قد امتد الى مسافة بعيدة في البحر وكان في
على بعد نحو اربعة او خمسة فراع واذ كان البحر مائتاً ابعثت عن
الشاطئ متوغلاً فوقه احدى عن ذلك الرأس . واذ ملكت الرأس وصرت
على مسافة نحو فرسخين عن البر انشرفت على ارض على جانبي الآخر الى جهة
البحر فحفظت ان ذلك الرأس هو كلب ذي وريد اي رأس الخضراء ذات
تلك الارض في الجزائر المسماة جزائر ذي وريد . وكانت لم تزل بعيدة جداً .
فوقعت عند ذلك في حرة عظيمة واخذت امكار الرأس والقنوط فقاتلني
وكنت اقول انه اذا قاست علي عاصف فرها لا يتيسر لي الوصول ابداً الى
احد الأماكن المذكورة

وفيا كنت غائصاً في بحار التنكر ومتربداً مرتبكا في امري لا اعلم ماذا
اعمل طلبت نفسي الاغلاء والامراء قد دخلت القمرة تاركاً الدفة بيد الغلام
بكسار وجامعت هناك متوجهاً كثيراً منكسر الخاطر كالسف البال . ولكن
لم يبق الا قليل حتى صاح في كسار بقية فالأ بصوت مهوس مرتعد
يا معلي يا معلي هوذا مركب يطلع . وكان المسكين يظن بجهل ان ذلك
المركب هو احد مراكب مولاة قد أرسل في طلبها فخاف خوفاً شديداً . واما
انا فلم ينظر بيالي شيء من ذلك لاني كنت عارفاً باننا قد ابعدنا ولم يبق
علينا خطر من ان تدركنا . فلما سمعت صوته خرجت على الفور من القمرة
وتطالعت فاهضت حالاً ذلك المركب وعرفت ما هو . اي انه مركب
برتوغالي متوجه كالاح لي الى شطوط غوينا في طلب العبيد . ولكن لما
ايعنت النظر في حركة جريه ايقنت في الحال باننا قاصد جهة اخرى فاخذت
اسرع بقدر ما يمكنني من السرعة لعل ادركه لاني كنت اريد ان اواجه رؤس
واكلة قليلاً اذا تيسر لي ذلك

وكان ذلك المركب يسرع في جريه فغال لي اني مع كل جدي وجهدي
وسرعة كوني لا اقدر ان ادركه وانه لا يلبث من ان يهوى عن نظري قبل

ان ارفع له علامة الاستغاثة والضيفة. ولا اقدر ان اصف ما جاني في من القنوط
والرأس في تلك الساعة. ولكن الظاهر انه كانت منهم الثغاة فراونا وظهر
لم بواسطة النظارة ان كوننا اوري وانه ربما كان مختصاً بركب قد وضع.
لتحقوا القلوع واخذوا يسمون الموبنا لكي يمكن ان تصل اليهم. فسررت
واشدت عزائي عند ما رأيت ذلك ونشرت لم راية كانت لمولاي وقد بنيت
في الكونر واطلقت بارودة علامة للضيفة. واخبروني فيما بعد انهم رأوا الريبة
ودخان البارودة الا انهم لم يسموا صوت البارود. وعند ما رأوا هاتين
العلامتين اوقفوا المركب في وسط البحر واقاموا هناك في انتظارنا الى ان
ادركنا بعد ذلك ثلاث ساعات من الزمان

وعند ذلك حدثني بلسان البرنوغال فلم افهم ثم بلسان اسبانيا فلم افهم
ثم بلسان فرنسا ولا بهذا فهمت وانفق انه كان في المركب رجل من مكونات
فأني التي وناداني فاجبت وقلت له انا رجل انكليزي واخبرته بالي قد كنت في
سلي اسيراً بيد المغاربة فافلت منهم حتى صرت الى هنا. وعند ذلك طلبوا الي ان
اطلع الى المركب فطلعت فترحبوا بي ورحبوني بالسلام وقبلوني بكل معروف
واكرام واطلعوا كل ما كان لي من الامتعة والادوات ووضعوها في المركب
بالحفظ والامان. ولا حاجة الى القول ان نجاني هكذا من تلك الحالة الشديدة
التي كنت فيها كانت لي وكنت احسبها دائماً سبب شكر وفرح لا يوصف

وحالما صرت على ظهر المركب عرضت كل ما املكه على رئيسي منرجيا
اياء ان قبلة مني وفاء لجزء من معروفه نحوي بانقاذ اياي. فأني قبول
ذلك نكرماً وقال انه لا يأخذ مني شيئاً بل انما يحفظ لي كل مالي حتى اذا
وصلت الى براريل يسلمني اياه تماماً. ثم اردف ذلك بقوله اني خلصت حياتك
على نفس الشروط التي عليها اريد ان الآخرين يخلصون حياتي اذا اصابني
لاسح الله ما اصابك. وربما اتفق ان يكون نصبي في احد الاوقات ان اقبل في
غير الحالة التي قبلت فيها وعنا ذلك اذا اخذت منك كل ما تملك يدك

فاذا وصلت بك الى البرازيل التي هي على بعد قاصي من بلادك فابك نموت
هناك جوعاً وماذا اكون قد علمت حيثذا الا اني اكون كافي قد اعدت
الحياة التي اوجدتها . لا يا ستور انكلير لا يا ستور انكلير . اني اهلك الى
هناك رحمة واحساناً . والاشواء التي لك تفي تحت تصرفك فتستعملها لشئ
ما يقوم يا اودك ولدفع اجرة المركب الذي سترجع فيه الى وطنك

التصل الرابع

سفر روبنصن كروزي الثاني في الجعر وانكسار المركب به

وان ذلك الرئيس كان على جانب عظيم من الاستفادة والوفاء كما كان
من المعروف وكرم الاخلاق . فانه لم كل ما وعدني به من دون ادنى خلل .
ولا قصير . ونبه على ملاحجه ان لا يسوا شيئاً من اثمعي ووضع يده على كل
شيء لي وسلي فانه مدققة بهرذاتو بالتفصيل من دون ان يغفل عن ذكر شيء
حتى ولا عن ذكر الجرار الثلاث المخزفة

ولما كان بعلة من حسن كوثري وجوده طلب ان يفتريه مني لاجل
خدمة مركبه . فسا لي عن نموه فقلت له اني لا اريد ان اطالب منه شيئاً
بعد كل ما ابتاه نحوي من المعروف والكرم بل اترك المادّة المعروفة وارادني .
فقال انه يعطيني به سنجية قيمها ثمانون قطعة من الثانية تدفع لي في برازيل .
وانه مني وصل الكوثر الى هناك فاذا تقدم مشير ودفع اكثر من ذلك
يعطيني الفرق بها كان . وهكذا تمنا عند الميع . عرض علي شين قطعة من
الثانية ثمان الفلاي كسار فاييت القول كالمأ ذلك لالاني لم ارد ان اعطيه
ايامه بل لاني كنت اكره جداً بيع حرية هذا البلد المسكين الذي ساعدني بايانه

هذا فبقارها في امتلاك حربي ونجاني من الاسر . فلما كانت هذا السبب
للرئيس عذري واقربا له سبب مقبول . ثم قال انه يوجد طريق متوسط ومن
انه يعطو صكاً باطلاق سبيلو وعناقوه مدة عشر سنين اذا صار مريضاً . واذ
رأيت ان كسار ماثل اليه وراض ان يذهب معه اجرت له البيع على الشرط
المذكور

وكان - فرنا الى برازيل فيما اطبقا . فبعد نحو اثنين وعشرين يوماً وصلنا
الى موضع يقال له بلسان البرنوغال كاب دي نودس لوس - بنوس اي مينا
جميع القديسين . فلما صرنا هناك قلت في نفسي ما قد نجوت من حالة هي
اشي ما يوجد في الحياة والآن ماذا ينبغي لي ان اعمل فيما باقي
ولا افكر ان اسي معروف ذلك الرئيس نحوي ما دمت حياً . فانه اي
فيقول شيء اجرة للركب واعطاني عشرين ريالاً من جلد النمر واربعين
ريالاً من جلد السمك . وحال وصولنا امر بسلام كل مالي في المركب
واشترى مني ما اردت بعه من اقمعي كصندوق القناني وبارودتين وما
بقي عندي من الشمع والاحمال اقول اني بعت كل وسفي فباعت فبعت نحو
مائتين وعشرين قطعة من الفانية . وكان لما رأيت مالي عند نزولي الى البر
في برازيل

وبعد ما اقيمت مدة في برازيل عرفني الرئيس برجل صالح امين صادق
نظيره كانت له حقل ومعمل للسكر فاقامت عنده مدة تعلمت فيها زرع
نصب السكر وكيفية استخراج . وكنت ارى الملاحين على جانب غفليم من
الراخ والرغد وان كثيرين منهم يصبرون اغنياء في وقت قصير فمزمت
ان اسكن منهم واكون فلاحاً زراعاً نظيرهم اذا اذن لي بذلك . وكنت في هذه
الاشياء اجتهد في ايجاد طريق لجلب ما كان لي في لندن من النقود . واستناداً
على ذلك بعد ما حصلت كتابة تعلق باني قد نظمت في سلك النبعة اشترى
اراضي بقيمة ما كنت انتظرة من المال واخذت احدى طريقة للزرع والسكن

فلمر ما كنت احسب انه سيأتي من لندن من النفود
 وكان لي جار من ليمون من اعمال البرنوغال قد وُلِدَ من ابوين
 انكليزيين يقال له ولس وكان في حال كحالي تقريباً . وقد دعوت جاري لان
 ارضه كانت لصينة بارضي . فكما نصرف اوقاناً مماً بالالس والمخط . وكانت
 رأس مالي كراس مالو قليلاً زهيداً . وقد اقتصرنا في سنة سبوت على زرع
 اشياء لئلا كل فنط . الا اننا اخذنا في الريادة شيئاً فشيئاً . وكانت ارضنا تفسح
 وتزيد عمراتنا حتى زرعتنا في السنة الثالثة شيئاً من الشبغ اي الفين واخذ كل منا
 بحبي نقطة من ارضه لزرع قصب المص او السكر في السنة المقبلة . غير
 اننا كلينا كما في حاجة الى من يساعدنا فاخذت اناسف على ما فرط مني من
 الخطي في ساحي بنلامي كسار

ولكن والسفاه ان ارتكاب الخطي من هو مثلي لم يأت قط حواليا اس
 بامر نادر وعجيب . الا انه لم يكن لي سبيل الا التجرد والنبات . فاني دخلت
 في عمل شاق جداً لميلي الفريزي ومضاد على خطي مستقيم للعبسة التي تروق
 لناظري وقد تركت حباً بها بيت الي رافضاً كل نصائح امي الصالحة . وقد
 وضعت قدمي الآن على اول درجة من سلم الحالة المتوسطة او الطبقة العليا
 من عيشة الدنيا التي كان الي قد اشار علي بها فلم اقبل مدورته ولو رضيت بها
 لكنت الى الآن باقياً في البيت ولما كنت كابدت ما كابدته من الانعاب
 والمصائب التي مرت على رأسي . وكثيراً ما كنت اناحي نفسي والومها فاقول
 انه كان يمكنني ان اناهي اعمالاً كهذه في انكليترا بين معارفي واصدقائي ولم
 تكن لي حاجة الى الاعتماد بمائة خمسة آلاف ميل لكي انعطافاً بين اقوام
 غرباء برارة وذلك في البرية في مكان بعيد لا يمكنني ان اسع فهو شيئاً من
 معارفي ولا عنهم

ومكثت اناظر الى حالي شاملاً جداً . ولم يكن لي من يكلمني الا هذا
 الجار وذلك احياناً فقط . ولم يكن لي على اعلة الا بكته يدي . وكنت اقول

ان عيشني اشيء بعزة رجل قد ألقى في جزيرة موحدة مفترق لساكن فيها
غربة . وكم كان ذلك بكل استغفار وعدل . وإن الله بعنايه الفائقة قد
يضطر الدين بفائسوم حالهم من هم في حالة اردأ الى البدل وذلك لكي
يفتعلوا بواسطة اخبارهم بانهم كانوا في حالة سموة . ثم كم كنت استحق بعدل
ان يكون نصيبي ما كنت أتأمل فهو من امر المعيشة الموحدة حقاً في جزيرة
مفترق وقد قابمت به مراراً كثيرة مفايسة غير عادلة المعيشة التي كانت لي
حينئذ والتي لو ثبتت عليا لكنت الآن ناجحاً جداً وغنياً

وكنت قبل من صدقي الودود رئيس ذلك المركب الذي كان واسطة
لتفاجي قد عزمت على ملازمة الزراعة وفي المركب هناك نحو ثلاثة اشهر
مشتغلاً في تدير ومنه والاستعداد للسفر . ولما كانت الرنوس بها في
خاطري من امر جلب المبلغ الزهيد الذي لي في لندن اشار علي مشورة
صديق مخلص قال يا ستور انك لير لانه كان دائماً يدعوني فكلنا اذا اعطيني
كتابات ووكالة شرعية وارامر الى الشخص الذي وضعت مالك بيدك في لندن
طالباً منه ان يرسل باموالك الى لصيون الى يد من اعينك انا له بضاعة تناسب
سوق هذه البلاد فاني ان شاء الله تعالى أتوك بها عند رجوعي . ولكن بما ان
جميع مصانع الناس هي دائماً خاضعة لتقلبات وخطار كثيرة رأيت عليك ان
تطلب هذه المرة ما يساوي من لبرا ستليني فقط وذلك هو كما فهمت منك
نهف مالك . فتخاطر اولاً بهذا النصف فاذا وصل سالماً تطلب ما بقي علي
هذا المتوال واذا لاسمع الله فقد يكون النصف الآخر سالماً تستند عليه في امر
معيشتك . وكانت هذه النصيحة جيدة جداً وموعبة خلوصاً وامانة حتى انه لم
يكن لي سبيل الا الاقتناع بانها احسن طريق لي . فباشرت حالاً في مهنة
مكاتب الى الشخص الذي ائتمت مالي بيده ووكالة للرئيس البرنوغالي طبق
مرغوب

. وكنت الى ارملة المرحوم الرئيس الانكليزي قصة مستوفية عن اسفاري

واسري وهرني ومصادفني للرئيس البرتوغالي في البحر وما انطوى قواده عليه
من الحق والوداد وعن حالتي الحاضرة مع ما اقتضاه الحال من الافادات
المعلقة بامر لوازني . فلما صار ذلك الرئيس الامين في لسبون دبر طريقة
عن بد فجار هناك من الانكليز لارسال ذلك الامر مع اخبار مستوفية عما
حدث لي الى تاجر انكليزي في لندن . وان ذلك التاجر اوصل تلك
الكتابات الى ارملة المذكورة وهي في الحال سطة المبلغ المطلوب وازافت
اليه هدية لطيفة من مالها ارسلها للرئيس البرتوغالي مكافأة له على معروفه
نحوي

فاستدري ذلك التاجر بالمشة ليزا بضائع انكليزية كان الرئيس البرتوغالي
قد عيّن لها وارسلها الى لسبون ومن هناك اتى بها الرئيس الي الى برازيل .
وكان من جعلها كل ما يلزم للفلاحة والزراعة من الادوات والآلات الحديدية
ما كسب الرئيس في طلبه من دون علي ولا طلي . لاني اذ كنت منذئذ في
هذه الصنعة فان امورا كنه لم تكن تخطر ببالي . فلما وصلت البضاعة كدت
اطير فرحا وقلت ان سعدي قد تم . واث الرئيس خاتمي الصالح استخدم
الهدية التي ارسلتها له صديقي ارملة المرحوم مكافأة على معروفه وفدورها خمس
ليرات انكليزية في اختيار وجلب خادم لي عند شرطا وربطه بكونتماني
اي شرطية على مدة ست سنين . ولم يرد ذلك الرئيس ان يغبل شيئا من
المكافأة على معروفه الا انه قبل مني قليلا من النسخ جهرا لماطري لانه من
اثار ارضي وشائج كدي وعلمي . وكانت جميع بضائع انكليزية من اجماع
واقمشة واشيات وما اشبه ذلك ما يعتبره الاماني وبرغوبة جدا فصادفت
سوقا رائجا بينهم وبعثها بسرعة ورجعت بها ارباحا وافرة جدا حتى صار سعدي
اربعة اضعاف ارسالي الاولى وصرت احسن جدا من جاري ذلك المسكين
وذلك في امر الزراعة . ثم اول شيء عملته بعد هذا الحاج هو اني اشتريت
عبدا زنجيا واستأجرت خادما انكليزيا وذلك غير الخادم الذي اتاني و

الرجس من لسبون

ولا ينبغي ان من شأن اساءة التصرف في الحاج ان تكون مرات كثيرة
واسطة لجلب عكس. ومكثا كان الحال حي في السنة التالية كانت اشغالي
ناجحة وزراعتي مخصبة. وكان من جملة محصولات ارضي في ذلك الموسم من
ربطة كبيرة من الشبع الجيد غير ما كنت قد وزعت هذا لقاطعة الجدران.
وهذه الخمسون ربطة وكان وزن الواحدة منها اكثر من اربعين اقة حرمتها
حرما محكما متقا ومأبها للشحن عند رجوع المراكب من لسبون. واذا كانت
اشغالي قد زادت وثروتي قد كثرت اخذ رأيي في من الهام والاعمال التي
فوق طاقتي ما يكون حقا مرارا كثيرة واسطة لتعطيل وتشويش احسن
العمل في الاشغال. فلو ثبت في الحالة التي كنت فيها لكان عندي عمل
تقبل كل ما يعرض لي من الامور الحسنة التي جرم الي بانها تقتضي حراة مادة
مفردة وقال بصواب ان المهمة المتوسطة في ملوثة منها. الا انه عرض لي
امور اخرى. فاني كنت مزحما ان اجلب ودي جميع مصاتي ونكباتي. ولكي
ازيد جرم ذنبي واضاعف على نفسي سهام اللوم التي لا بد من ان تكون لي
فرصة ارفعها بها عند وقوعي في تجارب ومصائب مستقبلة قد حصلت لي كل
هذه الامتحانات برابطة اصراري بتنادي عندي على ملي الاحق الذي هو ضد
لكل ما عرض لي من الافكار التي كانت ترشدني الى الوسائط المحالة
لاكتساب الخير لنفي بانياعي برصانة وبساطة آثار تلك المقاصد والاعمال
التي امنت الطبيعة والعناية على تفديها لي وجعلها من واجباتي
واذا كنت قد فعلت هكذا مرة قبلأ عند ما خاضت طاعة والدي ونبتت
مشورعتها لم اكن استطيع الآن ان اتبع راضيا بما لي. بل صارت افكاري
تقاتلي لكي اذهب تاركا ما كان لي من الامل السعيد بان اصير نجما ناجحا في
مصلحي الجديدة. وما ذلك الا لكي اتبع ما كان ممكنا في قلبي من المل
الصرف العاري عن الحكمة والاعتدال ومن الرغبة في الارتفاع الى اعلى درجات

الصعادة بسرعة اسرع مما تسبح به طيعة الامور . وهكذا دهورت نفسي ثانيا الى
اعنى ومث غط فيها انسان من الشفاعة البشرية او مما لا يمكن ان يكون
موافقا لحسن الهيئة وحالة الصحة في العالم

فلكى اصل بك بالتدرج الواجب الى تفاصيل هذا القسم من نصي اقول .
اني اذ كنت قد صرفت نحو اربع سنين في برازيل وكنت ملما في اعمالها وناسجا
في زراعتها نطقت لغة تلك البلاد وتعرفت بابناء صناعاتي ونمكت رباطات
الالة والصداقة بهم وبينهم وبين تجار سلت سلوادور وفيها بلدنا وكثيرا
ما قصصت على القوم اخبار سفري مرتفت الى غويينا واخبرتهم بكيفية الاخذ
والعطاء مع السودان هناك وكيف يقدر المسبب ان يشعري منهم بشئ يخص
او باشياء ذرية نظير مساج وأعيان وسكاكيت ونفصات وبلطات وقطع
زجاج وما اشبه ذلك القبر وانطاني واسنان الانبال والعيد ايضا بكثرة
لاجل خدمة اعالي برازيل

فكانوا يسمعون باصفاء تام ورغبة شديدة خطي عن هذه المواد ولا سيما
ما يتعلق منها بتجارة الزنج اي السودان . وذلك لان امر الاخذ والعطاء
بالعبد لم يكن متنا كثيرا في تلك الايام وهذا ذلك كان بلدا رخصة من
ملك اسبانيا والبرتغال ولم يكن حائرا القبول عند الجمهور . ولهذا فلما كنت
تري زنجيا يباع واذا بيع فان ثمة يكون باعظا جدا

وافلق اني كنت ذات يوم مجتمعا بتجار ولأحسين من معارفهم كلهم بجماعة
عن هذه الامور فاتي لي ثلاثة منهم في ذلك اليوم وقالوا انهم قد تأملوا
كثيرا في الليل الماضي في ما خاطبهم ومانوا لي بعرضوا لي امرا سرا .
فوعدهم وعدا وثيقا يحفظ السر وقلت لم قولوا ما بذاكم فقالوا انا فاصدون
ان نجهز مركبا ونذهب به الى غويينا واذا كان لنا كالك خول واراض
لسنا بحاجة الى شيء اكر من الخدام والعبد . ولكن هذه التجارة لا يمكن
مطابقتها وملاوئها . وذلك لانا لا نستطيع ان نبع الزنج جهارا بعد

رجوتها الى بلدنا ولما نرغب ان نساخر مرة واحدة فقط ونأتي بالزئوج الى
الداخل سرّاً ومن هناك نترقبهم على مزارعنا . وبالاختصار ان المسئلة هي هل
تريد ان تذهب معنا في وظيفة ناظر على وسق المركب ومباشر امر الشراء
في غربيها . فاذا فعلت ذلك فاننا نعطيك سهماً من الزئوج كواحد منا من
دون ان تقدم شيئاً من رأس المال

ولا يكر ان ذلك امر مناسب لكل من لم يكن له مفر ولا مزروعات
يلزمه الاعطام بها وهي في طريق السوء والزيادة الى درجة معتبرة جداً وقد
كلفت مبالغ جسيمة واما من كان نظائري فان افكاره بهذا السفر هو من
اشترى الامور التي هيكة الافكار بها . وذلك لاني كنت قد دخلت في
الشغل ونكست فيه ولم يبق عليّ الا الشيات فيه وملاومة ما ابتدأت به مدة
ثلاث او اربع سنين آخر وان ارسل فاستخضر من لندن اثنتي عشرة الف باقية .
ولو فعلت هذا الامر كنت في ذلك الوقت مع تلك الزيادة الفلانة قد
صرت لا محالة صاحب ثلاثة او اربعة آلاف ليرة سنوياً وذلك تحت امل
الزيادة ايضاً

الا اني اذ كنت لم أواد الآل كي اكون باحثاً على حفي بظاي وجاهلاً بظاي
بيدي لم استطع ان ادفع ما عرض عليّ رافضاً قبوله كما اني لا اقدر ان اصبط
اوهامي الضيقة عند ما ضاعت في نصيحة اني فاجيت الى مستولم وفلت لم اني
اذهب بكل قلبي اذا تهدوا لي بانهم بناظرون في غيبي على اراضي واملاكي
واذا لم ارجع من سفر في يسلمون ذلك لمن اعينته لم فاجابوا الى ذلك
بالرضى والقبول وكتبوا على انفسهم صكوكاً شرعية طبق مرغوف . وبعد ذلك
ماخذت انا القلم وكتبت وصية مستوفية الشروط الشرعية ادرجت فيها كل
عروضي وعقاراتي مصرحاً بانني اذا مت لا سمح الله يكون الرئيس الذي خلّص
نفس من الموت وريثاً لي في كل ما املكه ما هذا نصف محصولات ارضي فاني
اشرطت على الرئيس المذكور ان يرسله الى انكثرا . وبالاختصار عملت كل

الاحتياطات اللازمة لصيانة ما املكه من العروش والقنار . ولو نظرت الى
صالحى بصف هذا القنار من الحكمة وتبصرت برصانة في ما ينبغي لي عمله ان
تركة لما تركت هذا العمل الناجح ومنه الآمال القوية طلباً للمعزة في البحر
الذي لا يفي ما يجرى به عادة من الاحوال والاختطار فضلاً عن الاسباب
التي كانت لي لا انتظار مصائب خصوصية للذات تخصني

مركبت جناح الفجلة في هذا الامر واطمت بنهاية اشرار تخباني
دون حكم عتلي . واذا كان المركب قد تجهز وصار الواسق كاملاً وتم شركائي
في السفر كل شيء بحسب الاتفاق ركبنا ظهر ذلك المركب في ساعة خمس
ايضاً وذلك في اليوم الاول من شهر ايلول سنة ١٦٥٩ وهو نفس اليوم الذي
فارقت فيه قبل ذلك بقاقي سنين والذي في هول مرتكبنا المصائب على
سلطانها ومنصرفاً بحفاوة ضد صالحى

وكان معمول مركبنا نحو الف واربعائة وعشرين قناراً وستة مدامع
وعدد رجاله اربعة عشر رجلاً ما عدا الرئيس واحد والعبد النفير . وكانت
الوسق خفيفاً مؤلفاً من اثني عشر العدد خفيفة الحمل والهيئة لطيفة مساجح
وقطع زجاج وصدف ومراياك صغيرة ومنصات ولحطات وما اشبه ذلك
وفي اليوم الذي دخلت فيه المركب اقلعنا وركبنا جناح السفر قاصدين
شطوط افريقية . وكان الهواء جيداً جداً الا انه كان حاراً للغاية في كل
الطريق التي على شطوطنا . وما زال الهواء جيداً الى ان وصلنا الى راس سانت
اوغسطين . وعند ذلك اخذنا نبعث متوغلين في البحر الى ان توارت عما
اليابسة وكما سير كانا قاصدون جزيرة فرندو دي تورويا . ولم نزل نسير
في هذه الطريق مدة التي عشر يوماً الى ان جرت الخط وصرت بحسب حسابنا
الاخير في سبع درجات واثنين وعشرين دقيقة من الطول الشمالي . وفيها
نحن هناك اذا بصافير او زويعر مائة جداً قد ثارت عليها بقعة من الجنوب
الشرقي واخذت تهب نائرة من هناك بطريق غريب جداً . فانفتحت لنا التي يشر

يوماً لا ننظر ان نصل شيئاً الا ان نحري راكم بن امامها ونسلم امرنا لما فعلنا
الى حين ارشدت القنادير ودفعت غنة الرياح ولا حاجة الى القول اني كنت
كل يوم انتظر لجمع البحر تنبلي ذاعية في الى دركات الحجيم وكذلك لم يكن
لاحد من ارقائي في المركب امل بنجاة نفوس

واذ كنا في هذه الضيقة العظيمة ونمت تلك المخاطر والاموال توفي واحد
من مهربنا يحيى خينة وقذفت الامواج رجلاً وولداً من جماعتنا عن ظهر
المركب الى لجم البحر وفي اليوم الثاني عشر تقريباً سكن النور قليلاً فعمل الرخص
حساباً على قدر امكان فوجد اننا كنا في نحو احدى عشرة درجة من الطول
الثاني وفي طول اثنين وعشرين درجة الى جهة الغرب من راس سانت
اوغسطين. فرأى انه صار على شاطئ غويانا او القسم الثاني من برازيل
عبر نهر امازون الى جهة نهر اورينوكو المعروف حالياً بالنهر الكبير.
فاستشارني ماذا يعمل واين يوجه وقال ان المركب قد دخلت ماء وضمت
قوته جداً واراد ان يرجع على خط مستقيم الى شاطئ برازيل. فقلنا انه سيف
رأيه واخذت اراجع معه خارطة شطوط اميركا فوجدنا انه لا توجد بلاد عامرة
تقضي اليها الا بعد وصولنا الى دائرة جزائر كاريبي ولذلك اطلق رأينا ان نقصد
بربادوس وقلنا اننا اذا بهنا بعدد من البر هرباً من خليج مكسيكو فرمنا وصلنا
الى هناك في نحو خمسة عشر يوماً. هنا ولم يكن ممكناً ان نساغر الى
شطوط افريفة من دون مساعدة لنا ولمركبنا

وعلى ذلك غيّرنا طريقنا واخذنا نسير نحو غربي الشمال الغربي
فاصدت بعض جرافنا الانكليزية حيث كان لي امل بالامداد. الا ان
حوادث الدهر قدرت لنا مفرأ آخر. فاننا فيما كنا في طول اثني عشرة
درجة وثلاثي عشرة دقيقة فام علينا نور آخر حملنا بهت شديد كالذي قبله
الى جهة الغرب ودفعنا طارداً ايائنا من طريق كل تجارة بشرية حتى اننا لو
خلصنا جميعاً من غضب البحر كان علينا خطر من ان نكون فرصة لادارة

أكثر مما كان لنا أمل بالرجوع الى بلادنا
وبينا نحن في هذه الضيقة والريح مهب بعزم ونصرف صغيراً هائلاً كانت
واحد من بحريننا قد خرج عند الصباح باكراً فانا يقول بربر. وما
صدقنا ان سمعنا هذه الكلمة المحلوة حتى خرجنا من القمرة مسرعين لكي نطلع
فندري ان مركزنا الآن من الدنيا. ولكن لم يفسد الاكلهه بصر حتى صدم
المركب الرمل فسكت حركته فجأة. فاخذت الامواج والقيارات نفهم علوه
منفجرة على ظهوره بهتة هائلة جداً. فابقنا عند ذلك باننا جميعاً هالكون لا بحالة.
وهربنا في الحال من وجه تلك القيارات الى مخادعنا نستظل فيها من رشايتها
ومجباتها

وليس امراً سهلاً ان لم يكن في حالة كهذه ان يصف او يترك ما يحل
بالانسان من الرعب والارتباك في مثل هذه الاحوال. فلم تكن تعلم ان نحن
ولا ما في الطريق التي دفعنا اليها. وهل تلك جزيرة او بر. وهل المكان
مسكون او غير مسكون. واذا كانت الريح لم تنزل هائجة وقوية وان تكن اقل
ما كانت اولاً لم يكن لنا باب للامل بان المركب بيني دفاتي كثيرة من دون
ان يتكرر قطعاً قطعاً الا اذا كانت الريح تحول حالاً بدوع عجيب الى جهة
اخرى. وبالاختصار اقول اننا جالساً ننظر بعضنا الى بعض متوقعين كل
دقيقة حلول الاجل. وهكذا كان كل واحد كانه يستعد لعالم آخر. لانه لم
يبق لنا شيء او بالمعري بقي لنا شيء قليل نعمله في هذا العالم. ولكن التسليمة
الوحيد التي كنا نسلي انفسنا بها في اثناء المركب لم يتكرر بعد بخلاف ما كنا
نتوقعه وكان الرئيس يقول ان الدو قد اخذ في الانعطاط والمحوط

وكانت الريح قد سكنت قليلاً الا ان المركب كان قد دخل كثيراً غارزاً في
الرمل حتى لم يبق أمل في انجاسه. فكنا في حالة مهولة جداً. ولم يكن
لنا هم ولا عمل الا ان نصرف جننا في امر نجاةنا. وقد كان عدداً قبل الدو
قارب على المؤخر وأخر على ظهر المركب. فاما الذي على المؤخر فكان قد

ثقب قعره وأفلت من مربوطه ولا نعلم هل غرق الى القعر او تاه هارباً في
البحر . ولهذا لم يكن لنا باب للامل من هذا القيل . واما القارب الآخر فحصل
عندنا شك من جهة نزله الى البحر لم يكن لنا وقت للجدال ولا مجال للمناقشة
وذلك لاننا كنا نرى ان المركب في حالة الخطر كل دقيقة وقد قال البعض
انه قد انشق قعره فعلاً

وبما نحن في هذه الحالة امسك الرئيس ذلك القارب ودلاًه هو وباقى
التوتية من عن جانب المركب الى البحر . ثم دخلنا جميعاً فيه وكنا احد عشر
نظراً واطلنا الى العنان معلين انفسنا لرحمة الله وهياج البحر . ومع ان التوكان
قد خفت كثيراً كان لا يزال متعاليًا جدًا على الشاطئ حتى كان يمكننا القول
كمائر التوتية البحر كبر

فكنا الآن في حالة محزنة للغاية اذ رأينا جلياً ان البحر كان هائجا جدًا وان
القارب لا يمكن ان يخلص واننا سنغرق لا محالة . ولم يكن عندنا قلع . ولو كان
عندنا ذلك لما افادنا شيئاً . فكنا نستمع بالمجاديف فاصدين البر ولكن
بقلوب مكودة كاناس يساقون الى القتل اذ كنا متأسدين ان القارب عند
قريب من البر سيصير الف قطعة من ملاطمة التيارات والصخور . فاستودعنا
انفسنا بيد الله بانكسار وتذلل . وكانت الريح تسوقنا بعنف والمجاديف تجذبنا
بعزم نحو البر حتى كنا نجهل قضائنا بايديها

ولم تكن نعلم ماذا كانت الشاطئ اصغر ام رملاً عميقاً ام رقيقاً . وكنا
نعلم انفسنا بالامل باننا ربما التفت القنادير فاربتا الى خليج او ثم نهر او
لحظ ذروة نستظل فيها . ولكننا لم نر شيئاً من ذلك بل كان املنا فارغاً من
هذا القليل حتى كنا كلما تقدمنا خطوة نحو البر نرى منظر الارض مرعباً أكثر
من منظر البحر

ثم بعد ان قطعنا بواسطة القوة الجاذبة او بالحري القوة الدافعة مسافة
نحو فريخ ونصف كنا ظناً اقل علينا تيار هائل كانه جبل كان يتدحرج علينا

ورأينا حتى دنا منا وفتح علينا فجأة مهولة صادم بها قاربنا فكنا بنا كيون قطيعة
فرقت بيننا وبينه وشتفت شملنا وأي تشنيت . ولم نبق لنا فرصة لان نصرخ
بالله بل فزع البحر فاه وانزلنا جميعاً في اقل من ثانية من الزمان

وما من احد يقدر ان يصف الاضطراب الذي شعرت به حين غرقت
في البحر وغطاني المياه . وكنت اعرف المباحة جيداً ولكن لم استطع ان
اتخلص من يد الامواج لكي انتفس الا بعد ان دفعني او بالحري حملني موجة
مسافة بعيدة نحو الشاطئ . وهناك انجرت ثم انتفت راجعة الى البحر تاركة ابائي
بين يدي وميتة من جري التعب والمياه التي كانت قد دخلت جوفتي . ولكن
عقلي لم يغيب ولا انتطع نفسي واذا رأيت نفسي قريباً من البر انتصبت واقفاً
على رجلي واخذت في التقدم نحو الشاطئ بقدر ما امكنت من السرعة خوفاً
من ان تدهمني موجة اخرى وتجرفني رجماً راجعة في الى العمق . ولم يضي الا
الليل حتى ظهر لي ان ذلك لا يدوم لان البحر كان مقبلاً ورأيت كأنه جبل
وهاجماً علي مزبداً كأنه عذو الذولم تكن لي وسائل ولا قوة لمداغته . فلم
يبق لي حيل الا اضبط نفسي والعمود فوق الماء وبذل الجهد في طلب
الشاطئ . وكان ام الامور عندي ان لا ادع الموجة التي تحملني مسافة نحو
البر وهي مقبلة تحملني ايضاً راجعة في الى البحر وهي مدبرة

وما صدقت ان تخلصت من تلك الموجة حتى هجمت علي بقعة موجة
اخرى اكثفتني حالاً مبتلعة ابائي الى عمق عشرين او ثلاثين قدماً في جوفها .
لحملني بقوة وسرعة ذاهبة في مسافة بعيدة نحو الشاطئ فضطبت نفسي بقدر
الامكان وحاولت بكل قوتي المباحة الى الامام . وفيما كنت قد اوشكت ان
اقطس او الشق من طول ضبط النفس اذا في قد اخذت ارتفع شيئاً فشيئاً الى
ما فوق الى ان صار رأسي وبداي على سطح الماء . وبعد ذلك شعرت بنرج
عظيم وتنفست نفساً مستطيلاً تجددت به قوتي وعززي . ولم يضي علي في تلك
الحالة اكثر من ثابنتين من الزمان حتى غصبت ثانية في الماء وبعد قليل عمت

ثم اهتدت المياه عناقص قد صفت نفسي بهزم الى قدام مرتباً من الامواج . وعند ذلك شعرت ان رجلي قد صادت ارضاً . فصبرت قليلاً لكي اتنفس وبفل الماء عني ثم وقفت على رجلي وركضت بقدر استطاعتي نحو البر . فما اهتدت الا قليلاً حتى ادركني موجة اخرى وحملتني راجعة في الى البحر ثم تبعتها اخرى وفعلت بي كاخبتها

واوقعتني في خطر عظيم . وذلك لانها قد دفعتني بعنف على صخرة صدمت جني وصدري صدمة قوية حتى اغي علي ولم يعد لي امكان لان اعمل شيئاً لنجائي . ولو حملني في رجوعي لكنت قطعت او اخنفت لا محالة . ثم صموت بعد هزيمة من الزمان وتلبست بذلك الصخرة . ثم انشيت بعد ذلك موجة اخرى الا انها لم تستطع ان تأخذني عند رجوعي بل لبثت مشبهةً بذلك الصخرة الى ان سكنت . وعند ذلك ركضت مسرعاً مرة بعد الاخرى حتى وصلت الى الشاطئ وقد اعيتت من دقة التعب . فاخذت احبو على يدي ورجلي على سطح ذلك الجبل الى ان وصلت الى بقعة تجلست هناك مضطجماً على العشب بعيداً عن الماء والخطر . ففرحت فرحاً لا يوصف بنجائي من العجوبة

واذ وصلت الآن الى البر وصرت في دار الامان . فاخذت ارفع نظري نحو السماء واشكر الله على نجائي من ذلك الخطر العظيم الذي لم يكن لي قبل قليل باب امل للنجاة منه . ولا يكن وصف ما يجامر النفس من البهجة والحبور عند الفوز بخلاص كهذا كانه من مغالب الموت . فكنت انشئ على الشاطئ رافعاً يدي وكل وجودي نحو السماء . مذملاً وغائصاً في التأمل في امر تلك النجاة العجيبة . والاشارات والحركات التي صدرت مني في تلك الساعة كثيرة جداً لا يمكن وصفها . وكنت اذكر ارفائي وكنية غرهم ووحدي ووحدي واتأمل كيف غرقوا جميعاً ولم يبق منهم احد غوري على ما اعلم . ولم ار لم ارا الا برنطينين وبقياً وحلوتين لم يكونا نواامين متشابهين بل قد كانا مختلفين . ثم

اشرفت على المركب ولكن لكثرة الامواج وزيد المياه لم أقدر ان اراه الا بك
عظيم فاذا وبيدًا جدًا عن الشاطئ . فاخذ في الذهب وقلت يا رب كيف
قدرت ان اصل الى هذا الموضع

ثم اخذت اعزى نفسي بما كان لي الآن من الراحة والامان الا اني كنت
انظر ذات اليمين وذات اليسار لاري ما هو المكان الذي كنت فيه وماذا
ينبغي لي ان اعمل فيها باق و بعد ما رجعت الى روحي وانتهت جوداً الى حالي
ظهر لي ان تلك الهمة هائلة واعتراني قلق عظيم . فان ثباتي كانت قد تبلت
ولم يكن لي شيء للاكل ولا للشرب . فقلت في نفسي بالتماسة الحال التي
وصلت اليها ليس لي ما اتوقعه الا الموت جوعاً او ان افزع فرسة للوحوش
البرية . وما كان يريدني انزعاجاً وقلقاً انه لم يكن في حوزتي آلة اصيد بها
شيئاً اقتات او ادافع بها عن نفسي من عدو يدهمني ليقبلي ويقتلني .
وكل ما كان عندي في ذلك الوقت هو مكين صغيرة وقصبة للدخان وقليل
من التبغ في علبة صغيرة . فلما نظرت نفسي في هذه الحالة من الفناء والمخطر
كاد علي بطير من الاضطراب وصرت اركض الى هنا وهناك نظير مجنون
خال . ولما اقبل المساء اخذت انا مل في حالي بقلب قد ملأته كروس
الكآبة والحزن واخاطب نفسي قائلاً ماذا يكون حالي في الليل اذا كانت في
تلك الجهات وحوش كاسرة تخرج ليلاً من مرايضها طالفة فرسة تنهبها

فجال في خاطري عند ذلك ان اصعد الى شجرة عفة ذات اشواك
كانت بالقرب مني وابست فيها تلك الليلة ومضى اصحبت انظر ما هي المنة التي
ينبغي لي ان اموتها . لانه لم يكن لي امل بالحياة . ثم اخذت افش عن ماء
للشرب فوجدت مطلوب في مكان بعيد نحو غلوة عن شط البحر فخرجت و
جداً وشربت منه ملياً ثم وضعت قليلاً من التبغ في في كنت امضه سناً لجوعي .
ثم اثلثت راجعاً الى تلك الشجرة وطلعت عليها واخذت اهد مكاناً فيها بحيث
اذا نمت اكون مرتاحاً واذا استغرقت في النوم لا اسقط الى الارض فتتكسر

أضلتي . ثم قطعت نوباً غليظاً ووضعت بحسب سريري الجديد لأجل المدافعة
عن نفسي عند الاقتضاء . ولقد التفت الذي كان حالاً في استغرت في
النوم وشعرت براحة عظيمة . وأظن أن فليلين في العالم كانوا يرتاحون
نظري لو كانوا في حالي . وهكذا بواسطة هذه النومة تجددت قوتي فهدت في
الصباح وأنا شاعر براحة لم أحصل في حياتي على راحة أعظم منها

مررت بنا سحراً طيراً فنلت لها طوباك بالني اباك طوباك

الفصل الخامس

وجود روبنصن كروزي في جزيرة مقفرة

فلما استيقظت في الفد صباحاً رأيت أن البحر قد رأى والور قد سكن
والبحر قد كف عن زجهرو وعدبره ولم يكن كما كان قبلاً . وما زادني عجباً
هو أن المركب كان قد نهض لولاً من سقطو وأفلت من الزمل حيث تركاه
غارزاً وقذفه الماء إلى أن صار قريباً من تلك الشجرة المشومة التي صدمتني
تلك الصدمة الالهية كما سبق القول . فكان الآن وأنا متصباً على ميل من
المكان الذي كنت نازلاً فيه على الشاطئ فوددت منياً أن أكون فيه لكي
أخلص شيئاً من الامتعة والزاد مما يلزمي لراحتي وقيام اودي

ثم تزلت من منامي في تلك الشجرة واخذت انظر إلى ما حولي . فكان
القارب أول شيء وقع عليه نظري . لأن البحر والريج كانا قد تساعدا على دفعه
إلى الشاطئ . فكان على مسافة نحو ميل عني إلى الجهة اليمنى . فاخذت امشي
على الشاطئ فاصداً الوصول إلى الآتي وجدت أخيراً أن ذلك أمر
لا يهتبر الحصول عليه . وذلك لأن بردحاً من الماء عرصة نحو نصف ميل

كان قد حال بيني وبينه فرجعت عنه على غني طائبا التوجه الى المركب لملي
 اجد فيه شيئا افادت به واخلى من الموت جوعا
 ثم بعد الظهر غليل وجدت البحر هادئا جدا وكان المذ قد تحول الى
 جزر حتى صار ممكنا لي ان ادنو ماشيا الى المركب بحيث لا اكون بيوتا منه
 الا ربع ميل . وهذا الامر كان سببا لتجدد كائي لاني رايت وانما انما لو فيها
 في المركب لكنا خالصا جميعا اي خرجنا بالسلامة الى البر ولما كنت اما وصلت
 الى هذا الحد من التعاسة حتى صرت معدما كل راحة وعشيرة . وعند ذلك اخذت
 الدموع تسكب من عيني . ولكن اذ كان النرج قريبا من هذا الباب عزمت
 على التوجه الى المركب . فخلعت ثيابي وكانت الهواء حارا في الغاية واخذت
 اسبح الى ان وصلت الى جاني . وعند ذلك عظم علي الخطب اذ لم ازل في طرفة
 للطلوع اليه . فانه كان فاعدا على الارض وظهرة عالقا عن سطح الماء ولم يكن
 لي شيء انفسك يوما فكيف الوصول اليه . فجمعت دائرا حوله مرتين وفي المرة
 الثانية لحقت قطعة حل قد تدلت من راجير المذم وكانت واطنة جدا فلم افدر
 ان اسكها الا بصعوبة عظيمة . وقد نجيت كيف لم ارها من اول مرة .
 فامسكت من ذلك الحبل وصعدت على ما يلي المذم من ظهر المركب .
 فوجدت ان جوف المركب قد دخله ماء كثير انفر في اسفله . واذ كان فاعدا
 على جانب شفاي حرف من الرمل الجامد او بالحري الراب وكانت
 مؤخره مرتعا على ذلك الحرف متكنا طوي ومقدمة مصفا حتى كد يصل الى
 الماء كان القسم الذي يلي المؤخر خاليا باجمعه من الماء وكل ما فيه من المونة
 والائمة نائما جادا وكانت اول امر اخذت فهو التنبس لأرى . اذ انما نعل
 وماذا بقي سالما . فوجدت اولاً ان كل مونة المركب كانت نائنة لم يلمسها
 ماء . واذ كنت مشغلا بالاكل ذهبت الى بيت الحذر وملائت جهوري من
 البصاط او الكمك اليابس وكنت آكل وابا جائل من مكان الى مكان
 افش عن ابور اخرى لانه لم يكن لي وقت انصبة في الاكل . ثم وجدت في

القشرة الكبيرة رويًا أي عرقًا افرغيًا فخرجت منه جرعة كبيرة . وكنت في
احتياج تام إلى ذلك لأجل نفوتي استعدادًا لما كان أمامي من الأعمال . وعند
ذلك وجدت أنه لم يبق لي احتياج إلا إلى قارب استقده في نقل أشياء كبيرة
إلى البحر ما سبقت فظرت أنه سيارني جدًا فيما يأتي

ومن الباطل أن ينف الواحد من دون حركة ونفسي ما لا يمكن الحصول
عليه بدون تعب . وملاحظة هذا الأمر جعلني ابادر إلى الشغل والاجتهاد .
وكان عندنا في المركب فضلات كثيرة من الأخشاب الرفيعة وقطعتان أو
ثلاث قطع غليظة ورؤوس سواري ما لم تستعمل إلى غير ذلك فعمرت على
الدخل في ذلك . فخرجت أولاً عن ظهر المركب كل ما يمكنه دحرجة إلى
البحر رابطاً طرفه بحبل لكي لا يحملة البحر فيهرب به . ثم زلت إلى البحر إلى
جانب المركب وجذبت تلك الأخشاب التي وربطت أرباعها معاً على هيئة
طويق على قدر معرفتي واستطاعتي ووضعت فوقها عرضاً نطعنين أو ثلاث
قطع من الأخشاب ثم أخذت أشي عليها فראيت أنها لخشنها لم تكن نستطيع أن
نحمل شيئاً ثقيلاً . فطلعت إلى المركب وقطعت بالشار ثلاث قطع من احد
السواري وجمعها إليها . وقد قاسمت من ذلك نعباً وعناء كبير ولكن
معرفتي بأن ذلك لا بد منه لأجل تجهيز ما يلزمي على أن مرام حركتي إلى أعمال
ربما كنت أراها في وقت آخر فوق طاقتي

فصار طوفي الآن قادراً على حمل أشياء ثقيلة . فأخذت انتم في ما
ينبغي لي أن أحمله أباه وكيف احفظ ذلك من تلاطم أمواج البحر . إلا أنني
لم اصرف زمناً طويلاً في التأمل في ذلك . فاني أولاً وضعت عليه كل ما
وجدته في المركب من الألواح والأخشاب وأذ كنت عارفاً جيداً ماذا يلزمي
أخذت ثلاثة صناديق من صناديق البحرية التي كنت قد خلعت غطاءها
وافرغت ما فيها فدلّيتها إلى جلوفي . فهذه الصناديق ملأها من المونة أي الخبز
والمرز وقوالب جبن فلنكي وخميس قطع من لحم المعزى المنفذ مما كنا نتقدي

بكثيراً وفيه قلبية من الذرة الاخرى مما كنا قد ابقناه موقفاً لما كنا قد اتينا
 به معنا من الدجاج مما كان قد دُج وأُكِل . وكان عندنا شيء من الحنطة
 والشعير مخلوطاً معاً فوجدت فيما بعد ان الجردان قد اكلته او عطلة جميعه
 فأتيت على ذلك جداً واما المشروبات فاني وجدت عدة صناديق مائة
 من قناني العسري وغيره مما لا حاجة الى ذكره هنا . فانزلت هذه الصناديق
 ووضعتها جانباً على الطوف . وفيما كنت مهتماً بمهمتي في هذه الامور جاءت مني
 التفتاة واداً بالمد قد اهدأ واخذ الحر يزيد شيئاً فشيئاً ولكن من دون هياج .
 ثم رأيت بالاسف جني وفيصي وصدرني القرب كنت قد خلفتها على الشاطئ
 نسج طافية على الماء متوغلة في البحر كأنها فاصدت العنبر الى بلاد بعيدة .
 واما سروالي وكان من كدان مفتوح الساق مما يلي الركبة وجوارتي كنت قد
 سمحت بها الى المركب . الا ان ذلك نهني الى التفتيش بكل دقة عن ثياب
 في المركب . فوجدت ثياباً كثيرة غير اني لم آخذ الا ما فصدت استعماله في
 ذلك الوقت لان عيني كانت على اثناء آخر جسم الامم الشغل في البر
 وذلك كالكات التجارة مثلاً . ولم اجد صندوق النجار الا بعد تنبش طويل .
 وكانت ذلك نافعاً لي جداً اذا بعضى التعب . وكانت قيمته في ذلك
 الوقت اعظم كثيراً من ملء مركب ذهباً . وفي الحال انزلت يرمي الى الطوف
 من دون ان اصرف وقتاً لا نظار ما فيه لاني كنت عارفاً في الجبهة ما
 اشغل علي

ثم اخذت الثوب الى الاسلحة . فوجدت في القمرة الكبيرة بارودتين
 للصيد جديتين جداً وزوج طيخات وبعض تنكات فيها بارود وكس صغير
 فيه خردق وسيفون عتيق قد علاهما الصدأ فوضعتها جميعاً جانباً . وكنت
 عالماً بان يوجد ثلاثة رامبل مائة باروداً الا اني لم اعلم اين وضعها طويلاً
 فاحللت انفس باجتهاد حتى وجدت فيها . فكان اثنان منها ناشئين جديتين واما
 الثالث فكان قد دخله الماء وبطل ما فيه . فانزلت البرميان الجديتين الى

طوفي . وعد ذلك رأيت ان وسفي قد صار كافياً فاختدت انبصر في كهفة الوصول به الى البر لا لم يكن لي قلع ولا مختلف ولا دفة وكان قليل من الهواء ينذر ان يكون بطوفي ويقاب كل ما فيه الى الماء

ولكنني لما كنت انظر الى ثلاثة امور كان بشدة ساعدي وقوى اني وفي اولاً هدو البحر وصالوة . ثانياً وجود الماء واشتداد الماء الى ابعد مدى اربعة في البر . ثالثاً وجود ماء قليل يدفع طوفي برفق نحو الشاطئ . وكنت قد وجدت بقايا مجاذيق من مجاذيق الثارب ومنشارين وفأناً ومطرفة خارج صندوق الجار فوضعتها على الطوف . ولما فرغت من ذلك اطلعت عنان طوفي واخذت اسير نحو البر . فكان الطوف يجري جيداً الى مسافة ميل تقريباً الا انه حاد قليلاً عن الموضع الذي خرجت منه اولاً الى البر . فلاح لي من ذلك انه لا بد من ان يوجد هناك خليج وبانما لي انفع لي باب للامل بانه يوجد هناك نهر او نهير يصب فيه فاختد ذلك الموضع مبنا ارضي فيها وانزل وسفي منها الى البر

فكان الامر كما ظننت . فانه ظهر امامي ترعة او بوعاز كان يتدفق اليها مياه قوية من الماء فاختدت احول طوفي قاصداً الدخول فيها . الا انني كنت في خطر الغرق مرة اخرى فلو حصل ذلك لانكمز قلبي لاهالة . فاني اذا كنت جامداً للمكان دخل طوفي الى موضع كان الماء فيه رقيقاً فتعد طريقة على الارض وكان طرفه الآخر عائماً في الماء . فصار طرفه الواحد اعلى من الطرف الآخر ولم يعد يحتاج الامر الا الى شيء قليل لكي يزحل كل وسفي منها فاقا الى الماء . فبادرت في الحال الى وضع ظهري قدام تلك الصاديق وكنت استندها بكل جهدي واحفظها في امأكمها . ولم أقدر بكل قوتي ان ارحل الطوف عن الارض ولا كانت لي جسارة ان اتحرك عن المركز الذي كنت فيه خوفاً من ان ترجف الصاديق متموجة الى البحر . فبقي عليّ وأنا في هذه الحالة نحو نصف ساعة . وفي هذه الفترة كانت الماء قد رفع طوفي الى

نوضع مشرق . ثم بعد قليل اذ كان الماء لم يزل آخذاً في الارتفاع طفا طوفي
عائناً على الماء . وعند ذلك نمت من قدام الصاديق واخذت استعين بالجلاف
الذي معي على دفعه الى مجرى الماء . ولم يبق الا الليل حتى وجدت نفسي
على نهر صغير يحيط في الارض من الجانبين في وسط قنار قوي منه نهر
البر . فالتفت يمينا ويسارا في طلب مكان جيد يصلح الطلوع الى البر غير
راض ان ادفع مسافة بعيدة في النهر . واذا كان لي امل ان اري سيف احد
الافاق مركبا في النهر كنت قد عزمت على جعل منزلي قريبا من الشاطئ
بندر الامكان

ثم طبت جرفا صغيرا بجانب النهر الى جهة البين . فاخذت اسير بكل
عناء وصعوبة حتى قربت الى مجرى صرت فادر ان اسير الارض بطرف
مجناني فادفع الطوف في ركة قصيرة . ولكني كنت في خطر من ان
يزحاني كل وسفي منهاقنا الى النهر كما فعل قبلنا . وذلك لان ارض الشاطئ
هناك كانت قاتلة جدا بحيث لم يكن ممكنا الطلوع اليها الا بارتفاع الطرف
الواحد من الطوف وانخفاض الطرف الآخر فيكون مزحلقا ويكون الوسي
في خطر . فاضطري الامر ان اتف هناك مستظرا الارتفاع المذكور ووصوله الى
اعلى درجته . واستعنت بالجلاف على ابقاء الطوف قريبا من الشاطئ . فبقي
قطعة ارض مسطحة كانت تقطعا الماء عند وصول الماء الى الماء . وحالما
وجدت ماء كافيا لحمل طوفي وكان يعود على سلك قدم من الماء . دفعت الى
تلك النقطة . ثم ربطت الى وندعت غرزيها في الارض الواحد على الجانب
الواحد عند طرفه الواحد والآخر على الجانب الآخر عند طرفه الآخر واثبت
هناك الى ان جرد النهر ورجعت المياه الى الوراء تاركة طوفي وكل امتشي على
الشاطئ بالامان

ثم جال في خاطري ان اجس الارض متشبها على ما كانت جدا لانك
واسع هو امتني حقا لها من امراتي . ولم يكن اعلم الى الآن ان انا هل في

قارة او جزيرة في ارض مسكونة او غير مسكونة وهل انا في خطر من
الوحوش البرية ان في امان منها . ورأيت جبلاً عالياً صعب المرقى على بعد
ميل من المكان الذي كنت فيه كانت شالاه سلسله نلال واحصام صغيرة .
فتناولت بارودة صيد وزوج طيخات وشباً من البارود في تنكة واخذت اسير
مسلحاً فاصداً في ذلك الجبل طلباً للاكتشاف . فتعاقبت انما وصعوبات
عظيمة حتى وصلت الى اعلاه وعند ذلك رأيت بحرن اتي في جزيرة يحيط بها
البحر من كل جهة . ولم تكن هناك ارض الا بعض صخور كانت بيضاء جداً
وجريتان اصغر من هذه الجزيرة كانتا بعيدتين عنها نحو فرسخين الى غربيها .
ورأيت ايضاً ان الجزيرة التي انا فيها عقيمة ولاح لي انه لا يسكنها الا وحوش
برية الا اني لم ار شيئاً منها ولكني رأيت كثيراً من الطيور ولم اعلم ما هي .
ولا حكمت اعلم عند صيدها ما يؤكل منها وما لا يؤكل . وفيها كنت راجماً
اصطادت طائراً كبيراً كان واقفاً بجانب غابة كبيرة . واظن ان ذلك الطائر
هو الطائر الاول الذي سمع في ذلك المكان منذ خلق العالم . وحالما اطلمت
البارود فام من جميع اطراف تلك الغابة عدد لا يحصى من الطيور من
اجناس مختلفة واخذت نصوت اصواتاً مشوشة فكان كل واحد منها يصيح
حسب نغمة المألوفة الا اني لم اعرف ولا واحداً منها . واما الطير الذي
اصطدته فظننت يوماً لانه يشبه البوم في لونه ومزاجه وسائر اوصافه حتى في
مخالبه المخارقة المأداة في كبرها واما لحمه فكان فيها رديماً لا يصلح لشيء .

ثم رجعت بعد هذا الاكتشاف الى طريقي واخذت انزل الواسق الى البر
وصرفت سبي ذلك بنية ذلك النهار . الا اني لم اعلم ماذا افعل بهنني لئلا
ولا عرفت اين ايت لاني خفت من ان اضطلع على الارض فيأتي وحش بري
فيقتربني . غير اني وجدت فيما بعد انه لم يكن اساس لتلك الخوف . فوضعت
حول صناديق والواح ما كنت قد اتيت به من المركب وصنعت منها كوخاً
وبناً صغيراً بهت فوق تلك البنية . واما الطعام فكانت لا اعلم كيف احصله .

وكت قد رأيت اربين او أكثر برهسان خارجين من الحرم عند ذلك
الطلق حين اصطدت اليوم

وكت الآن افكر انه يكفي ان انخفض ايضا اشياء أخر كثيرة من
المركب مما يكون عظيم الفائدة لي وعلى الخصوص الجبال والفلوج وما اشبه مما
يمكن نقله الى البر بسهولة. فعزمت على سفرة اخرى الى ذلك المركب اذا
نسر لي ذلك. واذ كت عالما بنيتا بان اول نوب يحصل لابد من ان يكره
ويؤدد قطعه بما فيه نوبت ان اترك كل عمل واذهب أولاً فاما انخفض كل
ما يمكن انخفضه. الا انني كت في ريب من جهة اخذ الطوف معي او
تركوه على البر الى ان ظهر لي اخيراً ان اخذه امر غير ممكن. فذهبت
عد زوال المد كما فعلت أولاً وقد نهرت قبل خروجي من ذلك الكوخ
ولم ابق على يدي الا قميصاً ملوناً وسروالاً من الكتان وزوج جوارب على
رجلي

فلما وصلت بالسلافة الى المركب شرعت في حل طوف جديد. فكت
اشغل بأكثر ثلاثة وخفة مما فعلت أولاً وذلك لاني كت قد تدرت على هذا
المعمل بواسطة الطوف الاول. ولم اكف هذا الطوف فوق طائفة من
الانقال. فوضعت عليه اشياء كثيرة ملونة اي كسبه او ثلاثة أكاس ملونة
مماير من مبادير واشكال مختلفة ولزيتاً كبيراً ونحو اربع وعشرين بلطة
ومسماً او آلة جمع ومخلين او ثلاثة وبرملون ملونين رصاصاً وسبع جوارب
وبازودة الصند وشيئاً من البارود وكيساً كبيراً ملوناً خردقاً وحزمة
كبيرة ثقيلة من صنّاع رصاص وكل ما وجدته من ملابس الجربة وقلعاً ونحوها
وبعض لحف وفرش. وبعد ما وضعت كل ذلك على الطوف اطلقت له
المدان ولم يضي الا قليل حتى وصل لي وبضاعي الى الشاطئ بالسلافة
والامان. وكان ذلك عندي سبب سرور عظيم وموجب فخرية كبيرة
وفيما كت غائياً في المركب خالج فلي خوف من ان يأتي شيء الى كوشي

وبأكل ما عندي من المونة غير التي لما رجعت اطلبان خاطري اذ لم ار
 اثر زائر هناك . الا انه كان قائما على احد الصناديق فطمة مرتبة فحبس فلما
 رأيته وثبت من مكانها واعدت قليلا ثم وقفت والفتحت نحوي واخذت
 خنفس لي من دون خوف ولا اضطراب كأنها ترغب ان تتعرف لي فوجدت
 نحوها بارودي الا انها اذ كانت لا تعلم ما في لم تحفل بها بل بقيت في مكانها
 لا تحرك فربيت لها كسرة صغيرة من البقسماط وذلك كل ما رأيته ان اسع
 بولان ما عندي من الزاد كان قليلا فنارت اليها وشمها ثم اكثما . وبعد ما
 فرغت من اكها رفعت رأسها ونظرت الي ثانية وكانت بلوح على وجهها انها
 أحببت ذلك وكانت تريد أكثر فشكرها واثرت اليها بان لم يحكي ان اسع
 بأكثر وهكذا انصرفت على مدبرة

ثم بعد وصولي بين الوسفة الثمانية الى البر شرعت في عمل خيمة صغيرة
 من القلع ومما كنت قد قطعته ومبناه من الادوات لك الغاية . ثم صفت
 حول تلك الخيمة ما كان عندي من الصناديق والبرامل الفارغة فحصبها لما
 مار بها يقتحم دائما اياها من الناس او الوحوش . ثم بعد ما فرغت من ذلك
 سدت بابها ببعض الواح من داخل وبصندوق فارغ اوقفت في مدخل
 الباب من خارج . ثم اتيت بفراش ووضعت على الارض ووضعت طنجيرين على
 رأسها ومددت بارودي بجاني وهكذا ذهبت الى النوم اول مرة . فتمت
 يوما هادئا مطمئنا الليل كله . لاني كنت نعبا ونعسان . وذلك لاني لم أكن الا
 قليلا في الليلة الماضية وكنت قد انتفخت كثيرا الهاركة في اخراج ما
 اخرجته من المركب وجليه الى الارز

فقد صار لي الآن مخزن من اكر المخازن الخاصة بانسان واحد الا اني لم
 افزع بعد بل كنت احسب ان ما دام المركب واقفا في مركزه يعني لي ان
 اخرج منه كل ما قدرت على اخراجه . وعلى ذلك كنت كل يوم تكون فيه
 المياه قليلة اذهب اليه واتي ببعض اشياء منه وثالث مرة ذهبت فيها واحضرت

كل ما امكني احداً من الشراعات والخيالات وانبت المضا
 بقطعة من الجبل كمت قد حُطَّت لاجل ترفيع القلوع عند الانحصار
 وهريل البارود المذلل والالجال فاني انبت بكل ما وجدته من القلوع
 الا اني كنت قد قطعها قطعاً صغيرة سهلاً لافها لانه لم يبق لها فائدة نظير
 قلوع بل نظير جنيف قنط . وما زادني سروراً هو اني بعد ان ذهبت
 خمس اوسمات الى المركب وكنت قد قطعت الامل من ان اجد قواها
 شيئاً يستحق الالابات وجدت بقعة برميلاً كبيراً مملوفاً بخمراً وثلاث
 دمنجات كبيرة مملوءة روماً او ارواحاً وصندوقاً مملوفاً سكرًا وبرميلاً مملوفاً
 طيناً فاخرأ مع اني لم اكن اتوقع وجود شيء من المأكولات الا ما عطلته
 المياه فامرغت حبالاً الخبز واخذت الله في قطع القلوع رزماً صغيرة ومكناً
 فالتفت الى البر سائماً

وفي اليوم التالي ذهبت مرة اخرى الى المركب واذا كنت قد اخلت به
 كل ما هو متفل ويستحق تعب النمل ابتدأت الآن في القلوس اي حوال
 المرساة فقطعت القلوس الاكبر قطعاً صغيراً بحيث يمكن حملها فاخذت الى
 البر فاسين وشراعتا مع كل ما وجدت من الآلات الحديدية واصفاً جميع هذه
 الانشاء الثقل على طرف كبير صعبه مما امكني وجوده في المركب من
 الاخشاب والادوات وانبت بها نحو البر . الا ان سعدي ابتداً الآن بفارقي .
 فان ذلك الطرف كان غير متين في بناؤه وشيلى الوشق جداً حتى انه بعد
 دخولي في الخليج الصغير الذي انزلت منه قنلاً بقية انعمني الى البر فاذا لم
 اتقدر ان اديره بسهولة نظائر الطوف الآخر كما قالبا في روضي الى الماء .
 ولما انما لم ابال بذلك لاني كنت قريباً من البر واما الوشق فان اكثره فقد
 وعلى الخصوص الحديد بد مع انه كان لازماً وانما في جداً . غير اني عند زوال
 المذاخر جئت اكثر قطع القلوس وبعض الحديد . وقد كنت ذلك المأبأ
 وصعوبات عذبة . لاني التزمت ان اغتسل في الماء في طليق وذلك انعمني

كثيراً . ثم كنت بعد ذلك اتوجه كل يوم الى المركب واحضر ما يمكن
احضاره من المواد

فقد مضى علي الآن في البر ثلاثة عشر يوماً وقد ذهبت في هذه المرة
احدى عشرة مرة الى المركب وثلاث مئة كل ما يمكن لرجل واحد نقله في نفس
المنه . واني لا اشك بانني لو بقي الهواء مستديلاً لكنت انبت بالمركب كلو قطعة
بعد قطعة ولكن فيما كنت استعد للذهاب الى المركب المرة الثانية عشرة
وجدت الهواء قد اخذ يشتد ومع ذلك اذ كان الماء قليلاً ذهبت الى المركب
ومع اني كنت اظن بانني قد عزلت القمرة من كل ما فيها حتى لم يبق هناك
شيء اكتشفت هذه المرة على خزانة بجرارات وجدت في احدها موسين او ثلاثاً
لحلاقة ومنصاً كبيراً وعشراً او دزينة اي اثني عشرة من السكاكين والشوكات
او الترنجات الهجينة . ووجدت في جزار آخر ما يساوي نحو ست وثلاثين
ليرا من الفلوس بعضها معاملة اوربا وبعضها معاملة برازيل مع بعض قطع من
الثانية منها ذهب ومنها فضة

فلما نظرت تلك الفلوس تبسمت وصرخت قائلاً ما لي فائدتك ايها
الفلوس الكاذبة انك لا تستحقين ان ارفعك عن الارض . فان واحدة من
هذه السكاكين في احسن من كل هذه الصبرة . لا استطيع ان اتخضع منك شيئاً .
فاني حيث انتير واذهي الى قاع البحر كشيء لا تستحق حيانه ان يجلس . الا
اني بعد ما تأملت قليلاً اخذت ذلك والفتنة في قطعة جنين . ثم ابتدأت
اهتم في عمل طوف آخر . ولكن فيما كنت اهي ذلك ابتدأ الجو يعمس
والهواء يقوى . وبعد ربع ساعة ابتدأ الهواء يهب نائماً من جهة البر . فخطر
لي حالاً انه من العبث ان اطول على طوف حال كون الريح من جهة البر
وانه ينبغي لي ان انصرف قبل عي المد او الفيضان والا فربما لا يمكنني ان
اصل الى البر بالكلية . ومن ثم نزلت الى الماء واخذت اسع قاطعاً ما كان ما
بين المركب والزبل من المياه فقايت من ذلك صعوبات كثيرة وذلك من

جري ثقل ما كان علي من الانهزام ومهاج البحر لان الهواء كان يشند بسرعة عظيمة . وقيل ارتفاع الماء الى اعلى درجاته حدث توه . الا اني كنت قد وصلت الى منزلي وانكأ في خبي الصغيرة وكانت كل ثروتي حولي بكل امان . فكانت الريح تندب الليل كاه ولا تمضت صباحا اشرفت على البحر فوجدت انه لم يبق اثر لذلك المركب . فغشي ذلك الا اني لدى التفكير نسيت قليلا بكوفي لم اضع وقتا ولا آلت جهدا في اخراج كل شيء منه ما كان مهندا لي وانه بالحنينة لم يبق فيه الا القليل مما كان يمكنني ان لو حصلت لي فرصة لذلك

فترعت الآن من بالي كل فكر من جهة المركب او من جهة اخراج شيء منه الا ما يمكن ان تدفعه المياه من قطعوا الى الشاطئ . وقد دفعت المياه فعلا قطعاً كثيرة منه فيما بعد الا انها كانت قليلة المنفعة لي . فاخذت اصرف اهتمامي الآن في تدبير ما بقي من دهات القوم البرارة وهجمات الوحوش الكاسرة اذا وجدت في الجزيرة وكنت انصرف في طريقة تلغي من هذا المقصد على احسن مرام . فكنت مترددا بين ان اعمل لي كهنا في قارب الارض . واخيرا عزمت على عمل الامرين معا . ولا بأس من وصف ذلك لمن ينف على هذه النصة

اني وجدت سريعا ان الموضع الذي كنت فيه لا يصلح لاقامي وعلى الخصوص لان موقعه هو على ارض واطية مسجة قريبة من البحر ومن ثم كان كما ظننت ردي الهواء ولم يكن يفرق ما عذب ولذلك عزمت على ايجاد رفعة من الارض تكون احسن هواء واكثر صلاحية منه . فاني كنت انظر الى عدة امور من جهة محل اقامتي . وذلك اولاً الهواء والماء العذب كما تقدم القول . ثانياً ماوى يظللني من حر الشمس . ثالثاً ملبأ من الوحوش المفترسة والقوم البرارة . رابعاً مباحية البحر حتى اذا ارسل الله مركبا الي تلك الجهات يمكنني ان اراه ولا اخسر فرصة لحاجتي اليه لم

أكن قد قطعت كل أمل من الحصول عليها
وفيما كنت أفش عن موضع هذه البقعة وجدت بقعة صغيرة بحسب نل
أو صغر كان سطح من جهة تلك البقعة فاقماً جداً كما نطقت بيت حتى أنه لم يكن
شيء يستطيع أن يأتي وثباتاً علي من أعلاه وكان في ذلك الصخر مكان مجوف
نظير قبة منبثقة قليلاً إلى داخل كائنه مدخل أو باب مغارة إلا أنه لم يكن
هناك في الحفنة مغارة ولا طريق إلى داخل الصخر بالكلية

فتبينت أن النصب خفي على تلك البقعة المخضرة أمام ذلك المكان
الجوف ولم تكن تلك البقعة أكثر من ستة وخمسة وعشرين ذراعاً عرضاً وكان
طولها نصف عرضها تقريباً وكانت نظير مرجع أمامي . وكانت عند طرفها
تصدر من كل جهة انحداراً غير متعظم إلى أن تصل بالارض المنخفضة التي
على حافة البحر . وكان موقعها من التل في جهة شمال الشمال بغرب ومكانها
كانت مظلة من الحر إلى أن تارب الشمس الغروب وتكون قوة حرارتها
قد ضعفت . وقبلما نصبت خبتي رسمت نصف دائرة أمام ذلك المكان
الجوف فدخل نحو ثلاثة عشر ذراعاً وثلاث في نصف قطره من الصخر
ونحو ستة وعشرين ذراعاً وثلاثين في قطره من بدايته ونهايته . ففي نصف
الدائرة هذا ضربت صنيين من الأوناد أو الأعمدة القوية راکراً إياها في
الارض راکراً قوياً وكانت رؤوسها محذدة وكانت ارتفاعها على وجه
الارض نحو خمسة أقدام ونصف . وكانت المسافة بين الصنيين أقل من
سنة قراريط

ثم أخذت قطع الفلوس التي قطعتها في المركب ونظمتها صفوفاً أحدها
فوق الآخر داخل القُرْجَة التي بين ذبلك الصنيين من الأوناد حتى سارت
في طولها رؤوس الأوناد وأضعا أوناداً أخرى داخلاً على ارتفاع نحو قدمين
ونصف دعمتها . وكان هذا السياج قوياً جداً حتى أنه لم يكن إنسان ولا
وحش يستطيع الدخول . وقد كان في ذلك كثيراً من الوقت والعصب وعلى

الخصوص قطع الاوتاد من الحرم وغلبها الى ذلك الموضع وركبها في الارض. ولم
اجعل الخيل هنا يا ابا من جانيو بل علت له سلماً صغيرة كت الضعد عليها الى اعلاه
ثم ارفدها الى فوق بعد دخولي اليه. وهكذا كنت محصناً محصوناً متبعاً كما ظننت
حتى انه لم تكن لاحد استطاعة ان يصل اليّ. ومن ثم كنت امام ليلاً بالامن
والطمأنينة. ولولا ذلك لما ارتاح بالي قط. ولكن ظهر لي فيما بعد انه لم تكن
حاجة الى كل هذه الاحتياطات والحذر من الاعناء التي كنت اخاف الوقوع
في خطر منها

الفصل السادس

انتقال روينصن كروزي الى خيمته وما شعر به من الوحشة

ثم نقلت جميع ما مر ذكره من المونة والاثاث والامثلة الى تلك المحظرة
وقد كائني ذلك العناء ومشتتات كثيرة. ثم اقميت خيمة كبيرة لاجل وفاء
من الانطار الي تكون هناك في قسم من السنة شديداً جداً وقد جعلتها
مصانة اي خيمة صغيرة من داخل وخيمة اكبر منها من خارج. ثم غطيت
تلك الخيمة بمشبع كت قد احضرت من المركب مع السلوع باسطة اياه على
ظهرها. ثم علت لثنا كان لثاني رئيس مركبنا اظير مرجوحة وصرت امام عليو
تاركا النوم على الارض ثم ادخلت الى تلك الخيمة كل موثني وما يعطل من
المطار ثم دبرث المدخل الذي كان لم يزل مفتوحاً وصرت ادخل واخرج منه
بواسطة سلم صغيرة كما ذكرت آنفاً

ثم بعد ما فرغت من هذه الاعمال اخذت احفر في الصخر قاصداً فتح
بغارة هناك توسيعاً للدائرة مترقي واستخدمت ما خرج من التراب والحجارة في

رفع ما كان داخل المورد من الأرض حتى صار نظير مصطبة أعلى ما حوله
مقدار قدم ونصف. ولم يبق إلا قليل حتى صار عندي وراء خيمتي مغارة
واسعة كانت نظير عزن لمنزلي. ولا حاجة إلى ذكر ما قاسيته من الانعاب
والمشقات في حفر تلك المغارة. وفيما كنت منهمكاً في امر خيمتي ومهتماً في
حفر تلك المغارة حصلت بغنة أمطار غزيرة من سحابة كثيفة مظلمة تبعها
بروق ورعود قوية هائلة. ولحال خالج خاطري فكرت لم يكن أقل سرعة من
البرق وهو ان شهاباً صغيراً بكفي للاشياء كل ما عندي من البارود. فان النار
اذا لعبت في البارود تحرقني حالاً وتحرق الخيمة بما فيها. فاضطربت من
ذلك جداً ومن ثم حالما زال ذلك العارض تركت كل الشغالي وشرعت في
عمل أكياس وعلب لافترق فيها البارود ووضعتها في أماكن متباعدة بحيث اذا
لعبت النار في قسم منها لا يشتعل كله دفعة واحدة. فوزعت ما كان عندي
من البارود الجيد الناضف وقدره نحو مئة الفة في أكثر من مئة وعلمت بين
طلي وكيس صارفاً في ذلك نحو اربعين. ثم وضعت تلك الاوعية في
شقوق بين الصخور لا تصل اليها رطوبة ولا ماء ملاحظاً جيداً كل موضع
كنت اضع فيه باروداً. غير ان البارود الذي سبق القول انه نبال اذا
كنت لم اخف من النبال وضعتها في مغارقي الجديثة التي كنت بحسب نواهي
ادعوا مطيحاً

وبما كنت مشتغلاً في تلك الاعمال كنت في تلك الاثناء اذهب
بارودي في كل يوم مرة على الأقل ملياً للعثور وصيد شيء للاكل والاكتشاف على
ما يوجد في تلك الجزيرة من الحيوانات وغيرها. ففي المرة الاولى اكتشفت
حالا انه يوجد فيها معزى فسررتي ذلك جداً. الا اني لما رأيت ان تلك
المعزى برية نافرة سريعة الجري جداً حتى ان القرب منها ومسكها كان من
اصعب الامور ساء في ذلك ونقص سرودي بوجودها. ثم انني اخذت اعطال
تفني بأمل صيد شيء منها مرة بعد اخرى كما فعلت بعد ذلك بقليل. وقد

وجدت بالاختبار اني اذا كنت انا في السهل وكانت هي في الوعر او على
 الصخور كانت تنظر حالاً هاربة مني ولكن اذا كانت هي في السهل وكنت انا
 في الوعر او على الصخور كانت لا تنبالي في كانها لا تتراني . فاستدلت من
 ذلك على ان تركيب مقلها كان على هيئة مخصوصة بحيث يكون نظرها دائماً
 منحنيّاً الى اسفل فلا تستطيع ان تبصر ما كان اعلى منها من المنظورات . ومن
 ثم كنت دائماً في ما بعد عند اكتشافي الاماكن التي تتردد اليها اكمين لما في
 الوعر او على الصخور مقابل تلك الاماكن حتى اذا كانت في مراعيها في السهل
 ارميها من هناك بالرصاص فاصيها من دون خطأ الا نادراً . فصدت اولاً
 عذرة كان يجانبها جدي صغير نرضعه . فلما وقعت الام وقف الجدي
 المسكين بجانبها جامداً لا يتحرك . فائر ذلك المنظر جدّاً في حاسياتي حتى
 كنت ابكي حزناً عارياً وناسئاً على نفسي والدنّة . ثم تقدمت اليها وحملتها على
 مكبي وسرت بها فاخذ ذلك الجدي يسي قافزاً في اترني الى ان وصلت
 الى منزلي . وعند ذلك انزلت الام الى الارض وحملت على ذراعي وادخلته الى
 داخل المنزل فاصداً تربته وجملة اهلياً . ولكنني اذ رأيت لا يأكل شيئاً
 اصغره اضطررت الامر ان اذبحه وآكله . فاغذيت لحمها اياماً كثيرة لاني
 كنت آكل قليلاً واوفر موتي ولا سباً خيري وذلك لقلبي

ثم بعد الفراغ من تدبير منزلي اخذت اهم في تدبير ما رأيت انه لا بد
 منه وهو مكان اشعل فيه النار عند الحاجة ووضع لوضع الحطب والوفود
 وسباني ذكر ما عملته لذلك في محل آخر . واذ كانت احوالي غريبة
 وهو محب في امر المعيشة غير فليقة كان لا بد من بيان ذلك وايضاحه
 مفصلاً فانقول

اني كنت كلما سمعت لي فرصة النظر الى احوالي اشعر بحزن شديد وغم
 عميق لا اقدر ان اصفها حتى الوصف . فان دفع العاصف كان قد حاد
 لي مسافة بعيدة اي مئات من الفراع عن الطريق الذي قصدته في طلب

الاسباب والتجارة ومن ثم كنت احسب ان العناية البهائية قد قضت علي
وذلك عن سبب كبير ان اصرف ما بقي من حياتي في ذلك المكان المنفرد وفي
تلك الحالة الموحشة . وعند ذلك كانت الدموع تذرف على خدي بغزارة
وحياء . وكثيراً ما كان يحطر بيالي امور متناقضة فكنت تارة التمس منقذاً
على الله قائلاً في نفسي لماذا يهلك الله خلقاته على هذا المآل ويضعهم في
شقاوة كهذه ويجعلهم منكسري القلب مكدرين الى هذا الحد حتى يلجئهم الى
التفكير احساناً وعدم ذكره وتارة اراضي بحالي وبوجهي ضيقي على انكاري
للجميل وكبري . وفيما كنت ذات يوم مانساً على شاطئ البحر وبارودتي يدي
وكنت غائصاً في التفكير بحالي الحاضرة احدثت حدث نفسي على هذا المآل
قائلاً يا نفس نعم انك في حالة مكرمة موحشة ولكن اما تذكرين ماذا اصاب
ارفاك ان لم الان اما كنتم احد عشر نمرأ في القارب فلماذا نهوت انت
وحدي وهل هو احسن ان تكوني هنا او هناك مشيراً عند قولني الى البحر .
فان جميع الشرور يجب اعتبارها مع ما يرافها من الخير وما يقرنها ما هو
ارداً منها من الشرور

ثم تأملت عند ذلك كيف كنت حاصلاً على جميع احتياجاتي وماذا كان
يصيبني لو لم يتفق ان المركب ينقل من المكان الذي صدم فيه اولاً الى مكان
الثاني حيث صار اقرب الى البر فتيسر لي اخراج ما اخرجته من الاشياء
وذلك بحدس ونوعه مرة في كل سنة الف . وماذا كانت حياتي ان
اضطر لي الامر ان ابقى في الحالة التي كنت عليها عند خروجي اولاً الى البر
حين كنت مُعتمداً كل لوازم المعيشة والوسائل الضرورية لتحصيها . وكنت
احدث نفسي بصوت عالٍ قائلاً ماذا كنت اعمل لو لم تكن لي بارودة
ولا زاد ولا ادوات للعمل ولا ثوب ولا فراش ولا خيمة ولا غطاء . هوذا كلما
احتاج اليه موجود يسرور باننا قادر ان اعيش من دون افتقار الى بارودتي
حتى بعد فراغ موتي وان اصرف ما بقي من حياتي من دون اعواز . وذلك

لا في كت فت نظرت ونمأت من البلية الفاء كل ما يصادفني من الحوادث
وللايام المستقلة ليس فقط بعد نفاذ موتي بل ايضا بعد ضعف جسمي
وخور عزمي

ولم يكن يخطر ببالني قط ان برفة من السماء كافرة لان ثلاثي كل ما كان
عندي من البارود . ولكن لما ابتدأت هرق وترعد خطرت لي ذلك وحدث
تأثيراً فورياً في حالهائي كما ذكرت قبلاً . ومرادي الآن ان اذكر بالتفصيل
والترتيب ما اصاحني من الامور المكشورة التي لم يسع قط نظرها في العالم .
وهو حسب حساني التي في ٣٠ الهول وضعت فديني على شاطئ تلك الجزيرة
المكشورة على الطريق والحالة التي ذكرتها قبلاً . واذ كانت الشمس في اعتدالها
الحرفي كانت تقريباً فوق رأسي وكنت حينها ظهر لي بواسطة الرصد والمراقبة
في طول سبع درجات واثنين وعشرين درجة شالي الخط

شعر

ومن لا يزال ينادي للغر والصبا . ولقي على طول الملاحة نادياً

النصل السابع

ما صادفني روينصن كروزي من الصعوبات لعدم وجود
الآت في حوزتي

وبعد ان صرفت في الجزيرة عشرة ايام او اثني عشر يوماً جال في
خاطري امر مهم وهو حساب الوقت واذ لم يكن عندي ورق ولا حجر
ولا اقلام خشيت من ان اضيع الحساب ولا اعرف اميز بين ايام الاحاد وياني

ايام الاسوع . فلكي لا تقع في هذا المخذور اخذت خشفة كبيرة مرتبة وجعلتها
على هيئة صليب كبير وركزتها عموداً على الشاطئ في الموضع الذي خرجت
منه اولاً الى البر وخططت عليها بسكبي باحرف كبيرة حافراً فيها هذه
العبارة وهي اني خرجت من البر في ٣٠ ايلول سنة ١٦٥٩ . وكان ذلك
احتياج حسابي . ثم كنت كل يوم افرض بسكبي فرضاً واحداً على جوانب
تلك الخشفة المربعة فكان كل فرض كتابة عن يوم . ولأجل تمييز يوم الاحد
عن باقي الايام كنت اجعل له فرضاً اطول ولأجل تمييز اليوم الاول من الشهر
كنت افرض له فرضاً اطول من فرض يوم الاحد . وهكذا مسكت بكل
تدقيق حساب الايام والاسبوع والشهر والسنين

وفيما كنت ذات يوم اقلب في الصناديق التي احضرها من المركب
وجدت اتفاقاً لشيء كثيرة قليلة الثمن الا انها كبيرة النفع . ومن جملة ما وجدت
اقلام وجبر وورق وعدة ربطات في صناديق الرئيس وثاني الرئيس
والطوبجي والنجار وركازات او ثلاثة وبعض الآت هندسية ونظارات
وخارطات وكتب في سفر البحر وثلاث نسخ من الكتاب المقدس كانت قد
ارسلت من بلاد الانكليز بين بضائعي وكنت قد وضعتها بين امتعتي وبعض
كتب بلغة البرنوغال ومن جملة كتبها كتابان او ثلاثة في صلوات بابوية وكتب
اخرى عديدة . فبذرت تلك الاشياء جانبا ووضعها بكل حرص الى جوف
الحاجة . ويجب ان لا انسى انه كان عددا في المركب كلب وقطان وساذكر
شيئا من قصتها المشهورة في محلو . فاما القطان فاني كنت قد اخذتها معي الى
البر . واما الكلب فانه كان قد ثار من المركب الى البحر ولحقني ساجدا الى
الشاطئ وذلك ثاني يوم نزولي بوسني الاولى الى البر . واقام عدي من
سنتين في الجزيرة وقد خدمني بكل امانة ونصاحة . فكان ياتي بي ما ارغبه
ما كان في طاقته ويقوم لي مقام جليس وعدير بقدر استطاعته . الا انه لم
يكن يكلني كما كنت ارجو . وقد ذكرت اني وجدت حبرا واقلاما وورقا

واقول الي - قدمت ذلك حق استحقاقه وسيظهر جليا الي كنت عند وجود
 الخبر اتقد كل شيء بالقدفق الواجب ولكن بعد ان قد جبري لم اعد
 استطاع ذلك . ولم اقدر على عمل حبر ولا بواسطة من الوسائط التي
 اخترعتها . وذلك ذكرني بالي لا ازال مع كل ما كنت قد جمعتها في احتياج
 الي امور كثيرة من اخصها الخبر . وكذلك كنت منتفرا الي مزاو رفش
 ومعمل ومحرقة لاجل نهب الارض وجرف التراب والي امر ودبابيس
 وخيطان . واما الخواص والملابس الكثيفة فالي تعلمت سريعا ومن دون
 صعوبة الافتقار اليها

ولعدم وجود الآلات كنت اجد صعوبة في كل عمل اعمله حتى الي
 صرفت نحو سنة كاملة في تميم حوشي الصغير وتصوين منزلي . وكانت
 العوارض والاعمة غلظة الجرم ثقيلة الحمل حتى الي افدت زمانا طويلا في
 قطعها وتسويتها في الحرش وزمانا اطول جدا في نقلها الي محل اقامتي . فكنت
 اصرف احيانا يومين في قطع واحد منها ونقله ويوما ثانيا في ركوب في الارض .
 وكنت في اول الامر اركبها في الارض بواسطة قطعة ثقيلة من الخشب ولكني
 في ما بعد صرت استعملون بطريقة كبيرة من الحديد ومع ذلك فابست في ركوبها
 صعوبات وانعابا كثيرة . غير اني لم اكن ابالي بطول المدة التي كنت اصرفها في
 عمل الاشياء لاني كنت اري ان لي وقتا كافيا لعمالي ولم تكن لي مصلحة انسلي
 بها بعد الفراغ منه الا الطواف في الجزيرة في طلب الصيد كما كنت افعل
 ذلك كل يوم

ثم اخذت اتأمل بالنعم والمثم في الحالة التي كنت عليها والظروف التي
 وصات اليها وادفون فذهني لا قصد ترك ذلك بل باني بعدي لاني كنت كن
 لا يكون وراءه ورناء كثير من بل بقصد التخلص الفكري من الانصباب عليها
 يوما والازعاج بها . واذا كان عقلي قد صار قادرا على ضبط حواسي
 الموثمة اخذت انسلي نفسي بذكر استطاعتي مواضع الردي مقابل الحسن ليكون

لي ما أمبر به حالي من الاردا منها . فرسعت بكل دقة ومع نفي الغرض ما كان
لي من الراحة والمعاودة مقابل ما كان علي من التعب والشقاوة نظير دامن
ومديون تحت الشر والخبر ومكنا

الشر

لقد أنيت على جزيرة رديئة
مفردة من دون ادنى أمل بالنجاة
لقد أفرزت من العالم بامره
وصرت وحيداً لاكون نهما

لقد انفصلت عن الجنس البشري
نيت من عشرة بني البشر لاكون
توحداً

ليست لي ثياب اكتمى بها

ليست لي وسائل أتي بها نفسي
من الوحوش البرية والنوم البرارة

الخبر

الآنني لم ازل حياً . ولم اغرق
كما غرق جميع رفاقي في المركب
الآنني أفردت من جميع رجال
المركب ونجوت وحدي من الموت .
والذي انقضى من الموت بنوع
عجيب يقدر ان ينقذني من هذه الحالة
الآنني لم أمت جوعاً في مكان
عقيم لا ينفع قوتاً

الآنني في بلاد حارة حتى لو
كانت لي ثياب كت بالكافندر ان
اطبقها على بدني

الآنني قد طرحت في جزيرة
لا ارس فيها وحيثما مربة تؤذي
كالي رأيتها في شطوط افريقية فاذا
كانت حالي لو انكسر في المركب
هناك

ليس لي اناس يكتفي وينرج
كرشي
الا ان الله قد ارسل بنوع عجيب
المركب الى القرب من البر حتى
قدرت ان اخرج منه اشياء كثيرة لمعد
احياياتي او لتمكيني من سد ما
دعيت بها

وبالاجمال التي صرت في حالة نعمة مبهات ان يوجد في العالم حالة
نظيرها . الا انه يوجد امور سلبية او ايجابية لتفني ان يشكر الله لاجلها .
ولكن هذه مثالا لتفني الحالات في هذه الحياة ما يكتفي دائما ان نجد فيه شيئا
نعمري وبقوة عدد وصف الخبز والشر في جاسب الا الى من الحساب
واذ وصلت نفسي حينئذ على الارضاء بحالي وكنت عن النظر نحو البحر
لاري مركبا فادما او مارا من تلك الجهات اخذت اجتهد في تدبير امر
معيشي وتسهيل اموري بقدر الامكان

وقد مررتك وصف مثلي وعرفت انه كان خيمة بجانب صخر محاطة
من كل جهة بدار متينة من الاعمق والفلوس . وكنت حينئذ قد اقيمت حول
ذلك الدارة من خارج شبه حائط من تراب على سلك نحو قدمين ومن ثم
صار يحق لي ان اسمي ذلك سوراً ثم بعد سنة ونصف تقريبا سقتها باخشاب
وعطينها باغصان من الاشجار وغير ذلك مما وصلت اليه يدي وغاية لها من
المطار الذي كان في فصل من فصول السنة قاتلاً جداً

وفقد علمت ما سبق ذكره كيف ادخلت جميع اعمامي الى ذلك الحوش
وتلك المغارة التي صفرها في الصحراء . واعلم الآن ان امنعي كانت في
اول الامر موضوعة على غير نظام ولا ترتيب ولذلك كان الحوش ملوفا بها
حتى انه لم يكن لي مكان التحرك فيه . فاخذت اوسع دائرة معارفي واعطتها واذا

كانت أرضها رملية رخوة فكانت سهلة المراس العمل . واذ صرت اشعر
بامان من هجمات الوبوش المفترسة فتمت بآبائي الصخر من الوراكت ادخل
واخرج منه وبذلك اتسع الموضع لوضع امتعي

ثم باشرت في عمل ما رأيت اني أكثر اضطراراً اليه وعلى الخصوص
الكرسي والطاولة . لاني بدون ذلك لم أكن أنهنأ بعيشي ولا كنت أقدر ان
اكتب او أكل او اتم بعض اعمال بلقي وسهولة وراحة . ومع اني لم أكن
نجاراً ولا ابن نجار ولا امسكت قط آلة بيدي وجدت اني مع المواظبة
بالصبر والانتحان مرة بعد مرة صرت مع نمادي الزمان قادراً على عمل كل
ما غوجي الضرورة اليه وعلى الخصوص اذا كانت لي آلات مناسبة اعاجبه
بها . وقد عملت اشياء كثيرة من دون آلات . وعملت بعض اشياء ولم تكن
لي آلة اعاجبها بها إلا المنجل وفأس وذلك على طرق ربما لم أسبق اليها .
فكنت اذا احتجت الى لوح مثلاً اذهب الى الحرش واقطع شجرة وانحرج جانبها
بالفأس حتى ترق ثم انظرها واجلوها بالمنجل . إلا اني لم أكن استطيع ان اصنع
من الشجرة مها كانت غليظة الألواحاً واحداً وذلك يحتاج كالابحني الى تعب
جزيل وزمان طويل . ولما كان وفي قتل القيمة وكانت الاشجار لا قيمة لها
بالكلية كنت لا ابالي بما يكلفني اياه لوح واحد من الوقت والاشجار . وما تقدم
نفع من القضية وهي ان كل انسان بمكة بواسطة المقاومة والاجتهاد واستعمال
قوى عقله وجودة حكمه ان يقن مع النماذج كتب صناعة تقضي آلات .
وذلك لان العمل هو اساس ومصدر لكل مساحة او صناعة مبنية على
اصول معاجية

فاستخدمت لعمل الطاولة والكرسي قطعاً من الاخشاب التي كنت قد
انبت بها على طوقي من المركب . ولما كثرت عندي الألواح التي عملتها من
الاشجار عملت رفوفاً عرضي الواحد منها قدم ونصف واضعاً احدها فوق
الآخر على حائط واحد من مغاربي ووضعت عليها ما كان لي من الآلات

والمسابر والحديد كلاً على حدة لاجل سهولة تناولها عند الحاجة . ثم غررت
اوناداً علي حائط آخر منها علمت عليها بواردي مع ما تكن تعلين من
الاشياء الباقية . فكنت نرى مغارتي كأنها مخزن قد حوى جميع الادوات
والمواعين اللازمة . وكان يسرني جداً ان ارى حوائجي مربة مكلما وكثرة بهذا
المقدار

وقد ابتدأت حينئذ ادون يوماً فيوماً اخباراً عن اعمالني واشغالي
بالتفصيل في دفتر سميته جرنالاً يومية . ولم اجدني بهذا الجرنال قبلاً . وذلك
اولاً لاني كنت حينئذ مرتباً في اموري ومضطرباً في افكاري ثانياً حذراً من
ان يطلع جرنالي من امور كثيرة لالذة فيها ولا فائدة منها نظير الاخبار
الآتية

في ٣٠ ايلول خرجت الى البر ونجوت من الفرق الا انني لم اشكر الله
ولا حمدته على ذلك بل انما بعد ما استفرغت الماء المائع الذي دخل جوفي
من البحر بكثرة وصحوت قليلاً اخذت اركض على الشاطئ كجنون واصفق
بيدي والعلم رأسي ووجي وانوح نادياً شقواوتي وسوء حظي ونحسي وما زلت
افعل ذلك حتى اعيتت من التعب وكدت اسقط على الارض مغشياً علي .
فانطرحت مغشياً على الارض طالباً للراحة الا انني لم اتم خوقاً من ان يفاجنني
وحش كاسر او انسان متوحش فيقتربني . ثم بعد ذلك بايام بعد ما اخرجت
كل ما امكنتي اخراجه من المركب صعدت على رأس اكمة لكي ادرف على
المجر للعلم ارى مركباً قادماً او مجازاً وقد تراهي لي عند ذلك كأنني كنت
ارى على بعد قاصي فلما قسرتني ذلك جداً . فليست منذ انظر الى ذلك الفلع
محدفاً نظري فيه حتى كدت ابلو بالعمى من شدة التعديق واذا بوقد غاب
بنية منواراً عن عياني . فجلست عند ذلك انوح وابكي كولد صغير نادياً سوء
حظي . فكنت بواسطة حماقتي هذه اريد شقواوتي واعظم مصيبي واحزائي ولم
جرأ من الاخبار التي ربما لا تمروق لناظر احد من الناس . واما الآن فاذا

كث كافي قد استظمت غالباً على تلك المحاسبات والمواطف ورببت
امور بيني ومترلي وصنعت طاولة وكرسيًا وصار كل ما حولي من الاثاث
وغيره في حالة منتظمة مرضية اخذت في مسك جرنالي . وما قدم لك
صورة ذلك الجرنال الذي لم ينقطع الا بعد ان نفذ جبري . وقد راجعت
نوه ذكر كثير من القضايا الماز ذكرها تكميلاً له وايضاً بحق المصلحة

الفصل الثامن

جرنال روبنصن كروزي

في ٢٠ ايلول سنة ١٦٥٩ . انا المسكين الشقي روبنصن كروزي انكسر
في المركب من جري نوه هائل اصابنا ونحن على ظهر البحر فخرجت الى هذه
الجزيرة الموحشة الذميمة التي سميتها بعدل جزيرة اليأس وذلك بعد ما
غرق جميع ارفاعي في ذلك المركب وكنت انا قد اشرفت على الخلف والهلاك
اظهروا . فصرخت بقية ذلك النهار في النعم والتم والاكثار ولم يكن لي طعام
اثنات يوم ولا ناياب اكسي بها ولا بيت آوي اليه ولا املحة ادافع بها عن نفسي
ولا كان لي ادنى امل بالفرج . فلم اكن ارى شيئاً امامي الا الموت جوعاً او بهد
برارة او وحوش مفترسة . وما صدقت ان خيم الظلام حتى صعدت الى رأس
شجرة هناك هرباً من عدو يناجني ونمت فيه نوماً ملباً مع انه لم ينقطع المطر
هناك الليلة كلها

في ١ تشرين الاول . هبت صباحاً متعباً من النوم فرأيت ان المركب
قد طفا ليلاً عائماً على الماء ودفعت الرياح نحو الشاطئ حتى صار قريباً من
الجزيرة . فاخذت اعطل نفسي بامل الذهاب اليه عند سكون الريح لاستحضار

شيء من القوت والاثاث . واذا رأيت صحيحاً لم تفكر تجددت احزاني على
رفائي ونأست من جرى ما وقع منا من الخطاء من الخروج منه بالمرعة مع
اننا لو بهنا فيه لكنا خالصين كذا او خلص البعض منا على الاقل فكنا اصحاباً
او بيننا من بقايا قارياً كبيراً بجلدنا الى جهة اخرى من الدنيا . ففضيت اكثر
ذلك النهار هذه الافكار المزعجة . الا اني اخيراً مشيت على الرمل بقدر
الامكان ثم اخذت اسج فاصداً المركب . وكانت في ذلك الوقت امطار ولكن
من دون رياح

من ١ الى ٢٤ منه . صرفت هذه الايام في نقل الاشياء من المركب
على اطراف صنمها هذه الغاية . وقد حصلت امطار غزيرة في تلك الايام
الا انه كان بها اوقات صحو . والظاهر انه كان حينئذ فصل الشتاء في
تلك الجزيرة

في ٢٠ ت ١ . كما احد أطواني بكل ما فيه من الوسخ . ولكن اذا كانت
المياه هناك غير عميقة وكان أكثر الوسخ من المنفعة ثقيلة جمعت كثيراً منها
عند زوال الماء

في ٢٥ ت ١ . امطرت النهار كله والليل وانندت الرياح فكثرت
المركب قطعاً وبددته اي تبديد . فلم أعد اراه بل انما رأيت قيا بهز قطعاً
منه بالقرب من اللط . وقد صرفت ذلك النهار في تغطية واحراز ما خلصت
من الاشياء

وفي ٢٦ ت ١ . صرفت ذلك النهار كله في الجولان على الساحل مشياً
على موضع استوطن فيه . وكنت مهتماً في ما يقيني من هجمات عدو يدهمني
اولاً . فوجدت عند المساء مكاناً في لحف صخر اعجمي فعزمت على النزول
هناك ونصبين قطعة من تلك الرقعة بسور منيع وسعت لها تحملاً على هيئة
نصف دائرة تحديداً لها

من ٢٦ ت ١ الى ٣٠ منه . نالت حواشي ومواعيني الى منزلي الجميد

وقد حصلت امطار كثيرة في بعض تلك الايام
في ٢١ ت ١ ذهبت صباحاً يارودني متوغلاً في الجزيرة طلباً لاجتماعها
ورغبة في الصيد . فاصطدت عزة وتبعني جديها الى المنزل فذبحت اخيراً
لانه كان صغيراً رضيعاً لا يأكل شيئاً

في ١ تشرين الثاني . ذهبت خيمتي في لحف صخر ونمت فيها اول ليلة .
وقد كثرت الحجة بنذر الامكان وغرزت اوتاداً متينة لتعليق ارجوحتي
البحرية اي سريري الذي كنت انام عليه

في ٢ ت ٢ . حصلت نفسي بان صفت حولي ما كان عندي من
الصناديق والالواح والاشباب وذلك على شكل دائرة

في ٣ ت ٢ . خرجت يارودني فاصطدت طائرين من الاوز وكان
لحمها جيداً لذيقاً . ثم بعد الظهر شرعت في عمل طاولة

في ٤ ت ٢ . ابتدأت بهذا الصباح ارنب اوقات الشغل والصيد والنوم
والراحة . فكنت كل يوم صباحاً اذهب يارودني اذا لم تطر واصرف
ساعتين او ثلاث ساعات في الصيد ثم ارجع واشغل الى الساعة الخامسة من
النهار ثم آكل ما حضر ثم انام من الساعة السادسة الى الساعة الثامنة لان
الحمر كان شديداً ثم ارجع الى الشغل . وقد صرفت كل اوقات الشغل في هذا
النهار والذي بعده في عمل الطاولة لاني لم اكن ماهراً بعد في صناعة الخجارة .
الا ان الوقت والضرورة جعلاني فيها بعد نجاراً ماهراً وصانعاً طبعاً كاملاً .
ولا اشك انها يعملان غيري كذلك عند الافتضاء اي اذا اخرجهم الدهر
الى ذلك نظائري

في ٥ ت ٢ . خرجت يارودني وكلي فاصطدت قطاً فكانت جلدة
ناعماً الا ان لحمه كان ردياً لا يؤكل . وكانت عادتي ان اسخ كل ما صدته
من الحيوانات واحفظ جلودها وفيها كنت راجعاً من الصيد انشئ على الداهية
صادقت طيوراً كثيرة من طيور البحر لم اعلم ما هي . الا اني رأيت بقية طائرين

لم اعلم جيداً ما هما وفي ما كنت محققاً فيها وكنت اخاف منها غاصاً بقية في
الماء وهكذا فازا هذه المرة بالنهاية مني

في ٦ ت ٢. بعد رجوعي من الصيد صباحاً اخذت ايضاً في معالجة
طاولتي حتى تمسها . الا انها لم تعجني ولم يرضي الا من قصيرة حتى
اصبحتها

في ٧ ت ٢. كانت الثلج راتقاً وانقطع المطر . فصرفت كل هذا اليوم
واليوم الثامن الى اليوم العاشر وجرى من اليوم الثاني عشر في عمل كرسية .
واما اليوم الحادي عشر فلم انتقل فوالله كانت اليوم الاحد على حالي .
وبعد تعب وارتيك عظيم تمت ذلك الكرسي . وكان شكلاً لا بأس به . الا
انه لم يعجني وكنت قد فككت مرّات كثيرة قبل ان تمت

تنبيه * اني املت بعد مدة قصيرة اعتبار ايام الاحاد . فلم أعد اضع
في علامة على العمود ولا اميزها عن باقي الايام

في ١٢ ت ٢. حصلت امطار غزيرة اراحتني وبردت بها الارض الا
انها كانت مصعوبة رجود وبروق مهولة ازعجتني جداً لاني خلت على البارود .
فلما انقطعت الامطار اخذت في الحال افرق البارود الى كميات قليلة دفعاً
للمطر

من ١٤ الى ١٦ ت ٢. صرفت هذه الايام الثلاثة في عمل علب صغيرة
مربعة تسع الواحدة منها من الاربع الى الخمس اواني من البارود . ولما فرغت
من عملها بالاعمال باروداً وفرقتها في اماكن حريزة بعين بعضها عن بعض
بقدر الامكان . وفي احد الايام المذكورة اصطدت طائراً كان جود اللحم الا
اني لم اعلم ما هو

في ١٧ ت ٢. شرعت في حفر مقبرة وراء خيمتي توسعاً لمغزلي
تنبيه * شعرت بالافتقار الى ثلاثة اشياء استعين بها في امر الحفري
معول او برش وعربة او قلة . فتوقفت عن العمل وكنت اتبصر كيف

انوصل الى سدّ تلك الاسترجاعات . اما المعول فاني قد استغنيت عنه بالكل
وان يكن ثقبلاً صعب المراس . واما الحرفة فلم اعلم ماذا استقدم مكانها مع انها
كانت ضرورية جداً ولم يكن ممكناً الحجاج في عمل بدون الاستعانة بها او بما
يقوم مقامها

في ١٨ ت ٢ . بينا كنت افش في الاحراش وجدت شجرة يسمونها في
البرازيل شجرة الحديد وذلك لشدة صلابتها وقلمها . فنقطت منها بعد تعب
عظيم قطعة كادت فاني تعطل بديها . ثم حملت تلك القطعة الى منزلي
وذلك بصعوبة لانها كانت ثقبلة جداً . وصرفت زمناً طويلاً في معالجتها
وتبريدها حتى صارت رفقاً فكانت يد ذلك الرفش تشبه ايدي رفوشنا في
انكسارها الا ان راحته كان قوامها غير مصفح بالحديد بخلاف رفوشنا . ولهذا ما
ما كان يفيم مدة طويلة الا انه كان صالحاً للأعمال التي قصدت استخداها لما
واظن انه لم يوجد قط رفش يحول على هذا المذوال وكلف هذا المذلل من
الشغل والوقت في عمله . وهكذا سددت بايين من الابواب الثلاثة غربي علي
باب ثالث وهو العربية او الفند . اما اللغة فكان عملها من الامور المستحقة لانه
لم يكن عندي مواد لينة كالتحوص مثلاً تصطبغ لذلك ولا كان احد عرف بوجود
ذلك في الجزيرة . واما العربية فكان يترامى لي انه يمكن عمل كل اجزائها
الا الدولاب فانه لم تكن لي استطاعة على عمله ولا معرفة شيء من امره . وعلمنا ذلك
لم تكن لي وسيلة لعمل محدد يدور فيه الدولاب ومن ثم عدلت عن عمل عربية
وصنعت لنقل التراب الى خارج المغارة ماعونا بشبه النخيل الذي يحمل فيه
الشفعة الطين لليناثين . ولم اجد في ذلك صعوبة بقدر ما وجدت في عمل
الرفش . الا انني صرفت في عمل النخيل والرفش وفي معالجة العربية من
دون فائز مئذرا اربعة ايام على الاقل . وذلك ما عدا الوقت الذي كنت
اصرفه في المشي صباحاً وبارودي في يدي الا ما ندر وقتاً رجعت دون ان
اتي بشيء للاكل

في ٢٢ ت ٢. لما انتهت من عمل تلك الآلات التي بسببها كان شغلي
قد توقف رجعت الى عملي الذي كنت قد شرعت فيه فكنت اشتغل كل يوم
بقدر طاقتي ووقتي فصرفت ثمانية عشر يوماً كاملاً في توسيع وتعميق مغارتي
لكي تسع استعماري بمهولة

تنبيه * اشتغلت كل تلك المدة في توسيع مغارتي بحيث تكون كافية
للاستخدام نظير مخزن ومطبخ وبيت سفرة وبيت مونة او كلال. وقد جعلت
الخفية مملاً لا قاتلي وتومي. الآلة احياناً في فصل الشتاء كانت تحصل
امطار شديدة حتى اني لم اكن استطيع ان امنع المطر عني فاضطررت الى ان
ما بعد ان اغطي كل موضعي داخل الكوش سائفاً اباءً بعوارض طويلة
واغصان من الاشجار حتى صار نظير مظلة او كوخ

في ١٠ كانون الاول. هنا كنت افكر بان مغارتي قد كملت اذا مكنية
عظيمة من الزراب والردم قد سقطت بقية من سفنها ومن احد جوانبها.
فكأنني كنت قد كبرت بها اكثر من الاقتضاء. فاعتزاني خوف من ذلك وليس
من دون سبب لاني لو بقيت تحتمل لما احسبت ابداً الى حفر قبر ومن
جري هذه الحادثة صار عندي شغل كثير. لاني اضطررت ان اعمل
الردم الذي سقط وان اجمع السقف بحيث لا يعود بسقط مثل ذلك
فيها بعد

في ١١ ك ١. اخذت اشتغل في تحصين المارة. فصبت دعامين اي
عمودين من الارض الى السقف وقد وضعت على رأس كل منها خشبة عرضاً.
فاكملت ذلك في اليوم التالي. ثم زدت عدد الاعمدة ووضعتها على رأس كل
منها عارضة كما تقدم وفي نحو اسبوع صار السقف متيناً ايماً. واذ كانت
الاعمدة صفوفاً منتظمة استخدمتها في تقطيع مغارتي الى بيوت صغيرة
من ١٢ الى ٢٠ ك ١. هرفت هذه الأيام في تركيب رفوف وغرر

مسامير لاجل تعليق كل ما يكن فليفه . فصارت امنعي حينئذ مرتبة قليلاً
في الداخل

في ٢٠ ك ١ . نقلت كل شيء الى المغارة وشرعت في فرش منزلي
وصففت قطعاً من الخشب لاجل وضع ما كولاني عليها . الا ان الاخشاب
صارت قليلة جداً عندي ثم صنعت طاولة اخرى

في ٢٤ ك ١ . حصلت امطار كثيرة الليل كله والنهار فلم اخرج خارج
منزلي

في ٢٥ ك ١ . مطرت النهار كله

في ٢٦ ك ١ لم تطر . وكانت الارض ابرد والظلمة كثيراً من

السابق

في ٢٧ ك ١ . اصطدت عترة صغيرة وكسرت ساق اخرى حتى صارت
نمرج فامسكها واتخذتها بغيطة الى المنزل . ولما وصلت الى المنزل جهزت
ساقها المكسورة بوضع رفادة على الكسر

صح اعتييت جيداً بتلك العترة العرجاء فلم تمت وبعد من صحت ساقها
وصارت قوية كعادتها . واذا بقيت عندي وكنت ادللها كل تلك المدة
صارت ابسة اهلية فكانت ترحي في البغلة الخضراء عند بابي من دون قيد
ولا يهرب ومن اول مرة خطر فيها بيالي ان ارتي ببض حيوانات واجعلها
اهلية ليكون عندي ما اقتات به عند ما ينفذ ما كان في حوزتي من البارود
والخردق

من ٢٨ الى ٢١ ك ١ . كان الحر شديداً ولم يكن هواء ولا نسيم فكنت
لا اخرج خارج منزلي الا مساءً وذلك لاجل العبد والفتنة . وقد صرفت
تلك الايام في تربية الاشياء داخلياً

في ١ كانون الثاني . كان الحر مشدداً كالايام السابقة . فخرجت يارودتي
ضاحاً ومساءً واسترحمت مستكفاً في منزلي في اواسط النهار . وابتدت مساءً

حتى وصلت الى المروج التي في اواسط الجزيرة فوجدت هناك كهراً من
المعزى نزعى . وكانت تلك المعزى برية ناعرة يصعب الدنو منها ومسكها .
ثم رجعت في اليوم التالي الى هناك بكلبي لاجل صيد شيء منها . ولكن لما ثار
الكلب عليها حوكت وجرحها نحر ونبأت للمفاعة فخرج عنها خائفاً خوفاً
من ان تعطو عرو

في ٣ ك ٢ . شرعت في عمل سياحي او سوري . واذ كنت لا ازال في
احساب من ان يدعني عدو مفاجئ اياي حصنت ذلك السور تحصيناً
مكماً منيعاً

صح لا حاجة الى ذكر ما ذكرته قبلاً من جهة السور وانقول الآن الى
صرفت من ٣ ك ٢ الى ١٤ نيسان في اقامة السور وتعميمه مع ان مصاحبة لم
تكن اكثر من ثلاثة وثلاثين ذراعاً . وكان على شكل نصف دائرة منتدماً من
الجانب الواحد من الثل الى الجانب الآخر منه على بعد ستة عشر ذراعاً من
وجهه . وكان باب المفاعة في الوسط من الورا

وكنتم اشتغل كثيراً في تلك الايام الا ان الامطار كانت تعني اوقاتنا
عدة ايام واوقاتنا عدة اسابيع متوالية . وكنتم احسب اني لا اكون في امان فامر
الا بعد قهام السور وتعميمه . وما يصعب تصديقه الا انما اني كابدتها في عمل
كل شيء وعلى الخصوص قطع الاعنة ونقلها من المحرش وركبها في الارض
لانها كانت اكبر مما كان يتصور الحال كما ظهر لي فيما بعد

فلما انتهيت من عمل السور وتعميمه من خارج بعور من التراب حتى
صار مضاعفاً وميماً اطمأنت خاطري وطابت نفسي وفرت عيني وقلت انه
اذا اتفق قدم احد الى الشاطئ لا يمكنه ان يعرف بوجود منزل في تلك
الرفعة . وفائدة ذلك السور الخارجي الذي عملته من التراب ستظهر ما سهرد
بمائه في مكانه

وكنتم في تلك الايام اجول كل يوم في الجزيرة طلباً للصيد اذا لم يصعب

المطر من ذلك . فكيفت اشياء كثيرة مفيدة لي ومن حملها اليام اي الحمام
البري وكان من عادة هذا الطائر ان يتخذ لنفسه بيتا او اوكارا في شقوق
الصخور لا في الاشجار خلافا لباقي الطيور فامسكت بعض زغاليل منه وكنت
ارثها واربيتها حتى صارت انيسة اعلى الا انها لما كبرت طارت عن اخرها
مارة الى الغلاة طلبا للثوت لانه لم يكن عندي في اول الامر ما اطعمها اياه
ما تحبه . وكثيرا ما قصدت في ما بعد الى اوكار اليام في الصخور وانبت
بافراخها وذبحتها واغذيت بها المذبذبة

ولما شرعت في ترتيب امور منزلي وجدت ان اشياء كثيرة تعوزني ولا
وجود لها عندي . وكان يروح لي انه لا استطاعة لي على ايجادها ولا اصطناعها .
فاني لم استطع ان اصنع برمبلا مطوقا مثلاً . وكان عندي برمبل او برمبلان
كما ذكرت قبل الا انني لم استطع ان اصنع برمبلا نظائرها مع اني اجتمدت في
ذلك جدا وصرفت عدة اسابيع في معالجته . فلم استطع ان اركب رأسه
وعوارضة تركبها محكما مع زرب الماء واخبرنا عدلت عن ذلك عمرا وتقصيرا .
وقد كنت في حيرة عظيمة من جهة الضوء الصناعي فاني لعدم وجود ذلك
عندي كنت اذهب الى النوم عند العشرة اي بعد المغرب ساعة . فخطر
بالي فرض الشمع العسلي الذي صنعت منه شموعا للضوء في سفرني الافريقية
وكنت قد بعث الرئيس البرنوغيالي ما بقي منه فبأنت على ذلك . ولم يبق لي
حينئذ ما استقدمه لذلك الا الشمع . ولما كنت كلما ذبحت عذرة او قر نحبها
لمن الغاية . ومكلا بواسطة الشمع وسراج صغير صنعت من زرابر وجفئة في
الشمس وخيوط معربة صنعت منها فتيلة صار عندي ضوء الا انه لم يكن
رائقا ولا نابجا كضوء الشمع كالابنفي

ثم بينا كنت ذات يوم افش بين حوايجي وجدت اثنا عشر كوكبا صغيرا كان
مملوا من الحبوب مونة للدجاج كما بينت الانارة الى ذلك . وكانت الجردان
قد قصصت ما كان باقية في فلم يكن هناك الا قشور وغبرة . فلما اردت

استخدامه لامر آخر تنصت تلك الرماله في جوار منزلي في لحف الدلب
وذلك قبل وقوع المطر السابق ذكره بقليل . ثم بعد ذلك نحو شهر من
الزمان اذ كنت قد نسيت امر نفسي للكس رأيت نباتا اخضر خارجا من
الارض . فظننت ان ذلك كان هناك قبلا ولم آره . ولم يضي الا قليل حتى
ظهرت في رؤوس عشر سنابل او اثنا عشرة سنبله تشبه سنابل الشعير الاوربي
او شعير الانكليزي فاستغربت ذلك جدا وحرث في امري غير عالم من اين
اتي ذلك الى هناك

وكنيت في ذلك الوقت لا أسأل عن امور الديانة ولا كانت خائفتها
تخطر ببالي الا نادرا . وكنيت انسب كل ما حصل لي الى الصدفة . ولم اكن
التفت الى مناصد العناية الالهية في تلك الامور ولا اسأل عن قضاياء تعالى في
تدبيره العالم . ولكن لما رأيت الشعير بنبت هناك مع علي بان الحبوب لا
نبت في تلك الجزيرة وعدم معرفتي كيف اتي الى ذلك الموضع اخذني العجب
من ذلك واستغربت هذا الامر غاية الاستغراب واخيرا حكمت بان الله
اقالني بالعجوبة من دون واسطة البذر لكي افات بي في ذلك المكان
العظيم المفضل

فأثر ذلك في قلبي واخذت الدموع تذرف من عيني واخذت افني
نفسي بحديث هذه العجوبة لاجلي . وما زادني عجباً هو اني رأيت بالقرب من
الشعير في لحف الخلل ايضا نباتا غيره ظهر لي بعد تحقيق النظر فهو انه
ارز لما كان من المشايبة به وبن ما كنت قد رأيت من نبات الارز في سواحل
افريقية

ومع اني كنت احسب ان تلك الاشياء انما وجدت بالعجوبة لجرد حياتي
كنت لا اشك في وجود غيرها في الجزيرة فاحذت افتش في كل قرنة ونمت
كل صخر من الاماكن التي ترددت اليها فيا مضي ليلي اجد غيرها فلم اجد .
واخيرا خطر ببالي اني تنصت الكس الذي كانت فهو مونة الدجاج في ذلك

الموضع وعند ذلك اخذ عجي يتناقص . ويجب ان اقر بأنه حالما ظهر لي انه لم يكن في ذلك شيء خارق للعادة اخذ حمدي لعناية الله بضعف شيئاً فديتاً والحال انه كان يجب علي ان احمد الله لاجل عناية هذه القائمة التي حفظت تلك المحبوب القليلة من الجردان فلم تاكلها مع البنية وان احصيا كالمن كأنها نازلة من السماء . ولست اشك الآن ان تلك العناية هي التي ارشدني الى نفس الكس في ذلك الموضع الجيد في ظل الخلد حتى نبئت تلك المحبوب حالاً كما اني لست اشك اني لو تفضت في موضع آخر في ذلك الوقت لكنت تلك المحبوب احترقت من حرارة الشمس وثقلت بالكلية

وفي اواخر شهر حزيران ادركت تلك المنابل نجي منها واذا خربتها بمرص نوباً على زرعها ايضاً لكي تكثر فيصير عدي منها ما يكفي لعمل الخبز . ولم آكل شيئاً من تلك المحبوب الا في السنة الرابعة وذلك بالتوفيق لاني كنت قد اضعفت كل ما زرعت منها في السنة الاولى لالب زرعته وقت غير صالح له فلم يثبت . وكان عدي اكثر من عشرين او ثلاثين مثلاً من الرز . وكنت احرص على الارز جيداً واعمل له خبزاً في بعض الاوقات وقد اخترعت طريقتاً كثيرة لطبخه . هذا ولارجع الى ما كنا في صدد

فصرفت تلك الثلاثة او الاربعة الاشهر في عمل السور . وفي ١٤ من نيسان فرغت من علو . وكنت ادخل الى منزلي واخرج منه من اعلاه بواسطة سلم متقلبة كما سبق القول . ولم اجعل له باباً من الحائط خوفاً من ان يكون ذلك علامة يستدل بها على منزلي . وكان منزلي فصحاً مهيأ لا يندر احد ان يدخله ما لم يصعد على السور اولاً

ثم بعد الفراغ من عمل السور حصل خطر عظيم على حياتي وعلى كل اعمالي . وذلك اني بينما كنت ذات يوم في باب منارتي حدث بغثة امر راعي جلاً . فاني اذ كنت منهمكاً فلتمها بالفعل تساقط كبير من التراب دفعه

واحدة من سفب مغارتي ومن حرف التل الذي فوق رأسي وانكسر فجأة
 اثنان من الاعمدة التي سددت بها سفب المغارة واجدنا عند انكسارها صوتا
 هائلا . فهاهي ذلك جذا ولم اعلم ما هو السبب في الحفوة بل كنت اظن في
 اول الامر ان سفب مغارتي كان يتساقط كما فعل قبلا فددت من مكاني
 مرتعدا من هذه الحادثة ولحقني من ان ادفن حيا بادرت مسرعا الى حيث
 كانت العلم واذ لم اكن استأنس على نفسي هناك ايضا خوفا من ان تتدحرج
 قطع من التل هاوية علي طلعت على السور ثم نزلت الى الارض وعند ذلك
 ظهر لي ان تلك زلزلة هائلة . لاني شعرت بان الارض التي كنت واقفا عليها اهتزت
 ثلاث مرات في نحو ثلثي دقائق اهتزازا يكفي لان يهدم اجمع الابنية . واذ
 كنت في هذه الحالة اذا بقطعة كبيرة من راس تل على مسافة نصف ميل
 من البحر قد زحلت متهاقنة الى اسفل فحدث منها صوت مهول لم اسمع
 مثله في حياتي . وكان البحر مضطربا اضطرابا عظيما من جري تلك
 الزلزلة فاستدلت من ذلك على ان الزلازل تكون تحت الماء اقوى مما تكون
 في جريرة

فذهبت كثيرا من جري ذلك وصرت كمنيت او كمنيت طيو . لاني لم
 اشعر قط بنقلها ولا كان احد اخبرني بان شعري في حياتي زلزلة نظيرها . وقد
 اصابني دوار من جري حركة الارض كما يكون في البحر وقت النوء الا ان
 الصوت الحادث من سقوط تلك القطعة من التل ايقظني . ولما رجع روحي
 الي واستيقنت من غشي امتلا قلبي خوفا ورعبا واحساسا من ان يسقط ذلك
 الجبل برمته على حمومي وانامت بيني فبدفن دفعة واحدة كل ما نملك بدي .
 وعند ذلك غاص قلبي غائرا ثانيا في جوفي وسقطت مغشيا علي . ولما انتهت
 الدرجة الثالثة التي لبثت مدة لا اشعر بها اخذت اسنفيق من وطني واخذ
 روحي يسكن . ولكني . كنت لا ارال خائفا من الصعود على الدور لئلا ادفن
 حيا . فكنت تراني جالسا على الارض كيكيا كاليف الليل لا اعلم ماذا اعمل .

ولم يخطر ببال في ذلك الوقت فكر صالح ديني ولا جال في خاطري شيء
من أمور الدنيا سوى هذه الطلبة الاعتيادية وهب يارب ارحم. ولما ذهبت
الزلزلة ذهبت هذه الطلبة معها

ومما كنت جالسا في هذه الحالة التي برئ لها اذا بالجو قد اغبر وعبس
وغطته غيوم ماطرة. ثم اخذت الريح في الهبوب مشددة شيئا فشيئا ولم تضر
الا نصف ساعة حتى ثارت زوبعة هائلة هاج بها البحر مبدأ حتى غطت
امواجه الشاطئ وحدث نوء عظيم. وقد انقلعت تلك الزوبعة انجارا
كثيرة من اصولها وبقيت على هذه الحالة نحو ثلاث ساعات. ثم اخذت الريح
تسكن شيئا فشيئا وبعد نحو ساعتين صار هدوء عظيم. فاخذت السماء تنطر
مطرأ شديدا. ولا اقدر ان اصف ما حل لي من الخوف والغم من جري هذه
الحادثة. ثم خطر لي بفتة ان تلك الرياح الشديدة والأمطار الغزيرة هي مسببة
عن الزلزلة وانه اذا كانت الزلزلة قد انتهت صار يمكنني ان ادخل خيمتي ولا
اخشى خطرا. فاخذت فوقي ترجع الي وكان المطر يساعدني في اقناعي
بالدخول فدخلت خيمتي وجلست هناك ولكن لشدة المطر اضطررت الامر ان
ادخل المغارة خوفا من ان تسقط خيمتي على راسي من شدة عزم المياه. غير
انني كنت هناك ايضا في حالة الخوف والاضطراب من سقوط السقف علي.
واذ كنت اخاف من ان ينزل الموضع ماء فخصت له قناة وانبوبا ينقل منه الماء الى
خارج السور. ثم بعد ان بقيت مدة في الخيمة لا اشمع بمركبة الزلزلة اخذت
اشعر بطمانينة وراحة بال. ولكي انه حاسبا في وادفع ما اعتراضي من صغر
النفس ذهبت الى بيت المونة وكان صغيرا وشربت كأسا صغيرة من الروم
ولطمني بان متى فرغ ما عندي من ذلك الشراب لا اعود احصل على غيره
كنت دائما اتمتع بالتمتع فلام المطر ذلك الليل كله وجزءا كبيرا من
النهار الذي يليه فلم اخرج من مغارتي في تلك الليلة ثم اخذت انبصر في ما
يدني لي عمالة. لاني بعد حصول ما حصل لم أعد استأن على نفسي في المغارة

خوفاً من الزلازل لئلا أدفن في احد الاوقات حياً فكنت اولاً افكر ببناء
 كوخ في موضع أمين اني حوله سوراً كما فعلت هنا ثم جال في خاطري ان
 ابذل خميني من مكانها في لحف الخلل المعلق الذي كانت في خطر من ان
 يسقط عليها اذا حدثت زلزلة اخرى . فصرفت اليومين التاليين وما
 التاسع عشر والمثرون من شهر نيسان في التبرص والامتناع في نقل متري
 وتدير المكان الذي ينبغي ان اغلقه اليو . واما الخوف من ان أدفن حياً فقد
 أثر في جداً ومعني ان انام براحة بال . والخوف من ان انام خارجاً من
 دون سور لم يكن أقل من ذلك . واذ كنت انظر الى ما حولي وارى كل
 شيء مرعباً وارى نفسي في امان من الوحوش والبأس كنت أكره جداً امر
 الاغفال . ثم خطر لي انه يحتاج ذلك الى وقت طويل لتتميمه وانه ينبغي لي
 ان ارضي بالبقاء في موضعي وان يكن خطراً الى ان ادبر مكاناً غيره
 واحصنه جيداً وحينئذ انزل اليو . وكانت هذه الافكار المتناقضة تتناوب دائماً
 مدة مستطيلة . واخيراً عزميت على الاخذ في الشغل بكل مرعة وبناء سور
 داخل دائرة كما فعلت قبلاً ونصب خميني داخل ذلك السور وعلى ان
 اني في متري الى ان ينتهي ذلك ويكون معداً الاغفال اليو . وكان ذلك
 في ٢١ نيسان

في ٢٢ نيسان . نهضت من النوم واخذت انعم في امر الوسائط المعلقة
 الى المئذنة المذكور . فكنت في حيرة عظيمة من جهة الآلات فانه كان
 عندي ثلاث فؤوس كبيرة وعدد كبير من البلطات مما كنا قد انبنا به لكي
 نيوه للهند . الا انها كانت جميعها قد كُتلت وتللت من جراء كثرة استعمالها
 في قطع الاخشاب الصلبة الكثيرة العقد . وقد كانت عندي عجلة ولكني لم
 استطع ان ادوره واجلج الآلات . فصرفت وقتاً مستطيلاً في التفكير في
 هذا الامر بتدبر ما يصرفه والى في اني امر ساجي مهمل او قاصر في اخراج
 حكم بالموت على منسب . وفي آخر الامر اعتدلت الى طريق التدوير وهو

التي دبرت له دولاباً بمحيط كنت ادورةً يو برجلي فابصاً على ما اردت تخليقة
بيدي كلتيهما

تنبيه . لم ارفط في انكثرا آلة جلي ولا لاحظت كيف بصطنعون
ذلك فصرفت اسبوعاً شامو في عمل تلك الآلة وتكملها وكانت كبيرة
وثيلة جداً

في ٢٨ و ٢٩ نيسان . صرفت هذين اليومين في اصلاح آلاتي وشحذها
وكنت ادور بجلي تلك الآلة التي اخبرتها له بكل سهولة وراحة

في ٣٠ نيسان . كنت قد لاحظت من ذلك ان ما عندي من الخبز قد
ابتداً يقل وعند انقضائه في هذا الوقت وجدت انه قد قل جداً فاضطررت
الامر ان اقتصر على كمكة من البسماط كل يوم حتى مرل جسي وضعت
قوتي من جري قلة الاكل

الفصل التاسع

تابع جرنال روبنصن كروزي

في ١ ايار . لما انتهيت صباحاً من النوم تطلعت فابصرت على الشاطئ
شيئاً كبيراً كأنه برميل فذهبت اليه لافظر ما هو فاذا يو برميل صغير
وقطعتان او ثلاث قطع من بقايا المركب كان الدود الذي حصل اخيراً قد
دفعها الى الير وكان المد حزيناً قد خفت . ثم التفت نحو المركب فاذا يو
قد صار اعلى مما كان قبلاً عن سطح الماء . وكان ذلك البرميل الذي وجدته
برميل بارود قد دخله ماء فيتل البارود ثم جف البارود وجد حتى صار
كأنه حجر . فدرجته مبعداً اباه عن البحر ثم تركته وذهبت ماشياً على الرمل

فاصداً المركب لامي اجد فيه اشياء آخر . فلما وصلت اليه اجدني العجب مما
 رأيت من تغير حاله . فان مقدمة الذي كان قبلاً مدفوناً في الرمل كان قد
 ارتفع منه اقلام على الاقل وموخرة الذي كان قد تكسر ونحطم وانفصل
 عنه بواسطة قوة البحر وذلك بعد ان اخرجت ما اخرجت منه كان قد دفع
 وطرح جانباً . وكان الرمل قد ارتفع على الجانب الذي يلي المؤخر حتى
 صرت قادراً على الذهاب الى الذهب اليه ماشياً مع اني كنت قبلاً
 لا استطيع الذهاب اليه الا بقطع مسافة ربع ميل سباحة . فخطر لي سرياً
 ان هذا التغير قد حصل بواسطة تلك الزلزلة . واذ كانت الزلزلة قد
 اضعفت عزم المركب وفترقت بين اجزائه كانت تأتي من اشياء كثيرة كل
 يوم الى اليوم ما كان البحر يفتكه والرياح والمياه تدحرجه شيئاً فشيئاً الى
 الشاطئ .

فعدلت من جري ذلك عن قلبي . فزلي واخذت انبصر في كيفية
 الدخول الى جوف المركب لامي اخرج منه بعض اشياء ما كان باقياً فيه .
 واذ كان جوفه قد امتلأ رملاً كانت املئ ضعيفاً من جهة نيل هذا
 المرغوب واذ كان الدهر قد علمني ان لا اقطع املئ من شيء اخذت
 اقطع كل ما يمكن تنظيمه منه علماً بان كل ما اخذته من ارجحة ويهدني في
 المستقبل

في ٣ ايار . قطعت بنشاري خشبة عظيمة من ظهر المركب كانت
 تربط الالواح معاً ثم اخذت اعزل الرمل الذي كان في الطبقة العليا منه .
 وعند ذلك ابتدا الماء فتركت العمل الى وقت آخر

في ٤ ايار . ذهبت طلباً لاصد السمك . فصرفت زماناً طويلاً ولم اصد
 سمكة فاصنع الاكل . وهنا كنت على قمة الدرك صعدت دليلاً صغيراً وذلك
 في شبكة صيغتها من مرس رفيع . ولم يكن عدي سكرة . وكنت مع ذلك

اصيد في الغالب كل ما احتاج اليه . وكنت آكل ما اراه غير منقو ولا مشوي ينار بل مجفقا في الشمس

في ٥ ايار . اشتغلت في المركب ونطقت خشبة اخرى كبيرة . ثم فككت ثلاثة الواح كبيرة ما كان في ظهر المركب وربطتها معا والقيتها الى البحر لكي تسبح الى البر عند مجيء المد

في ٦ ايار . اشتغلت ايضا في المركب . فاخرجت منه ادوات كثيرة وقضباناً حديدية . ثم رجعت الى منزلي وقد اعيت من الذهب وكسرت الشغل حتى لاح لي ان اترك العمل بالكلية

في ٧ ايار . ذهبت الى المركب ولكن لا بنية الشغل فوجدت ان اخشاب المركب قد انخلت من جرى الفل لان ما كنت قد نشرته منها كان قد اضعف قوتها وكانت قطع كثيرة منه قد تفككت وجوفه قد انفتح حتى انه لولا كثرة الرمال والمياه كان الناظر بقدر ان يرى داخله

في ٨ ايار . ذهبت الى المركب واخذت معي مخلأ من حديد ناوياً ان افكك بنية الاواح التي بقي منها الظهر لانه لم يكن هناك رمل ولا مالا . ففككت لوحين والقيتهما الى البحر لكي يحملها المد الى البر . ثم انشيت راجعاً الى منزلي وقد تركت ذلك الخلل في المركب لكي استعين به في العمل في اليوم القادم

في ٩ ايار . ذهبت الى المركب وفككت بواسطة الخلل طريقاً الى جوفه . فرأيت انه يوجد هناك برامل كثيرة فاخذت احركها بالخلل لاجل ابعاد بعضها عن بعض وحاولت تكسيرها ورفعها من هناك ولكن من دون نتيجة . ورأيت ايضا ربطه من صنائع الرصاص فككت احركها بالخلل الا اني لم استطع ان ازحرجها لثقلها

من ١٠ الى ١٤ ايار . مكنت اذهب كل يوم الى المركب واتي بكثير من الاخشاب والحديد

في ١٥ ايار . ذهبت الى المركب واخذت بطنين ثلوثاً ان انقطع رابطة الرصاص . فكنت اصنع حدة الباطنة الواحدة على الرصاص واضرب على فناها بقنا الباطنة الاخرى . ولكن اذ كان فوق تلك الرابطة منظار قدم ونصف من الماء لم يؤثر ضرر في فيها

في ١٦ ايار . هبت رياح شديدة ليلاً . وكان بيان لي ان المركب قد تكسر ونقطع قطعاً كثيرة من قوة المياه . واذ صرفت زماناً طويلاً في الاحراش في صيد حمام اغذي ولم اذهب الى المركب في ذلك النهار خوفاً من ان يدركني المذ

في ١٧ ايار . رأيت على الشاطئ على مسافة نحو ميلين من منزلي قطعة من المركب كان قد دفعها البحر الى هناك فذهبت اليها فوجدت انها قطعة من رأسه فحاولت حملها فلم استطع ثقلها فرجعت عنها الى منزلي

من ١٨ الى ٢٤ ايار . صرفت كل تلك الايام في الشغل في المركب وبواسطة الاجتهاد ومواظبة العمل فككت اشياء كثيرة وزحرتها من مواضعها حتى انه في اول مذكرتي رباح سبع الى البرازيل كثيرة وصندوقان من صناديق النوتة . وفي اليوم الرابع والمشرين من الشهر كانت الريح من البر فلم يخرج من البحر الا قطع من الاخشاب ورميل فو لم خذير من البرازيل كان قد تعطل بسبب الماء المالح والرمل . وما زلت اخذاً في ذلك العمل الى ٦٥ حزيران وذلك من دون انقطاع الا ما صرفته في الصيد . على اني لم اكن اذهب الصيد الا عند ارتفاع المذ فصار حينئذ عدي اخشاب والواح وادوات حديدية كافية لبناء قارب صغير الا اني كنت غير خير في هذه الصناعة . وكان عدي كمية وافرة من صنائع الرصاص

في ١٦ حزيران . بينما كنت ذاهباً الى حامة البحر صادفت سحابة كبيرة لم انظر سحابة غيرها قبلاً في الجزيرة . وذلك لعدم وجود السلاحف اى فاتها هناك بل لسوء حظي لاني لو ذهبت الى الجانب الآخر من الجزيرة

لوجدت مئات من الملاحف كما وجدت ذلك فيما بعد إلا أنها كانت كلتني
كثيراً بالهامها إياي عن الاجتهاد في تخلص ما خلصته من المركب

في ١٧ حر . صرفت ذلك النهار في طبع تلك الشفاهة وكان لحبها
عندي في ذلك الوقت ألد واشمى اللحم التي أكلتها في حياتي لأنه لم يكن لي
لحم أكلك في تلك الجزيرة العنيفة إلا لحم المعزى والطيور . وقد وجدت في
جوف تلك الشفاهة سبعة بيضة

في ١٨ حر . امطرت النهار كله فلم اخرج من منزلي . فحسنت بالبرد
وشعرت بشعريرة وكنت احب ذلك من الأمور غير النادرة في ذلك
الطول

في ١٩ حر . شعرت برض شديد وارتجفت كما لو كانت الهواء بارداً
جداً

في ٢٠ حر . لم اتمرح الليل كله وشعرت بالمر شديد في راسي وحتى
في جسي

في ٢١ حر . اشتد مرضي وخلفت خوفاً شديداً من ان امرض مرضاً
ثقيلاً وليس عندي من يندمني . فصليت الى الله وكان ذلك اول مرة بعد
ذلك النوم في نواحي مول . إلا أنني لم اعلم جداً ماذا قلت ولا لماذا قلت ما
قلته لأن علي كان مضطرباً وأفكاري معرصة

في ٢٢ حر . شعرت بشيء من الراحة إلا أنني كنت خائفاً جداً من ان
يشدد مرضي

في ٢٣ حر . راجعت المرض أي البرد والارتجاف والوجع الشديد
في راسي

في ٢٤ حر . شعرت براحة من المرض

في ٢٥ حر . حصل لي تنوير شديد جداً استمرّ سبع ساعات . فاني بردت

ثم حمت ثم عرفت قليلاً

في ٢٦ حر . فارقي الدور واذا لم يكن عدي طعام اقات به خرجت
يارودني وكنت اشعر بضعف في جسي وركتي . فاصطدت عنزة وابت
ها الى المنزل وذلك بصعوبة فتدويت قليلاً من لحمها واكلته . وكان
احب الي ان اساق اللحم واعمل منه مرقاة الا انه لم يكن عدي قدر او
طبخة

في ٢٧ حر . اصافني دور قوي فالت في سريري النهار كله من دون
اكل ولا شرب . وكنت اهلك من شدة العطش لانه لم يكن عدي ماء ولا كان
لي قوة على السعي في جلب الماء . فصليت الى الله ولكن اذ كنت اشعر بجفنة
وطبانة في راسي لم اكن اعلم ماذا اقول بل كنت اصرخ وانا منطرح على ظهري
قائلاً يا رب انظر الي يا رب نعمت علي يا رب ارحمني . واظن اني توت
ساعتين او ثلاثاً لا افعل شيئاً الا الصراخ على ملا المتوال . وكنت شديد
الجهل في امور الديانة والصلاة . ثم اخذ الدور بفارقي فتمت حبس ولم
اتبه الا بعد الغروب بة طويلة . فلما انتهت شعرت براحة الا اني كنت
ضعيفاً وعطشان جداً واذا لم يكن عدي ماء في المنزل لم يكن لي ميل الا
الصبر والتجمل فاضطجعت الى الصباح . ثم تم ايضا وبينما كنت نائماً رأيت
حلماً مخوفاً تراهي لي كافي جالس على الارض خارج سور مدني حيث كنت
جالساً عند هبوب الريح عند الزلزلة واذا انسان قد انحد من حجاب سوداء
كثيفة في لمب ساطع حتى وصل الى الارض وكان كله مبراً كلوب نار حتى
كنت لا اطيق ان انظر اليه الا بصعوبة . وكانت منظر وجهه مهيباً جداً
لا توجد كلمات لوصفه . فلما داس الارض برجله تراهي لي كأنها ارتعدت
مرتجئة كما فعلت عند الزلزلة . وحسنت اري الجوع كله ملووا شهب نار .
وان ذلك الانسان اخذ بيدي فحوي ويد رح طويل قد اشرعه كأنه فاصد
قنلي . فلما وصل الى موضع مرتفع بالقرب مني كلمني او بالبحري سمعت صوتاً
عائلاً لا توصف فظاعته . وكل ما اقدر ان اقول ان ما فهمته منه هو قوله اذ

كانت كل هذه الامور لم تقبل بك الى التوبة قد استوجبت الموت لا محالة .
وعند قوله ذلك تراهي لي كأنه رفع رعدة واراد ان يطعنني يو . ولا استطيع ان
اصف ما حاق بي من الاموال عند ما حلت ذلك الحلم ولا ما بي في نفسي من
النائر عند ما انتهت ورأيت انه لم يكن الا حلا

وكت و اسفاه عاربا بالكلية من معرفة الدبابة . وما كنت قد تعلمته في
صغري من ابي الصالح كان قد فندني بواسطة ارتكابي من ثمانين سنين
شرورا متواصلة ما من عادة الهجرة ارتكابه وبواسطة معاشرتي من دوت
انقطاع اقواما اردياء وسفاه جدا نظيري ولا اظن انه خطر بيالي في كل
تلك المدة شوب . يحلني على النظر الى فوق نحو الله او الى داخل نحو
حواسي للتأمل في طريقي . بل كان قلبي قد صار قاسيا مفرقا ونفسي ميتة فلم
اكن ارغب في شيء صالح . ولا اشعر بشيء ما اعلم فكنت تمام كما يكون انسى
واجمل واردا رجل من عامة توفيقنا . ولم اكن اشعر بخوف الله وقت الخطر
ولا بشكره وقت النجاة

وما لا يصعب على فارسي قصي تصديقه هو انه لم يخطر بيالي قط ان
شيئا من المصائب المتنوعة التي اعترفتي هو من قبل الله او هو فماص عادل
لاجل خطاياي وعصبياني على ابي وارنكابي معاصي كثيرة ضد تعالى . واذ كنت
في سري الخطر على شطوط افرقية المنفرة لم يكن يخطر بيالي شيء من جهة
ما يصيبني ولا كانت لي ارادة ان اطالب من الله ان يرشدني انت اذهب او
يحفظني مما كان محوطا في من الخطر من الوحوش الكاسرة والثوم البرابرة
ولا كنت افكر بالله ولا بعنايف بل كنت اعيش كحوران غير ناطق نائبا اموا
الطبيعة وارشادات العفل الغريزي فقط . حتى اني قد خالفت هذه ايضا مرات
كثيرة . ولما انفذني الرئيس البرنوغي وقلبي في مركب واحسن معاملتي
ونصرف نحو بالانصاف والكرم والحيمة لم اشعر بادني شكر في قلبي . وكذلك
لما انكسر في المركب واشكت ان اهلك غرقا على حدود هذه الجزيرة لم يكن

ضميري ولا اعتبرت ذلك نظراً قصاص بل إنما كنت أقول في نفسي إني
كسب نعيم قد ولدت لكي أكون دائماً شفيهاً

على أنني لما وصلت إلى البر في هذه الجزيرة ورأيت أن جميع نوطيننا قد
غرفوا ونجموت أنا وحدي اعتداني ذهول وحركات حيور لا توصف . فإني
ساعدني نعمة الله كانت تلك الحركات ربما سافنتني إلى تقديم شكر خفيف
الأنها انتهت حيث ابتدأت اعني في فرح اعتيادي وفي . أي إني فرحت
ببالمحب حياً وأكدي لم الفت بالكلية نحو جودة اليد التي خلصتني وأخبرتني
لنجاه دون جميع رفاتي ولا نظرت إلى السبب الذي لأجله عاملتني العناية
الصلواتية بهذا المنقار من اللطف والرحمة وكان ما حصل لي من الفرح نظائر
ما يحصل عادة من ذلك للجزيرة عند نجاةهم من العرق ووصولهم إلى بر الأمان
فإنهم يعرفون ذلك جميعاً في أول كأس شراب يتناولونه ويسرونه حالاً بعد
زوال سبب . ومكلاً حسانت بنه حياتي . ثم لما شعرت في ما بعد بالحالة التي
كنت فيها أي كيف التفت في ذلك الموضع الرديء البعيد عن البشر حيث
لا يوجد باب أمل في الفرج والنجاة فلما لاح لي باب أمل في الحياة وفي إني
لا أموت جوعاً فارقتني كل حاسبات المخزن وأعدأت أشعر بالراحة وانعاطي
باجتهاد الأعمال الضرورية لوفائي وحياتي . وكنت بعيداً جداً عن الشعور
بالمخزن من جرى حالي باعتبار كونها قضاء من السماء أو كونها علامة لغضب
الله علي . فإن هذه الأمور فلما كانت تخطر ببالني

وقد ذكرت آنفاً في جزئالي كيف أن التأثير الذي حدث في نفسي عند ما
رأيت ذلك الزرع نابهاً وكيف كنت أشجع مثلاً عند الافتكارية أنا وجد
هناك بالعجوبة لاجلي . وكيف أنه لما ذهب من عقلي هذا الفكر ذهب معه كل
ذلك التأثير حتى أن الزلزلة نفسها التي لا يمكن وجود أهل منها طبعاً ولا أدل منها
على قوة الله غير المنظورة التي وحدها فادرة على أعمال باهرة كمن زال ما
أحدثته في من التأثير مع زوال حاسبات الخوف منها . ولم أكن أشعر بوجود

الله ولا باحكام ولا بان ما اصابني من القوارب والهن كان بامر اكثر مما
كنت اشعر بذلك لو كنت في احسن حال واعظمها نجاحاً . واما الآن فاذا
قد اعتراني مرض وحصلت لي فرصة للنظر الى شفاء الموت وغصه وكجئت
عواطفي الجماعية من جرى اقل المرض وضعفت طبعي من جرى شدة الحسنى
ابتداً ضميري بشبه من رفاده المستطيل واخذت ابكت نفسي موجهاً ايها على
سلوكي الماضي الذي اغضبت به عدل الله بواسطة رداً في الممرطة حتى الثاني
نمت ضربات خارقة للعادة وعاملني بهذا المنذار من الصرامة انشاماً في هذه
الأمالات ضابقتني في اليوم الثاني والثالث من مرضي . واذ كنت في ضيقة من
الحسنى ومن تفرعات ضميري اخذت انلنظ بكلمات كأنها صلاة الى الله . ولا
اقدر ان اقول ان تلك الصلاة كانت ناتجة عن رغبة او مصحوبة برجاء بل
انما كانت بالحمري اصواتاً ناتجة عن خوف صرف وضيقة محضة . وكانت
افكاري معرسة مرتبكة والشعور بشر الخطية وقبحاتها نقولاً علي . وكان
الرعب من الموت في تلك الحالة القبيصة يجعل الاجرة تنصاعد الى راسي .
واذ كنت في تلك الحالة المكربة كنت لا اعلم ماذا ينطق بلساني . وكأني
كنت اصرخ هكذا يا ربني ما اعظم شقاوتي . انا اصابني مرض ثقل اموت
لا محالة لعدم وجود من يخدمني ومن يعتني بي . وماذا يصيبي حينئذ . وعند
ذلك اخذت الدموع تطل مخدرة على خدي . فاقمت من صامتة لا استطع
ان اتكلم . وفي تلك الاثناء خطرت بيالي نصيحة الى الصالحة ونبوءة التي ذكرتها
في اول هذه القصة وهي اني اذا بقيت مصراً على عزمي فان الله لا يبارك علي وابنه
سيكون لي فرصة في ما بآتي لان اذكرك اني قد عاينت مشورتهم ولا يكون من
يساعدني في النجاة . وعند ذلك قلت بصوت عال ان كلمات ابي قد تمت
وقد ادركني عدل الله وليس من يساعدني ولا يسمع صراخي . فاني قد رفضت
صوت العناية التي وضعتني برحمة في مركز كان يمكنني فيه ان اكون سعيداً
مرتاحاً الا انني لم اشأ ان ارى ذلك ولا ان اعلم من والدي معرفة بركاته . فقد

تركها لكي انوح على حائتي فتركت لكي انوح تحت شاطئها . وقد رفضت
مساعدتها وموازرتها مع انه كان لها قدرة وإرادة ان يلقا نظرها علي في العالم
وبسبب الاموري . واما الآن فان امامي صعوبات أتكيد ما هو فوق طائفة
الطبيعة نفسها وليس لي مساعدة ولا تعزية ولا مشورة . وعند ذلك صرخت
قائلاً يا رب كن لي عوناً فاني في ضيقة عظيمة فهك في الصلاة الاولى التي صليت
في مئة سنين كثيرة اذا كان يحق لي ان ادعوها صلاة

شعر

في الدنيا تقول بل فيها حذار حذار من بطشي وفشي
فلا يفرركم مني ابصار فتولي مضحك والفعل مبكي

الفصل العاشر

تابع جرنال روبنصن كروزي

في ٢٨ حر . استرحت قليلاً بواسطة النوم وفارقت الدور منقطعاً عني
بالكلية فتمضت صباحاً من فراشي . ومع ان ما اعتراني من الخوف والرعب
بسبب ذلك الحلم كان عظيماً جداً كنت احسب ان الدور س يرجع في اليوم
التالي ولما اخذت في تلك الفترة ادتراباً اربط به مزاجي واستد به فلي
وقت الدور . واول شيء عملته هو اني ملأت زجاجة مربعة ماء ووضعتها على
طاوطني بجانب سريري وقد مزجت ذلك الماء بقليل من الروم دفعا لروبوته .
ثم اتيت بقطعة من لحم المعزى وهو ينها على الجمر الا اني لم آكل منها الا قليلاً

جدا . وكنت انشئ غير اني كنت ضعيف الجسم جدا وكان قلبي موحيا غما
وما وكابة من جرى حالي الشبهة وخوفي من رجوع الدور في اليوم التالي .
واذا قبل المساء اخذت ثلاث بيضات من بيضات تلك السلحفات وشويها
في الرماد الحار واكلتها فشرها عنده لتلك الليلة . وعلى ما اذكر ان تلك
هي اول لقمة من الطعام طلبت قبلها بركة الله في كل حياتي . وبعد الشاة
حاولت المشي الا اني كنت اذعر بضعف شديد حتى كنت لا اقدر ان احمل
البارودة التي لم اكن اخرج بدونها الا عن عجز . ولم اشعر الا مسافة قصيرة
حتى اعيتت فجلست على الارض مقابل النهر واخذت انامل في ركان جهنم
هادئا راتما او كما يقال غلبة . وجمعا كنت جالسا هناك جالت في خاطري
افكار وهي ما هي من الارض ومما النهر الذين رأيتها مرارا كثيرة في
حياتي . ومن اين انيا او كيف وجنا . وماذا انا وباني الخلائق الناطقة
والغير الناطقة ومن امت نحن . لا شك اننا جميعنا خلائق قد صنعتنا قوة
لا تدرك وهي التي خانت الارض والنهر والماء والملك . وما هي تلك القوة .
فتضح من ذلك بالضرورة ان الله هو الذي صنع الجميع . ثم خطر لي انه اذ
كان الله قد خلق كل هذه الاشياء لا بد من ان يكون هو الذي يدبرها ويعني
بها وبما فيها . ومن ثم لا يمكن حدوث شيء في دائرة اعماله العظيمة من دون
علمه وقضائه وامره .

واذا كان لا يحدث شيء من دون علمه تعالى لا بد ان يعلم بالي انا موجود
هنا وباني في هذه الحالة الموهلة . واذا كان لا يحدث شيء من دون امره
وقضائه لا بد من انه يكون قد قضى بوقوع ذلك علي . ولم يعرض لخاطري
شيء ينقض هذه القضايا . ومن ثم ربح في ذهني ان الله قد قضى بوقوع تلك
الامور علي والتي لم اصل الي تلك الحالة السعيدة الا بامره لانه هو المسيطر علي
وعلي كل ما يحدث في العالم وعند ذلك خطر بيالي هذا السؤال وهو لماذا
يفعل الله في مكنا وماذا فعلت حتى استوجب المعاناة منه علي هذا السؤال .

ولكن ضميري ويخفي على هذا الفكر كافي قد جئت . ونراي لي كافي كنت
اسمع صوت الضمير يقول يا بني ايقظ لمن كان مثلك ان يسأل قائلًا ماذا
فعلت . انظر الى سبيلك الماضية التي صرفتها في الخطايا والاماضي ثم اسأل
نفسك ما هو الشيء الذي لم تفعله . اسأل لماذا لم تفعل منذ زمان مديد .
ولماذا لم تفرق في موافى بمرث . ولماذا لم تفعل في الحرب عندما انتار
مركب على المركب الذي كنت فيه . ولماذا لم تفعلك الوحوش البرية
على شطوط افريقية . ولماذا لم تفرق هنا عندما غرق جميع ما في المركب
ونجوت انت وحدك . ايقظ لك ان تسأل ماذا علمت . فلما تصورت جميع هذه
الامور امام عيني عني ذهبت واكملت فمها ولم يكن لي ما اقوله او اجاب
يو نفسي . ثم نهضت من مكاني وانا متفكر حزين واشتيت راجعًا الى خلوتي
وصعدت على الدور ذاهبًا الى النوم . الا ان افكاري كانت مضطربة ولم يكن
لي ميل الى النوم ولذلك جلست على الكرسي واضأت سراجي لان الظلام كان
قد ابتدأ يحيم وجلست اتأمل في تلك الامور

واذ كنت مترعًا جدًا من جري احساسي من رجوع الدور خطر بيالي
ان اهالي البرازيل لا يستعملون دواء لأكثر امراضهم الا التبغ . وكان عندي
في احد الصناديق قليل من التبغ اليابس جيدًا وغلب من الاخضر . فعدت
الى ذلك الصندوق ولست اشك ان الله ارشدني اليه وذلك لاني وجدت فيه
علاجًا للنفس والجسد جميعًا . ولما فحنت وجدت فيه التبغ مطلوب . ووجدت
ايضًا نسخة الكتاب المقدس التي ذكرتها قبلًا ولم تحصل لي فرصة في ما مضى
لمنها ولا رغبة في قراءتها . فاخرجت تلك النسخة والتبغ واتيتهما الى
الطاولة ووضعتها عليهما . فاما التبغ فلم اكن اعلم كيف استعمله دواء لمرضي
ولا هل هو نافع لعائي او مضر لها . التي اخبرته على طريق شئ مؤتملاً ان
اصيب في احدها . فوضعت اولًا قليلًا من الدقيق في في وجلت امضفة .
فكاد في اول الامر يحترق دماغي لانه كان اخضر وغويًا ولم اكن متعودًا عليه .

ثم اخذت قليلاً من التبغ ونفعتها نحو ساعة او ساعتين في قيلول من الروم
لكي اشربه عند النوم. ثم وضعت قليلاً من التبغ في كائون من نار الفحم ووضعت
أشقي فوق دخانها قريباً مني ولبثت على هذه الحالة بقدر احتيالي للحرارة والدخان
أي الى ان ضاق صدري واشتكت ان احترق. وكنت في أثناء هذه العمليات
الثلاث اتناول الكتاب المقدس وأقرأ فيه. إلا ان التبغ احدث في راسي
تأثيراً فلم بعد بمكاني ان أقرأ في ذلك الوقت. وانفني ان الكلمات الاولى التي
وقعت تحت نظري عند فني الكتاب كانت قوله تعالى أدعني في يوم حركت
فأنت ذلك وتجدني. وهذه الكلمات كانت تطاني جداً حالي فاحسنت عند
فراها بعض التأثير في نفسي إلا ان تأثيرها في ما بعد كان أشد وأعظم. وأما
قوله فأنت ذلك فانه بمكاني ان أقول انه كان لامي معنى له بالنظر الي. فان امر
إغاضي كان على قدر معرفتي وإدراكي للامور مستهزأ جداً وضرباً من
الطخال. فابتدأت أقول. هل بقدر الله ان يبتذلني من هذا الموضع وذلك كما قال
بنو اسرائيل بمخافة وكثير عند ما وعدهم الله فلم يأتوا هل بقدر الله ان يهب
مائة في البرية

وإذ مضى سنون كثيرة قبلما انتفخ لي باب اللام من هذا القيل كان هذا
الامر يفتني مراراً كثيرة ويوقعني في حالة الهأس. إلا ان تلك الكلمات
احدثت في تأثيراً عظيماً حتى الي كنت انامل فيها مراراً كثيرة. وإذ كانت
قد مضى جزء عظيم من الليل وكانت التبغ قد احدثت دواماً وحسراً في
رأسي عيب النعاس يعني فتركت سراجي موقداً في المغارة لعلني احتاج الى شيء
ليلاً وذهبت الى سريري. وقبلما اضطجعت لأنام فعلت شيئاً لم افعله قط سيق
جهاني كلها وهو اني ركعت على ركبتي وصليت الى الله طالباً منه العجز وعدم
نحوي وهو ان يبتذلني اذا دعوت في وقت ضيقني. وبعد ان فرغت من تلك
الصلاة الغير الكاملة شربت الروم الذي نفعت فيه التبغ وكانت قوتاً جداً
ولذا عا حزيناً حتى اني لم استطع ان ابتلع إلا ايسريرة عظيمة فلما فرغت من

شربوا اضطجبت . وعمال تصاعدت اجرة الروم الى راسب بعزم شديد
فانصرفتم في النوم وعلى ما لاح لي من ملاحظة الشمس التي لم اتبع من النوم
الا بعد الظهر ثلاث ساعات تقريبا . غير اني الى الآن اظن بانني كنت ذلك
النهار كثة مع ليلتي وقيمت نائما الى نحو الساعة الثالثة بعد الظهر من النهار
الذي يلي . والا فلا اعلم كيف اضعت يوما في حسابي لانام الاسبوع كما ظهر لي
ذلك بعد عدة سنين فلو كنت قد اضعت ذلك بواسطة اعادة العلامة لكان
يجب ان اكون قد اضعت اكثر من يوم . فاني متفق بانني قد اضعت يوما في
حسابي ولكن لا اعلم لي كيف كان ذلك . وكما كان الامر اقول اني شعرت
عند انبائي براحة عظيمة ونشاط وانسراح صدر وكنت اكثر قبولاً للاكل
واقوى من اليوم السابق . وما خلاص اقول ان الدور لم ياتي في اليوم التالي
بل كنت اتقدم مضى نحو الصحة . وكان ذلك اليوم التاسع والعشرين من شهر
حزيران

في ٢٠ مر . اذ لم يكن ذلك يوم دوري خرجت بارودي بجاري
عادني الا اني لم ابعث كثيرا عن متري حتى اضطدت طائرا او طائرين من
طيور البحر يشبهان البط ودجاجة ارض وانمت بها الى المنزل . الا اني كنت
ان آكل لحما فاكنت ايضا من بعض السمكة وذلك بالليل . ولما قبل الليل
تعبت الشبع في الروم كما فعلت قبلا وتناولت ذلك عند النوم الا انني لم امضع
الورق ولا تغيرت بالدخان . ظهر اني شعرت في اليوم التالي وهو اول يوم من
نور بمرور خفيف من البرد ولم اشعر براحة كاللوم الماضي

في ٢ نور . استعملت الطرق الثلاث من العلاج الطبي فاصابني دوار
كالمساق وكنت قد تناولت ضعف ما كنت تناولته قبلا

في ٣ نور . تركي الدور بالكلية الا اني لم ابرأ بالتمام الا بعد مضي عدة
اسبوع . وكنت كلما تقدمت نحو الصحة انا لم ابرأ كثيرا في هذه العبارة من الآية
المارة ذكرها قوله تعالى فان ذلك . اذ ان اسخالة نجاني كانت تؤثر كثيرا في

عقلي ونسئ كل باب للامل من هذا القبول . وبينما انا في هذه الحالة من اليأس خطر لي ان اتمر نجائي من المصيبة العظمى قد الماني عن النجاة التي حصلت عليها فاحذت اسأل نفسي قائلاً يا نفس اما نجوت بنوع عجيب من المرض الذي كان يخنك جداً . فهل اعبرت ذلك حق اعتباراً وعلمت ما يجب عليك . ان الله قد افذك واما انت فلم تجدي . اي لم تترى بان تلك نجاة ولا اديت الشكر لاجلها . وكيف يسوع لك ان تتظري او تطمي في نجاة اعظم منها . وان هذه التاملات احدثت في نفسي تأثيراً عميقاً فركعت للحال متصباً على ركني وشكرت الله بصوت عالٍ على شفائي من المرض

في ٤ توم . فتحت الكتاب المقدس وجعلت اقرأ باصغاء مبتدئاً في العهد الجديد . وفرضت على نفسي ان اصرف كل يوم من صباحاً ومساءً في القراءة ولم افرض على نفسي عدداً معيناً من الفصول بل تركت ذلك لرغبتي . وبعد ان واطيت ذلك مدة من الزمان احدثت رجاءاً كبيراً في الماضي تأثيراً عميقاً ثاباً في قلبي ونجذرت تأثيرات ذلك الحلم . وكانت كلمات ذلك الانسان وهي ان جميع هذه الامور لم تُقبل بك الى التوبة تتردد في قلبي وتؤثر في ضميري فاحذت اطلب الى الله بجرارة ان يتم عليّ بالتوبة . وبينما كنت اقرأ ذلك اليوم في الكتاب المقدس انتفت الى غرت بنوع عجيب على هذه الكلمات وهي قد رفع رئيساً ومخلصاً له عليّ التوبة وغفران الخطايا . ومن ساعتي اقيمت الكتاب الى الارض وركعت متصباً ورفعت يدي وعيني وقلبي نحو السماء كن خطت روحاً وصرخت بصوت عالٍ قائلاً يا يسوع ابن داود يا يسوع المرفوع رئيساً ومخلصاً اعطني التوبة وغفران الخطايا حسب وعدك . وتلك هي اول مرة فكنت ان اقول بحق اني صليت فيها في كل حياتي . وذلك لاني صليت حينئذ شاعراً بحالي وراجياً رجاءاً حقيقياً متيناً على كلام الله وصدق مواعد قبول صلاتي . وبكيت ان اقول اني صرت من ذلك

الوقت فصاعداً أرجو ان الله يصفي اليّ ويعفب لي
 فاخذت حينئذ افسر قوله تعالى ادعني فأستجيب لك ثموراً بخلاف عن
 تفهيري السابق . وذلك لاني لم أكن احسب قبلاً نجاة الأنجلي من تلك
 الحالة الموحنة التي كنت فيها . ومع اني لم أكن مفوداً في ذلك الموضع كانت
 تلك الجزيرة عندي جنة من اشنع العيون . ولكي تعلمت حينئذ فهم ذلك
 بمعنى آخر . فاني راجعت حيايى الماضية بكرامة عظيمة وظهرت خطاياي
 شنيعة وقطيعة جداً حتى اني لم أكن اطالب من الله إلا النجاة من ثقل الذنوب
 والخطايا التي كانت تنزع كل راحتي . ولم تكن وحدني شيئاً بالنظر الى ذلك
 حتى اني لم اصل لأتخذ منها ولا كنت احفل بها وقد ذكرت ذلك هنا لكي ابين
 لكل واقف على قصتي انه متى ادرك الامور على حتمها يجد النجاة من الخطية
 بركة اعظم جداً من النجاة من المصيبة بها كانت عظيمة فصارت حينئذ
 حالتي اسهل بالنظر الى عفتي إلا انها لم تكن افضل شئاً بالنظر الى طريقة
 معيشتي . واذ كانت افكاري بواحدة مواظبة قراءة الكتاب المقدس والصلاة
 الى الله فقه الى امور في في ذاتها افضل كنت اشعر في باطني بعمرة
 عظيمة لم أكن اشعر بشيء منها في ما مضى . وكذلك اذا رجعت صحتي
 وقولت كنت اسعى بنشاط في تدبير كل ما احتاج اليه وفي ترتيب حيايى
 بقدر استطاعتي

من ٤ الى ١٤ تموز . صرفت تلك الايام في التمشي من مكان الى
 مكان وبارودني يدي وكانت العافية تأتيني شيئاً قليلاً . وكان قد هزل
 جسدي وضعفت قوتي جداً . والعلاج الذي استعملته لمرض كان ينامو جداً
 وربما لم يقطع قط دوراً . ولا اريد ان اشير على احد ان يستعمله لذلك
 بناء على تلك التجربة وهو مع انه قطع الدور عني زادتني ضعفاً وهزالاً وكان
 على من يحدث ارتفاعاً ورعدة في عصي واطرافه . وقد تأكد لدي عند
 ذلك ان خروجي في اوقات المطر مضر جداً لصحتي وعلى الخصوص في

الامطار التي كانت مصحوبة بالانواء والذوايح الشديدة . واذ كانت الامطار
الحادثة في ايام الصحو مصحوبة غالباً بزوايح قوية ظهر لي انها اكثر خطراً
من الامطار التي تقع في شهري ايلول ونشرين الاول
وكان قد مضى علي في تلك الجزيرة المنفرة اكثر من عشرة اشهر
وكنتم احسب ان نجانب من تلك الحالة الموحشة هي ضرب من الحال .
وقد تأكدت من دون ادنى ريب انه لم يضع قط انسان قدمه على تلك
الاراضي . واذ كنت قد حصنت منزلي قصبيناً محكماً حسب زعمي مالت نفسي
مولاً قوياً الى الجولان في تلك الجزيرة والفحص عنها وقد يوجد فيها من
الحوانات والنباتات

في ١٥ تموز . ابتدأت ذلك النهار في اجساس الجزيرة بطريق
اخص . فطلعت اولاً في ذلك الوادي الذي يجري فيه ذلك النهر الذي
كنت قد خرجت بطوفي عند مصبو كما ذكرت قبلاً . وبعد ان ابتدئت فيه
مسافة نحو ميلين وجدت ان المدة لم يتجاوز تلك المسافة وان ذلك النهر لم
يكن الا جدولاً او ساقية ذات ماء بارد عذب واذ كان حينئذ فصل
الصيف كان المطر قليلاً في بعض المواضع ولم يكن هناك نبع . وكانت على
جانب تلك الساقية سهول مغطاة بالعشب وعلى اطراف تلك السهول
ما يلي الارض العالية التي على ما يظن لم تكن تنبت عليها المياه كثير من
نبات الصبغ بساق غليظة وقوي جداً . وكانت هناك نباتات اخر مختلفة لم
اعرف ما هي ولا ما في منافعها وخاصيتها . ولا بد من انها كانت ذات خاصيات
خاصة بها ولكن لم يكن ممكناً لي التوصل الى معرفتها . فاخذت افترس على
عرق الشريس الذي يعمل منه الخرد خيراً فلم اجده ومن جهة ما وجدته
هناك نباتات كبيرة من الصبر ما لم اكن اعرف قوته وكثير من قصب السكر
الا انه كان برتيا غير كامل لعدم الاعتناء به . وبعد ان اكتشفت هذه الاشياء
انتهيت راجعاً الى منزلي . وكنت اتأمل كيف يمكنني ان اتوصل الى معرفة

خاصية وصلاحية ما اكتشفته من النار والنباتات ولكن من دون نتيجة .
وبالاختصار اقول اني اذ كنت في برازيل لم اكن التفت الى ملاحظة ما حو لي
من الامور فكانت معرفتي في امر النباتات فاصرة وقليلة جداً حتى اني لم استند
مهما شئت عند وفوعي في تلك الضيقة

في ١٦ نوز . طلعت في الطريق نسي واعدت قليلاً أكثر من اليوم
الماضي فوجدت ان النهر والسهول حوله ابدأت تنقطع وصارت الانجار
هناك اكار من باقي الاماكن . وكانت هناك النار مختلفة وفواكه كثيرة
كالبطيخ والعنب . ورأيت كثيراً من رؤوس البطيخ مطرحة على الارض
وكثيراً من عناقيد العنب مدلى على رؤوس الانجار التي كانت الدوالي
معرشة عليها وكان العنب ناضجاً ولذيذاً جداً . فلما اكتشفت ذلك كنت
اطير فرحاً . الا اني كنت قد تعلمت بالاختبار ان لا آكل كثيراً من
العنب وذلك لاني كنت قد رأيت وانا على شطوط الجزائر ان الاكار من
اكل العنب كان سبب موت كثيرين من رجالنا الانكليز الذين كانوا
مأسورين هناك لانه ربما هم في امراض الاسهال والحميات . الا اني وجدت
طريقة حسنة لاستعمال العنب وهي ان اجفنه في الشمس وأذخروه كما
يذخر الزبيب اوفت الحاجة اذ كنت اعلم انه لا يضر في تلك الحالة بل يكون
غذاء فاحراً لذيذاً عند عدم وجود العنب

فلما اقبل الليل طلعت الى راس شجرة وغمت هناك متهماً . فصرقت
تلك الليلة في ذلك الموضع . وكانت اول ليلة بث فيها خارج منزلي . فلما
تبلغ الفجر قمت من النوم واخذت القدم في طريقي مضيقاً باستقامة نحو نقطة
الشمال حتى قطعتم مسافة اربعة اميال تقريباً كما ظهر لي من طول الوادي
وكان على جانبي من جهتي الشمال والجنوب سلسلة جبال وفي مهاجرة تلك
المسافة كانت ثغرة او فرجة بين جبلين كانت الاراضي عندها كأنها تتد
منحدرة نحو الغرب . وكان بالقرب من تلك الثغرة ينوع صغير من الماء

العذب خارج من لحف الجبل يجري نحو الجهة المتابلة أي نحو نقطة الشرق .
وكانت الأرض هناك مغطاة بالنباتات الخضراء الناضرة وذات منظر بهج
مفرح كأنها جنة صناعية في وسط فصل الربيع . فأخذت أنصبب مخدراً
في تلك البقاع البهجة وأجول فيها لأغص عن أحوالها . وكنت أشعر بلذة
سرية ناتجة من النظر إلى أن تلك الأماكن في بأسرها ملكي ونحت مطلق
تصرفي وإني أنا ملك . وولّي تلك البلاد بأجمعها وليس من يعارضني في التسلط
عليها ولا يبازعني فيها ولا في ما حوت من الخلائق والموجودات . ووجدت
هناك كثيراً من شجر النارجيل أي الجوز الهندي والبردقاف والليمون
والأنج . إلا أن أكثر تلك الأشجار كان برّياً ولم يكن عليه ثمر إلا القليل .
غير أني فطنت شيئاً من الليمون الحامض فكان لذيق الطعم وأفعاً الصحة . وقد
مزجت في ما بعد عصيره بماء بارد فصار بارداً مرطباً وكبير المنفعة . فصار
عندي حينئذ شغل كبير وهو قطف التواكه ونقلها إلى منزلي . فإني عزمتم
على أن أذخير من العنب والليمون الحامض ما يكفيني لفصل الشتاء الذي
كان قد صار على الأبواب . فجمعت من العنب والليمون صبراً صبراً في
أماكن مختلفة ثم انشغيت راجعاً إلى منزلي وقد أخذت معي قليلاً من كل صنف
نأويًا أن أرجع إلى هناك مرة أخرى بكيس أو عدل أو وعاء آخر ما
يمكن وجودة أو عملة أو ثقل ما بقي منها إلى بي . وصرفت في هذا السفر
ثلاثة أيام . فلما وصلت إلى منزلي كنت العنب قد تشقق وزرب مائة أشعة
لصحو وثقل ولم يبق إلا العائش فاصبح قليل الفائتة أو لافائتة به اصلاً . وأما
الليمون فإنه لم يتعطّل إلا أن ما أتيت به منه كان قليلاً

وفي اليوم التالي وهو التاسع عشر من شهر ثور رجعت إلى ذلك
الموضع وقد أخذت معي كومة من عملتها لأجل الأتيان بما كنت قد جمعت من
التواكه . فلما وصلت إلى المكان أخذني التعب إذ رأيت أن العنب الذي
كان عند قطيعهم لطيفاً ظريفاً قد تبدّد ونعصر ونجس بعضه إلى هنا

وبعضه الى هناك وأكمل كثير منه . فاستدلت من ذلك على انه يوجد
وحوش برية في تلك الجهات وانها في التي فعلت ذلك الا اني لم اعلم ماذا
كانت . فلما وجدت انه لا سبيل الى جمع ذلك العنب كوما ولا الى حملوه
في عدل او كس الى البيت من دون تعطيل وخسار فطمت منه كمية
كبيرة وعلقتها على اذيال الاشجار من خارج لاجل تبيسها هناك . واما النمل
الحامض فالي اخذت منه كل ما استطعت حمله

ثم بعد رجوعي هذه المرة الى منزلي اخذت انامل بلدة عظيمة في جودة
ذلك المكان وخصه وظرافة مركزه وعدم تسلط الزواجر عليه وكثرة المياه
والاشجار فيه . ولاح لي عند ذلك اني اخذت لنفسي مكانا للإقامة من اردن
الاماكن في الجزيرة فأخذت انامل في وجوب نقل مكبي والفتيش على موضع
حصين نظير المكان الذي كنت حاضرا فيه . وجال في خاطري التذول في
ذلك القسم الظريف المخصب من الجزيرة

فبينت من مستطيلة انامل في ذلك الامر وكنت كلما تذكرت محاسن
ذلك الموضع الجديد اريد غراما ورغبة في الانتقال اليه . غير اني لذي
مراجعة القضية في فكري وجدت انه لا ينبغي ان اتقل من ذلك الموضع مطلقا
لانه كان يحاسب البحر غراما يفتق لاجل خبرتي ان الحس الذي فذغني الى
هناك يهدف ايضا بعضا من المكودي الحظ الاقرباء الى ذلك الموضع بعينه .
ومع ان وقوع ذلك كان من الامور النادرة جدا حسبت عذري نفسي بين
تلك الاودية والاحراش في وسط الجزيرة ادخالا لما سلكنا في المني ومن شأو
ان يجعل ذلك الامر بالظن الي ليس نادرا فقط بل مستحولا ايضا . ولكن
لقد حيي لذلك المكان الجديد صرفت فهو كثيرا من الايام الياقوتية من شهر
تموز واخيرا فصبت هناك خيمة صغيرة احطتها عن بعد بسور حصين
مضاعف عال على طول قامتي . وكنت اقيم هناك بطلسمنا . ثلثين او ثلاث
ليال . وكنت اتصور الدور على سلم كما كنت افعل قبلا . فصار عندي

حشد بينان الواحد في الساحل والآخر في الجبل وقد صرفت في عمل ذلك بقية شهر غوز الى أوائل شهر آب

ولما فرغت من عمل المور وابتدأت اتنع ثمرة نهي حصلت امطار غزيرة حسني في منزلي الاول . وكانت خوتي هناك كالاولى من قطع من الفلوع محكمة منه الا انها لم تكن في لحف جبل بقيها من العواصف ولا كانت ورانها مغارة يكتفي ان امرب اليها وامنظل فيها عند ما تكون الامطار اقوى واشد من مالوف العادة

وفي اول آب فرغت من عمل تلك الحبة وابتدأت انبأ بهشي وفي اليوم الثالث من الشهر المذكور كان الغيب الذي علقته على الاشجار قد بهس جيداً وصار زيباً فالخرأ فارتدت من الاشجار . وقد اجمعت في ما علة لاني اولى انزل في ذلك الوقت لكنت الامطار التي حدثت بعد ذلك بنليل عطلة وكنت خسرت احسن صنف مما اعددت مونة للشتاء . وكان عندي من ذلك الغيب اليابس اكثر من مئة عنقود . ولم اتو من ازال ذلك ونقل اكثره الى منزلي حتى ابتدأت تمطر . ومن ذلك اليوم وهو اليوم الرابع عشر من شهر آب كانت غطر كل يوم من دون انقطاع الى اواسط شهر تشرين الاول . وكنت امك اوقانا داخل المنزل لا استطع ان اخرج منه الا ما كبرة متوالية وذلك لعدة الماطر

من ١٤ الى ٢٦ آب . حصلت لي في تلك الايام ضيقة من جنة الطعام لاني كنت محبوساً من هذه الامطار ولم اكن اخرج الى خارج خوفاً من ان انبل الا اني خرجت مرتين رغباً عني من شدة الجوع فصدت في المرة الاولى عنة وفي المرة الثانية وجدت حلقات كبيرة جداً فعميت منها وابسة وكانت ذلك في اليوم الرابع والعشرين من آب . وكنت قد رغبت ان اكل هكلاً . فمكنت احمل عنقود زيب صباحاً وقطعة من لحم الغزى او السلاحف عند

الظلم ويقتين أو ثلاثاً من بعض السلاحف ساء . وكنت آكل اللحم
مشروباً لأنه لعظم نفسي لم يكن عدي فيذر ولا مقلاة اسنار أو اقلاق فيها

وإذا كنت محبوساً هناك داخل خيمتي من جري كثرة المطر كنت اشتغل
كل يوم ساعتين أو ثلاثاً في توسيع مغارتي ولم ازل كذلك حتى وصلت الى
آخر الثلث من الجانب الواحد فانفتح هناك باب خارج السور كنت ادخل
واخرج منه . الا ان بالي كان مضطرباً من ذلك الباب الجديد فلم اكن انام
براحة وطهائنة كما كنت افعل قبلاً حين كنت داخل سور مسدود من كل
جهة مع اني لم أراه يوجد حتى يخشى لثاقه . لان اعظم ما كنت قد صادفته من
المخويات الى ذلك اليوم هو المعزى

في ٢٠ ايلول . وصلت الى ذلك اليوم الفعس الذي التفت فيه منذ سنة
على تلك الجزيرة . وقد جمعت العلامات او المخطوط التي خسرنا على ذلك
العمود المربع فبلغ مجموعها ثلاثاً وستين علامة اي يوماً . فصرفت ذلك
اليوم في الصوم والذل والرياسة الدينية . وخررت على الارض بوضوح
عميق وخضوع وخشوع معترفاً لله بخطايي ومقرراً بعدل حكمه عليّ وصلت
الي تعالى انت برحمتي اكراماً لبعوض المسح . ولم أذق شيئاً مدة اثني عشرة
ساعة اي الى المغرب . فلما غابت الشمس اكلت كعكة وفلهاً من الزبيب
ودعيت الى فراشي خائفاً ذلك التمار بالصلاة كما انتفضت وإذا كنت كما علمت
سابقاً قد ضيعت يوم الاحد فسميت ايام تلك السنة اسابيع وحررت كل
يوم سابع للاحد وكنت كما قدم القول قد ضيعت يوماً او يومين في
حصاني . ثم بعد ذلك بقليل قل جبري فاخذت اوقرة وانصهر على كتابة
اقم حوادث حياتي

وظهر لي حينئذ ان فصل الشتاء وفصل الصيف كانا متطابقين فعملت
كناية فصحها لاجل الاستغناء لها . الا ان كل ما فعلته بالاختصار لم يأتي

بالسهولة بل كلفني أنواعاً كثيرة. ومن انعم الامتحانات التي علمها في حياتي ما
سيأتي ذكره

ذكرت لك قبلاً امر منابل الشمبر والارز التي وجدتها وطلبت منها
كانت نابتة من ذاتها. وكان عدد منابل الرز نحو ثلاثين سنبلة ومنابل
الشمبر نحو عشرين. فظننت ان زرع ذلك بعد تلك الامطار كان امراً
جيداً لان الشمس كانت في جهة الجنوب ذاهبة عني. فاخذت رفشب
وكان من خشب كائنت وفلحت بقطعة ارض وقسمتها الى قسمين وزرعت
فيها البذار. وبينما كنت ازرع لاح لي ان لا ازرع كل البذار في ذلك الوقت
لاني لم اعلم ما هو الوقت الاصح للزراعة ومن ثم زرعت نحو ثلثي وزرعت
الثلث الآخر وكان نحو ملء قبضة من كل صنف. وكان عملي ملائماً
فرح عظيم لي في ما بعد لانه لم يبت شيء من كل ما زرعت في ذلك الوقت.
لان زرعته كان عند قدوم اشهر القبط فلم يقع على الارض مطر بعد الزرع
لا ياتي فيني مدفوناً تحت الارض الى فصل الشتاء القادم وبعد ذلك نبت
كأنه زرع حديثاً. فبين لي من ذلك ان الزرع لم يبت لعدم المطر.
فاخذت اغتش على ارض رطبة لاجل الامتحان ايضاً. فوجدت بقعة بين
الصفتين في جوار خيمتي الجديدة فاصطحمتها وزرعت فيها ما بقي عندي من البذار.
وكان ذلك في شهر شباط قبل الاعتدال الربيعي بقليل. واذا وقعت عليه
امطار اذار ونيسان نبت كله وكان نامياً جيداً فاتي بغلة حسنة جداً. ولكن
اذ كان البذار قليلاً وكنت لم ازرع كل ما عندي خوفاً من عدم طلوعه
كانت غلته قليلة اي نحو ربع متر من كل صنف. وبواسطة هذه الامتحانات
تعلمت جيداً صناعة الزراعة وعرفت اوقات الزرع وانه يمكن ان آكل
موسمين كل سنة

واذا كانت تلك الجنوب آخذة في الزيادة شيئاً فشيئاً اكتشفت شيئاً

استندت منه في ما بعد وان يكن في ذات زهداً . فانه حين انطلقت الاطراف
وامتفام الهواء وذلك بالقرب من شهر تشرين الثاني ذهبت لزيارة منزلي
المجديد في الجبل . وكنت قد غبت عنه عدة اشهر فوجدت مع ذلك كل ما
تركت على حاله . فان الحائط او السياج المضعف كان كما تركته من دون
تغير . وكانت الاعمدة التي قد قطعها من بعض الاشجار هناك وعمت منها
السياج قد عاثت وارسلت اغصانها طويلة كما ترسل شجرة صنّاف في السنة
الاولى بعد قطع رأسها . ولم اعلم ماذا كانت تلك الشجرة التي قطعتم منها
تلك الاعمدة . فاخذني الحجب من ذلك وسررت به جداً . فاخذت اربي
تلك الاشجار الصغيرة لكي تكون جميعها على هيئة واحدة . ومقدار واحد . ولم
يضي عليها الا ثلاث سنين حتى صارت اشجاراً كبيرة جميلة وطريقة جداً في
مظهرها واتخذت اغصانها بمرعة حتى غطت ذلك السياج وكان محيطه نحو
بلاطة وثلاثين ذراعاً وظللت عليه وعلى ما حوله حتى صار يمكن الانسان ان
يصرف كل ايام الصيف في ظلها . فتوبت عند ذلك على عمل سياج نظير هذا
على شكل نصف دائرة حول سورى اي حائط منزلي الاول وقد نعمت ذلك
فعلاً . فغرمت الاعمدة صدين على بعد نحو اثني عشر ذراعاً عن السور فثبتت
حالا فكانت سترًا ظليلاً لطيفاً وسياجاً حريزاً ظريفاً ثرياً منزلي ووقايته
ايضاً كما سترى في سياق هذه النصة

الفصل الحادي عشر

طواف روبنن كروزي في الجزيرة وعملة السلال

وبعد ان صرفت كل تلك المدة في الجزيرة ظهر لي ان نسبة فصول السنة فيها تختلف عن قسمتها في اوربا . فان ايام المطر والصحو كانت غالباً مكملاً . من اواسط شباط الى اواسط نيسان ايام مطر . وذلك لان الشمس تكون حينئذ في خط الاستواء او بالقرب منه . ومن اواسط نيسان الى اواسط آب ايام صحو . وذلك لان الشمس تكون حينئذ شمالي الخط . ومن اواسط آب الى اواسط تشرين الاول ايام مطر . وذلك لان الشمس تكون حينئذ قد رجعت الى الخط . ومن اواسط تشرين الاول الى اواسط شباط ايام صحو . وذلك لان الشمس تكون حينئذ جنوبي الخط غير ان ايام المطر والصحو كانت اوفاتاً اطول واوفاتاً اقصر بحسب الرياح . وما ذكرته من الغالب فيها

ووجدت بالاختبار عظم الضرر الناتج لصحفي من خروجي من منزلي في ايام الشتاء فاخذت اعتم في ايام الصحو في تدبير ما احتاج اليه حتى لا يضطر في الامر الى الخروج في ايام المطر فكنت اصرف ايام المطر داخل منزلي واتعاطى اعمالاً كثيرة نوافق المكان والزمان . وقد وجدت نفسي في احتياج الى امور كثيرة لا تنال الا بالكد ومواظبة العمل . وما شمرت بالاحتياج اليه السلال . فحاولت عمل سلة الا ان جميع ما يمكنني الحصول

عليو من الفضبان لهذا العمل كان صلاً غير طائع فكان اذا لم يثب او عكفت
 بكسر حالاً فلا يصلح للطلوب وكانت لي عادة في ايام صباه ان اقف امام
 دكان عامل سلال في بلدة ابي افرج عليو واسر بالظر الى عملي والاحظ
 جيداً كيف يصنع ذلك وكنت مراراً اساعدة في قديم الفضبان او معكمها حتى
 صارت لي بهذه الوسيلة معرفة تامة بهذه الصناعة ولم يكن ينقصني شيء الا المواد
 اللازمة لها. وبعد ذلك جال في خاطري ان فضبان تلك الشجرة التي قطعت
 منها تلك الاعمدة التي عاشت ربما كانت لينة طائفة بظفر فضبان الصنصاف
 وغيره ما نعمل منه السلال في انكسار. فعزمت على امتحان ذلك. فذهبت
 في اليوم التالي الى مندي في الجبل وقطعت منها بعضاً من الفضبان الرفيع
 فجاءت طين مرغوي ولذلك اثبت في اليوم التالي بناسي وقطعت ما يلزمي
 من تلك الفضبان وكانت كثيرة في ذلك الموضع ثم وضعت ما فطعته داخل
 دائري او سماحي لكي يذبل في الشمس. فلما ذبل وصار صالحاً للشغل
 ادخلته الى مغاري. فعملت من ذلك هناك حسب معرفتي هذه سلال لاجل
 حمل التراب او لاجل نقل البهاة اخر او وضعها فيها عند الانقضاء. وتلك
 السلال مع انها لم تكن لطيفة متينة كانت نافعة لي جداً ومن ثم كنت كلما عشت
 اعمل غيرها. وقد عملت سلالاً كثيرة عميقة فاصداً اخفائها لاجل وضع
 المحبوب فيها عند ما يكتمر ذلك عندي

فلما غلبت على هذه الصعوبة ونجحت في علي بعد صرف زمان طويل قيو
 اخذت انصر كيف اصنع شيتين اخريين كنت في احتياج شديد اليها فانه لم
 يكن عندي وعاء لوضع شيء سبال الا برميلان صغيران كانت فيهما روم
 وبعض فئالي من زجاج ودهانات اوضع الماء والارياح وما اشبه ذلك.
 ولم يكن عندي قدر لسلق ما اريد سلقه بل كان عندي مرجل كبير او خلتين
 خلصت من المركب الا انه لكبير لم يكن يصلح ليشق اللحم او عمل مرقو. ثم
 الشب في الآخر الذي كنت متفراً اليه هو فصبه او آلة لشرب الشب فعمل

استطع ان اصنع ذلك غور التي في ما بعد اخترعت آلة لذلك ايضا . فاشتملت
كل فصل الصور او الصبغ في غرس الصف الثاني من الاعددة وفي عمل
السلال . ثم عرض لي شغل اخذ من وقتي اكثر ما كان يمكن ان استغني
عنه من دون صعوبة

ذكرت قبلا ان كانت لي رغبة شديدة في التفرج على الجزيرة والجولان
فيها والتي سافرت في ذلك الوادي الى الموضع الذي بنيت فيه خيمتي حيث
كانت نقرة نطل على البحر من الجانب الآخر من الجزيرة . فعزمت هذه المرة
ان اتجاوز ذلك الموضع المدان اصل الى الشاطئ الذي على الجانب الآخر .
فصاوت بارودي وبلطة وكعبة واقرة من البارود والتخردق وزادنا من
البقساط والزبيب واخذت في طريقي اخذا الكلب معي فلما تجاوزت الوادي
الذي كانت خيمتي فيه كما تقدم القول اطلت مشرقا على البحر من جهة
الغرب واذا كان النلك رائقا جدا لمحت ارضا ولم اعلم هل كانت قارة او
جزيرة . الا انها كانت مرتفعة كثيرا ومعدة من الغرب الى غربي الجنوب على
بعد فاصلي مني واظن انها لم تكن بعيدة عن ذلك الموضع اقل من خمسة عشر
او عشرين فرسخا

فلم اعلم اي قسم من العالم كانت تلك الارض الا اني ظننت انها قسم من
بلاد اميركا وحكمت بعد المراقبة المدققة ان موقعها في الغرب من املاك
اسبانيا وان سكانها ربما كانوا جميعا من البرابرة والتي اذا ذهبت اليها اكون في
حالة اردأ من حالتي الحاضرة فسلطت كل اموري للعناية الالهية التي كنت قد
ابدأت حينئذ اقر بوجودها واعتقد انها تحول كل شيء للخير . وحيث
الواسطة كنت قلبي ولم اعد ازعج نفسي بالرغبة الفارغة في ان اكون في تلك
الارض . وعذا ذلك بعد ان تأملت جيدا في هذا الامر قلت لو كانت تلك
الارض في شطوط اسبانيا كنت لا محالة اريد في احد الاوقات المراكب تتجاوز
من هناك ذهابا وايابا والغالب انها شطوط بلاد البرابرة الواقعة بين بلاد

أصناما والبرازيل التي سكانها من ارباب البرابرة لا يهتم بأكلهم لحوم الناس
ويقتربون كل من وقع في ايدهم من بني البشر .

واذ كنت اسير رويداً رويداً متقدماً في طريقي وجدت ان ذلك
الجانب من الجزيرة اشرف من الجانب الذي اتخذته لي مسكناً . فان البقاع
منها كانت خربة مزينة بالازهار والاعشاب ومملوءة من الاجام والبطان
اللطيفة . ووجدت كثيراً من طير الدر او البغال فاشبهت ان اسك
واحداً منها واربعه واعلمته الحكم . بعد الشعب امسكت بيغلاً صغيراً وذلك الى
ضربة بعضاً فوقع الى الارض فلنظفته وانيت به الى منزلي الا انه لم يعلم الحكم
الا بعد عدة سنين . وقد علمت ان بنادقي باسمي فكان يفعل ذلك جهداً . ثم
حدث امر في ما بعد يستحق الذكر وان يكن في ذا وزهداً

فانشرح صدري وتسللت كثيراً بذلك المنزلة . وقد وجدت في
الاراضي المنخفضة طوائف من الازناب والشعالب الا انها تختلف قليلاً عما كنت
قد صادفتها فيها في اماكن اخرى فاصطدت شيقاً منها الا الى لم اتمكن ان
أكل لحومها وذلك لان لحوم المعزى واليام والسلاحف اغتني عنها . واذا
فكرنا الى حالة وعدد الآكلين فان ما لم يكن في كانت من الفخر الموائد تحتوي
على اصناف كثيرة من المأكول والنفقات من العنب وغيره . ومع ان حياشي
كانت تهتم في الغاية كان لي اسباب عظيمة لان احد الله واكون شكوراً .
لم اصل الى غاية الاحتياج في امر الثوب بل بالمعزى كانت كافياً ورائحة وانه
من الانباء الفاخرة ايضاً .

ولم اكن انقطع في هذا السفر على خط مستقيم اكثر من ميلين في اليوم بل
كنت اسير مراراً كثيرة عن الطريق ولارجع احياناً الى الراء لاجل الاكتشاف
حتى اني كنت اصل الى المبيت كلياً من التعب . وكنت في آخر السفر انام
في داس نخرة او على الارض وذلك بعد ان احضن نحي باعثة اركانها حولي

في الأرض أو امتددها من شجرة الى شجرة بحيث لا يستطيع وحش برّي ان يأتي
الي من دون ان استنظ

فلما وصلت الى الشاطئ نجيت من التي اخبرت نزولي في اريدافيم
من الجزيرة فان الشاطئ هناك كان مملوفاً من السلاحف بخلاف الموضع
الذي استوطنت فيه فاني لم اصادف فيه منها الا ثلاثاً وذلك في مدة سنة
واصف . وكان هناك طوائف كثيرة من الطيور المختلفة ما كنت قد رأيت
بعضاً منه قبلاً وكثير منها كان لحية جيداً لذلك الا انني لم اكن اعرف اسماء
اكثرها

وكان يمكنني ان اصطاد من تلك الطيور قدر ما اريد الا اني كنت
اوفر بارودي وخردفي . ومن ثم كنت اميل الى اصطاد عترة اذا تيسر لي
ذلك لان ذلك انفع لي . ومع انه يوجد هناك معزى كثيرة اكثر ما يوجد
على الجانب الآخر من الجزيرة حيث كنت نازلاً كان القرب منها صعباً جداً
لان الجزيرة في تلك الاطراف كانت سهلة مستوية فكانت المعزى ترافق
باوفر سرعة ما لو كنت على تل او صخر اعلى منها لما عطفه قبلاً

ولا افدر ان انكر ان تلك الجهة من الجزيرة احسن واشرح من جهتي
الا انه لم يكن لي ادنى ميل الى الانتقال اليها وذلك لاني كنت قد استوطنت
في منزلي وصرت اميل اليه طبعاً حتى كنت اتمر في مدة سفره هذا كافي في
غربة بعيد عن وطني . فنقطعت بجانب البحر نحو الشرق مسافة اثني عشر
ميلاً وركبت عموداً كبيراً على الشاطئ نظير علامة وعزمت على الرجوع الى
منزلي وعلى اني في المرة الاخرى اسافر في الجهة الاخرى من الجزيرة اي شرقي
منزلي وادور حولها حتى اصل الى مركزي كما سألني جاني في مكانه

فرجعت من طريق غير الطريق التي ذهبت بها لاني حسبته الى افدر
بسهولة ان اظل ناظراً فصلاً كافياً من الجزيرة بحيث لا اضيع منزلي بواسطة

الجيولان فيها . ألا اني وجدت نفسي في غلط من هذا القيل لاني بعد ان قطعت
 في رجوعي مسافة مئتين او ثلاثة اميال وجدت نفسي قد ابتدأت انصب
 مغدراً في وادٍ كبير جداً محاط بجبال مغطاة بالاحراش حتى اني لم اعد
 اعرف ما في طريقي الا بواسطة الشمس وذلك لا دائماً بل فقط حينما كنت
 اعرف مركز الشمس في ذلك الوقت من النهار . واتفق لزيادة محمي ان
 الفلك كان مغبراً مدة ثلاثة او اربعة ايام وانا في ذلك الوادي . واذ كنت
 لا اري الشمس كنت دائماً موزعاً جداً حتى التزمت اخيراً ان اطلب العمود
 الذي ركزته على الشاطئ وارجع من نفس الطريق التي اتيت منها . فلما
 وصلت اليه اقبلت راجعاً الى منزلي فلما المسافة الى مراحل مئة لان
 الهواء كان حاراً جداً وكانت بارودي وزادي ولطفي وانهاه اخر ثقبه
 علي في الغابة

نعم

ولو كان ثم واحد لاثنين وكله ثم وثلاث وثالث

الفصل الثاني عشر

رجوع روبن من كروزي الى منزله ونجاحه
في امر الزراعة

ان كلي طارد في ذلك السفر جدياً صغيراً وقبض عليه . وكنت قد ركعت لاسكة فاسكنة وخلصت حيائه من الكلب . وكنت مائلاً جداً الى اخذو معي الى البيت لاني كنت مراراً كثيرة افكر ان القبط جديين ان اكثر واربعها واحصل هذه الواسطة على قطع من المعزى الالهية اسند عليه في امر عيالي متى غدا ما عندي من البارود والمخردق . فصنعت طوقاً لذلك الجدي الصغير وربطته من برس صمغ من خيطان لم اكن اطلق منها واقفدته ورائي وذلك بصعوبة الى ان وصلت به الى خبتي في الجبل وهناك زرته وتركته لئلا يعيقني في الطريق لاني كنت متفقاً جداً الى الوصول الى منزلي اذ كنت قد غبت عنه اكثر من شهر

ولا اقدر ان اصف كم حصل لي من الضرر عند ما وصلت الى منزلي القديم واضطجعت في سريري اي ارجوحني . وكان سفري او بالبحري نهي القصير من دون ان يكون لي منزلاً اقيم فيه فملاً عليّ جداً حتى ان منزلي وكنت ادعوه يعني كان عندي مسكناً خفيفاً ووطناً ثانياً بالنظر الى ذلك . وكان كل شيء فيه مريحاً لي قريب التناول حتى عرمت على اني لا ابعد عنه ابداً كبيراً ما دام نصبي البناء في تلك الجزيرة . فاقمت هناك اسبوعاً لكي استريح وانها يعيشني بعد سفري البطول .

وصرحت أكثر ذلك الأسير في أمرهم وهو عمل فنص ليغالي الذئب
 كان حينئذ قد صار أظلماً انهما يعرفني جيداً. ثم أخذت أفكر في ذلك
 المجدي المسكين الذي ذرته داخل دائري الصغيرة في الجبل فعزمت على
 الايمان بوالى البيت وإعلامه شيئاً هناك. فوجهت اليه فوجدته حيث تركته
 لأنه كان لا يستطيع الخروج وكانت قد غارب الموت جوعاً. فقطعت بعض
 اغصان من تلك الأشجار وطرحتها أمامه وبعد أن أكل رطبة كما فعلت قبلاً
 الآن كان قد ذل وهزل جداً من الجوع حتى لم يكن اقتضاه لربطه لأنه
 كان ينبغي مثل كلب. وإذا كنت أظلمة وإدلكه والأظلمة صار محباً ولطيفاً وإذا
 دالة عظيمة فصرت احبة كواحد من العائلة ولم يعد يشاء أن يفارقني بل
 كان دائماً ملاصقاً لي

وكان حينئذ وقت المطر في الفصل الخريفى قد انفل فصرفت اليوم
 الثلاثين من شهر ايلول باحتفال كما صرنا قبل لأنه هو اليوم الذي نزلت
 فيه الى البر وكان قد مضى على هناك ستان. ولم يكن لي حينئذ بالهياة
 أكثر ما كان لي في أول يوم وضعت فيه قدسي على تلك الجزيرة. فصرفت
 النهار كله في العبادة والذكر لله على البركات الكبيرة العجيبة التي كانت
 وحدي محروقة بها والتي لولاهما لكنت في حالة أشقى وأعمس جداً. وقد كنت الشكر
 القلي لله لأنه أرفقني أن يكشف لي أولاً أنني لم يمكن أن أكون أكثر سعادة
 في تلك الحالة الموحشة مما أكون في عشرة الناس مجتمعاً لجميع ثلاث العالم.
 نالاً الله تعالى بقدر أن يعوض علي تماماً عن شائس حائلي الموحدة وعن عدم
 وجود الناس اعانهم بواسطة حضورهم معي وحلولهم في نفسي وعصبي
 ونفسي في وبواسطة قوتهم أباهي أن أكل على عابو في ملك الهياة وأرجو أن
 أكون معه الى الابد في الحياة الآتية

واندأت حينئذ أشعر بقوة أن عيشي في ذلك الوقت كانت مع ردها
 أكثر سعادة وغبطة من العيشة الرديئة الآتية المكروهة التي قضيتها في الأيام

الصائفة . فتغيرت حينئذ أحزاني وأفراحي وعواطفي وصارت للذاني الجديدة
تختلف اختلافًا تامًا عما كنت عند دخولي أولًا في تلك الجزيرة أو بالمحري
في السنين الماضية لاني عند ما كنت اجول سابقًا في الجزيرة كانت
الاضطراب من النظر الى حالي بدني بنفثة وبزنجني جدًا . واذ كنت
الفتت الى الاحراش والجبال والوعور التي التبت في وسطها كان قلبي يقبل
كأية ويكاد يحد من شدة الحزن وعلي الخصوص حين كنت اأمل كيف
كنت محبوبًا في برية موحشة وقد اغلقت علي ابواب النجاة وفلتت بافتقال
الوقوفاتوس الابدية حتى لم يكن لي باب امل في النرج والخلاص من تلك الحالة
العيسة . وكانت تلك الصورات تنور علي بنفثة في اوقات همدوي نظير
عاصفة ونور في نائرا شديدا . فكنت اصفق بيدي وايكي نظير طفل
صغير . وكانت تأمني احبًا داهية اباي وسط الشغل وتربط حالًا بدني
فانقف منهثًا واصرف ساعة او ساعتين محققًا نظري نحو الارض غائصًا في
بحار الفكر . وكان ذلك مضرًا لي في الغاية . ولو استطعت ان افرج كرلي
بواسطة ذرف الدموع او اطلاق عنان الحجابات بواسطة الذكلم لكانت نيران
كأني تحمد شينًا فشينًا وبزول غي وهي

الا اني اخذت حينئذ اشغل نفسي بافكار جديدة . وكنت الصبح كل يوم
كلام الله وانسب كل تعرياتي الى حالي . وحينما كنت ذات يوم صباحًا كثيرًا
جدًا فمحت الكتاب المقدس ولول آية وقعت تحت نظري كانت هذه الآية
وهي قوله تعالى اني لا اتركك ولا اخذلك . فجال في بالي حالًا ان تلك
الكلمات تنجيه نحوي والا فلماذا وقع نظري عليها في نفس الدفينة التي كنت
انذب فيها حالي كمتروك ومندول من الله والناس . فقلت عند ذلك في
نفسي اذا كانت الله لا يتركني فاذا تركني العالم بأسره لا ابالي ولكن اذا كان
لي العالم بأسره وحدثت رضى الله وركنة فان الخسارة تكون اعظم بغير
قياس

فاجدأت من ذلك الوقت افكر في نفسي انه يكفي ان اكون اكثر
 غبطة في تلك الحالة الموحنة المفردة ما اكون في حالة اخرى بها كانت .
 و بعد ذلك سميت بتقديم الشكر لله على اني اتي في ذلك الموضع . الا ان
 شيئاً لم اعلم ما هو حال حالاً دون ذلك فلم انجراً ان اطلب بكلمات
 الشكر . بل قلت لنفسي بكلمات مسجوعة كيف بكلمتك ان تكوني مرانة بهذا
 المنار وتظاهري بتقديم الشكر على حالة احب اليك ان تصلي بحرارة طالة
 ان تنفذي منها ما اجهدت في الارضاء بها . ومع انه لا يخفى لي ان اقول اني
 حمدت الله او شكرته على وجودي هناك بسوغ لي القول الي شكرته تعالى
 شكراً قلبياً على فقهو عوفي عنلي بواسطة اعمال عبادي وان تكن محنة بالظر
 الي - برقي الماضية والنوح على خطايي السالفة والرجوع الي تعالى بالقوة
 الصادقة . وكنت كذا فتمت الكتاب المقدس او اطيعنا احمد الله على الهامو
 صدقني في انكنا ان تضع ذلك الكتاب بين امتني وذلك من دون
 طلب مني وعلى مساعدتي اياي على تخلصي في ما خلصته من المركب

ففي هذه الحاسيات انقضت - في الثالثة . ولا اقل على الفاري بتفاصيل
 اخبار ما عملته في تلك السنة ولكنني اقول بالاجمال اني لم اكن اصرف الوقت
 البطالة الا نادراً بل كنت اقوم وفي بالمدرب على ما كانت امامي من
 الاشغال اليومية . فكنت اولاً اتم واجباتي لله واقرأ كلمة تعالى ثلاث مرات
 كل يوم . ثانياً كنت اخرج يارودي طلباً الصيد فاصرف ثلاث ساعات
 في ذلك كل يوم اذا لم يعني علة المطر . ثالثاً كنت اربب وأطبخ واقعد
 وأطبخ ما اصبته فاصرف في ذلك قسماً كبيراً من النهار . ولا يجب
 ان نغفل عن هذا الامر وهو اشتداد الحر هناك عند ما تكون الشمس في
 كبد الفلك في اواسط النهار ولذا لم اكن استطيع حرقه الخروج خارج مدني
 ومن ثم لم يكن لي استطاعة على الشغل بعد الظهر الا من اربع ساعات فقط .

على اني كنت في بعض الايام ابادل بين اوقات الصيد والشغل فاشغل قبل
الظهر واذهب الى الصيد بعد

وفضلاً عن قصر اوقات الشغل كانت اعمالى شعبة وصعبة المراس
جداً . فاني لعدم وجود آلات ومسمنين وثقله اختياري كنت اصرف ساعات
كثيرة في كل شيء اعمله وكان كل ذلك يذهب من وقتي . فاني مثلاً
صرفت اثنين واربعين يوماً كاملة في عمل لوح طويل جعلته رفاً في مغارقي
مع انه يمكن اثنين من النشارين ان ينشرا سنة الواح نظيرة من نفس الشجرة التي
نشرت منها في نصف نهار اذا كانت لها آلات معه لذلك . واما انا فاذا كان
مطلوب لوحاً عريضاً طويلاً اضطر في الامر ان اقطع شجرة كبيرة . فصرفت
ثلاثة ايام في قطع تلك الشجرة ويومين في قطع اعصانها حتى لم يبق منها الا
قائمة بذنها . ثم صرفت اياماً كثيرة في تغييرها وتخفيفها وترقيتها وقد فاسدت في
ذلك اعمالاً شاقة لا توصف . ثم صرفت مدة في جلائها وتنظيفها من جانبيها
وهكذا كنت اقلها من جانب الى آخر وانجرها حتى دقت ورفعت وصارت
لوحاً سمكة ثلاثة قراريط فقط . ولا يصعب على احد ان يتصوركم نصبت
بماي بهذا العمل المشعب الا اني بالاجتهاد والمواظبة بالصبر نمت هذا العمل
واعمالاً اخر كثيرة نظيرة . وقد ذكرت ذلك لكي ابين كيف صرفت اوقاتى
كثيرة على اشغال خفيفة وان ما يكون عملاً صغيراً مع الآلات والمساعدين
قد يكون عملاً كبيراً مع عدها . وان الاجتهاد والهدوء يعملان عجائب .
وسأظهر ما سبأني اني يواظطه هاتين المرتين عملت الياء كثيرة اي كل ما
احوجني اليه الى علم

وكت في تلك الايام في شهري تشرين الثاني وكانون الاول اتوقع حصاد
الشعير والرز ولم تكن الارض التي زرعتها من هذين الصنفين واسعة الدائرة .
لان ما كان عندي من البذار كان قليلاً كما سبق القول . فاني كنت قد
اصبحت موسماً كاملاً بسبب انزعاج في وقت النبط . ولكن موسمي حينئذ كان

جيداً إلا أنه كان في خطر من أعداء مختلفة كالمعزى وبعض حيوانات برية
كثرت اسمها أرايب . فإن تلك الحيوانات كانت لا تفارق مزروعاتي بل
كانت تقيم في وسطها نهاراً وليلاً وأما كانت تحب فيها من الحلاوة كانت
ترعاهما إلى أسفلها ولم تكن تدع لها وقتاً للتعب والانيان بالشر . فساه في ذلك
واضطرتني الأمر إلى عمل سياج حولها يحيط بها من كل جهة ويمنع تلك
الحيوانات من الدخول إليها فكلفت ذلك نهاراً جريلاً وعلى الخصوص لاني
علقة بالسرعة . وصرفت في عمل ذلك السياج ثلاثة أسابيع فقط لأن أرضي
المزروعة كانت قليلة على قدر بطاري . وكنت أرى بعض تلك الحيوانات بالرصاص
نهاراً دفعاً لاذيتها ولربط كني إلى عمود بجانب الباب ليجي مزروعاتي .
منها ليلاً . فكان ذلك المسكين يهي الليل كله واقفاً عند ذلك الباب يمنع
إعلى صوته ترويحاً لها . فلم يبق إلا مدة قصيرة حتى فارقت تلك الأعداء ذلك
الموضع فاخذت الزرع ينفو وبدرتك بسرعة .

وما صدفت أن خلصت من أذية تلك الحيوانات التي كانت تاكل
الزرع قبل إدراكه حتى اعتدت الطيور اليه وكادت تلتقه عند استراحه .
فاني بها كنت ذات يوم مجازاً من هناك لا تنفد أحواله رأيت طيوراً من
اجناس مختلفة معدة في كل جهة . فاطلقت عليها جازودتي التي لم أكن
أدعها تنافسني فطاررت للحال من وسط الزرع وما حوله طوائف كثيرة من
الطيور كادت تحجب أديم الشمس لكثرتها فدهشت من ذلك لاني لم أر
قبل المطلق إلا القليل منها . فعني ذلك جداً لاني رأيت أنه لا يضي إلا أيام
قليلة حتى تنفي تلك الطيور كل أمالي وغلتي فاصوت جوعاً . فخرت في أمري
ولم أعلم ماذا أعمل . إلا أني عزمت أن احتفظ غلتي ولو الجاني الحال
إلى حراسها ليلاً ونهاراً . فاخذت أجول بين تلك الزروع لأرى كم حصل
من الأذية فوجدت أن كثيراً منها قد تلفت إلا أنها إذ كانت لم

تذكر بعد كان المظلل غير باهظ وإن ما بقي إذا امكنت وفائدة يقع منه غلة وأمرة .

ثم وقفت جانباً ودككت بارودتي . وبعثا كنت راجعاً رأيت أن تلك اللصوص كانت واقفة على ما حول الموضع من الأشجار كأنها تنظر انصرافي من هناك . وحالما غبت عن نظرهما أخذت تنزل بالتتابع إلى الزرع فعاظني ذلك ولم استطع أن انصبر عنها إلى أن نزل كلها أو يأتي غيرها لاني علمت أن كل حبة تأكلها ستكون رغيفاً كبيراً في تاليها بل تقدمت إلى جانب الساج ورستها بالرصاص فاصبت ثلاثة منها فسرني ذلك جداً فعمدت إليها وعاملتها كما تعامل في أنكلترا اللصوص المشهورين أي عانتها بسلاسل على رأس خشية ركزتها في وسط الزرع لتكون زخماً وعبرة لغيرها . وكان تأثير ذلك ما يصعب تصديقه . فإن تلك الطيور لم تكف بائها لم تعد تأتي إلى الزرع بل اعتزلت هاجرة تلك الناحية من الجزيرة حتى أني لم أجد أرى طائراً في ذلك الموضع ولا في جواره في كل المدة التي كانت فيها تلك الحيوانات معانة هناك . ولا حاجة إلى بيان ما حصل عندي من الفرح بهذا الشرفين والحاج . وفي أواخر شهر كانون الأول وهو وقت الموسم الثاني في كل سنة حصلت مزروعاتي وذلك بعجل صنعاً حسب معرفتي من سيف عرض كنت قد خاضته من المركب لانه لم يكن عندي عجل يصلح لذلك . على أنه إذا كانت موسمي ذلك قليلاً لم أقاس صعوبة كبيرة في حصاده . وبالاختصار أقول اني حصلت حسب معرفتي ولم أقطع من الزرع إلا السابل . فوضعت تلك السابل في سبل كبير كان عندي ثم تقبعتها فاركها ايادها يدي . فلما فرغت من الحصاد والتفية وجدت أن غلتي من تلك الكمية القليلة من البهار كانت نحو مدين من الرز وأكثر من مدين ونصف من الشعير وذلك على سبل اثنين لانه لم يكن لي في ذلك الوقت مكبال أكليها .

الآن ذلك كان واسطة لتشطبي ونفوتة ألي . وأبت إلى مع الهادي

استطيع ان وفق الله ان احصل الكافي من الخبز . غير اني كنت مرتبكا في ذلك ايضا لاني لم اعلم كيف الخبز ذلك ولا كيف الخلة ولا كيف الخبز . واذ كانت تلك الصعوبات تقوي رغبتني في احرار كمية وافرة طلبا لزيادتها عزمت على اني لا اذوق شيئا من تلك الخلة بل احفظها جميعا بذرا للوعاء القليل وعلى ان ابذل جهدي واصرف اوقات الشغل في تلك الاثناء في تجميع هذا العمل العظيم وهو اني احصل الكافي من الحبوب والخبز

ومعني ان اقول بحق اني صرت حينئذ اكد واعرق لاجل خبري . وهو امر عجب لا يحظر بهال قليلين من الناس كم يلزم من الاشياء الصغيرة فمصول على هذا الصنف الواحد وهو الخبز . واذ كنت قد وصلت الى الحالة الطبيعية من هذا القليل كان النظر الى ذلك يضعف الي كل يوم كنت اشعر بصعوبة ذلك كل ساعة حتى بعد ان صار في حوزتي ملء راحة من البطار الذي سبق القول انه الى غنة ومن دون سعي ولا انتظار

قالة اولاً لم يكن عندي محراث اثنى في الارض ولا معول انفيها . الا اني استغثت عن ذلك بالرفق الخفيف كما تقدم القول غير ان ذلك كان صعب المراس قليل الفعل . ومع اني صرفت اباناً كثيرة في عمله لم يتم الا ما قصيرة لانه لم يكن مصحاً بالحديد . وفصلاً عن ذلك كان الشغل واصعب والعمل غير متفنن الا اني احصلت ذلك ورضيت ان اشغل بالاصبر واصبر على راحة الشغل . ولما بذرت البطار ولم يكن عندي آلة لغطيط الترس ان افطع غصناً ثيلاً من شجرة واجرة طوي لكي يفرق او يفتل طوي تراب فيغطيه . وقد ذكرت انما اني من حين زرعها الى ان ادرك اصبحت الى امور كثيرة لاجل تصويت وحراسه وحصاده وجمعه ونقله الى البيت ودرسه وتنقيته من التبن ووضعوه في محل امن . ثم اصبحت الى طاحون الخبز بها ومخل الخلة في وخيرة وملح لخبز ونور او فرف او صاج لخبز . الا اني استغثت عن ذلك جميعاً كما سأبين ذلك في مكانه . وكانت الحبوب نائمة لي جداً

وسبب تعزية لا توصف ولهذا لم أكن أبالي بما كان بكفني من الوقت والمشتقات
 مما لا غنى عنه ليلت المرغوب . ولا كان الوقت الذي كنت أصرفه في ذلك
 خسارة لي لاني اذ كنت قد قسمت الوقت كنت قد خصصت بذلك الاعمال
 حصتها في كل يوم . واذ كنت قد عزمتم على ان لا اعمل شيئاً من تلك
 المحبوب خيراً الى ان يصير عندي منها كمية وافرة فرغمت العنة الاشهر التالية
 لاختراع وعمل الآلات اللازمة لصنع الخبز

الفصل الثالث عشر

صنع روبنصن كروزي الخرف واختراعه آلات
 لعمل الخبز

فكان عليّ حينئذ ان اعد ما يكفي لزرع بلار فدان من الارض . وقبل
 الشروع في ذلك صرفت اسبوعاً علي الاقل في عمل ريفي . فلما فرغت من
 عمل الريف وجدته خشناً وثقيلاً جداً يقتضي الشغل ونعياً مضاعفاً . الا اني
 استظهرت على تلك الانعاب وزرعت بلاري في قطعتين كبيرتين مستويتين
 من الارض بقرب منزلي بقدر الامكان والصلاحية واثبت سياجاً جيداً يحيط
 بهما من كل جهة وقد قطعت جميع اخشاب ذلك السياج من الاشجار الناحية
 من الاوتاد التي غرزتها قبلاً عالماً بانها تعيش وكنت اعلم انه في مدة سنة من
 الزمان سيكون في سياج حي . ناهي لا يحتاج الا الى تعب قليل لاصلاحه . وقد
 صرفت في ذلك العمل ثلاثة اشهر كاملة . وذلك لان قسماً كبيراً من

الوقت كان في قتل الشتاء فلم يكن استطاع الخروج خارجاً . وإذا كان المطر
يعني من الخروج كنت اشغل في امور سباني بانها . وكنت دائماً انسلي عند
العمل بالكلام مع الرجال واعلموا الحكم . فعملت سريعاً معرفة اسماء وهو قول
ثم التفتت به بصوت عال . وذلك في الكلمة الاولى التي طرقت الذي في
الجزيرة من ثم هي غير في . فلم يكن ذلك اذا شغلي بل ساعداً في شغلي .
لانه كان عندي حينئذ شغل كبير كما سبق القول . فاني كنت قد صرفت
مدة طويلة انصر في عمل بعض آية خزفية كنت محتاجاً اليها ولكني لم اعلم
كيف السبل الى الوصول اليه . وإذا لاحظت شدة الحر في الجزيرة لم يكن
عندي شك اني اذا وجدت تراباً يصلح لعمل الخوف يعني ان اصنع منه وعاء
اذا خفف في الشمس يكون صلماً وقوياً يمكن حمله ووضع بعض اشياء ناشئة
فيه ما يقتضي الحال بغاية مكملاً . وإذا كانت ذلك ضرورياً لحفظ المحبوب
والطبيب وما اشبه ما كنت مهتماً في امره عرمت على عمل بعض اوعية كبيرة
بقدر الامكان توقف لظهور الخواص ونوعي ما يوعى فيها من الغلال

والعل الفاري يشفى او بالحري يصفك علي اذا اخبرته كم كانت منظر
ما عملت شيئاً عارياً من قنافة وظرافة وكم مرة كان يسقط الى داخل وكم الى
خارج لان التراب كان غير ناضف ولا قادر ان يجعل مثل نسو . وكم مرة
نفسخت تلك المواعين من شدة حرارة الشمس لانها عملت بسرعة زائدة . وكم
تكررت منها عند نقلها قبل نقيتها وبعد . وبالاختصار كيف اني بعد ان
انجبت في ايجاد التراب ونظفته وجلبته الى البيت ودعكته لم استطع ان اعلم
الاعوامين كبر بن شبعين لا التجار ان اسميها خاينين صارقاً نحو شهرين
في ما لجنها

وإذا جفت الشمس جيداً ذبكت الوعاء من نقلتها بالماقة ورفق الى
داخل ووضعها في سلين كبيرين عملتها لها لكي لا ينكسر . ثم اخذت فشا
من السمير والارز وحشوت حلقاً محكمات الفراغ الذي كان بين كلتيهما

وجوانب السل بحيث لا يفرّكان . ووضعها في مكان لا فصل اليورطوبه
ولا ماء قاصداً استعمالها نظير مخزن لوضع ما كنت انتظره من القلة او
الطين

ومع اني لم اترفق في عمل خواني كبيرة توفقت قليلاً في عمل اوعيه كبيرة
صغيرة تظهر ككسرات مدورة وبواطي والبارقي وفدور وما اشبه ذلك مما
امكنتي عمله . وجفنت تلك الاوعيه في الشمس حتى صارت صلبة جداً . الا
ان كل تلك الادوات لم تصلح لطلوي الاصل لانها لم تكن تضبط الاشياء السائلة
ولا تحتمل حرارة النار . وانفق اني بعد ذلك بمدة اشعلت ناراً كبيرة للطبخ فلما
فصدت اطلالها بعد ان فرغت منها وجدت فيها شفة فخار ما كنت قد
صنعت واذا بها قد شويت حتى صارت كحجر في صلابتها وكثرت في حرمتها .
فاخذتني الحسب وفرحت جداً حين رأيته وقالت في نفسي انه يمكن ان يشوي
الفخار اذاً وهو صحيح كما يشوي وهو شقف

فاخذت عند ذلك انبصر كيف ارتب النار لاجل شي بعض فدور .
ولم اكن اعرف شيئاً من ابر التنور او الاتون الذي يشوي فيه مصطنعون
الفخار فخارهم ولا طريقة طلي ذلك او تويبه . وقد كان عندي قليل من
الرصاص يصلح للطلوي . فاخذت ثلاث قدور كبيرة وكاسين او ثلاثاً وجعلتها
كومة واحدة متراكمة وجعلت حولها حطباً واصماً تحت كبة كبيرة من رماد
حار كانت بينه جمرات صغيرة من النار وبقيت اضع الحطب حول النار
وفوقها حتى رأيت التدور قد احترت كلها من الحرارة ولم تشفق ثم تركتها
ايضاً هناك في وسط النار نحو خمس او ست ساعات حتى اخذت واحدة
منها فذوب وتسلل الا انها لم تشفق . وذلك ان ما كان قد اخلط بالطين
والرمل ذاب من شدة الحرارة ولو داومت الايقاد كانت تحول الى زجاج .
فاخذت عند ذلك اخفب النار شيئاً فشيئاً فكان احمرار التدور يقل
بالدريج مع خمود النار . وقد سهرت الليل كله في ذلك العمل خوفاً من

ان محمد النار او تنطق دفعة واحدة . فلما اصبحت صار عندي ثلاث
قدور جيدة ولا افدر ان اقول طريقة وكاستان مشويان صليتان على قدر
المطلوب كانت احدها جيدة جداً ومهمة بواسطة ما ذاب من الرمل من
احدى القدور

وبهذه الوسطة تعلمت عمل الاواني الخزفية فكنت كلما احتجت الى شيء
منها اعمله من دون صعوبة . الا اني افرأ ان شكلها كان من دون نظام
ولا قانون لانه لم يكن عندي قالب ولا رسم لذلك بل كنت اعملها كما يعمل
ذلك الاولاد الصغار عندما يلعبون في الطين او كان يعمل الطائر امرأة لم
يكن فط . وليس فرح . اني زهدت كلما يوازي فرحي بخاسي في عمل قدر
لعمل النار . وما صدقت ان يردت تلك القدور حتى ركبت احدها على
النار واصفاً فيها ماء لاجل ملقى قطعة من لحم المعري . ولم يضي الا قليل
حتى سالت تلك القطعة جيداً وكانت مرقها ذات دسم ولذبة جداً . الا انها
كانت تحتاج الى بعض بهارات لكي تكون طبق مرغوب في طعام

ثم اخذت اهتم في تدبير حرن او هاون من حجر لاجل سحق بعض
الحبوب . لانه لم يكن لي امل في الوصول الى درجة كاملة من الصناعة بواسطة
زوج من الابادي لكي اعمل طاحوناً . وكنت في حيرة من جهة عمل الحرن .
لاني كنت فاصراً في صناعة نهر الحجارة كما كنت في باقي الصنائع ولم تكن لي
آلات لتعين بها . فصدفت اباماً كثيرة في التفتيش على حجر كبير انزله جرفاً
فلم اجد حجراً يصلح لذلك الا ما كان متصلاً بالصخر مما لم يكن لي سبل الى
قطعة منه . ورد على ذلك ان حفور الجيرة لم تكن صلبة بقدر المرغوب بل
كانت حبيبية رملية رخوة تنفت بسهولة ولا تحمل ثقل مدقة ثقيلة ولا تدق
فيها الحبوب من دون ان تهلك رملها . وبعد ان اضعت مدة في التفتيش عن
حجر عدلت عن ذلك واخذت انقش عن قطعة كبيرة من الخشب الصلب
لاني رايت ان الخشب يكون اسهل مرأياً . فوجدت قطعة كبيرة كنت بالكاد

أقدر أن أحركها لنفها فأخذت أدورها وانحمرها من خارج بواسطة الناس
واللطفة ثم نقرها بحوتاً أياها من داخل بواسطة النار كما يحرق الهنود في
البرازيل قوارهم . ثم عملت مدقة كبيرة نفولة من خشب صلب يعرف بخشب
الحديد . فلما انتهيت من عمل الحجر وضعت جانباً إلى أن يأتي وقت الحصاد
والغلة فأطحن فيه الحبوب لأجل عمل الخبز

ثم جعلت أهتم في أمر الخمل أو الغريال لأجل تمييز الدقيق من الخالة
والشعير لأنني لم يكن لي ميل إلى عمل الخبز من دون تلك الآلة . فكان عمل
ذلك والافتكار به من أصعب الأمور عندي . لأنه لم يكن لي حوزتي شيء
يشبه أو يتقارب ما يصطاع ذلك منه أي فاش رقيق ينفذ منه الدقيق .
فوقفت عند تلك المسئلة أشهراً كثيرة ولم أعلم ماذا عمل . فان ما كان من
الكتمان لم يبق منه إلا خرق بالية . وكان عندي دمر معزى الآتي لم يكن
نورياً ولا ابن نوري ولا عذير النور فلم تكن لي معرفة بسجوا ولا بقرله حتى
إني لو عرفت ذلك لم تكن لي آلات استقدمها لهاجنوا . ثم خطر ببالي أنه
كان عندي بيت ملابس البحرية التي خلاصتها من المركب بعض ربطات
للرقبة من الثياب أو الموصلة فصنعت من تلك الرباطات ثلاثة مناخل
صغيرة تصلح للخمل فأكتفيت بها عدة سنين وسأبين في ما يأتي ما فعلته
بعد ذلك

ثم حدثت أنبصر في كيفية عمل الخبز عند ما بصهر عندي طحين أو
بالبحري جريش . فإني أولاً لم يكن عندي خبيرة ولا كان لي أمل بوجود
ذلك ولهذا السبب لم أتعجب سري بدايو . وقد حرت في أمري من جهة
فرن أو شور الخبز فيه إلا أني كشفت أخيراً طريقاً يقيني عن ذلك . وذلك
إني صنعت بعض أدوات خزفية نظير معاجين واسعة فإيلة العمق كانت
قطرها نحو ذراع وعمقها نحو ثلثة فراريط . فشويت تلك الآنية في النار
كما فعلت قبلاً ثم وضعتها جانباً إلى حين الحاجة . فلما أردت أن أخبز في ما

بعد اشعلت ناراً كبيرة في موقدتي وكنت قد رصنتها مصحفاً ايهاا بنطح قمرند
 مربعة من شغلي غير انه لا ينبغي لي ان اتول لها مربعة . فلما صار الخطب
 حمراً بسطت الجمر فارشاً ايها في الموقدة حتى غطت جميعها وابقيت هناك حتى
 صارت الموقدة حامية جداً . ثم كسيت الجمر ووضعت رغبتي او ارغفتي
 مكانه على الثريد . ثم غطينها بوجاء من الاوعية الخرفية المذكورة ثم احطت
 ذلك الوعاء بحجر من الخارج حفظاً للحرارة وطلباً لزيادتها في الداخل وعلى
 هذا المثال كنت اخبر ارغفتي او بالحري ملائي الشعيرة على اكمل حال .
 وصرت بعد مدة من الزمان غباراً طليخاً ليس له نظير . وقد صنعت
 من الارز كثيراً من الكمك والبودينو الذي هو شج عظامي السارة عددا
 كالحصى عند عرب البادية ولكني لم اعمل مجتمعات لانه لم يكن لي ما احشوها
 و الا لحم المزي او لحم الطيور وذلك لا يمكن

ولا يجب ان الي صرفت اكثر ايها من السنة الثالثة في معالجة تلك
 الامور . ولا يجب ان يسي الي كنت في تلك الاثناء اشغل في تدبير علي
 الجديدة وعمل ارضي واصلاحها . وقد حدثت مزرعاتي في اوقاتها
 ورجعتها الي مزرعتي واذخرتها في سلاي الكبيرة التي هيأها لها الي ان حصلت
 لي فرصة لنفها وفركها بيدي لانه لم يكن لي يدور ادرسها عليه ولا يورج
 ادرسها و

ثم عزمت على تجميع عظامي لان علي كثرت وحصار عدي نحو عشرين
 مداً من السمير وقدر ذلك او اكثر من الرز وان اشغل كفاً في من
 الخبز لان ما كان عدي من الخبز العتيق كان قد نكد من مدة مستطيلة
 وعلى ان اعمل معدل فاطمني من الخبز في السنة وان لا ازرع الا مرة
 واحدة في كل عام . ولكي لا اطل الشرح اقول الي وجدت ان الاربعين مداً
 من السمير والارز تزيد عن فاطمني في سنة واحدة ولذلك عزمت على
 ان ازرع كل سنة قدر ما زرعت في السنة الاخيرة لان ما يتبع من ذلك

يكون كافياً لي لعمل الخبز والبودينو وما أشبه ذلك من الخالي والمخبجات

شعر

ضاق صدري وطال في طلب الرز في قباي وقل عنه قعودي
أبدأ أقطع البلاد ونجوي في نخوس وهي في سعود
والمني مؤمل بمض ما أبلغ باللطف من عزيز حمود

الفصل الرابع عشر

استعداد روبنصن كروزي لمناقرة الجزيرة

ولا حاجة الى القول اني مما كنت مشتغلاً في تلك المهمات كانت افكاري تشتغل اوقانا كثيرة في امر النوجه الى تلك الاراضي التي اشرفت عليها في ما كنت على الجانب الآخر من الجزيرة . وكانت لي رغبة وشوق شديد ان اكون على تلك الشطوط . وكان يلوح لي بعد اكتشافي تلك البلاد العامرة انه يمكنني ان اخضع طريقة للانتقال اليها ومباينة تلك الجزيرة المشهورة والحياة من ذلك العجب الردي

الا اني كنت في كل تلك المدة لا احسب الاخطار التي تكون علي هناك من البرابرة الذين هم اعداء من سباع افريقية وغور بها . وكنت قد سمعت مراراً ان سكان سواحل كاريبي غيلان ياكلون لحوم الناس . ولدي مطالعة الخارطة ظهر لي ان تلك الاراضي لم تكن بعيدة عن تلك السواحل . ومن ثم لاج

لي انه اذا لم ياكلني اهلها لا يبعد ان يقتلوني كما فعلوا رجالاً كثيرين من
الاوربيين الذين وقعوا في ايديهم وقد كانوا اوفياء عشرة او عشرين معاً .
فكيف يكون فعلهم في انا الوحيد . فاني لا اقدر ان اذاع عن نفسي الا
قليلاً او ربما لا تكون لي فرصة للدفاع بالكلية . فهذه الامور التي كان ينبغي
لي ان اعبرها حق الاعتبار كما فعلت فيها بعد لم تخطر ببالني قط ولا كنت
احسب منها بل كانت رأسي متلثاً من افكار التوصل الى ذلك البر
والوصول اليه

و كنت حينئذ اتفي ان يكون عدي غلامي كسار وذلك الكوثر الذي
سافرت فيه اكثر من الف ميل على شطوط افريقية . وكنت اناست متعزراً
على فقدما ولكن لم تكن لي فائدة من الاست على ما فات . وعند ذلك خطر
لي ان اذهب وانظر قارب المركب الذي كان البحر قد قذفه مسافة بعيدة
على الشاطئ في ذلك النوء المزل الذي عرفنا فيه . وكان لم يزل في الموضع
الذي دفع اليه اولاً تقريباً وكانت قوة الامواج والرياح قد قلبته الى جانب
مؤلف من الرمال الخشن والحصى وكان الا قليلاً اسفل الى فوق واعلاه الى
تحت الا انه لم يكن يجانبو ماء كما كان قبل . فلو كان لي من يساعدني في
اصلاحه وتزيله الى البحر لكان جاء طبع مرغوي وكنت رجعت فيه بسهولة
الى البرازيل . وكان يمكن ان اري انه لم تكن لي استطاعة على تحريك
وحدي اكثر مما كان لي استطاعة على تحريك الجزيرة التي كنت ملقى عليها .
على اني مع ذلك ذهبت الى الحرش وقطعت عدلاً واحافين ثم انشيت راجعاً
بها الى لاجرب قدرتي فيه . وكنت اقول في نفسي اني اذا قدرت على قلبه
ويسر لي اصلاح ما تعطل منه يصير قارباً جيداً اقدر ان اسافر فيه
حينئذ

فبذلك جهدي في ذلك العمل وصرفت في معالجته نحو شهر من
الزمان ولكن من دون ادنى فائدة . واذا وجدت انه لا يمكن تحريك ذلك

النار من مكان ولا قلبه اخذت احفر ما تحته من الرمل والحصى لكي يسقط
الى اسفل . ووضعت هناك قطعاً من الخشب لاجل دفعه باستقامة نحو الجهة
المقصودة . ولكنني مع ذلك لم استطع ان ازرحة ولا ان ادخل تحته
ولا ان ادفعه مقدماً نحو الماء فاضطر في الامر الى تركه والرجوع
عنه خائباً . ومع اني قطعت امل من ذلك النار لم تنقطع رغبتني في
الخروج من تلك الجزيرة مع تعذر الوسائط المبلغة الى ذلك المقصد بل
كانت تزيد

ثم اخذت افكاري تشغل في عمل قارب جديد او زورق من قطعة
واحدة نظير القوارب التي يصنعها اهل تلك البلاد من جذوع اشجار كبيرة .
وذلك من دون آلات وكان ينبغي ان اقول ومن دون ايادٍ ايضاً . وكان
ذلك يظن لي ممكناً وصيلاً . وكان مجرد الافكار بهذا الامر وبوجود آلات
كبيرة في حوزتي لهذا العمل ما لا وجود له عند الزوج او الهنود بل لا قلبي
مروراً واملاً . واما الصعوبات الخصوصية التي كانت علي ولم تكن على الهنود
وفي عدم وجود ابادي اسفل ذلك بعد تسميها الى البحر فذلك لم يخطر لي ببال .
مع انها اعظم من الصعوبات الناجمة من عدم وجود الآلات . لاني اذا كنت
بعد بذل الجهد في التفتيش عن شجرة تصلح لذلك ومناسبة الشعب الجزيل في
قطعها وتغييرها من خارج بواسطة الآتي القليلة الفاصرة على شكل قارب ثم
احراقها او حفرها من داخل لكي تكون مجوفة وصالحة لان تكون قارباً فماذا
استفيد اذا التزمت بعد كل هذه الاعباب ان اتركها حيث وجدتها وذلك
لعدم استطاعتي على تدبيرها وحدي الى البحر

فلو تصرفت بالحكمة ونظرت الى حالتي الضعيفة عند الانعام بعمل
النار لكان جال في خاطري لا محالة عدم اقتداري على تدبير وحدي الى
البحر . الا ان عقلي كان متصباً انصباً عظيماً على السر فكأنه كان لا يسمع
فكراً بخبرة . والحال ان تسير النار في البحر مسافة خمسة واربعين ميلاً

كان في الحديقة اسهل في ذاته من تسير مائة خمس واربعين فامة على
الارض لكي يصل من المكان الذي كان فيه الى موضع من البحر يوجد فيه ماء
فادرك على حمله

فاخذت اشغل في عمل القارب فظهر احق لا ينظر الا الى ما فعله .
وكنتم افرح بالنظر الى العمل من دون ان ننظر هل يمكن التوصل به الى
نيل الغاية المقصودة منه . فلما على ان صعوبة تنزيله الى البحر كانت تعظم مراراً
بيالي الا اني كنت لا اريد ان اتوسع في النظر فيها بل كنت ادفعها من عقلي
بهذا الجواب الاحق وهو اعمل يا صبي اولاً القارب فاني نمته فتمشي نظري في
امر تنزيله لانه لا بد من ان توجد طريقة لذلك

وكان ذلك حمانة في . ولكن منذ رغبت غلبت على عقلي فشرعت في
العمل وقطعت شجرة ارز كبيرة اظن ان سليمان نفسه لم يكن عند شجرة مثلها
لبناه المبكى في اورشليم . فان محطها كان خمس اقدام وعشرة قراريط . وكان
محيط رأسها حيث شرعت اغصانها خمس اقدام واحد عشر فبراطاً . وكان
طول ساقها عشرين قدماً . وقد كنتي قطعها انما لا توصف . فاني صرفت
عشرين يوماً في الضرب بالناس والحفر بالمقار على قاعدتها لاجل رميها
واربعة عشر يوماً في قطع اغصانها واعلمدها ورأسها . ثم صرفت بعد ذلك
شهرآ في تنجيمها وتصليلها على منه فارب بعم فائماً على الماء . ثم صرفت ثلاثة
اشهر في نر لها وتنظيف جوفها . وقد فعلت ذلك من دون نار بل
بواسطة المطرقة والمقار والخلد على التسب فصارت فارياً طريقاً لطيفاً يحمل
سنة وعشرين راكباً وبكفي لحمل وحمل كل ما عدي من الوثق

فلما انتهت من ذلك العمل سررت جداً . وكان ذلك القارب اكبر
قارب عمل قطعة واحدة ما رايته في حياتي الا انه كنتي انما جريه كما تقدم
القول ولم يبق علي الا تنزيله الى البحر . ولو بهر لي ذلك لكنت اخذت
في سفر من العس الاسفار واقامها املاً في النجاح والتوفيق . ولكن اعظم سعدي

ذهبت سدى جميع الوسائط التي استعملتها لتزبلو الى البحر وقد كنت في انحاء
لا توصف . فانه كان بعيداً عن الماء نحو مئة وخمس وثلاثين ذراعاً لا أكثر
من ذلك . ولكن الصعوبة كانت من جهة ان الارض التي بين يدي الخليلج
الذي قصدت تزبله اليه فانها كانت مرتفعة صاعدة فاضطر في الامر ان احذر
كاسطاً وجه الارض لكي تكون منخفضة مخدرة . فكابدت في ذلك مشقات
كثيرة الا اني لم ابال بها لان نجاحي كانت تجعلني انسى كل تعب يسول لي
الحصول عليها . فلما انتهيت من تصوية الارض طبق المرغوب رأيت ان
الصعوبة لم تنزل تقريباً كما كانت قبلاً . فاني لم اقدر ان ارحح او احرك ذلك
التراب من مكانه اكثر مما امكنت ان افعل ذلك بالتقارب الآخر النقي .
واذ وجدت نفسي عاجزاً عن اخذ التراب الى الماء عزمت على قياس
الارض وحفر ترعة او قناة عميقة واسعة لاجل جلب الماء اليه . ولكن قبل
الاخذ في هذا العمل حسبت كم ينبغي ان يكون عمق التربة وعرضها وكيف ينبغي
تفريقها من التراب وكم كان عدد الياضي التي عدي وكيف انه لم يكن عدي
الا يداي فوجدت ان ذلك العمل لا يتم في اقل من عشرين او اثني عشرة
سنة . لان ارض الشاطئ ربما كان ارتفاعها في اعلى جهاتها عشرين قدماً على
الاقبل . ومن ثم الجأني الحال ان اترك هذا العمل وان يكن ذلك ضد خاطري
وهي . فتعني ذلك جداً ورأيت حينئذ وان يكن ذلك متأخراً عظم
حاجة من يتدنى بعمل ولا يحسب كلفه أولاً ولا ينظر قبل الشروع فيه هل
له قدرة ان يكمله

واذ انا في وسط هذا العمل اكملت سني الرابعة في تلك الجزيرة
وقضيت عدي السنين في العبادة والتأمل كالسنة الماضية . لاني بواسطة
مواظبة درس كلمة الله والتأمل فيها وبتعمق تعالي اكتملت معرفة تختلف عن
معرفة السابقة . وكان نظري الى الاسماء يختلف عما مضى . فاني صرت انظر
الى العالم كشيء بعيد عني ليس لي معه عمل ولا انتظر منه شيئاً ولا رغبة لي فيه

وبالاختصار لم يكن لي الخلط به ولا كان يؤمل ذلك . وكان ينبغي لي
 كأن منظره كان حينئذ كما سيكون عند ما انظر اليه في ما بعد اي نظير
 مكان سكنت فيه ثم خرجت منه وكان يحق لي ان اقول له كما قال ايونا ارمي
 للرجل الغني بيني وبينك قوة عظيمة قد انتهت

فاني كنت هنا بعيداً عن جميع شروق العالم . فلم تكن لي شهوة الجسد
 ولا شهوة العيون ولا نعظم المعيشة . ولم يكن شيء أشبهه لانه كان لي حينئذ كل
 ما كان يمكن ان اتبع به . وكنت مملطاً على كل املاكي وكان يمكنني اذا حسن
 عهدي ان ادعو نفسي ملك او امبراطور تلك البلاد بأسرها لاني كنت
 مستقلاً في سياستها وادارتها ولم يكن من يراحمي فيها . ولا كان لي شريك في
 ملكي ولا من يمارضني في اوامري ونواهي . وكان يمكنني ان ازرع من الحبوب
 ما يخرج من سفات مراكب كثيرة من الفلال . ولكن لم يكن لي منها منفعة .
 ولهذا لم ازرع الا ما كان يلزمي لسد احتياجاتي . وكان هناك سلاح كثيرة
 فوق احتياجي واخذاب تكفي لعمل عمارة من المراكب وعجب بعمل من خمر
 وزبيب لتجهيز وسق اكامل تلك العمارة اذا اكملت

ولم تكن قيمة الا لما كان يمكن استعماله . فانه كان عدي كفاية للاكل
 وسد باقي الاحتياجات وماذا كانت قيمة ما زاد على ذلك عدي فلو كانت
 عدي اكثر ما يلزمي من اللحم مثلاً كان الكلب يأكله او كان يئن ويجوي .
 ولو زرعت قمحاً اكثر من فاطميتي لكان يتمطل لا محالة . وكانت الانجار
 التي قطعناها منطرحه على الارض يفرها اليموس وتبلى دائرة من الشمس
 والهواء والماء وليس من يسأل عنها . ولم يكن لي منها فائدة الا لاشغال النار
 وذلك لطبخ فقط

وبالاختصار اقول اني تعلمت بواسطة الملاحظة والاختبار ان جميع
 الاشياء المحسوسة في هذا العالم لا تفيدها الا على قدر ما تستعمله وتنتفع به منها .
 وان كل ما نجده له لكي نفيده الاخرين لا نستفيد منه الا بقدر ما نستعمله لنفده

حاجتنا وليس أكثر . ولو وجد في حالتي الجمل انسان في العالم لكان لا محالة
شي من رذيلة الجمل وصار كرمها . وذلك لانه كان لي أكثر جداً ما كان
يمكنني الانتفاع به . ولم يكن لي باب لان انشي شيئاً الا ما كان غير موجود
عندى . وكان ذلك بالنظر الى باقي الاشياء زهداً جداً . الا انه كان في
الحقيقة مع ذلك كبير الفائدة بالنظر الي . وكان عندي كما ذكرت صرة
فلوس من ذهب وفضة نحو خمسة آلاف غرش . ولكن تلك الصرة البضة
الدينية الهينة كانت محذوفة جانباً ولم يكن لها عندي ادنى مصلحة ولا فائدة .
وقد افكرت مراراً كثيرة انني كنت اعطي منها قبضة بدل حزمة من قصبات
الدخان او جاروش او رحي لظعن ما عندي المحبوب او اعطيها كلما بدل
ما يساوي عشر ارات من بزر الملفوف او الكرنب من زور انكلترا او
بدل حبة من العدى او الفول او بدل قبضة من الخبز . لانه لم يكن لي
منها باعتبار ذاتها ادنى منفعة او فائدة . بل كانت موضوعة في جرار وكان
قد علاها الدفن من رطوبة المغارة في ايام المطر حتى لو كان ذلك الجرار
ملوئاً من الماس لكان الحال كما ذكرت اي لم تكن له عندي ادنى قيمة لانه
لا فائدة لي منه

وكت حينئذ قد حصلت على راحة أكثر مما كان لي قبلاً . واذ كان
قد هدأ بالي واستراح جسدي كنت اجلس مراراً على الطعام بالشكر واحمد
الله الذي هدأ لي مائة حافلة في برية مفرة . وصرت انظر الى الجهة النيرة
من حالتي أكثر من الجهة المظلمة واعتبر ما كنت حاصللاً عليه أكثر من
اعتباري ما كنت فاقته . وكان ذلك بخولتي في بعض الاوقات تعزيات
سرية لا اقدر ان اصفاها . وقد ذكرت ذلك هنا نظير نموذج للذين
لا يقدر ان يتمتعوا مرتضين بما اسبقه الله عليهم من البركات وذلك لانهم
يرون اشياء ما لم يعظم اياها فيشبهونها . وقد ظهر لي عدم ارتضاءنا الناتج من

عدم حصولنا على بعض ما نرجوه مسبب عن عدم تأدية الشكر على ما نحن حاصلون عليه

و يوجد امر آخر اذا دلت فائدة عظيمة ولا بد انه يوجد كل من وقع في ضيقة نظير ضيقني . وهو مقابلتي حالي حينئذ بالحالة التي كنت انتظرها في اول الامر اي بالحالة التي كنت وصلت اليها لا محالة لو لم يأمر الله بحودة منة بانتقال المركب الى القرب من البر حيث صرت قادراً على الوصول اليه وجلب ما جالته منة لاجل فرجي وراحتي . ولولا ذلك من ان كنت آتي بالآلة للشغل والسعة اوقاية نفسي وبارود وخرق لصيد ما اقتات به واحفظ به حياتي

فصرفت ساعات كاملة وبكفي ان اتول الجأء في القمل في تلك الامور وكنت اسأل نفسي قائلاً ماذا كنت اعمل لو لم اخرج شيئاً من المركب او كنت لم اجد الا السمك واللاحف التي ربما كانت مضت منة مستطيلة قبل وجلائي شيئاً منها . اني كنت لا محالة ملكة جوعاً . واذا لم املك جوعاً تكون عيشي كعيشة بربري مفوحش . لاني كنت اذا تسر في قتل عذرة او طائر مثلاً لم تكن لي طريقة لقر ذلك المتعول او سلخه ونحوه او تطعموه . بل كنت اذم ان ائتمه باسائي واقتصه باخافيري نظير وحش مقرب

وكان التأمل في تلك الامور يجعلني اتم بحودة الله بخوي وعنافة في واشكركم شكراً جزيلاً على تلك الحالة وان تكن مفروقة بصعوبات ومصائب كثيرة . والآن اطلب الى من يقول اذا وقع في مصيبة هل توجد مصيبة كصيتي ان يتأمل في ذلك وينظر من هم في حالة ارداء من حاله . او ينظر الى نفس حاله ويرى كم يمكن ان تكون ارداء ما هي اذا اراد الباري تعالى ان يجعلها كذلك

وفد كان في امر آخر يساعدني ايضاً في تعزية نفسي وتوبة رجائي وهو مقابلة حالي الجاصرة بالحالة التي استوجبتها خطاياي وكن لي لذلك سبب

لا تظارها من بد العناية الالهية . لاني كنت قد عشت عيشة فجيعة عارية بالكلمة
من معرفة الله وتقواه . وكانت ابوابي قد علماني امورا كثيرة واجتهدت بقدر
استطاعتها في ان بغرسا باكرآ في قلبي خوف الله وبرحما في نفسي شعورا
بواجبالب وبالعناية العظيمة التي كانت لاجلها . ولكن والاهاء التي دخلت
باكرآ في عيشة مجرية وهي كما لا يخفى ابعد عيشة عن خوف الله مع ان اموالي
تعالى وعبره في دائما امام اعين اصحاب تلك المهمة . فزال مني كل ما كان
لي من تلك الحماسيات والشعور الغليل بامور الديانة . وذلك لسبب مما وني
بالاخطار وازدراي بمناظر الموت حتى قسا قلبي ذليها وصارت مألوفة عندي
لا اعتد بها ومن جرى اعتدالي زما طويلا عن عشرة اصحاب الفتوى والديانة
وعن استماع كلام صالح او ما يتعلق بالامور الصالحة . فكنت عاريا بالكلمة
من كل صلاح ومن ادني شعور بما كنت عليه قبلا وبما ساكون فيه فيما بعد
حتى انه في اعظم خلاص حصلت عليه كنجاتي من سبي مثالا لم تخطر به الي هذه
الكلمات وهي الشكر لله ولا كنت انماظ بها مني ولا جال في خاطري ان
اصلي اليه تعالى او اقول يا رب ارحمني حتى ولا ان اذكر اسم الله الا على سبيل
الحلف بواو التعديف عليه عز وجل

وكانت تأمني افكار غريبة كانت تزعمني من الشهر كثيرة كما سبق القول
وكانت تلك الافكار ناتجة من النظر الى رداءة سهرتي وقساوة قلبي في ما
مضي . ولما نظرت الى ما حولي وتاملت في ما اسبقه الله علي من النعم والبركات
من حيث انيالي الى ذلك الموضع لذلك الوقت وكيف عاملني باللطف
والبحودة ولم يخاصمني على قدر استحقاق ذنوبي بل برأ لي كل ما احتاج
اليه صار عندي امل قوي في ان الله قد قبل توبتي وانه تعالى قد حفظ لي
رحمة المستنيل

ثم بعد هذه التاملات عزمت على ان اسلم اموري الحاضرة لارادة الله وان
اشكره تعالى شكرا خالصا على حالتي ولا اذمر من اعمال عباده تعالى بعد

ان ابقائي حياً ولم يفاصني حسب استحقاق خطايائي بل اسبق علي ركات
كبيرة لم يكن لي باب لانتظارها او الطمع فيها في ذلك الموضع الغني . وعلى
ان افرح مرضياً بجالي واشكره تعالى شكراً يومئذ على ذلك الخبز الومى الذي
لم يكن ممكناً ايجاده الا بمجانب كبيرة . وعلى ان احسب ان عيالي كانت
باعتجوبة عظيمة كما كانت عياله ابلأ بواسطة الغريان . وصرت اعير الله لا
يوجد في القسم المعبور من العالم مكان يكون لي فيه هذا المقدار من البركات
ولا يكون فيه وحوش كاسرة ولا ذئاب خاطنة او ضياع مفترسة ولا اشياء
صائمة تؤذي اذا اغذيت بها ولا اقوام برارة تفك لي وتبغني . وبالاجمال
اقول كما كانت حياتي ذات احزان ومصائب من الجهة الواحدة كانت ذات
بركات ومراحم من الجهة الاخرى . ولم يكن ينقصني شيء لجعلها مرضية في
ذات راحة وغبطة الا الشعور بحودة الله تحوي وعنايته تعالى لي في تلك
الحالة . فلما انتهيت انقور حتى اعتبارها تسليت منعزلاً ولم اعد اشعر
بالحر والكتابة كجاري عادتي

وكان قد مضى علي من مستطيلة في ذلك الموضع حتى ان كبيراً من
الاشياء التي خاصتها من المركب كان قد ندد او تعطل او كاد يند . فان
ما كان عدي من الخبر مثلاً كان قد قل من ذلك ما اثرت الى ذلك قبلاً
ولم يبق من حبله الا قليل فكنت اربط ما به حتى صار لونه ابيض فلم
يعد يحدث رسماً واضحاً على الورق . واذا كان عدي حركت ادون
الحوادث المهمة من حياتي . ثم لما قابلت في ما بعد تلك الحوادث مع الايام
رأيت انه يوجد بينها اتصالات غريبة فلو كنت ممن يعتبر الخرافات والذلات
ويؤثر بين الايام باعتبار السعد او الحس لكان لي وجه للنظر الى ذلك بكل
استغراب ودهشة

فاني وجدت اليوم الذي هربت فيه من بيت ابي وتركته اقل في ذاهباً
الى مول بية السفر في البحر فيه نفس وقعت فيها بعد اسيراً يد مركب سلى

الحمرني وصرت رفيقاً . واليوم الذي نجوت فيه من الفرق في جهة موالي
برموث فيه نفسى هربت بعد عدة سنين من سبي في ذلك الكوثر وخلصت
من الاسر واليوم الذي ولدت فيه وهو ٢٠ ايلول فيه نفسى نجوت بنوع
عجيب بعد ست وعشرين سنة عند ما طرحت على الشاطئ في جزيرة الرأس .
وعلى ذلك تكون حوالى الردية وحيايى الموحشة قد ابتدأتا كشافها في يوم واحد
باعتبار السنة

ثم بعد نفاذ الخبر ندد ما كان عدي من الخبر اعني ما كنت قد
خلصت من المركب من البصاط مع اني كنت قد استعملت بكل توفير حتى
اني كنت مدة سنة لا آكل من الا كمة واحدة في اليوم كما ذكرت قبلاً .
فلبت مدة سنة من دون خبر بالكلية وذلك قبل ان صار عدي خيراً من
ظني بسنة من الزمان تقريباً . واذا كان وجود ذلك عدي بنوع عجيب كان
لي سبب عظيم لان اكون شكوراً واحمد الله على وجوده

ثم ان ثيالي ايضاً اخذت نيل رائحة برعجة . واما الملابس الكتانية فكانت
قد نطعت ورسيت منذ مدة مستطيلة ما عدا بعض القمصه مخططة كنت قد
وجدتها في صناديق بعض مهربنا واحترست عليها جداً لئلا ينفعها . لاني
كنت اوفياء كثيرة لا اطبق على بدني الا القمص فقط . وكانت عدد ما
وجدته منها بين ثياب الجيرة نحو سنة ولاتين قديماً . وكان عدي ايضاً
بعض اردية او حشايت من ثياب الجيرة . الا انها لم تكن تصلح لايام البحر
لثقلها . ومع انه كان يمكن ان استغني عن الثياب بالكلية لفدة البحر هناك لم
استطع ان اكون عرباً بالكلية ولا كنت اطبق الفكر ان اكون كذلك مع اني
كنت ارى نفسي مائلاً اليه ولم يكن هناك من يعينني او انجلى مني . وما جعلني
لا اريد ان اكون عرباً بالكلية عدم افتقاري على احتمال حرارة الشمس في
حالة العري كافتقاري على احتمالها وانا مكشور لان البحر كانت قد احرق
جلدي مراراً كثيرة . لاني اذ كنت لابساً قميصاً كنت اشعر برطوبة بخلاف

ما اذا كنت عرباً . وذلك لان الهواء كان يترك قليلاً ويتلاعب . ثم
داخل الشمس فيدفع الحرارة . ولا كنت اقدر ان افزع نفسي بالخروج في
الشمس وقت الحر من دون ان يكون على رأسي فيع او فلسوة . لان شدة
حرارة الشمس في ذلك الموضع كانت تحدث الماء قوتاً في رأسي اذا كان مجرداً .
وذلك لان اشعتها كانت ترشني على خطر مستقيم كانها نبال حادة لا تطاق
الا ان التبع كان يدفع قوتها ويحمي رأسي من رشها

وعند ذلك اخذت اهنم في ان اجمع معاً ما كان عندي من الخرق
الرئيسة وكنت ادعوها ثياباً . وكان كل ما كان لي من الصلاري قد تخرق وتقطع
فاخذت اشتغل في عمل صلاري من الاردية والمواد التي كانت عندي .
وهكذا شرعت في الاشتغال بالخياطة او بالحري الترفيع والتلطي . لاني
كنت عكساً في هذه الصناعة وكنت اشغالي عديدة الاثان . فعملت صدرتين
او ثلاثاً مؤملاً انهما تقيم عندي زمناً طويلاً . ثم عملت لباساً او بطالوناً
واذا شئت فسمو برمالاً وكان مضجعا في نصاب او خباطة الا اني اكتفيت
مرضياً بوالى حين

وقد ذكرت اني كنت احفظ على جلود جميع ما كنت افخه من الحيوانات
اعني ذوات الاربع واعطتها في الشمس بعد ان اشترها باسماً اياداً على قصبان
تجفف وبهذه الوسطة صار بعضها جافاً وفاسداً جداً لا ينفع لشيء . الا ان
بعضها كان نافعا لي كثيراً . فاول شيء صنعت من تلك الجلود برنس اي
قميص كبير لرأسي جعلت شعري من خارج لدفع ماء المطر . وقد نجحت في
عمل ذلك و احكامه حتى اني صنعت في ما بعد بدلة ثياب كلها من الجلود .
اعني صدرية طويلة ولباساً مفتوحاً عند الركبة . وجعلتها كلها واسعة . لان
المشهود الاكبر فيها انما كان التبريد لا التدفئة . ولا يجب ان اغفل عن
الافرار بان عملها كان غير متين ولا متحكم . لاني كما كنت يسر الحمار كنت

ايضاً بس الخياط . غير انها كانا احسن من العدم فاستخدمتها مدة . وكنت اذا انفق ان نطر وانا خارج منزلي لا اتلأل . لان شعري برقي وصدري كان من خارج فكان ينفخ من المطر

ثم صرفت زمناً طويلاً وفاسيت فعلاً جزيلاً في عمل شمسية او خيمة . وكنت في احتياج شديد اليها كما كانت لي رغبة في عملها . وكنت قد رأيت قوماً يعملون شمسيات في البرازيل حيث كانت الشمسيات دارجة ونافعة كثيراً في اوقات الحر لانه كان شديداً هناك . وكنت قد شعرت بان الحر في جزيري كان شديداً كما في تلك الاطراف او اشد منها لانها اقرب منها الى خط الاستواء . ثم اذ كنت مضطراً الى الخروج من منزلي اوفانا كثيرة كانت الشمسية عندي من انواع الادوات . فصرفت اوفانا كثيرة محاولاً عمل شمسية وبعد ان عطلت اثنتين او ثلاثاً نسر لي ذلك وعملت شمسية على غفلي . وكانت الصعوبة الكبرى في عملها ان اجعلها تنطبق وتنطوي الى داخل فانني لم اجد صعوبة كبيرة في جعلها تنفتح وتنشر الى خارج . لانها اذا كانت لا تنطبق وتنطوي الى داخل لا يمكن حملها الا مفتوحة فوق رأسي ولا ينفخ ما في ذلك من الصعوبة . الا اني اخيراً عملت شمسية تنفتح وتنطبق حسب المرفوب . وقد غطينها بجلود جاعلاً جهة الشعر الى خارج . فكانت تمنع حرق الماء كما تمنع من مخي الحنف . وكانت ايضاً تمنع حرارة الشمس تماماً حتى انه كان يمكن ان انسى بها خارجاً في الحر الا اني باكثر راحة مما كان يمكن ذلك بدونها في ابردها . وكنت اذا لم احج اليها اطينها واحملها تحت ابطي

وكنت حينئذ اعيش بالرغد واللذة لان بالي كان قد فاز براحة عظيمة بواسطة تسليبي اموري لازادة الله والفاقي نفسي بالتفاني على تدير عبادتي تعالى . وصارت حياتي احسن مما لو كان لي من اعائره وانشأني . وكنت اذا

ابتدأت أنأسف من أنه لا يوجد من يكلمني ثم أسأل نفسي فائلاً أليس الكلام بي
وبين نفسي ومخاطبي الله بالطايات احسن من افضل معاشره في العالم واعلمها
بما قيل اذا لم يكن ما تريد فأرد ما يكون

نعم

ملك القناع لا يخشى عاب ولا يحتاج فيه الى الانتصار والحوار

النصل الخامس عشر

عمل روبنصن كروزي قارباً صغيراً وما قاماه

من الاخطار في البحر

لا استطيع ان اقول انه في مدة خمس سنين بعد ذلك الوقت صادفني
شيء غارق العادة . فاني كنت اعيش كبحاري عادتي في نفس المراكز والموضع
الذي كنت فيه قبلاً . والاشياء التي كنت مستغلاً فيها على الاكثر هي اشغال
الاعتيادية وذلك كالمخرج كل يوم يارودني وزرع الشعير والارز وعمل
الزبيب . وكنت دائماً عندي من ذلك مؤنة كافية لسنة واحدة سلكاً .
وكان عندي ايضاً شغل آخر وهو عمل قارب صغير . ولما اكملت حفر
ترعة عرضها ست اقدام وعمقها اربع اقدام ونقلته الى خليج كان بعيداً عنه مسافة
بضع ميل تقريباً . ولما القارب الاول الذي كان كبيراً جداً كما سبق وكتب

قد علمت من دون ان انظر قبلاً كيف انزلت الى البحر بعد تهيؤ فاذا لم
استطع قط ان انزل به الى البحر ولا ان اصعد بالبحر اليه الجاني الحال الى
تركه قائماً في مكانه ليكون عبء تعلم منه ان انصرف في اموري في ما بعد
بأكثر حكمة . ومع اني في المرة الثانية لم استطع ان اجد شجرة تصلح لعار قارب
الا في مكان لم اكن اقدر ان آتي بالماء اليه على بعد اقل من نصف ميل كما
تقدم القول واذا وجدت بعد التأمل ان ذلك ممكن باشرت فيه . ولم اكف
عنه حتى اكملته . ومع اني صرفت مدة نحو ستين في معالجته لم اذمر قط
من التعب والدفء . لان امل الحصول على قارب اسافر فيه في البحر كان
ينسني كل ذلك ويخولي لذّة في التعب

وكان قاري الثاني لا يصلح لصغره للغاية التي فصدتها عند علي القارب
الاول وعقب السفر الى تلك الارض الثابتة اي القارة حيث كانت المسافة
اكثر من اربعين ميلاً عرضاً . ومن ثم كان صغر قاري يساعدني على ان
اطرد من بالي ذلك المقصد الذي لا يطمع في نيله حتى اني لم اعد افكر فيه
بالكلية . واذا صار عندي قارب عزمت على الطواف حول الجزيرة . لاني
اذ سكنت قد ذهبت الى الجانب الآخر منها براً كما ذكرت قبلاً جملتي
الاكتشفات التي اكتشفتها في ذلك السفر القصير ارجو جداً ان اري اماكن
اخرى من السواحل

واذ كنت منصّباً انصبا عظيمًا على السفر بحراً وكان قد صار عندي
قارب اسافر فيه فلكي افعل كل شيء بالحكمة والاحتياط ركزت ناصباً سارياً
صغيراً في ذلك القارب وعملت له قلعاً من قلع المركب التي كان عندي
منها جانب عظيم محفوظاً بحرص لحين الحاجة . ثم عملت في كل طرف من
طرفي القارب صندوقاً او خزانة لاجل وضع الزاد والادوات وباقي اللوازم
حفظاً لها من المطر وماء البحر وحفرت بيتاً اي تجويفاً صغيراً مستطيلاً في قعر
القارب لاجل وضع بارودتي وعملت لها غطاءً اعطيتها يوكب لا تنال . ثم

انصبت شمسي نائراً ايها على درجة عند المؤخر نظير قاع لكي تكون فوق رأسي وظلاني من الشمس . وهكذا كنت حيناً بعد حين اسافر سفراً قصيراً في البحر . الا اني لم ابعث قط عن ذلك الخلق ولا توغلت في البحر واذ كنت ارجب في الاطلاع على محيط ملكي الصغيرة ووجدت بعد الامتحان ان قاري يسير جيداً عزمت على الطواف حول الجزيرة . فجهزت قاتني للسفر ووضعت فيه اربعة وعشرين رغيفاً او ملة من خبز الشعير وجرة فخار مملوءة من الرز المصص ما كنت اغذي به كثيراً وفيه صغيرة مملوءة من الروم وثقة عذرة وباروداً وخردقاً للصيد وكونين ما ذكرت اني خالصة من صناديق الجزيرة قاصداً ان افرش احدهما تحتي واتطلى بالآخر ليلاً

وفي اليوم السادس من شهر تشرين الثاني في السنة السادسة من سلطاني وان لم يهلك ذلك قتل اسري اخذت في ذلك السفر ووجدته اطول كثيراً ما كنت اظنه . ومع ان الجزيرة نفسها لم تكن كبيرة جداً رأيت عند وصولي الى جانبها الشرقي رأساً او سلسلة عظيمة من الصخور تمتد مسافة نحو فرسخين في البحر بعضها تحت الماء وبعضها فوقه . وكان وراءها حرف من الرمل تمتد خارج البحر نحو نصف فرسخ ايضاً . ولما رأيت ذلك الرأس ووجدت انه يلزمي ان اتوغل مبعداً كثيراً في البحر لكي ادور حوله حرت في امري وهميت على ان اعدل عن السفر واتقي راجعاً الى منزلي . لاني لم اكن اعلم كم يلزمي ان ابعث في البحر ولا كيف ارجع من منزلي اذا ابعثت متوغلاً فيه . وبعد ذلك ارسيت القارب مستعينا بمرساه كنت قد صنعتها من قطعة حديد خلصتها من المركب . وبعد ان التفت المرساة وربطت قاري ربطاً محكمًا تناولت بارودي وخرجت الى البر واخذت اصعد على تل هناك كان يلوح لي انه بطل على ذلك الرأس . فلما وصلت الى اعلاه اشرفت منه على آخر الرأس . ثم نزلت عازياً على ركوب البحر والمخاطرة ايضاً ولما كنت على ذلك التل اطلت مشرقاً على البحر فرأيت نيراً فوقاً

ومثلاً جداً كانت تجري نحو الشرق الى ان يصل الى جانب ذلك الرأس .
وقد لاحظت على الأكثر خوفاً من الخطر فيها اذا دخلت فهو يجهلي رغباً
متوغلاً في البحر ولا يعود بكفي الرجوع الى الجزيرة . وحققا لي لو لم
اصعد أولاً على ذلك القل لاصابني ذلك لاحتاجة . لانه كان تيار آخر على
الجانب الآخر من الجزيرة يند الى مسافة بعد . وقد رأيت انه يوجد تيار
قوي من جهة الشاطئ . وهكذا كنت اذا خرجت من التيار الواحد ادخل
في التيار الآخر

فاقيمت في ذلك المرمى يومين . لان الريح كانت تهب مبرداً قوياً
من شرقي الجنوب مضادة للتيار المذكور . ولذلك كانت الامواج تندفع
بعزم نحو البر وتلاطم ذلك الرأس متدفقة عليه . فكنت في خطر من الامواج
اذا بقيت بالقرب من الشاطئ . وفي خطر من التيار اذا ابتعدت عن الشاطئ .
متوغلاً في البحر

وفي اليوم الثالث صباحاً سكنت الريح وصار البحر هادئاً . فاقلمت
واخذت اسير في طرفي حتى صرت اخيراً عمرة لكل ديدب جاهل ومدبر
جسور . وذلك لاني حالماً وصلت الى الرأس ولم أكن بعيداً عن الشاطئ .
مندار طول قاري صرت في لجة عميقة من المياه وتيار قوي جداً كالذي
يدبر حجر الخطن . فحمل ذلك التيار قاري وسار به بقوة وعنف شديد حتى
اني لم استطع بكل عزمي وسعدي ان ابقي على حافتي . وكان ذلك التيار يحمل
القارب دافعاً اياه بعنف ويمنه شهاً فشبهاً عن تيار آخر كان عن يساري .
ولم تكن هناك ريح تهب فتساعدني ولا كان يجذبني بالمجاديف يعني شيئاً او
يحدث ادنى تأثير . فابتدأت حينئذ اياس واقطع الامل من الحياة . وذلك
لانه اذ كان التياران على جانبي الجزيرة كانا لا يد من ان يلتقيا معاً بعد مسافة
اميال قليلة فلا يعود لي امكان للخلاص . واذ كنت لا اري في بابي الخلاص
اذلك كنت لا اري امامي الا الملاك وذلك لا يواسطه البحر لانه كان حينئذ

هادقاً بل بواسطة الجوع . وكنت قد وجدت على الشاطئ سلخانة كبيرة بقدر
 ما استطع حمل قطرحنها في ارض القارب . وكانت عندي من الماء العذب
 ملء جرّة كبيرة من الجرار الخزفية التي عليها . ولكن ماذا كان ذلك كله
 بالنظر الى الله في الاوقيانوس العظيم حيث لا يوجد شاطئ ولا قارة ولا
 جزيرة على مسافة ألف فرسخ على الاقل . وحيتان تين لي كم هو سهل على
 العناية الالهية ان تجعل اثني حالات الانسان أكثر شقاء ايضاً مما هي . وعند
 ذلك صارت عندي جزيرة الموحشة المنفرة التي مكان في العالم . حتى ان
 كل المعادة التي كان قاي فيها كانت الرجوع اليها . فبسطت حيتاني يدي
 نحوها مختصراً على فراقها وفلت يلفت ملي بقم الله نصيباً ان اراك ابنها
 الجزيرة البهجة السعيدة . وأسفا اني لن اراك ايضاً الى الابد . يا الشاوي وسوء
 حظي الى اين انا ذاهب . ثم اخذت اخرج اعني على انكاري الجميل وتذمري
 في ما مضى من جري وحدتي مع اني كنت ارجو حيث ان اعطي كل مالي
 لاكون هناك . وظهر لي عند ذلك كيف اننا لا نرى ابداً حقيقة حالنا الا اذا
 فابلناها باضدادها . ولا نعتبر قيمة ما نتمتع به الا بعد فقدنا وبصعب تصور
 او وصف ما اعتدنا من الاضطراب والاسف عند ما دُفعت عن جزيرة
 المحبوبة البهجة في الغاية كما كانت تظهر لي حيث لم بعداً عنها الى لمح الاوقيانوس
 العظيم حتى صارت هي على مسافة نحو فرسخين ولم يبق لي أمل في العودة
 اليها . الا اني مع ذلك كنت انتفل بكل نشاط حتى كنت اعني من شدة
 التعب وقد انتهت قاري بقدر استطاعتي في ناحية الشمال الى جانب التيار
 ولم أزل كذلك الى قرب الظهر عند ما مالت الشمس عن خط نصف
 النهار . وكان يتراعى لي حيث كانني اشعر بنسيم لطيف في وجهي يسب
 من جنوبي الجنوب الشرقي . فمررت في ذلك قليلاً والشرح يوصري وعلى
 الخصوص عند ما هبت بعد ذلك نحو نصف ساعة ريح رقيقة من تلك الجهة .
 وكنت حيث قد ابعدت بعداً قاصداً عن الجزيرة . فلو حصل اقل شيء من

القيم أو الاغبرار كنت وقعت في خطر من جهة اخرى ايضا . وذلك لانه لم يكن عندي حث في القارب فلو غابت الجزيرة لحظاً عن ناظري لما عرفت قط كيف اوجه مقدم فارلي نحوها . ولكن اذ كان الهواء لم يزل رافقاً افرغت جهدي في نصب صاري ونشر قلبي واخذت ابعد بفارلي الى جهة الشمال بقدر استطاعتي هرباً من التيار

وحالما نصبت صاري ونشرت قلبي واخذت القارب يضي ظهر لي من ملاحظة صفاء الماء ان التيار سينغير حاله بعد قليل . لانه حيث كان التيار قوياً كان الماء كدراً ولكن حيث كان الماء صافياً كان التيار ضعيفاً . ولم يضي الا القليل حتى رأيت الى جهة الشرق على بعد نحو نصف ميل امواج البحر تلاطم بعض صخور وكانت تلك الصخور نجعل التيار ينقسم ايضا الى شطرين . واذا كان اقواها يجري مائلاً أكثر الى جهة الجنوب نازكاً الصخور الى جهة الشمال الشرقي كانت الصخور تدفع القسم الآخر فيرجع الى الورااء فيكون منه تيار قوي حاذ جداً يجري راجعاً الى جهة الشمال الغربي

فالذين يعرفون قيمة ورقة العفو او الامانة التي نأتمهم وهم في المشقة او قيمة الخلاص من ايدي اصوص هامين على قتلهم او الهلاك من مصائب كبرى يحكمهم ان يعرفوا كم حصل عندي من النرج والسرور عند ما دخلت بفارلي الى ذلك التيار وامدأت الريح تهب ضاربة قلبي المشور ونستكد فارلي دافعة اباه حتى كان يسير امامها بسرعة ورفق على متن تيار قوي تحته

وان ذلك التيار حملي مسافة نحو فرسخ راجعاً في باستثناء نحو الجزيرة الا انه دفعني نحو الشمال مسافة نحو فرسخين أكثر من التيار الذي حملي اولاً دائماً في عماء . ولهذا لما قرمت من الجزيرة وجدت نفسي متابلاً شاطئاً الشمالي اي الطرف المائل الطرف الذي خرجت منه عند سفري منها . ثم بعد ان قطعت بمسافة ذلك التيار مسافة أكثر من فرسخ من

طريقي وجدت انه انقطع ولم يعد ينفذ في شيئاً . الا الى اذ كنت بين تيارين
اي التيار الذي الى الجهة الجنوب الذي حملني ذهاباً والتيار الذي الى جهة
الشمال الذي كان على مسافة نحو فرسخ من الجهة الاخرى وجدت الماء بين
ذبتك التيارين هادئاً لا يجري الى جهة . واذ كان لي نسيم يهب سائراً معي
اخذت اقدم باستقامة طالبا الجزيرة . الا ان سيري كان اقل سرعة من
السابق

واذ صرت عند العصر على مسافة فرسخ من الجزيرة وجدت ان ذاك
الرأس الذي احدث تلك المصيبة وكان ممثلاً الى جهة الجنوب كما ذكرت
فيلاً وقد دفع التيار الى الجهة الجنوبية كان قد احدث تياراً آخر الى جهة
الشمال . وكان ذلك التيار قوياً جداً الا انه لم يكن يجري في طريقي الى
نحو نقطة الغرب بل كان يجري نحو نقطة الشمال تقريباً . غير الى اذ كانت
الريح مع قوياً فطمت ذلك التيار مانلاً نحو الشمال الغربي . وبعد نحو
ساعة من الزمان صرت على مسافة نحو ميل من الشاطئ . واذ كانت البحر
هناك هادئاً وصلت سريعاً الى البر

فلما خرجت الى البر ركعت على ركبتي وحمدت الله شاكرآ اياه على نجواتي
التي حكمت اليها اليه تعالى ولم انسب منها شيئاً الى غاري ولا الى فوني . ثم
اكلت شيئاً ما حضر ودنوت بغاري من الشاطئ الى بوعاز صغير كنت قد
لحقت تحت اشجار هناك واضطجعت لانام اذ كنت قد عييت من تعب الطريق
ومشقة السفر

وكنيت حينئذ في حيرة عظيمة من جهة الطريق التي ينبغي ان ارجع فيها
بغاري الى منزلي . واذ كنت قد وقعت في اخطار كثيرة وعرفت بالاختار
احوال الطريق التي انت منها لم اكن اطرق الافكار بالرجوع من تلك
الطريق عنها . ولا كنت اعلم كيف كانت الاحوال من جهة الناحية الاخرى
اي الغربية . ولا كانت لي ارادة ان التي نفسي في الحاضر مرة اخرى . غير اني

عزمت فقط عند الصباح ان امير نحو الغرب بجانب البر لعل اجد مبراً
اربط عنه قائلي بالامان ناراً كما اياه هناك الى حين . وبعد ان قطعت مداً
نحو ثلاثة ايام بالغرب من الشاطئ وصلت الى خليج او بوعار منذ نحو
ميل في البر كان بصغر متناقصاً شيئاً فشيئاً الى ان صار نظير جدول .
فوجدت هناك ميناء امينة اناري كانوا قد عملت له قصداً . فارحبت في تلك
الميناء وبعد ان ربطت القارب ربطاً محكمًا خرجت الى البر لكي اري اين
كنت من الجزيرة

ثم وجدت بعد قليل الى لم اتجاوز كثيراً الموضع الذي وصلت اليه قبلاً
عندما سافرت براً الى تلك الجهة . فاخذت في طريقي ولم آخذ معي من
القارب شيئاً الا بارودتي وشمعي لان البحر كان شديداً . وكانت
الطريق هيثة بالنسبة الى ما قاسيته من سفري بحراً . فوصلت مساء الى
خيمي القديسة في الجبل فوجدت كل شيء هناك مرتباً كما فارقت . لاني كنت
دائماً ارتب الاشياء هناك جيداً لان ذلك الموضع كان كما ذكرت قبلاً مسكناً
الجبل

فصعدت على الحائط واضطجعت في التيء لارج اضلاعي لاني كنت نعباً
جداً . فعبث العباس بعني فنبئت مستغرماً . ومن من دارتي قصتي بقدرات
يتصور ما اعتراني من الدهشة والذهول عندما ابتطني من النوم صوت دافع
ينادي بي باسمي تكراراً فاثلاً روين روين روين كروسو . مسكين روين كروسو .
اين انت يا روين . اين كنت يا روين

وكنت حينئذ مستغرماً مستغلاً في نومي كاني ميت لاني كنت قد نبئت
جداً من التعذيب او كما يقال التعذيب . وما ان نومي كان في اوائل النهار
واقباني في اوخرو لم انتبه تماماً بل كنت بين منبه ونائم . فخلت لي اني كنت
احلم ان واحدًا يكلمني . ولكن اذ كان الصوت لا يزال بطرق اذني قائلاً
روين كروسو روين كروسو اخذت اريد ان اقبأ . وكنت في اول الامر

قد لحقت جداً واضطربت اضطراباً عظيماً . ولكن حالما فحنت عيني رأيت
بيغالي أو بيغالي واقفاً على أعلى السراج . فللمحال عرفت أنه هو بيغالي لاني
كنت في ما مضى أكله وأعلمه الحكم بملك النعمة الهزلة . وكان قد تعلم جيداً
حتى كان ينف على ايهامي ويضع منارة بالقرب من خدي ويصرخ قائلاً
مسكون روين كرسو اين انت يا روين . اين كنت يا روين كيف جئت الى
هنا يا روين وما انتبه ذلك من المبارات التي كنت قد علمته اياها

ومع اني عرفت ان الذي ناداني هو البيغال وأنه لا يمكن ان يكون
ذلك حياً غيره ثبتت مدة قبل ان هذا روعي ومكن قلتي . فاني اولاً تعجبت
منهلاً كيف اتى الى ذلك الموضع ثم كيف أمكنه ان يقيم بالقرب من ذلك
المكان ولم يذهب الى مكان آخر غيره . الا اني اذ كنت متحققاً انه لا يمكن ان
يكون ذلك الا بيغالي الامين الودود زال ما اعتزاني من الدهول . فددت
بدي نعوة ودعوته باسمي قائلاً قول قول تعال . ففي الحال اتى الى ذلك
الطائر الاليس واستقر على راس ايهامي كما دتو وكان بيغالي قائلاً مسكون
روين كرسو . كيف اثبت الى هنا يا روين . اين كنت يا روين . وكانت
بهراسي كأنه قد طار فرحاً عند ما رأيته . فحيته بالسلامة وفيلت حية وحملت
مكلاً ذاهباً الى البيت

وكنتم حينئذ قد اكتشفت الى مدة من سفر البحر . وكان لي هبل بكيني
مدة ايام وهو البطالة والامل في الخطر الذي كنت فيه . وكنتم اتفق ان
ننصر لي الاتيان بقاري الى تلك الجهة من الجزيرة الا اني لم اكن اعلم كيف
اتي الى هناك اما الجهة الشرقية من الجزيرة التي كنت قد درت حولها
فاني كنت اعلم جيداً انه لا سبيل الى السفر فيها . حتى انه كان يجتلي قلبي
ويحسدني من مجرد الفكر بذلك . واما الجهة الاخرى من الجزيرة فلم اكن
اعلم كيف يكون الحال فيها . ولكن اذا كان الهاد يجري نحو الشاطئ الى
جهة الشرق بنفس العزم الذي كان يجازي به يجازي من الجهة الاخرى فاني

أقع في الخطر نفس من أن ادفع إلى التيار ونحملني الجزيرة كما كنت قبلاً في
خطر من أن أحل عنها . فلما لاحظت ذلك ارتضيت أن أكون بدون
القارب وأن كنت قد صرفت شهراً كبيراً وإنما شاقة في علو وأكثر من
ذلك جداً في تزييلو إلى البحر

فلبست حاكاً هكذا على طبعي نحو سنة من الزمان . وكنت أعيش عيشة
مادية جداً ومتوحدة كما لا يخفى وإذا كنت قائماً بحالتي ومتمسكاً بتعليم أموري
لتدبير العناية الإلهية كنت أحسب نفسي التي كنت عائداً حتماً عيشة راحة ورفاهية
من كل وجه ولم أكن انتقص شيء إلا العشرة والمسامرة

وكنت أقدم في ذلك الوقت في الصنائع التي كانت الضرورة تدعوني
إلى الانعكاف عليها . وأظن أني عند الحاجة كنت نجاراً ماهراً وعلى الخصوص
إذا اعتبرنا كم كانت الآلات قليلة عندي

وعنا ذلك صرت ماهراً خبيراً في صناعة القطار وأجست في استخراج
دولاباً لعمله ووجدت ذلك سهل مرآاً وأحسن . لأن ما عمله حينئذ كان
متناً وذا هيئة ظريفة مع أنه كان قبلاً شيع المنظر جداً . وأظن أني لم أعجب
قط منقرراً بعمل عمله ولا فرحت بشيء ما اخترعته أكثر من اقتداري على
عمل آلة لشرب التبغ . وكانت تلك الآلة شبيهة المنظر وعاربة من كل
ثقانة في عملها وكانت مشوية حمراء فقط نظير باقي القطار إلا أنها إذا كانت
قائمة وقوية لصحب الدخان سررت بها جداً لاني كنت دائماً مستاداً على شرب
التبغ . وقد كان في المركب آلات لشرب التبغ إلا أني كنت قد غفلت عنها
في أول الأمر غير ظان أنه يوجد تبغ في الجزيرة ثم لما فطنت عنها سبغ ما
بعد في المركب لم أجد شيئاً منها

وتقدمت كثيراً أيضاً في عمل السلال وعملت كثيراً من السلال اللازمة
بحسب معرفتي ومع أنها لم تكن ظريفة كانت نافعة كثيراً لوضع الأشياء في

جلبها من الحقل الى المنزل. فاني كنت اذا اصطدت عزة مثلاً في البرية اعطيها
على شجرة والحلحلي وانزرها واقطعها ثم آتي بها في سلة الى البيت. وهكذا كنت
افعل اذا اصطدت سلحفاة فاني كنت اضعها واربع البيض منها وأخذ قطعة او
قطعتين من لحمها وآتي بها جميعاً في سلة الى البيت واترك ما بقي في البرية.
وعملت ايضاً سلالاً كبيرة عميقة لخرن غاي التي كنت دائماً افنيها حالما تبس
جيداً وانبتها ثم احصلها في سلال كبيرة

وظهر لي حينئذ ان ما كان عندي من البارود قد نقص وقل كثيراً.
وهو من الاشياء التي لم يكن يمكن صنعها. فجعلت انكر باعنام ماذا ينبغي
لي ان اعمل من نكد بارودي اي ماذا اعمل لاصطاد المعزى. وقد ذكرت
قبلاً انه كان عندي في السنة الثالثة من دخولي تلك الجزيرة جدي صغير
كنت اريه واعني به مؤملاً ان تكثر المعزى عندي بواسطة. الا انه ناضج
ولم يكن له اشي من جنس فوات من الكبر ولم يترك نملأ. ولم اسفد منه شيئاً
لان فاني كان لا يطاوعني على ذبحه والانتفاع لحمه وجلده

شعر

اذا فرمت بذلك الى مرار وفلت تخولت نفسي مناعا
فلا تأمن من الدهر اختلاسا يحول فمكرة في ذا ناي

الفصل السادس عشر

تربية روين من كروزي قطيعاً من المعزى وكيفية
معيشته وزيادة نجاحه

وإذ كان قد مضت علي نحو إحدى عشرة سنة في جزيرة اليأس وكانت
ذخيري من البارود والمخردق قد كادت تنفذ كما تقدم القول اخذت انصرف
في اختراع طريق لاصطياد المعزى حية . فصنعت لذلك فخاخاً . واطن
انها عانت بها مراراً ولكن اذ كانت آلاقي غير حية لانه لم يكن عندي لها
شريط كنت اجدها دائماً مقطعة والطعم مأكولاً . فعزمت اخيراً على عمل
مطمورات اي حناير في الارض . فحفر حفراً كورة في الاماكن التي كنت
ارى المعزى تتردد اليها لترعى فيها ووضعت على تلك الحفر اخشاباً على شكل
شبكة من شغل يدي وثقلتها باشياء ثقلة وكنت اوقافاً التي هناك سنابل شعير
وأرز من دون ان انصب الفخ . الا ان المعزى كانت تدخل الحناير وتأكل
السنابل لاني كنت ارى آثار اظلافها هناك ولا تعلق . ثم اني نصبت في إحدى
الليالي ثلاثة فخاخ ولما ذهبت في الغد لاقتدها وجدتها جميعها لم تزل
منصوبة الا ان الطعم كان قد أكل . فضعفت املتي عند ذلك . الا اني
لم أكف بل غيرت الفخاخ . وكنت لا اقلب على الفاري . بذكر كل ما
سحصل بالتفصيل اقول اني ذهبت ذات يوم صباحاً لاقتقد تلك الحناير

فوجدت في احكامها ثيسا كبيرا من المعزى وفي حيزها اخرى ثلاثة جدهاء
ذكرنا وانهم

اما الثيس المسمى فلم اعلم ماذا اعلم به . فانه اذا كان قوتها شريفا جدا لم
انجاسر على التناول اليه الى الحفرة لكي اتمكن حيا حبيب مرغوي . فانه
كان يمكنني قتله الا ان ذلك لم يكن مصلحتي ولا كان يوافق مقصدي . فافلتت
واطلقت سبيله فاخذ بركض كانه قد جن وطار عنه من شدة الخوف .
وقد غفلت حينئذ عما فعلته في ما بعد وهو ان الجوع يذال الامل نفسه حتى
يصير ايسا . فلو تركت ذلك الثيس هناك ثلاثة او اربعة ايام من دون
اكل ولا شرب ثم اخذت له قليلا من الماء ليشرب وقليل من الشعير لياكل
لكان ذل لا محالة وصار اهليا كجدي . لان المعزى حكيمة جدا وسريعة
الانقواء اذا غوملت بالحصى . على اني اطلقت سبيله حينئذ لان ذلك كان
حدا معرفتي في ذلك الوقت . ثم تقدمت الى الاجدية الثلاثة واسكنها الواحد
بعد الآخر وربطتها معا بجمل وذهبت بها جميعا الى منزلي وذلك بصعوبة
كالا ينبغي

فبقيت مدة لا تاكل شيئا ثم التفت لها قليلا من الشعير فلما ذافت حلوتها
أكلة واخذت ثوبا فثبتا . فوجدت حينئذ اني اذا اردت ان يكون
عندي كفايتي من لحم المعزى بعد قتاد بارودي وخردني لم يكن لي طريق
ليل هذا المقصد الا بواسطة تربية قليل من المعزى لكي تكون حول منزلي
نظير قطع من الغنم . واكن جال في خاطري حينئذ انه يجب فصل ما كان
منها اهليا عما كان برئا والا فانها متى كبرت تصدر جميعا ربة وعرب .
ولم يكن باب ليل هذا المرغوب الا باحاطة قطعة من الارض بسياج محكم
منون وذلك من الاشواك او العوارض لكي تكون حظيرة اربها فيها بحيث
لا يستطيع ما كان منها داخلا ان يخرج ولا ما كان منها خارجا ان
يدخل

ولا يخفى ان ذلك على كبر على زوج واحد من اليايدي . الا انني اذا
 رأيت انه لابد منه لنيل المرغوب اخذت أولاً في التفتيش عن قطعة ارض
 تصلح لذلك يكون فيها غيب ترعاه وماء تدربة وانجار تظللها من الشمس .
 فالذين لم معرفة في امر السياجات يتكروون بانني كنت قليل التدبير عند ما
 اخترت لذلك قطعة تشغل على هذه الشروط جميعها اي مرجة مستسيلة
 مطمئنة منفرجة فيها بستان او ثلاثة بنايع عذبة وفي احد اطرافها كثير من
 الاشجار . وربما يتسمون من قلة درايتي او بالحري من جنوني عند ما اقول
 اني باشرت في تسبيح تلك القطعة بطريق يلزم . انه ان تكون مساحة دائرة
 سياحي ميلين على الاقل . ولم يكن جنوني في ذلك من جهة الساعة لانه لو
 كانت دائرته عشرة اميال لما كان بعيداً ان يكون لي وقت واقدار تقبيل
 بقدر ما كان من جهة عدم اعتباري لهذا الامر وهو ان المعزى تكون دائماً
 نافرة برية في موضع متسع كهذا كما تكون لو كانت لما كل الجزيرة ويكون لها
 ايضاً موضع واسع جداً للهرب مني اذا ركضت وراها لا مسكها حتى يكون
 مسكها امراً مستحيلاً واطن انني عند ما اتاني هذا الفكر كنت قد عملت من
 السياج نحو سبعين ذراعاً فكففت في الحال متوقفاً عن العمل وعزمت ان
 اسبح في البداية قطعة طولها نحو مائتي ذراع وعرضها نحو مائة وثلاث وثلاثين
 ذراعاً فقط . وذلك يجمع كل ما اجمعه في مدة طويلة واذا كثرت المعزى
 عندي يمكنني ان اوسعها باضافة قطعة او قطع اخرى اليها

واذ كان عملي هذا لا يخلو من حكمة اخذت فيه بنشاط ورغبة .
 فصرفت نحو ثلاثة اشهر في تسبيح تلك القطعة . وبينما كنت اشتغل فيها كنت
 اطول للاجدية الثلاثة في احسن قسم منها واعودها ان ترعى بالقرب مني
 بقدر الامكان لكي نوالف . وكنت مراراً كثيرة اذهب وآتي ببعض سنابل
 شعير او حنة ارض اطعمها من يدي . حتى انها بعد ان اكمل سياحي

واطلاقها داخله كانت تنبعث من مكان الى مكان تنقو ماعية في انري طالبة
كمشة من المحبوب

فجاء ذلك طبق مرغوي . ثم بعد سنة ونصف تقريباً صار عندي قطع
نحو اثني عشر رأساً من الجداء وغيرها . ثم بعد ذلك بسنتين صار عندي
بلاطة واربعون رأساً وذلك عندما كنت قد ذبحت واكلت . ثم سميت خمس
قطع من الارض في اماكن مختلفة لارعاها فيها وجمعت فيها صيداً صغيرة كنت
ازريها فيها واخرجها منها متى شئت . وفتحت ابواباً بين تلك القطع تؤدي
من الواحدة الى الاخرى سهلاً لئلا اخذها

ولم يكن عندي حشيش لم معزى فقط اغذي به متى شئت بل صار
عندي حليب ايضا . فان الدر لم افكر فيه في الابتداء ولا كان يخطر ببالي .
فلما خطر ببالي كدت اظهر فرحاً به . واخذت حشيش احلب المعزى فكان
يوجد عندي كل يوم كمية وافرة من الحليب . وكان الطبيعة التي تعطي كل
خلقة ما يكتفيها من الغذاء ترشدنا طبعاً الى طريقة استعماله هكذا كان الحال
بالنظر الي . فاني كنت لم احلب قط عترة ولا بقرة ولا رأيت قط احداً يصنع
جبناً او سمناً الا في ايام صباهي فقط ولكن بعد امتحانات كثيرة يمر لي اخيراً
عمل جبن وسمن وطبخ ايضا الا اني كنت اجد الملح على بعض صخور في البحر
مطبوخاً قليلاً بواسطة حرارة الشمس فكنت اجمعها واصطفي على النار ولم بعد
ينقطع من عندي في ما بعد . فما أقدر الباري تعالى على مبالغة خلقة بالرحمة
حتى في الاحوال التي يكونون فيها كأنهم صباغون باخلاك من كل جهة . وكيف
يفدر سبحانه ان يجعل امر اعمال عبايد حلواً ويحلبنا على ان نخدمه على العجرون
والحبوس ايضا . فما انغر المائدة التي هيئت لي هناك في ربة لم أر فيها شيئاً سلف
اول انري الا ان املك جوراً

ومن كان يستطيع ان يضبط نفسه عن الضحك لو رأي وعائلتي الصغيرة
نجلس على الطعام . فانه كان هناك جلالي انا والى الجزيرة بأسرها وملوكها

صاحب السلطان المطلق على حياة جميع رعاياي المشرق من انشاء واعنو عن
انشاء واطلق واستأمر من اريد ولم يكن بين جميع تبني من بعصفي . ومن
كان بقدر ان يراني القدي نظير ملك وحدي والانصار والحشم حوالي
من كل جانب ولا يقرب في الفتحك . ولم يكن مأذونا لاحد من اولئك
الجلساء ان يكلمني الا قول وحده فانه كان ينادمني كانه اعظم المقربين
عندي . واما كلي الذي كان قد شاع جدا وخرف ولم يحلف نسيلا فكان
دائما يجلس عن يميني عند الأكل . وكانت عندي قطبان كانا يجلسان دائما
معي الواحدة على الجانب الواحد والاخرى على الجانب الآخر من المائدة
فومان مشطرتين مرة بعد اخرى كدرة خبز او لينة من يدي على رأس التريكة
علامة الرضا عنها

شعر

فوق الأمير ولا امر بطاع يد مثل العروص له بحر بلا ماء

وكانت تلك القطبان غير النقطتين اللتين اتيت بها معي من المركب
لان تلك كانتا قد ماتتا ودفنهما بيدي في جوار منزلي . الا انها كانتا من
نسلها . وكان لهما اولاد كثيرة لم اعرف ماذا كان جنس ايها . وكنت قد ربيت
هاتين منها وابنتها عندي . اما البقية فاتيها هربت الى الاحراش وصارت
هرية وكانت ترعمني كثيرا اذ كانت تأتي مرارا الى منزلي وتسرق او تخطف
ما نجت من المأكولات . فاضطرتني الامر اخيرا ان ارميها بالرصاص واقتل
كثيرا منها حتى تركتني . وهكذا كنت اعيش محنوقا بتلك الانصار والحشم
والخبرات والنعم حتى انه لم يكن يصح القول انه لا ينقصي الا الجلساء . ولكنني
كنت بعد ذلك بنذل في خطر من ان يكون لي جلساء اكثر من مرغولي
كاسري

وكت كما ذكرت قبلاً متشوقاً الى استعمال قاري الآتي كنت أكره جداً
 ان اخطر ايضاً نفسي . فكت اوفاتاً اجلس وانصبر في ايجاد طريق للجلو
 الى القرب من مقرلي واحياناً اتفق مريضاً بان اكون بدوي . غير انه كانت لي
 رغبة غريبة في الترول الى الموضع الذي ذكرت الي في سفرتي الاخيرة صعدت
 منه الى القل لانظر كيف كان الشاطئ والنيار وارى ماذا يبني لي انت
 اعيلة . وكانت تلك الرغبة تزيد كل يوم حتى عزمت اخيراً ان اسافر الى
 هناك برأ مائماً على حافة الشاطئ وقد فعلت ذلك . ولكن لو اغنى انت
 رجلاً من بلاد الانكليز صادفني في ذلك السفر ورأيت في تلك الحالة لكان
 خاف جداً او ضحك مستغراً . واذ كنت اقف مراراً كثيرة لانظر كيف كان
 منظري لم اكن استطيع ان اتمالك نفسي من ان انهم عند ما كنت افكر
 بالسفر في لندن او باريس بتلك العلة وذلك الملبوس . فان حسن عندك
 ان تصور صورتي كما بالي

الي كنت لايماً على رأسي قبعاً كبيراً طويلاً عدم النظام . صنوعاً من جلد
 المعزى له ذنب من خلف مدلى على كني لاجل منع حرارة الشمس ونفوذ
 المطر الى عني . لانه لم يكن شيء في تلك الجهات اكثر ضرراً من ان يس
 المطر الجلد تحت الثياب . وكت لايماً على مدني صدرية قصيرة من جلد
 المعزى ايضاً يصل ذيلها الى وسط الفخذ ولها مفتوحاً عند الركبة عملة
 من جلد نسر من كان شعرة طويلاً مدلى من كل جانب حتى كان
 يصل نظير بظالون الى وسط ساقى . ولم تكن لي جوارب ولا احذية .
 الا اني عملت شيئاً لا اكاد اعلم ماذا اسموه كان اشبه بانفاة كت الله على
 ساقى واربطة بدرائط من طرفيه . كان منظره كما كان منظر سائر ملاسي
 شيئاً جداً

وكت منمنطناً بزيار عريض من جلد المعزى كزيار مكاب او حمال
 كنت اشد رابطة طرفيه بمرمين من الجلد ايضاً عوض الازرار والمعزى .

وكان معلقاً بشبه حيلة على جاني الزنار مكان السيف منشار صغير على
الجانب الواحد وبلطة على الجانب الآخر . وكان لي سير اقل عرضاً من
الزنار مشدود في كفتي معاني في طرفي تحت ابطي الابر جرابان من جلد
المعزى احدهما البارود والآخر للفردي . وكنت حاملاً على ظهري سلة وعلى
كفتي البارودة وفوق رأسي شمعة كبيرة شمعة من جلد المعزى ايضاً الا انها
كانت مع ذلك اهم الاشياء التي معي بعد بارودي واما وجهي فان لونه لم يكن
تماماً كلون وجه جنني كما يكون انسان يسكن على مائة نسم او عشر درجات
فقط عن خط الاستواء ولا يعني بوجهي . واما لحيي فاني كنت قد اريحها
واطلقت لها العنان حتى صار طولها نحو ثلث ذراع ولكن اذ كانت عندي
كثير من المفارص والمواسي كنت اقصرها . واما شارباي فاني اريحها حتى
صارا طولين كشوارب بعض العرب الذين رأيتهم في الجزائر ولا اقول
انها كانا طولين بحيث افدر ان اعطي مرفعتي بها بل كان طولها وشكلها
على جانب عظيم من الشناعة حتى يصح القول ان منظرها كان يحسب في
انكسار من المناظر المرعبة

وقد ذكرت جميع ما ذكرته من هذا القليل على ميل الاستطراد . لان
منظري كان كيفاً كان لا طائل تحته لان الذين يلاحظون ذلك كانوا فطيلين
جداً عندي . ولهذا انصرت على ما تقدم وارجع الى ما كنت في صدده فاقول .
الي تلك الهيئة سافرت سفري الجديد وغيت عن مقدلي خمسة او ستة ايام
فسافرت اولاً على شاطئ البحر ذاهباً باستقامة الى المكان الذي اريبت
اولاً فيه قاري بالقرب من القل الذي صعدت عليه قبلاً . واذ لم يكن لي
حيثني قارب اعتم بوزعت برأ في طريق اقرب الى قمة ذلك القل . فلما
اشرفت على الرأس الذي ذكرته قبلاً ورأيت البحر ساكناً ماداماً ولم أر هناك
هواجا ولا حركة ولا تياراً أكثر مما يوجد في باقي الاماكن فحيث مضيت من
ذلك التغير ولكن لم اعلم ما هو سببه . فعزيت ان اصرف مثلاً في مراقبته

لا يرى اذا لم يكن ذلك مسبباً عن المد . ولم يضر الأليل حتى ظهر في
سر ذلك واضحاً وهو ان المد الذي كان يتدفق من جهة الغرب ويصل
بجري مياه نهر كبير ينحدر من البحر يجب ان يكون سبباً لذلك التيار وأنه
يندر قوة هبوب الريح من جهة الغرب او الشمال كان ذلك التيار بقرب
من الشاطئ او بعد عنه . لاني اذا اقيمت هناك الى المساء صعدت على
القلبة ثابته واذا كان المد قد انكفاً عند ذلك راجعاً الى الورا رأيت واضحاً من
المرّة أيضاً التيار كالصافي الا انه جرى الى مدى ابعد حتى صار على مسافة
نحو نصف فرسخ عن الشاطئ مع انه في ذلك السفر بقي بجانب الشاطئ
وحلتي بقاري بسرعة كما علمت ولو اتفق الامر في وقت آخر لما فعل ذلك
كما لا يخفى

فعلت من ذلك انه ليس علي الا ان اراقب فيض المد ورجوعه لكي
يكني ان ادور بسهولة بقاري حول الجزيرة راجعاً الى منزلي . الا اني لما
ابتدأت افكر في اجراء ذلك فعلاً احدث في تذكر ما وقعت فيه قبلاً
ارتعاشاً قوياً حتى اني لم اعد افكر ان اطلق الافكار . فعمدت على امر
آخر كان اقل خطراً وان يكن أكثر تعباً وهو ان ابي او بالمحري اصنع
قارباً آخر فيكون عندي قاربان احدهما للجانب الواحد من الجزيرة والاخر
لجانب الآخر منها

شعر

اذا لم نستطع شيئاً فندع وجاوزه الى ما نستطيع

ويبني ان تعلم انه كان لي حقل مزرعتان في الجزيرة . فالمرّة الاولى
كانت على الشاطئ وهي قلبي الصغيرة او مخفي المسورة في لحف القل
والمنارة التي ورائها التي كثر في ذلك الوقت قد كبرتها وقسمتها الى منازل
او مغائر صغيرة مختلفة احداها داخل الاخرى . فكان في احدي تلك المغائر

وفي أكبرها والشها وذات باب بنذ خارج سوري او قلعي اي خارج الموضع
الذي يلقي فيه حائط سوري بمحض الثلج انه فجار كبيرة مما سبق شرحه
واربع عشرة او خمس عشرة له كبيرة تسع الواحدة من نخلة الى ستة امتداد
كنت قد اوعيت فيها موتي وعلى الخصوص غلي بعضها في السابل وبعضها
حب مني كما علمت ذلك قبلًا

واما الاعددة والواتاد التي علمت منها السباح فكانت قد عاشت جميعها
حتى صارت اشجاراً وكانت حيثنر قد سكنت جداً وصارت غيرة ملتفة
منكائنة حتى انه لم يكن احد يستطيع ان يرى المنزل ورأىها

وبالقرب من مسكني هذا ولكن بعد منه قليلاً عن البحر كانت قطعنا
الارض اللتان كنت احرقها جيداً وازرع فيها بذاري وكانا نأثاني بغلها في
جميعها . الا انها كانا بعد من مسكني عن البحر واقل ارتفاعاً منه . وكانت لي
في جوارها ارض حيث تظلمها كان يكتفي الزرع فيها اذا احتجت اليها

واما المزرعة الاخرى فكانت في الجبل او كما يقال في البر . وكانت لي
مناك عدة مزروعات وخمسة الصغيرة التي كنت دائماً اربتها واحرص عليها
واحافظ دائماً على السباح المحط بها بحيث يكون دائماً على ارتفاعه المعتاد .
وكانت السلم منصوبة هناك دائماً داخل السباح . والاشجار التي لم تكن اولاً
الا اوتاداً وكانت قد صارت حيثنر قوية جداً ومرتفعة سكنت دائماً اربتها
واعتي بها حتى اشتدت وصارت كفومة غضة ذات ظل لطيف طلق مرغوي .
وكانت خمي مضروبة في وسط تلك الاشجار ولم تكن الا قطعة قلع منصوبة
على اعمة ركنها هناك تلك الغاية . ولم تكن تحتاج الى اصلاح او تجديد .
ونصبت في تلك الخيمة سريراً من جلود الحيوانات ومن اشياء اخر ناعمة
وسطعت على الحائنا من لحف الهربة ظهر فراش ووضعت فوق الحاف
كرونا كنت انقلني بها فكتب اذا غبت عن مسكني الاصلي على الشاطئ وانتزل
في تلك المسكن في الجبل

وكان بالقرب من مسكني المجلي صيداً لما كان عندي من المواشي أي
المعزى . واذ كنت قد كابدت العباباً لا توصف في تسبيح ونصوح تلك
الأرض كنت احترص عليها واحفظها كاملة خوفاً من ان تفلت منها المعزى .
ولهذا لم اتركها الا بعد ان ركزت نصب جريل اوثاقاً صغيرة مقاربة خارج
الساج حتى صار يمتدحني ان يسي سوراً الاسباحا وكانت الاوتاد قريبة بعضها
من بعض حتى انه لم يكن يمكن دخول يدٍ بينها . ولهذا لما طاعت تلك
الاوتاد في ما بعد في الشتاء كان ذلك السباح قوياً نظير سور او بالحري
اقوى من سور

وذلك يشهد لي اني لم اكن كسلاً في انفصال ما كانت تظهر لي انه
ضروري لراحتي في امر المعيشة . لاني لاحظت ان تربية بعض حيوانات
اهلية على يدى تكون ذخيرة حية من اللحم والذين والسمن والخبز استخدما ما
دمت في الجزيرة ولو بقيت هناك اربعين سنة وان تسيّر ذلك لي متوقف
بنامو على تميم مهاجالي الى درجة تمكني من ابقائها معاً . وقد نلت مرغوني هذا
بواسطة الطريقة التي استنبطتها حتى انه اجمأت تلك الاعددة الصغيرة تميم
اضطر في الامر الى اقتلاع البعض منها لاني كنت قد غرسها قريبة جداً بعضها
الى بعض

وكان عندي في ذلك المكان كثير من العنب كنت استند عليه على
الاكثر في مونة الشتاء من الربيع . وكنت احسب الربيع من اشهر والذ ما
كان عندي هناك من الاطعمة . وكان فضلاً عن ذلك نافعاً قصصاً وشاهداً
ومفيداً ومرطاً الى العاية

واذ كان مسكني هذا في واسط الطريق بين قلعي والموضع الذي خلفت
فيه قاري كنت غالباً ابيت فيه عند سفري الى ذلك الموضع ذهاباً وإياباً .
لاني كنت انتقد قاري مراراً كثيرة واحافظ عليه وعلى ادواتي بكل حرص .

وكنيت اوفاناً انزل فيو لاجل الفتنة الا اني لم اكن ابعد اكلد من رمية حجر
او رمية رصاص عن الشاطئ خوفاً من اني بدفعني بفتة نهار او ريح او
حادث آخر ذاهباً في حيث لا ادري . وكنيت قد وصلت حيثنذ الى مناظر
جديدة من حاتي كما سبرد يانة

شعر

رماني الدهر بالارزاء حتى فوادي في غشاء من نبال
فصرت اذا اصابتني سهام تكمرت النصال على النصال

الفصل السابع عشر

خوف روينصن كروزي من اثر قدم راء بفتة على الرمل
وتحصينة قلعة

وانفق ذات يوم عند الظهر بينما كنت ذاهباً نحو فارابي التي رايت بفتة
اثر قدم انسان حافر على الرمل قد هشت متعباً من ذلك ووقفت جامداً
كمن اصابته صاعقة او ابصر خيلاً او كما يقال جبة . فتصتت والفتت
ذات البهيم وذات البسار فلم اسمع صوتاً ولا رايت شيئاً . ثم صعدت على
رابية لكي انطلع من هناك وكنيت اصعد وانزل على الشاطئ فلم ار شيئاً ولا اثر
شيء الا ذلك الرسم . ثم ذهبت الى لاري هل يوجد غيرة بالقرب منه او من
وم وغيل مني . فلم ار غيرة الا انه لم يكن محل للشبهة في كونه رسم قدم لان
اثر الاصابع والظب وكل جزء من القدم كان واضحاً جداً . ولكن لم اعلم كيف

كان ذلك ولا يمكنني ان انصور شيئاً من امره . وبعد فحشيات وانكار
كثيرة انشيت راجعاً الى قلبي مضطرباً ومتزعجاً جداً حتى اني من شدة الخوف
والرعب لم اكن اشعر بالارض التي كنت ادوسها . وكنت كلما خطوت
خطوتين او ثلاث خطوات التفت الى خلفي . وكنت اخاف من كل
شجرة او صخر اراه . وكل شجرة كنت اراها عن بعد كنت احسها انساناً
ولا يمكن وصف الاشياح الكثيرة المختلفة التي كانت يحيطني فنصور لي الاشياء
بها ولا وصف التصورات الموحشة المتنوعة التي خالجت خاطري وانا ماشياً
في الطريق

فلما وصلت الى قلبي لاني هكذا كنت ادعو دائماً متري بعد ذلك
الوقت وثبت داخلها كما كان يطارد عدو . ولا اعلم هل دخلت عن
السلم كما كنت افعل اولاً او من القب الذي في القصر الذي كنت احس
بأني . ولا كان يمكنني ان اذكر ذلك في هذا اليوم ايضاً لانه لم يهرب قط
اربع خائف ولا ثعلب جافل الى وجاريه اكثر رعب مما اصاحني لما هربت
نلك المرة

ولم ام تلك الليلة قط . وبقدر ما كنت ابعد عن مسبب خوفي كان
احساسي منه اعظم . وذلك ضد طبيعة مثل هذه الاشياء وعلى الخصوص ضد
ما لوف عادة جميع الخلائق في خوفهم . الا اني اذ كنت مرتبكاً ومتزعجاً من
تصوراتي الخوف لم يكن بخامر فكري الا اوهام مكثرة مع اني كنت حينئذ بعيداً
كثيراً عن ذلك الامر الذي سبب لي تلك المخاوف . وكنت انصور متوهماً
احياناً انه ينبغي ان يكون ابليس هو الذي فعل ذلك وكان عقلي يوافني على
هذا اليوم لاني كنت افعل كيف يمكن لغير ابليس ان يأتي الى ذلك المكان .
وكيف يمكن انساناً واحداً ان يصل الى هناك . واين المركب الذي اني به .
واين أثر قدم او اقسام آخر . الا انه كان يصعب عليّ احياناً ان اصدق ان
ابليس يتخذ له صورة انسان في مثل ذلك من دون غايه ايضاً . لانه لم يكن

بالم يقينا الى ارادة . ورد على ذلك اني كنت عالما بان المجلس يمكن ان يجد طريقا
اخرى كثيرة فهو في غير تلك الطريقة وهي ترك امر قدم واحد . واني اذ
كنت ساكنا على الجانب الآخر من الجزيرة لا يمكن ان يكون جامعا لهذا
المشاور حتى يترك رسما في مكان نسبة نظري اياه فهو الى عدمه كسبة واحد
الى عشرة آلاف . وذلك في الرمل ايضا حيث كان في خطر عظيم من ان
تنفض عليه مياه البحر عند اشتداد الريح ونحوه بالكلية . ومن ثم كان بيان
ذلك كله متفوضا باعتبار الشيء في ذاته وباعتبار كل ما نهضة من حيث
المجلس ومكره .

واذ كانت امور اخر كثيرة تساعد في انصافي يكون ذلك ليس من
عمل المجلس جزمت حالا بانه ينبغي ان يكون عمل حي اكثر خطرا منه .
اي انه ينبغي ان يكون بعض رارة من اهالي النارة التي كانت عبر البحر
مقابلي قد ناموا بنوارهم في لمح البحر ودفعوا اما بنوار او بريح مضادة الى
الجزيرة وخرجوا الى البر ثم اقبلوا حالا راجعين الى البحر . وربما كان
ذلك لانهم كرهوا الاقامة في تلك الجزيرة المظلمة كما كنت انا ايضا اكره اقامتهم
فيها

واذ كانت تلك الامور تتردد في عقلي شكرت الله في ضميري على حسن
حظي في اني لم اكن في تلك الجهة في ذلك الوقت وعلى انهم لم يروا فاري لانهم
لو رأوا القارب كانوا استدلوا منه على وجود سكان في الجزيرة وربما كانوا
خشوا علي ثم اخذت افكار هائلة تزعمني من جهة وجودهم القارب واستدلوا
به على وجود سكان هناك . واذا صح ذلك فلا بد من انهم سيأتون ثانيا
جمهورا اكبر ويقتلونني ويأخذون لحمي . وانه اذا اتفق انهم لا يجدون احدا
لا بد من ان يجدوا قلعتي ويقتلوا كل ما كان عندي من المعزى الالهية فاهلك
اخيرا من الجوع والعاراة

وهكذا كان خوفي بنفي كل رجائي الدنيوي وكل انكالي السابق على الله المني

على اختيار عجب لجوده كان ذلك الذي أعاني الى ذلك الوقت بالعجوبة
لا يقدر ان يحفظ بنو القوت الذي يتره في مجوده من . وكنت اوج نفسي
على كملب لاني لا ازرع حبوباً في سنة تكفيي للسنة المقبلة ايضاً كانه لا يكن
حدوث عارض يتعني من الشبع بالغلة الباقية في الحقل ايضاً . وكنت
احسب نفسي مصيباً في ذلك النوع حتى عرصد على ان احصل في المستقبل
سلفاً غلة تكفيي سنتين او ثلاثاً حتى اذا حصل عارض بها كان لا اهلك
لعدم وجود المخز

فما اغرب حياة الانسان في قلبها بياضة تدبير العناية الربانية . وما
اعظم اختلاف الاسباب التي تحرك عواطفنا بحسب اختلاف احوالنا وظروفنا .
فانا نحب اليوم ما سنبذله غداً . ونطلب اليوم ما نخبه غداً . ونرغب اليوم
في ما نخافه ونرتعد احسباً منه غداً . وفقدت جميع ذلك في سبغ ذلك الوقت
بطريق مؤثر واضح جداً . فاني انا الذي كنت مصيفي الوحيدة الى كنت في
ظاهر الامر متباً من عشرة في البشر ووحيداً ومحاطاً بالانفاس الذي
لا حد له ومقطوعاً عن البشر ومقتضياً عليّ بالعيشة العاصنة وكان الله فطر اني
لا استحق ان احصى في عدد الاحياء او اظهر بين مخلوقاته وكنت احسب ان
نظري الى واحد من جسي في البشر اقامة لي من الموت الى الحياة واكرم
البركات التي بقدر الله نفسه ان يحصها بعد بركة الخلاص الفائقة كنت في
ذلك الوقت ارشف مرتعداً من مجرد الاحساب من ان ارى انساناً . وكنت
اكاد اهرق في الارض من علامة او رسم صامت يدل على ان انساناً ما قد
وضع قدمه في تلك الجزيرة . فهذه هي حالة العيشة البشرية الكثيرة الضعيف
والثقلات . ولما هذا روعي وسكن قلبي فيما بعد من تلك الوطة اخذت افكر
اكتكارات عجيبة غريبة . فافكر ان تلك العيشة هي التي قصت لي بها عناية
الله ذات الحكمة والجوده المبرر المتعجبين والي لا استطيع ان انظر سلفاً ما
هي غايات الحكمة الالهية في ذلك جميعه ولهذا لم يكن لي حتى ان اقاوم سلطته

المخلقة . وذلك لاني اذ كنت خليفة كان له حق لا رب فيه اوف يسلط
علي ويتصرف في تصرفاً مطلقاً كما يحسن لديه . واذا قد اعطته ايضاً كان له
حق شرعي ان يحكم علي بالنصاص الذي يرضي به . واذا كنت قد اخطأت
اليو كان من واجباتي ان احمل غصه بخضوع . ثم نظرت لدى التأمل ان
الله الذي هو عادل وقادر على كل شيء ايضاً كما حسن لديه اوف يخاصني
ويؤذي ملكاً بقدر ان يبرأف علي وينقذني . وانه اذا لم يحسن لديه ان
يعاملني ملكاً يجب علي مع ذلك ان اسلم نفسي لارادته تسليماً كاملاً مطلقاً
وان اكل علي واصلي اليو واخضع لاحكامه وتدير عيابه الفائلة

فصرفت في هذه الافكار ساعات كثيرة واباناً لابل اسامع واشهرأ
ايضاً . وقد احدثت في تلك التأملات تأثيراً قوياً ينفذ الذكر . فاني في
ما كنت ذات يوم صباحاً مصطحباً في فراشي ومضطرباً جداً من الافكار
الكثيرة التي اتني من جهة الخطر الذي كنت فيه من البربرة اذا بالكلمات
الآية قد خطرت بيالي وهي ادعني في يوم حزنك فانقذك ونجذني . وعند
ذلك نهضت من سريري فرح وخامرت قلبي نعمة جديدة وارشدني الله
وقوالي بعمتي ان اصلي اليو بجمرة واحلب من تعالى ان ينقذني حسب وعده .
ولما فرغت من الصلاة تناولت الكتاب المقدس وقضت لأمرأ قيو . فكانت
الكلمات التي وقع نظري عليها اولاً هي قوله تعالى اضطر للرب بتسدد
وتخلد قلبك وانظر الله . ولا يمكنني وصف ما شملني عند ذلك من الحبور
والعزبة . فوضعت الكتاب عند ذلك بجاني ولم بعد بخامرتي كتابة اقله في
ذلك الوقت

وجنا كنت في وسط تلك الاضطرابات والاحتمالات خطر
بيالي في احد الايام ان ذلك ربما كان جملة مجرد وهم مني وان ذلك الامر ربما
كانت امر قديم عند خروجي من قاري الى البر . فسرني ذلك قليلاً
واخذت اتبع نفسي بان ذلك كله انما هو وهم وبان الامر هو امر قديم

لا محالة . واخذت اخاطب نفسي قائلاً أما كان ممكناً اني اكون قد رجعت
من القارب في تلك الطريق كما كنت ذاهباً فيها اليه . وعدا ذلك انه لم
يكن ممكناً لي بالكلية ان اعلم حقاً اني دست وابن لم ادس . وانا ظهر في آخر
الامر ان ذلك الامر انما هو اثر قديمي اكون قد نصرفت نظير بعض
المؤمنين الذين يلقون حكايات كاذبة عن الخيالات والنجاف ثم يخافون منها
أكثر من الآخرين

فاخذت حقتل الشجع وانطلق الى خارج . وكنت قد بقيت ثلاثة ايام
وثلاث ليل لا اخرج من قلعتي حتى صرت في حاجة عظيمة الى الطعام .
لانه لم يكن عندي في المنزل الا بعض اربعة شعير . وكنت اعلم ان المعزى
ترغب ان تحلب لاني كنت احلبها كل يوم معاً . وكانت المسكينة مثالة جداً
من امتلاء ونحزني درهما وقد تعطل بعضها وكاد حليبها يتشقق . واذ نجعت
نفسى بالاعتقاد بان ذلك ليس الا رسم احدي قديمي وبانه يصح القول عني
اني اخاف من غيري ابتداءً اخرج من منزلي . ثم ذهبت الى مسكني الجبل
لكي احلب قطيعي ولو وجد من يرى كيف كنت امشي وانا خائف وكم مرة
كنت اتفتت الى ورائي وكيف كنت مستعناً مرة بعد الاخرى ان ارمي سلمي
الى الارض واركض طلباً للنجاة لظن في اني متعب من ضيق شرير داخلي او
انه قد اغتراني مؤخراً رعب منوط وداه جنون . وكان الامر في الحقيقة
كذلك . ولكن اذ كنت اسير هكذا مدة يومين او ثلاثة ايام ولم اصادف
شيئاً اخذت ازبد جراءةً واخذت افكر انه لم يكن شيء في ذلك الا نصورات
واوهام فارغة غير التي لم استطع ان اوطن نفسي على هذا الفكر واقنعها به
ثباتاً الا بعد التبول ثابة الى الشاطئ لاري اذا كان بين ذلك الامر وبين
قدي شيء من المشابهة كافي لاقناعي بانه رسم قديمي . ولكن لما وصلت الى
الموضع ظهر لي واضحاً انه لا يمكن ان اكون قد ذهبت الى تلك الجهة من
الشاطئ عند ما ربطت قاربي هناك . ثم لما فست ذلك الامر على قديمي

وجدة أكبر منها بكثير . فلما لاحظت هذه الأمور امتلأ عقلي أفكاراً
وفصوات جديدة وراجعتي مخاوفي بعزم شديد حتى برد دمي وارتعدت
فرائصي وكنت أرغب كمن يكون في دور من البرد . فالتفت راجعاً الى
البيت معتقداً بأنه لابد من ان يكون انسان او أكثر قد زار تلك البقعة
وان الجزيرة مسكونة وأنه ربما يدهني عدوً بقعة على غنلة مني . وكنت في
حيرة عظيمة لا اعلم ماذا اعمل لكي اكون في امان وطمأنينة

ومن عادة الناس عندما يستولي عليهم الخوف ان يهملوا بعمل انبياء اخر
في العاية . وذلك لان الخوف يهدمهم الانتفاع من الوسائط التي يقدمها العقل
لاجل راحتهم . فاول شيء جال في خاطري هو اولاً ان اهدم كل صهري
واطلق جميع مواشي الاهلية في الاحراش خوفاً من ان يجدها العدو ويتردد
الى الجزيرة لاجلها او لاجل سلب ما يشيها . ثانياً ان اقتلع مزروعاتي من
الارض والشعير لتلايحيد الاعناء ذلك هناك فيجلبهم على التردد الى الجزيرة .
ثالثاً ان اهدم مخمعي وقلعي واحمو رسماً لكي لا يروا آثار مسكني فأخذوا في
التفتيش على الساكن

فكان ما تقدم موضوع تأملاتي في الليلة الاولى بعد رجوعي الى البيت .
وذلك عندما سكنت الاحضائيات التي غلبت مكناً على عقلي لم تزل حديثة
وكان رأسي مملوفاً من الاوهام . وهكذا الاحتمال من الخطر هو اعمول جداً
ما يكون الخطر نفسه عندما يظهر لا بصارتنا . وقد نجد خوفاً اعظم كثيراً
من الشر الذي نخاف منه . والذي كانت ارداً من ذلك جميعه هو اني لم
احصل في ذلك الثاني كما كنت اتمنى على الراحة الناتجة من التسليم لارادة الله
كجاري عادي . وكان منطري كما ظننت نظير منظر شاول الملك الذي
كان يشكي ليس فقط من ان الفلسطينيين كانوا عليه بل ايضاً من ان الله
تركه وخذله . لاني حينئذ لم استعمل الطرق الواجبة لاجل تسكين قلبي
بواسطة الصراخ الى الله عند ضيقي والالتكال على عابو تعالي في امر صياني

ونحوالي . فلو فعلت ذلك لكنت على الأقل حصلت على المساعدة اللازمة في ذلك الاضطراب وربما كنت خلصت منه بأوفر نشاط .

فأحييت ذلك الليل كله بالافكار المزعجة التي عند الصباح نمت . وإذا كنت قد نعتت وضعفت فهي من كثرة الافكار استغرقت في النوم ثم انتهت براحة وهذا أكثر ما حصلت عليه من ذلك في حياتي . فاخذت حينئذ افكر برصانة وإيمان نظر . وبعد محاورات مستطيلة بيني وبين نفسي حكمت ان تلك الجزيرة البعيدة والكثيرة المصب والتي كنت قد رأيت انها لم تكن بعيدة عن القارة الا قليلاً لم تكن مجهزة بالكفة من الناس كما كنت اتوهم وأنه اذا كان لا يوجد هناك سكان مفهون دائماً فيها ربما كانت باقي اليها أحياناً فوارب من البحر اما قصداً او ربما جبراً وذلك عند ما تدفعها ارباب مضادة من فيها الى تلك الجزيرة . والتي قد اقيمت هناك خمس عشرة سنة ولم اصادف قط شعباً او صورة انسان . ومن ثم لاح لي ان البرابرة اذا دفعوا اليها أحياناً رغماً عنهم ربما كانوا يرجعون منها بقدر ما يمكنهم من السرعة كأنهم لم يخصصوا الإقامة فيها . وإن الخطر الوحيد الذي لاح لي انه يجني علي من انما كان على الأكثر من جهة نزول قوم منهم بالصدقة والعرض الى البر وذلك ممكن كالا يجني . ولكن اذا دفع اولئك الى الجزيرة رغماً عنهم يكون وجودهم فيها ضد عاظمهم وإرادتهم ولذا لا يقيمون هناك بل يرجعون بكل سرعة . وقبلما كانوا يقيمون ليلة واحدة على البر خوفاً من ان يقتلوا مساعدة المذ وضوء النهار في رجوعهم . وبناء على ذلك لم يكن علي الا التبرع في ملجأ الموت اتحصن فيه اذا اتفق خروجهم بالصدقة الى البر كما تقدم

وحينئذ اخذت انهم متأسفاً على التي وسعت مغارقي حتى انفتح لها باب خارج ملقى السور والثل كما ذكرت قبلاً . ولدى العالم وإجادة النظر عزمتم على ان اعمل سوراً آخر على شكل نصف دائرة ايضاً بعيداً عن سوري الاول اي في الموضع الذي غرست فيه من مضي نحو اثني عشرة سنة

صنوع من الاشجار كما علمت واذ كانت تلك الاشجار قريبة جداً بعضها الى بعض لم تكن تحتاج الا الى ركر او نناد قليلة منها لكي تكون اميع وقوى ومكثلاً ينتهي سوري سريعاً ويصير لي حيث ندر سور مضاعف . ومكث سور به الخارجي يقطع من الاخشاب العتيقة والشيء آخر فصار قوياً متيناً . وجعلت في ذلك السور سبعة اثواب او مرام مستديرة على قدر يدي . وجعلت عرض سوري الداخلي نحو عشر اقدام . فكنت دائماً اخرج الثراب من منارتي واضعة عند اسفله واسني عليه لكي يلبد . واجتهدت ان اضع في المرامي السبع البواريد السبع التي طاشت منها من المركب واحتفظت عليها الى ذلك الوقت ووضعت تلك البواريد على عجالات غمرها بظفر مدافع حتى كان يمكن ان اطلقها جميعها في دقيقتين من الزمان . فصرخت عدة شهور وفاسدت انعاماً جريئة في عمل ذلك السور الا اني لم اشعر قط بطمأنينة الا بعد تكميله

فلما فرغت من عمل السور غرست في جميع الارض خارجة على مسافة بعدة من كل جهة اوتاداً او عوداً متفاربة بقدر الامكان من شجر يشبه الصنصاف ما وجدته يعيش وينمو بسرعة . وربما كان عدد ما نصبت من ذلك عشرين الفاً تقريباً . وقد تركت فحة واسعة بينها وبين السور لكي يكون لي مكان اري منه العدو اذا اقبل ولكي لا يكون له ملجأ في ظل الاشجار الصغيرة اذا حاول الدنو من سوري الخارجي

ومكثاً في مدة سنتين صار عندي غابة مشيكة او مثثة وفي مدة خمس او ست سنين صار عندي امام منزلي حرش ظليل وعاصد جداً يتعمر الاجنبار فيه ولا يمكن لاحد من الناس ان ياتي ان يفكر انه يوجد وراءه شيء وبالاخرى منزل . ولم انفع تلك الدائرة في السور معبراً للدخول والخروج بل كنت ادخل واخرج على سلمين صنعتهما لذلك فكنت اذا رفعت السلمين لم يكن انسان يستطيع ان يندل الي من دون ان يعرض نفسه للاذى حتى اذا نزل ايضاً يكون مع ذلك خارج سوري الخارجي

وهكذا اخترعت لصياني كل ما يمكن للحكمة البحرية اختراعه من الوسائط
وسمى ما سيأتي بيانه ان تلك الوسائط لم تكن يجعلها من دون سبب كاف
وان كنت لم ار شيئاً في ذلك الوقت الا ما اراقى اياه مجرد خوفي واذ كنت
مستغلاً في ذلك لم اكن اغفل عن مصالحى الآخر . لاني كنت مهتماً جداً
بتطبيع الصغير من المعرى فانه كان مؤنة معذلة لي في كل وقت . وكان قد صار
كافياً لعمالي من دون كلثة البارود والمخردق وكانت يوفى ايضا على تعب
السي في صيد الحيوانات البرية

فبعد ابعان النظر والتأمل مدة منتهية لم يخضر بيالي الا طريقان
لحفظ ذلك القطيع . احدهما ان احدهم مكاناً آخر يصلح لان احمر فيه مغارة
تحت الارض اربعة فيها كل ليلة . والآخر ان اقيم سياجاً حول قطعتين او
ثلاث قطع من الارض في جهات مختلفة معتدلة بعضها عن بعض تكون مستديرة
بقدر الامكان ويمكن ان اضبع في كل منها نحو ستة جدها حتى اذا حصلت
دائمة على القطيع في الجملة يمكن ان اربطها بتعب قليل ووقت قصير . ومع
ان ذلك يستلزم وقتاً طويلاً ونهياً جريلاً لم يكن حسب معرفتي طريق
اصح منه للحصول على المرغوب ومن ثم صرفت مدة في التمشي على القطيع
الاكثر انفراداً في الجزيرة . فوجدت قطعة منفردة صغيرة رطبة في بقعة
منخفضة في وسط احراش مستنقعة حيث كنت اضبع فهلاً بينما كنت راجعاً في
تلك الطريق من جهة الجزيرة الشرقية كما ذكرت آنفاً . وكانت جرداء لانحر
فيها مساحتها ثلاثة فدادين واذ كانت محاطة بالاحراش من كل جهة كانت
كأنها حظيرة طليعة ولم تكن تحتاج نهياً لجمعها حظيرة صناعية بفارب ما
كادته من الانساب في تحصين بقعة القطيع

الفصل الثامن عشر

تداير روينصن كروزي وإطلاعه على ان البرابرة
كانوا يرددون الى الجزيرة

فاخذت حالاً انتغل في تلك القطعة وفي اقل من شهر احطتها بسياج
من كل جهة حتى ان قطعي الذي كان قد صار اعلياً كان يقيم فيها بأمان
وطمأنينة ثم غلبت سريعاً اليها عشران من الاناث واثنين من الذكور من جناء
المعزى. وبينما كنت هناك كنت انتغل في تكميل السياج حتى صار مكيناً
مبعماً كالذي عملته قبلاً بأصغر ثأني وصرفت عليه وفقاً أكثر. والذي
محلي على ذلك انما هو مجرد ما خافني من الاحساب من جراء أثر تلك
القدم. لاني الى ذلك الوقت لم أر انساناً الى الى الجزيرة. وكنت حينئذ قد
قضيت سنتين في تلك المخاوف التي جعلت عيشي اقل راحة ومناه من السابق
كما لا يخفى عن يعرف عيشة من كان دائماً ومن دون انقطاع في حالة
الخوف من الناس. ويعني ان افول ان اضطراب عجلي أثر تأثيراً مفرطاً
في افكاري الدينية. لان الخوف والاحساب من الوقوع في ايدي البرابرة
والغيلان كانا يؤثران جداً في حاسباتي حتى اني كنت لا اجد نفسي الا نادراً
في حالة مناسبة للاتجاه الى خاقي بالهدوء والسكينة والتسليم لارادته كما كنت
افعل قبلاً. بل كنت اطلب الى الله كالي واقع في مصيبة عظيمة وانضغاط
عقل شديد ومحاط بالاعطار من كل جهة ومتعذر كل ليله ان اتغل واضلع

قبل طلوع الفجر . ويجب ان اشهد اني وجدت بالاختبار ان من كان في حالة السلامة والفكر والهمة والمودة يكون أكثر استعداداً للصلاة من يكون في حالة الخوف والاضطراب . وان من كان في حالة الاضطراب والخوف من الوقوع في مصيبة لا يكون مستعداً كما يجب لتكميل واجبات الصلاة الى الله والحصول على تزيه منها أكثر مما يكون مستعداً للتوبة من كان على فراش الموت . وذلك ان حالة الاضطراب تؤثر في العقل كما تؤثر حالة المرض في الجسم . ونسب العقل يجب بالضرورة ان يوقع صاحبه في الفجر عن الصلاة بقدر نسب الجسم او أكثر منه . وذلك لان الصلاة الى الله هي من اعمال العقل لا من اعمال الجسم . واذا قد علمت ذلك فلنرجع الى ما كنا في صدده

فبعد ان احزرت على هذا المنوال قسماً من موجوداتي الحرة القليلة اخذت اجول في الجزيرة مفتداً على موضع آخر منفرد لكي اودع فيه وديعة اخرى . وبينما كنت هائماً في الجهة الغربية من الجزيرة ومتوغلاً فيها أكثر مما فعلت من حين دخولي اليها نظلمت نحو البحر فترأى لي كائن ارى قارباً على ظهر البحر على بعد قاصد جداً . وكنت قد وجدت نظارة او نظارتين في احد صناديق الجزيرة التي خالصتها من المركب ولكن لم تكن حبيبتني معي وكان ما نظرت به بعيداً جداً حتى اني لم اعلم حقاً ما هو مع اني لم ألت احقق فيه حتى جدت عيناوي ولم يعد فكنت ان انظر ايضاً . ولم اعلم هل كان ذلك قارباً ام شيئاً آخر . ولكنني لما تزلت عن التل لم اجد اشارة فلم اسأل عنه . الا اني عزم ان لا اخرج في ما بعد الا ونظاري في جيب . وبعد ان انحدرت من التل الى مكان من الجزيرة لم اذهب قط اليه قبلاً فتمت حالاً ان نظري اثر قدم في الجزيرة لم يكن امراً مستغرباً كما توهمت واني لو لم انني بهناية خصوصية على الجانب الذي لم يدخله البرابرة قط لكنت عرفت بسهولة انه لم يكن شيئاً أكثر وفروعاً من جيب قوارب البرابرة من القارة الى تلك الجهة من الجزيرة فاصدفت

الدخول الى منها امن عند ما تدفعهم الرياح والامواج الى مدى بعيد في
البحر . وكذلك اذ كانت البرابرة من عادتهم ان يلتقوا معاً ويخاربوا في
قواربهم كانت النية الظاهرة اذا استأثرت بعضاً من الاعضاء تأتيهم الى ذلك
الشاطئ وبما انهم جميعاً غيلان يأكلون لحوم الناس كانوا يجاري عادتهم القبيحة
بذبحونهم ويأكلونهم هناك كما سياتي بيانه

فلما هبطت عن القل الى الشاطئ كما سبق وذلك في الجهة الجنوبية
الغربية من الجزيرة ارتبكت الى الغاية ودهشت . ولا افدر ان اصف ما
اذا رأيت من الارتعاب والرعشة عند ما رأيت الشاطئ مغطى بجماجم وايد
وارجل وعظام اخرى من اجسام بشرية . ولا سيما اذ رأيت مكاناً فيه آثار نار
ضمن دائرة قد حثرت في الارض على شكل حلقة كانت البرابرة الانشواه
يجلسون حسب ظني حولها يتنعمون بولائم من اجسام اخوتهم في البشر
فدهشت جداً من ذلك المنظر الفظيع واشتدت غافلاً عما كان علي
من الخطر منهم . فان جميع مخاوفي ضاعت بين افكار تلك الفساق الوحشية
الجهنمية المتجاوزة الحد وفساد الطبيعة البشرية المشرط الذي كنت قد سمعت
عنه مراراً كثيرة الا اني لم انظر تأييداً فقط نظراً قريباً بهذا المنذر . وبالاختصار
اني حولت وجهي بكرامة عن ذلك المنظر النجس وجاشت نفسي وكذبت افع
منني علي واخذت استفرغ استراحتاً مزعجاً . فحصلت على شيء من الراحة بواسطة
دفع الطبيعة ما كان يرغمني في معدي الا اني لم اطلق الإقامة هناك ولا دفقة
من الزمان . ومن ثم صعدت الى القل بقدر ما امكنت من السرعة والثلث
راجعاً نحو منزلي

فلما ابتعدت قليلاً عن ذلك القسم من الجزيرة وقفت مرة متدهلاً متدهلاً
ولما سكن روحي بعد قليل رفعت نظري نحو السماء بانسحاب شديد وشكرت
الله بدموع غزيرة على اني اغترت نصبي في مكان مفرد عن خللاني مهولة
كتلك الخللاني وعلى انه قد غرقتي بركات جزيلة في تلك الحالة التي لم ارض

بها حتى ان الاشياء التي كانت يجب عليّ ان اشكره تعالى لاجلها كانت اكثر
من الاشياء التي كان يجب لي ان اذمر عليها بسببها . وعلى الخصوص على الي
كنت قد حصلت في تلك الحالة القبيحة على نعمة ناجية من معرفتي ورجاء
مركاؤ . وكانت ذلك معادة توازي جميع المصائب التي كابدها والتي كنت
مرميا ان اكابدها

فبتلك الحاسبات وذلك الشكر ذهبت راجعا الى قلعتي وصرت اذمر
براحة من جهة الامان على نفسي اكثر من السابق . لاني لاحظت ان اولئك
الاشياء لم يأتوا قط الى تلك الجزيرة لاجل التدبير على بعض الاشياء مما يمكنهم
وجوده . وربما لم يطلبوا ولا ارادوا شيئا ولا طمعوا في وجود شيء هناك .
ويجب ان يكونوا قد ترددوا مرارا لا محالة الى الجهة المغطاة بالاحراس فلم
يجدوا شيئا ما يرغبون فيه . وكان قد مضى عليّ في تلك الجزيرة ثمان عشرة سنة
تقريبا ولم ارفعها ادنى امر لتقديم اسنان . وكنت اسلم الله بكفي ان ابقي ثمان عشرة
سنة اخرى من دون ان يعلموا بوجودي هناك ما لم اظهر لهم نفسي ولكن لم
يكن لي ادنى رغبة في ذلك لان صاحبي انما كان ان ابقي عفتا بالعام في مكاني
الا اذا وجدت جسما احسن من جنس الديان اكتشف لم ذاتي . وكنت اكره
جدا اولئك البرارة الاشياء وعادة الناس السجدة في انهراس واكل بعضهم
البعض حتى اني بقيت مدة غائبا في بحار الفكر ومكتشيا جدا من جرى ذلك .
وبقيت داخل دائرتي مدة ستينيت بعد ذلك الاكتشاف . وعندما افول
دائرتي اعني بها مزارعي الثلاث اي قلعتي ومترلي الجبل الذي كنت ادعوه
خيمني وحظيرتي في الحرش . ولم اكن انظر الى تلك الحظيرة الا نظير مزرب
العري . لان النور الذي حصل عندي من اولئك الاشياء كان قويا جدا
حتى اني كنت اشتر من نظرم كاشف من نظر الشيطان نفسه . وفي كل
تلك المدة لم اذهب لاجل افتقاد قارتي بل ابتدأت بالحري الفكر بعمل قارب
آخر . لاني لم اكن اطبق الفكر ان احاول ايضا الايات بالقرب حول

الجزيرة الى موضع خوقا من ان اصادف بعض اولئك الاشقياء في البحر لاني
كنت اعلم جيدا ماذا يكون نصبي اذا وقعت في ايديهم

الا اني مع نادي الوقت واعنادي بانه لا يوجد علي خطر من ان
يحدثوني اخذ خوفي منهم يزول شيئا فشيئا واعتدأت اعيش براحة بال وطأنينة
كالمسافر الا اني كنت اكثر حذرا واتيقنا ما مضى اثلا يظفرونني انفاقا في
وقت ما . وكنت احذر على الخصوص من اطلاق بارودي لئلا يفتق عدد
اطلاقها ان يكون بعضهم في الجزيرة فيسمع صوفا . وكان من حسن عهدي
اني كنت قد ريت قطعا من المعرى لاجل عياني والاستغناء به عن الطواف
في الاحراش لاجل صود المعرى ورميها بالرصاص . وكنت مع ذلك اصطاد
ما اصطاده بالفخاخ والامراك كما كنت افعل قبلا . واطرت الي بنيت في
شبهين لا اطلق بارودي على اني كنت لا اخرج خارج منزلي بدوفا . وعلا
ذلك اذ كنت قد خلصت ثلاث طيقات من المركب كنت دائما احملها جميعا
او اقله اثنين منها شاكا اياها في زكري الذي كان من جلد كالعسل وقد
صنعت واحدا بطنانا كبيرا ما كنت قد خلصت من المركب وعلمت له ميرا
كنت اعلمه فيه . وهكذا كانت منظري ميرا مفرقا عدد السم ولا سيما اذا
اضفت الي ما سبق من شرح حالي البارودين وبطنانا كبيرا عريضا معلقا
على جانبي سمير ولكن من دون فراب

فاذ كانت الامور تسري على هذا الموال من من الزمان كان بيان ان
حالي حينئذ كانت كحالي الماضية من جهة المندو والسكية الا في امور قليلة .
وكانت تلك الامور تربي اكثر فاكتر كم كانت حالي بعيدة عن ان تكون
نعممة بالنسبة الى احوال اخر كثيرة ما كان ممكنا ان يكون نصبي لو شاء الله
ان يجعله كذلك . وكانت تجعلني انظر كم يكون التدمير فليلا بين الناس
من جراء احوالهم بها كانت اذا قابلوها بما هو ارضا منها لان ذلك يجعلهم

يرفضون بها ويشكرون الله من اجلها بخلاف ما اذا قابلوها بما هو احسن منها
لان ذلك من شأنه ان يزيد من تشككك وعدم ارتضاءه .
ومع اني لم اكن في تلك الحالة في احتياج الى اشياء كثيرة في الحقيقة كنت
احسب ان الخافق التي اعتدتها من جهة اولئك البراريه الاشياء واعمالها في
وقاية نفسي من الوقوع في ايديهم قد الهني عن الاهتمام بشيئ ما يلزم لراحتي .
وكنت قد تركت مقصداً جيداً كنت منصفاً عليه انصافاً مفرطاً وهو عمل
(الجمعة) اي ماء الشعير وكان توخي ذلك من باب الحفاة . وكنت اوضح
نفسي مراراً بسبب . لاني وجدت لدى التأمل ان علة بنفي ادوات وسواد
كثيرة مما لا استطاعة لي على وجوده او ايجاده . فانه لم يكن عندي براميل
لاجل وضعه ولا كانت لي استطاعة على عمل ذلك وحسنت قد صرفت اياماً
واسابيع واشهرًا ايضا في معالجته ولكن من دون فائدة كما علمت قديماً ولم يكن
عندي من الاجزاء اللازمة الا الشعير . وذلك لا يكفي وحده كما لا يخفى
ولكن لولا الخافق والاحتسابات من البراريه التي كانت ترهني وتلهو
افكاري كنت مع قدر ما تقدم باشرت في عمل ذلك لا محالة وربما كنت
نجحت فيو كما نجحت في غيره . لاني قلما اخذت في شيء بشايطن رجعت عنه
من دون تنهيه الا ان اعاني حينئذ كان منهيها الى جهة اخرى . لاني لم اكن
اقدر ان افكر لئلا ولا نهائياً الا في كيفية التوصل الى اهلاك البعض من
اولئك المصوخ عند ما يكونون جاهلاً على ولائهم القاسية الدموية وتخليص من
يمكن ان اخلاصه من ايديهم من ياتون به الى هناك من اسرام لاجل القتل به
واهلاكه . ويحتاج الامر الى كتاب اكبر ما قصدت ان اجعل هذا الكتاب
لاجل تدوين جميع الحيل والتدابير التي جالت في خاطري لا تقوى على اهلاك
اولئك الغيلان او تخويلهم على الاقل بمحوت يتبعون عن التردد الى ذلك
الموضع . الا ان كل تلك الحيل والتدابير كانت خاصة لا يتوصل بها الى
المقصود . ولم يكن ممكناً على شيء لنيل المرغوب على انه مرام ما لم اكن انا بسني

هناك لاجرية يدي . ولكن ماذا يفدر رجل واحد ان يعمل بينهم اذا اتفق
ان يوجد عشرون او ثلاثون منهم معاً يزارهم او قسمهم وسهامهم التي يصيرون
بها كما اصعب انا يبارودي

وكان بلوح لي احياناً ان احفر مطبوعة تحت الموضع الذي كانوا يشعلون
فيه نارهم واضع هناك اثنين او اكثر من البارود حتى اذا اشعلوا نارهم يشعل
البارود حالاً ويهلك كل من حوله . الا انني لم اُرد ان اضع فيهم هذا المقدار
من البارود لانه لم يبق من ذلك عندي الا نحو برميل وكنت لا اعلم فيما انه
يشعل في وقت يؤمل فيه انه يدهم بقية حتى انه اذا صح ذلك لا يكون منه
الا فدف النار الى ما حول اذانهم واخافتهم وذلك لا يمكن لان يحصلهم على
غير الموضع . ومن ثم عدلت عن هذا الرأي واخذت افكر ان اكن لم
في مكان مستتراً يوار يدي الثلاث المزدوجة مذكوكة دكا محكاً واطاها عليهم
فيما يكونون في وسط ولا تهم الدموية . ولا بد من اني اقبل او اخرج في كل
طلق اثنين او ثلاثة منهم . ثم احمل كاراً عليهم بطبقتي الثلاث وسني . ولم
اكن اشك الى انقدر ان اقلهم جميعاً واو كانوا عشرين نفرأ . فصرفت عدة
اسابيع اسلي نفسي معطلاً اباهما بين الآمال . وكان رأسي مملوفاً من تلك
الافكار حتى اني كنت احلم بها مراراً . وقد حلت مراراً في نومي كوني هاماً
على رجليهم بالرصاص . وكنت منهمكاً جداً في ذلك حتى اني صرفت
اياماً كثيرة في التفتيش على اماكن تصلح لان احصون لم فيها وانرصدهم كما سبق .
وقد ذهبت مراراً الى نفس الموضع الذي كانوا يترددون اليه لانه كان قد
صار مأنوفاً عندي ولم أعد اخاف من منظره . واذا كان رأسي مملوفاً من
افكار الانتقام وقتل عشرين او ثلاثين منهم كنت كراهي الموضع والساحة
اطل اولئك البرابرة الوحشية الغريبة في افلاخ بعضهم البعض تريد في غضباً
ورغبة في املاكهم . واخيراً وجدت مكاناً كنت اقدر بحسب زعمي ان اقيم فيه
بأمان انظر هناك قدوم قواربهم . حتى اذا اقبلوا على الدخا على فقبل ان

يخرجوا الى البر اتفل خفية الى غاية ظليلة في جوار تلك التلة كان في وسطها
شجرة كبيرة مجوفة كافية لان اخشي فيها واجلس هناك الاعمظ اعالم الدموية
وعند ما ارام مجتمعين معا اوجه بارودي في توجيها محكما نحو رؤوسهم ومن
هناك اريهم بالرصاص فاجرح ثلاثة او اربعة منهم في الطلق الاول . فعزمت
على ان احسن في ذلك الموضع وقمات بارودتين وبارودة الصبد المعاومة .
فدككت كلا من البارودتين برصاصتين كبيرتين واربع او خمس رصاصات
صغار ودككت بارودة الصبد بحفنة من الخردق الخشن من اكبر ما يوجد .
ثم دككت الطنجنتين برصاص واضعا في كل منها نحو اربع رصاصات . واذ
كنت في تلك الحالة وكان عندي من البارود ما يكفي لثاني وثالث طلق
تأهيت للسفر

وبعد ان دبرت اموري على هذا الموال واجريتها في تخلي كنت اذهب
كل يوم صباحا الى راس الفل الذي كان على مسافة ثلاثة اميال او اكثر
عن قلعي لانتطلع لملي انظر قوارب في البحر قريبة من الجزيرة او متبلة
نحوها . الا اني بعد ان صرفت مئة شهرين او ثلاثة اشهر في المراقبة من دون
انقطاع ولم يظهر شيء في كل تلك المدة على الناطق ولا بالقرب منه ولا في
الاقيانوس كله بقدر امتداد نظري ونظاري من كل جهة ملكت منضجرا من
ذلك العمل الملل وكنت عنه

وكنت في كل المدة التي ذهبت فيها الى ذلك الفل لاجل المراقبة مصرا
بمناد على عزمي ومستعيا دائما لذلك العمل النضج اي قبل عشرين او
ثلاثين من البرارة المرأة لاجل عمل لم انظر اليه في فكري الا من حيث
جعل في حاسيات غضب ناتجة من كراهتي للعادة الردية المضادة للطبيعة
المجارية عند اعمالي تلك البلاد الذين ان الله بعناهم وتديروهم بحكمة للعالم قد
تركهم من دون مرشد يرشدهم الا شهواتهم الردية المكرومات . ومن ثم اعملا
وبنوا على هذه الحال مدة اجمال يعملون اعمالا فجيعة كهك ويعلمون عادات

فقطبة لا يمكن ان يكون قد ادخلها بينهم الا طبيعة متروكة بالكلية من الله
ومحرقة بنسب جهتي. الا اني لما ابتدأت امل متغيرا كما تقدم القول من
سفر طويل عدم الشر كنت قد داومت كل يوم صباحا زمانا طويلا بهذا
المقدار وذلك من دون فائدة أخذ رأيي في ذلك العمل تنسو بتغير.
وبما كانت افكاري اكثر هدوا وحكمة اخذت اأمل في ما كنت مزعما ان
ارتكبه فائلا في نفسي اي سلطان لي ومن اتقني لان اكون فاضيا ومودبا
لأولئك الناس كذابين مع ان الله قد استحسن ان يتركهم اجالا كثيرة من
دون قصاص وسمح ان يبقوا في حالهم ويكونون كأنهم يحرون احكامه تعالى
بعضهم ضد بعض. وما هو ذنب هؤلاء الناس التي واي حتى لي ان انعرض
للمطالبة بذلك الدم الذي كانوا يستكفون بعضهم من بعض من دون مبالاة.
وكنت اجادل نفسي عن هذا الامر مرارا هكلا من اين اعرف ما هو حكم الله
نفسو في هذه المسألة الخصوصية. فهو مؤكدا ان اولئك القوم لم يكونوا يرتكبون
ذلك كذنب. ولم يكن ضد ضامر نوحهم ولا ضد معرفة نوحهم. ولا يعلمون
ان ذلك ذنب فيرتكبونه افتراء على عدل الله كما فعل نحن في جميع الخطايا
التي يرتكبها الا ما قل منها. ولا يتكرون عن قتل امير مأخوذ في الحرب انه
حرام كثيرا ما تفكر نحن عن قتل ثور. وم يستهينون اكل لحم الناس كما
نسبح نحن اكل لحم الغنم

فلما امتعت النظر في ذلك فابلا ظهر لي بالضرورة اني كنت مخطئا في
حكمي فحكمت حينئذ ان اولئك البرابرة ليسوا فتاة بالمعنى الذي حكمت عليهم
يو قبل في ضميري اكثر مما هم باقي الشعوب الذين يقتلون عادة الاسرى
الذين يمتأسرونهم في الحرب او الذين مرارا كثيرة يعملون السف في جماعهم
كاملة من الناس ولا يعنون عنهم وان القوا سلاحهم وسلموا. ثم لاح لي ايضا
انه وان يكن تصرفهم بعضهم نحو بعض وحشيا وقاسيا لم يكن يعني في الحقيقة.
فانهم لم يذنبوا التي ولا الحقوا في اذى. فاذا جرموا او نظرت انه ضروري

لاجل وقائي والمدافعة عن نفسي ان افزع بهم يكون لي حيلة عذر مقبول .
 الا اني كنت الى ذلك الوقت بعيداً عنهم وكانوا غريبين عارفين بي ومن ثم لم يكن
 لهم نية للتعرض لي ولهذا ليس لي حق ان اتعرض لهم . ولو جاز لي ذلك لما
 كان لوم على اهالي اسبانيا من جرى اعالم البربرية في اميركا حيث اهلكوا
 ملايين كثيرة من اولئك البرابرة الذين مع انهم كانوا وثنيين وموثوديين
 وحكائين لم عادات ورسوم دموية وحشية كتفجئة الناس لاصنامهم كانوا
 بالنظر الى اهالي اسبانيا ابرياء تماماً . والحال ان امر استصالح من البلاد
 يذكر في هذه الايام الشعوب المسيحية في اروبا واهالي اسبانيا انفسهم بكل
 كراهة والتميزار نظير مذبحة قبيحة وقساوة دموية بربرية مشجوبة من الله
 والناس . حتى ان اسم اهالي اسبانيا صار بسبب ذلك العمل يحسب مخيفاً
 وكريهاً عند جميع اصحاب الانسانية والشفقة المسيحية في العالم . وكان بلاد
 اسبانيا قد اشتهرت بنوع خصوصي بسبب ذلك العمل بكونها قد احتوت على
 جنس من الناس عارفين من مكارم الاخلاق ومبادئ الرقة او احشاء الرافة
 نحو المماكين

فوقفت عند هذه الملاحظات وتوقفت عن العمل واخذت اعدل شيئاً
 فشيئاً عن قصدي وحكمت بانني قد اخطأت في عزمي على التعرض للبرابرة .
 وبانه لم يكن لي حق ان اتعرض لهم ما لم يتعرضوا هم لي اولاً . والله يجب علي
 الاجتهاد على قدر طاقتي في نجاتهم ومجاورةهم . ولكن اذا اتفق انهم يجردوني
 ويتعدون علي فاني اعرف حيلتي واجباتي ثم اخذت احاج نفسي واقنع ذاتي
 ان ذلك ليس هو الطريق لانقاذ نفسي بل لتطويعها واعلاكاها . واني اذا لم
 انقذ الى افندر ان افعل كل من كان منهم حيلتي في الجزيرة وكل من يأتي
 في ما بعد اليها بحيث لا يفلت منهم من يرجع فينبذ ايها بلادهم ماذا اصابهم
 فيأتون اليّ الوقت لاخذوا نار اصحابهم في اكون قد جلبت على نفسي مصيبة
 كنت في غنى عنها . وبعد ملاحظة كل ما نجب ملاحظة حكمت بانه لا يجوز

ذمة ولا يوافق الصالح ان تعرض بوجه من الوجوه لذلك الامر وبما
واجباني في ان استعمل كل ما يمكن استعماله من الوسائط للاخفاء عنهم وان
لا ادع لم ادنى علامة فعملهم يظنون انه يوجد خلل في حبة في الجزيرة اعني
من جنس البدر . وكانت الديانة توافق على هذا الرأي الناتج عن حكمة .
وليت حنيفة عندي بطرق شتى التي كنت بالغام خارج دائرة واجباتي عند
الغاضي ما اتخذته من التدابير الدموية لامتلاك اولئك القوم الذين كانوا
ارباباً بالنظر الي . واما ذنوبهم بهم ضد بعض فهي لا تعني ولا تطلب
الي . فانها كانت جسيمة ولهذا كان يجب علي تركها لعل الله الذي هو مبدئ
الشعوب وبه لم كيف يقاوم ببدل الذنوب الجسيمة بقصاصات جسيمة
وبمثل احكاماً جهارية بالذين يرتكبون ذنوباً جهارية كما يحسن لديه تعالى .
وصار ذلك حنيفة وافصحاً لدي جداً حتى ان لم يكن شيء يسترني أكثر من
اهالي امرأ لو ارتكبه لما كانت خطيئة اقل ذنباً من خطيئة القتل عمداً .
فركمت حنيفة متصباً على ركني وشكرت الله على حفظه اياي مكلماً من خطيئة
القتل الضميمة وطلبت منه تعالى ان يحميني بعنايته من الوقوع في ايدي البرابرة
او من انهاء يدي عنهم الا عن دعوة مسمومة اوقع وذلك لاجل المنفعة
عن حياتي

شعر

تريد من ادراك المعالي رخصة ولا بد دون الشهد من امر الفحل

الفصل التاسع عشر

وجود روبنصن كروزي مغارة يستظل

فيها من البرابرة

فبينت بعد ذلك مدة في تلك الحالة . وكنت بعيداً عن الرغبة في
الحصول على فرصة للتعرض لأولئك الاشياء حتى اني في تلك المدة لم اصعد
قط على التل لأرى هل يوجد احد منهم في تلك الجهات او هل نزل
احد منهم الى البر . وذلك خوفاً من ان اجرب تعذيب شيء من حيلي فعدم
او انحرك بواسطة ما يمكن ظهوره بوقوع من الاسباب الى الوقوع والتك بهم .
غير اني فعلت هذا فقط وهو اني ذهبت ونقلت قارني من مكان الى الطرف
الشرقي من الجزيرة وهناك دخلت الى مغارة صغيرة وجدتها تحت بعض
صخور مرتفعة عالماً اني بسبب التيارات لا يجسر البرابرة او اقله لا يرغمون
ان يأتوا بفوارهم الى هناك لاجل آية علة كانت . ونقلت مع قارني كل ما
كنت قد تركته هناك بما يخص به وان لم يكن نقله الى تلك المغارة ضرورياً .
وذلك كالساري والطلع اللذين عملتهما وادواته تشبه الانجر اي المرافعة .
ولكن في الحفنة لا يجوز تسميتها بذلك وان كانت احسن ما امكنتي عملاً من
المراسي . وكان قصدي في نقل ذلك جميعه لكي لا يكون ادنى سبيل لاكتشاف
او ظهور قارب او مسكن بشري في الجزيرة . وعلمنا ذلك كنت اخذني عتياً
بندر الاستطاعة وما كنت اخرج من صومعني الا لاجل اشغالي الاعيادية .

وذلك كحلب عذراتي والاعتماد بنطبي الصغير الذي كان في وسط الاحراش
واذ كان ذلك في الجهة الاخرى من الجزيرة كان بعيداً عن الخطر لان
اولئك البراري الذين كانوا يترددون احياناً الى الجزيرة لم يتصوروا قط انهم
يعدون فيها شيئاً ومن ثم لم يكونوا يعدون عن النشاط متوغلين فيها . ولست
اشك في انهم انما ارادوا الى النشاط بعد ان صرت على حذر منهم كما كانوا بانون
فلاً وكنت انظر بالاربعاش الى الحالة التي كنت لامحالة وصلت اليها الى
اتفق انهم صادفوني عند ما كنت اطوف جاثلاً في الجزيرة من مكان الى
مكان انتش باحثاً على ما يوجد فيها وانا عريان وغير متسلح الا ببارودة
واحدة كانت غالباً مدكوككة بخرق فقط . وماذا كانت حاشي لو كنت
عند وجودي اثر القدم قد صادفت عوض ذلك خمسة عشر او عشرين
من البراري ورأيهم يسعون ركعاً في ارضي طالين قنلي وليس لي سبل الى ان
انجو منهم . وكان مجرد التفكير في ذلك يجعل قلبي يغور غائصاً في جوفي
وبرغمي جداً حتى اني كنت اني مة مستظلة لانتطيع ان ادفع هذا الفكر ولا
انخلص منه وهو ماذا كنت اعمل لو اصابني ذلك وكيف كنت لا اقدر
ان ادفعهم ولا يكون عندي وعي لاعمل ما كان يكفي ان اعمله لو كنت
صاحباً حتى اني في هذا الوقت بعد كل ذلك الفكر والاستعداد ماذا كنت
افند ان اعمله لو ذهولي بغية . وبعد التأمل برصانه في تلك الامور وتخفيف
الظفر فيها كانت تغرني كلمة تسمر احياناً مدة طويلة . فبعد اني كنت اخيراً
احول ذلك جميعاً الى نادية الشكر للعناية الالهية على خلصها اباي من
مخاطر كبيرة غير منظورة وحفظها اباي من مهالك هائلة لم يكن لي ادنى قدرة
على تخليص ذاتي منها ولا كان لي اقل فكر في وجودها او على الاقل اقل
احساس من امكان وقوعها . فذكرني ذلك بغضة كانت تعطر مراراً بايالي
في السابق عند ما ابتدأت اولاً انظر الى اعمال العناية الالهية ورحمة الله نحونا
عند وقوعنا في اخطار هذه الحياة وهي كيف انه عند ما نفع في مفكك كالشك

او التردد في السلوك في هذا الطريق او ذاك مثلاً يوجد محرك سرّي
يحركنا على السلوك في هذا الطريق مع اننا نميل الى السلوك في ذاك . حتى اننا
عند ما ندعونا حاسباتنا وميلنا وربما اشغالنا نأبى اننا الى طريق ما قد
يوجد محرك او منه سرّي لا نعلم من اين هو ولا ياله قوة يصدر برزخ في
عقولنا تأثيراً عجيباً وندعونا نادياً اننا الى طريق آخر . ثم يظهر في ما بعد
اننا لو سلطنا في الطريق التي كما ماثلين اليها كما تلتنا وهلكنا لا محالة وبناء
على هذه الملاحظات وملاحظات أخرى كثيرة نسبها القذت في ما بعد نظير
دستور لعملي الفناء الآتية وهي التي شعرت به سرّي لعمل شيء يخطر
لي او لعدم عمله او للسلوك في هذا الطريق او تلك انبع دائماً ذلك المنبه
السري وان كنت لا اعلم سبباً لانبعاثه الا وجوده في عقلي او الالهام به ويمكنني
ان اورد امثلة كثيرة يبرهن فيها في تصرفاتي من انبعاث هذه الفاعلة وعلى
المخصوص في هذه الاخيرة من افاسني في تلك الجزيرة . وسيزيد ذلك وضوحاً
في سياق هذه القصة

واظن ان القارئ عند ما اعترف ان تلك الاضطرابات والمخاطر
المتموصلة التي كنت فيها والمعدم التي كانت علي حالت دون كل الاختراعات
والفعاير التي عملتها لاجل راحتي وقضاء حاجاتي في المستقبل لا يستغرب
ذلك لان في حينئذ انما كان بسلامتي اكثر من عيالي . وكنت حينئذ لا
انجاس ان ادق مطراً او اقطع عصاً فلا يسمع صوت ذلك العمل ولا
اطلق بارودي لاجل السبب نفسه . حتى ان اشعل النار كان يزعمني جداً .
لاني كنت اخاف من ان الدخان الذي يرى عن بعد يهدم هاراً يكون
واسطة لكتف موضعي . ومن ثم نقلت ما يحتاج الى نار من اشغالي كتب
القدور والاث النبع ولم أجراً الى منزلي الجديد في الاحراش حيث وجدت
بعد ان اقممت هناك مدة مغارة طبيعية في الارض معاً جداً حتى اننا اذا وصل
احد البرابرة الى بابها لا ينجراً على ظني ان يدخل اليها ولا ينجاس على ذلك

انسان آخر الا من كان مثلي لا يطلب شيئاً بقدر طلبه مجاً أمياً . ولا حاجة
 الى شرح ما حصل عندي من الفرح عند ما وجدت تلك المغارة
 وكان باب تلك المغارة معقلاً تحت صخر كبير حيث كنت بطريق
 الصدفة او بالبحري بدير العناية الالهية اقطع خطياً لاجل عمل فحم . واعلم
 ان السبب الذي حماي على عمل ذلك الفحم هو خوفاً من ان اشعل ناراً
 بالقرب من منزلي لما ذكرته قبلاً . واذ كنت لا افكر ان اسكن هناك من دون
 نار لخبز خبزي وطبخ طعامي اضطررت الى ان احرق هناك خطياً في
 شجرة كما يفعلون في بلاد الانكليز واعمل منه فحمًا ثم انقلته الى منزلي واستخدمته
 عوض الخشب لانه لا يدخن . واذ قد علمت ذلك ترجعت الى . اكا في صددو .
 وبنّا كنت اقطع خطياً هناك رأيت انه يوجد وراء تلك الاشجار الظلمية مكان
 جوف فاردت ان اعرفه فلما دخلت اليه وذلك بصعوبة وجدته كبيراً اي
 كافياً لان اقف فيه متصباً وربما كان يسمع انساناً آخر معي . ولكن يجب ان
 اقر لك اني خرجت منه باكراً عجلة ما دخلت اليه . وذلك لاني عند ما
 اطلعت نظري الى داخل وكان ظلمة سوداء رأيت عميقين كبيرين ترفان ولم
 اعلم هل كانا عيني شيطان او عيني انسان . وكانا ترفان لامتعت كانها
 كوكبان اذ كان النور الضعيف المنبعث من باب المغارة يند على خط مستقيم
 الى داخل ثم ينعكس راجعاً الى خارج . الى بعد ان وقفت قليلاً سكن روعي
 وابتدأت ادعو نفسي الف مجنون وافكر ان الذي يخاف ان يرى الشيطان
 لا يلقى ان يسكن عشرين سنة في جزيرة مفرداً وحدهً والله يسوع لي ان
 احسب انه لا يوجد شيء في الجزيرة اكثر اخافة مني وعند ذلك نفضت
 واخذت مشعلًا ووثقت هاجماً الى داخل والمشمع يلهب يدي ولم اقدم اكثر
 من ثلاث خطوات حتى اعتداني خوف كالسابق تقريباً لاني سمعت انهما قويا
 جداً كائين انسان في الم شديد كان يتبعه صوت منقطع نظير كلمات يهتف
 بصوتها ثم ينع ذلك الصوت ابن عميق ايضاً . فاجلست راجعاً الى الوراء وقد

اغتراني ارتعاش شديد حتى عرفت عرفاً بارداً . واد كان على رأسي برائحة
 أكان انتفاش شعري من الخوف رفعها دافعاً ايأما عنه . إلا اني سكنت فلفظ
 بقدر استطاعتي واخذت التجمع نفسي قليلاً . فلما الفكر وهو ان الله موجود
 بقوته وحاضراً في كل مكان والله قادر ان يحفظني . ثم تقدمت ايضاً الى ما
 فدام وبواسطة نور المشعل الذي كنت رافعاً ايأه قليلاً فوق رأسي رأيت نيس
 معزى هائل المنظر مطروحاً على الارض قد اشرف على الموت من شدته الكبر
 وكأنه كان يكسب وصيته . فحركته قليلاً لاري اذا كنت اقدر ان اخرجه
 خارجاً . فاحسنت المسكن مهيأ للقيام إلا انه عجز عنه ثم جال في خاطري ان
 اتركه مضطجماً هناك لانه كما أخافني يخوف لا محالة من نجاس من البرارة
 ان يدخل الى هناك وهو باق في الحياة

ثم بعد قليل سكن روحي فاخذت النظر الى ما حولي فوجدت ان
 المغارة انما كانت صغيرة جداً اي ربما كان طولها نحو اثني عشرة قدماً إلا ان لم
 يكن لها هيئة مخصوصة . فلم تكن مدورة ولا مربعة اذ كانت لم تشغل قط يد
 في عملها إلا يد الطبيعة فقط . ورأيت ايضاً انه يوجد مكان في انضمام من
 الى داخل إلا انه كان واطناً جداً حتى كان يلزم ان احبو مدبداً على يدي
 وركبي لكي يمكن الدخول اليه . واذ لم يكن معي شئ لم احاول ذلك حينئذ
 بل رجعت عنه عازماً على ان ارجع اليه في اليوم القادم واخذ معي شئاً وزاداً
 وصرة وصوفانة في علة كنت قد علمتها من فتلى احدى البوابد وقليلاً من
 فحم الصنصاف في كانون .

ثم في غد ذلك اليوم انبت وحي خمس شمعات كبار مما كنت قد سكنته
 بيدي وكنت حينئذ اعمل شئاً فآخرأ من فحم المعزى إلا اني قاميت صموات
 كثيرة في عمل فتائل لذلك اذ استعملت احباً خرقاً او كتيلاً من الخبال
 واحباً النثر الداخلي من بعض نباتات نديه القربص . ودخلت ذلك
 الموضع الواطئ مدبداً على الاربع كما سبق القول مسافة خمس عشرة ذراعاً .

وكان ذلك مخاطرة وجسارة اذا اعتبرنا اني لم اكن اعلم مقدار امتداد الموضع
ولا ما يوجد داخله . فلما قطعت المضيى وجدت ان ارتفاع السفف هناك
كان نحو عشرين قدماً حسب ظني . الا انه يمكن ان اقول انه لم يرق قط في
الجزيرة كلها . منظر محمد كمنظر حيطان وسف تلك القبة او المغارة
حيث كان ينعكس الي عن الحائط من نور الشمعين الموقدين بيدي آلاف
من الاشعة ولم اكن اعلم ماذا كان في الصخر اما ان حجارة كريمة ام بالبحري
ذهب كاترجح الظن عندي . فكان الموضع الذي كنت فيه اجمع مغارة او
كهف الا انه كان مظلاً الى الغاية . وارضة نائفة ومطربة ومظلة بجص
صغيرة مملولة حتى انه لم يكن فيه همام كريمة ولا ذهب سام ولا رطوبة ولا نبلل
في الحيطان ولا في السفف . بل كانت الصعوبة الوحيدة من جهة ضيق
مدخله . الا انه اذا كان محل امان ومهرباً مستتراً كان ملائماً للتصود . ومن
ثم فرحت منتهي بهذا الاكتشاف وعزمت ان آتي من دون ابطاء ببعض ما
كنت اكثر خوفاً عليه الى ذلك المكان وعلى الخصوص ما بقي عندي من
البارود وما يمكن الاستغناء عنه من الاسلحة وهو بارود نان للصيد لان جملة
ما كان عندي من ذلك لمالي قطع . وهكذا بقي عندي في القلعة ثلثي بارود
فقط مركبة على عجلات . هذه نظير مدافع موضوعة على سورى الخارجى . وكان يمكنني
منى شئت ان اقلها من هناك بالدرعة . وهذا كنت مشغلاً في نقل ذخيري
فكنت اتفاناً برميل البارود الذي اخرجته من البحر وكان مبللاً فوجدت ان
الماء قد نفذ في البارود مقدار فيراطين او ثلاثة قراريط فقط من كل
جانب وجننه وجملة نظير كدكة مستديرة صلبة وبهذه الوسيلة حفظ ما
كانت داخلها من البارود الذي لم يبلل وهو نحو اثني عشرة افة كما
يحفظ النوى في غلافه . وكان ذلك ذا قيمة كبيرة عندي فظلت الى هناك .
ولم ابق في قلعتي من البارود اكثر من افة خوفاً من ان يدهمني داهم

مناجكا اباي . وثالث ايضا كل ما ومرت من صفائح الرصاص لعمل الخردق
وكرات الرصاص

وكت حينئذ انظر الى نفسي كاحد الجبارة الندماء الذين قبل عنهم
انهم كانوا يسكنون في الكهوف وشقوق الصخور حيث لا يقدر احد على
الوصول اليهم . لاني ابنت في نفسي وانا هناك انه اذا قنص علي خصمائه من
البراري لا يمكنهم ان يحدوني واذا اتفق انهم يحدوني لا يجاسرون على الهجوم
علي في ذلك الموضع . والنفس الذي وجدته في حانة الزراع مات في ثم
المقارة في غد اليوم الذي وجدته فيه . ووجدت انه اسهل كثيرا علي ان
احضر حفرة بجانب مكان واريه فيها واطير بالتراب من ان اجرة
ساحا الماء الى خارج . وهكذا دفنت هناك لكي اريح مغري من راحة
الكربة

وكت قد دخلت حينئذ في السنة الثالثة والعشرين من سكاي في تلك
الجزيرة وكان الموضع وطريقه المعيشة قد صارا بلائمان مزاجي حتى اني لم
كت خالدا من الحاروف والاحسانات من دهات البراري فسمعت مرهرا
بصرف باقي مدتي هناك الى اخر دقيقتي اي الى ان اتدد واموت في تلك
المقارة نظير ذلك النفس الممن . وصرت اشغل بعض ملاه وكان عدي
بعض اشياء انلي بها حتى كت اصرف اكثر اوقاتي باكثر حظ ولما من
الساقي . لاني علمت به الى الكلم كما ذكرت قبلا فافهم ذلك وكان يحكم بكل
وضوح ويحسن النطق جيدا حتى كت الله يسامرنو لاني انظر انه لم يعلم قط
طائر الكلم باكثر وضوح منه . وقد عاش سنة وعشرين سنة ولا اهم كم عاش
بعد ذلك . الا اني اعلم ان الناس في البرازيل يقولون ان طائر البغال
يعمر مئة سنة . وكان كلي رفيقا ايضا وصديقا ودودا نحوي مئة ست عشرة
سنة من الزمان وفي عدي حتى انه كثر الشجوخة ومات من الكبر . واما
قطاطي فانها تكاثرت جدا كما ذكرت حتى التزمت اخيرا ان اقل منها

لأنها عن أن تأكلني وتأكل كل ما عندي وإن أطرد ما بقي منها ولا ادعها
تأكل معي حتى صارت جميعها بركة وأوتيت إلى الأحرار الأثني عشر أو ثلاثاً
منها كانت عزيزة عليّ فأبقيتها أعلية عندي مفرقة دائماً ما تلك وكانت قسماً من
عائلي . وعلم ما تقدم كان دائماً عندي جديان أو ثلاثة جنداء يثمة عليها أن
تأكل من بدي . ويغفلان بحسنان الحكم وبصبيان كلاهما فائزين روين كروسي
وأكن لم يكونا كيهالي الأول ولا اعتبرت بتعليمها وتدريبها كما فعلت . وكان
عندي أيضاً عدة من طيور البحر لم أعلم أسماءها كنت قد أممكتها عن الشاطئ
وقصصتها اجتمعها فكانت تسكن في الغابة التي غرستها وتبيض وتغرس هناك
وكان ذلك يسري كثيراً . وهكذا ابتدأت اتقع مرتضياً بمشي الآلهة لم تكن
تخلو من الكدر بسبب الاحتمالات والخاوف التي كانت عليّ من البرابرة كما
سبقت الإشارة إلى ذلك ولكن لم يكن لي ماض من ذلك ولا حيلة في قضاء
الله . ويهدد الذين يقرأون قصتي هناك أن يستبقوا منها النتيجة الآتية وهي أنه قد
ينقضي مراراً كثيرة في حياتنا أن نلصق الشر الذي نبدل كامل جهنمنا في
تجيبو وتعايدو وإذا وقعنا فيه نجوئاً مائلاً في الغابة قد يكون أوقاتاً كثيرة
الواسطة أو الباب للجاننا وموضوعنا من المصيبة أو التجربة التي وقعنا فيها وبوسعي
أن أورد أمثلة كثيرة في سياق قصتي هذه الغربية لأجل إيضاح ذلك وعلى الخصوص
في حوادث السنين الأخيرة من إقامتي المتوحدة في تلك الجزيرة

شعر

أنا الدنيا فناء	ليس الدنيا ثبوت
أنا الدنيا كيث	ليس من عنكوت
واند يكثيك منها	أيها العاقل قوت
وامعري عن قليل	كل من فيها موت

الفصل العشرون

عجى البرابرة ثانية الى الجزيرة ورقصهم هناك وانكسار
مركب بالقرب من شاطئها

وكان حينئذ شهر كانون الاول وذلك في سني الثالثة والعشرين كما
تقدم وكانت ايام الحصاد عدي . ولما كان يلزمي ان اصرف كثيراً من
وقتي خارجاً في الحفل . وبينما كنت ذات يوم منطلقاً باكراً جداً في قيل
البحر الى الحفل رأيت بقعة ضوء نار على الشاطئ على مسافة نحو ميلين مني
في الجهة التي لاحظت ان حماة من البرابرة قد اتوا اليها كما سبق القول . ولم
يكن ذلك على الجانب الآخر من الجزيرة بل كان لسوء حظي على الجانب
الذي كنت متيهاً فيه . قد دشت مذهلاً من ذلك المنظر ووقفت في عائي
لا اتجرأ ان اخرج منها خوفاً من ان يدعوني . حتى اني كنت هناك ايضاً
غير مطمئن خشية من ان اولئك البرابرة اذا طافوا في الجزيرة ووجدوا
زرعي قائماً او مقطوعاً او شيئاً آخر من اعالي واصلاحي يستدلون منه حالاً
على وجود سكان هناك فلا يكونون الى ان يحدوني . واذا انا في تلك الحالة
المرعبة انتهيت راجعاً باستقامة الى قلعتي وانزلت السلم ورأيت وجعلت منظر
ما كان خارجاً موحناً وطبيعياً بقدر استطاعتي

ثم اخذت اني داخل قلعتي المدافعة . فذكرت طيناتي وكل براردي
التي سميتها مدافعي وكانت موضوعة على سوري الجديد عازماً على المدافعة عن

نفسى الى آخر نسمة من حيواتى . ولم اقبل عن تعليم نفسى بقد الله وتعليم امورى
لحماية عتباتى تعالى والصلوة اليو بمرارة ان يغفلني من ايدي البربر . ونسيت
في تلك الحالة نحر ساعدين . وكنت ارجو جناً ان يأتني خبر من خارج
لانه لم يكن عندي حواسيس ارسلم ليأتوني بالاخبار . وبعد ان اوقعت ايضاً
منه انصر في ما ينبغي لي ان اعمله فرغ صبري ولم بعد بمكني ان اطلق
الجهل بامورم فنصبت سلمي الى جانب القلب وصعدت على مكان مسطح
صالح ثم رفعت السلم ورائي ونصبتها ايضاً راکراً ايها على ذلك المكان المسطح
وصعدت عليها طامعاً على راس ذلك الثلثم انزعجت نظارتي من جي
وكنت قد اخذتها من فصدنا ونهددت منسجماً على بطني على الارض واخذت
افتش على الموضع وفي الحال وجدت نسمة من البرارة العراء جلوساً حول
مار صغيرة لشعورهم لالكي بصطلياً عليها لعدم الاحتياج الى ذلك لان
الماء كان حاراً في الغابة بل اكبر بشوقاً عليها كما ظننت طعامهم من لم
الناس الذين كانوا قد اتوا بهم معهم الى هناك ولا اعلم هل اتوا بهم احياء
او امواتاً

وكان معهم فاران قد اجنتوها وجروها الى البر . واذ كان حينئذ
جرر لاح لي انهم منظرون المدة ليما فرما راجعين من الجزيرة . وليس هو
امراً سهلاً تصور ما اعتراضي من الاضطراب بسبب ذلك المنظر وعلى
الخصوص اذ رأيتهم قد اتوا الى الجانب الذي كنت فيه من الجزيرة وم
قريبون مني بهذا المنظر . ولكن لما اعتدلت ان يحيطهم حسب ان يكون
دائماً مع نهار المدة ابتدأت اشعر في ما بعد باكثر طمأنينة عالماً انه يمكن ان
اخرج خارج قلعتي بامان في كل اوقات قبض لند اذا اتني انهم لم يكونوا على
الشاطئ عقبه . ولدى ملاحظة ذلك ذهبت الى الحقل باكثر طمأنينة وراحة
بال لاجل الحصاد .

فكان الامر كما ظننت . فانه حالما اعتدنا المدة بدكني راجعاً الى جهة

الغرب رأيتهم قد ركبو الفارين واخذوا باندفون راجعين عن الجزيرة . وما
يجب ذكره انهم قبل انصرافهم بساعة وأكثر كانوا يرقصون ورأيت جيداً
بواسطة نظاري حركاتهم وشارتهم في الرقص . وكانوا عراة بالكلمة كما خلتهم
رهم الا اني لم استطع ان ايز هل كانوا رجالاً او نساء

ثم حالما رأيتهم قد ركبو قواربهم وانصرفوا اخذت بارودتين على كفي
وطيخيتين في زناري وقذلت على جني يطلياني الكبير من دون عمد وذمت
بقدر ما يمكنني من السرعة فاصداً الفل الذي كنت من اولاً ترددهم الى
هناك . واذ لم يمكنني الركض لتدل ما كنت حاملاً اياه من السلاح وصلت
اليه بعد نحو ساعتين من الزمان فرأيت هناك ثلاثة قوارب آخر من قوارب
البربر ثم لدى بسط النظر رأيت انها في البحر متصرفه نحو الشارة . وكان
ذلك عدي مظهراً عائلاً وعلى الخصوص اذ انحدرت الى الشاطئ ورأيت
آثار الضائع التي تركها العالم النجعة هناك اي الدم والعظام وقطع اللحم من
بقايا اجسام الناس التي اكها او افك المتوحشون بالفرح والطرب . فاستلأت
غضباً من جرى ذلك المظفر واعتدأت حوثرة في الاستعداد لافلاك كل من
اراه منهم آياً كان ومها كان عددهم . وقد ناكه عدي ان ترددهم مكلماً
الى الجزيرة ليس بكثير لانه مضى أكثر من خمسة عشر شهراً ولم يأت احد
منهم الى ذلك الشاطئ . اي اني لم ارم في كل تلك المدة ولا رأيت لم اتر قدم
ولا علامة اخرى . لانهم كانوا في ايام المظفر لا يخرجون الى الخارج او افلة
لا يعقدون بهذا القدر . غير اني كنت تلك المدة غير مطمئن في افكاري من
جرى الاحتمالات المتواصلة من ان يدهوني بفتة على حين غفلة مني . ومن ثم
ظهر لي ان انظار الشر امر من الوقوع فيه وعلى الخصوص اذ لم يكن باب
لرفع ذلك الاعتذار او التخاص من تلك الاحتمالات

فكنت في تلك الفترة في استعداد تام لان ارتكب القتل . صارفاً أكثر
ساعاتي في التبصر كيف ادهم واقعهم اول مرة ارام فيها وعلى الخصوص

إذا وجدتهم منقسمين الى قسمين كما كانوا في ذلك الوقت مع انه يجب صرف
تلك الساعات في امور افضل . ولم اعتبر ما اذا جاءت جماعة منهم اي عشرة
انفار او اثني عشر نفراً مثلاً يجب ان اقول في اليوم او الاسبوع او الشهر
التالي جماعة اخرى لم جماعة اخرى وهكذا الى ما لا يتناهي حتى اكون في
الاخير قتالاً الناس بقدر ما كانوا هم اكاليف لم الناس وربما اكثر
كثيراً

وكت حيث اصراف ايامي في اضطراب عظيم وفلني شديد مخفناً الي
لا بد من ان افعل في احد الايام في ايدي اولئك النوم القساء . وكت اذا
ذهبت خارجاً انظر دائماً الى ما حولي باعظم حذر واشد احراس . وبان لي
حيث ان كان من عظم خطي وسعدي وجود قطع من المزي الاقلية في
حوزتي لانني لم اتجاسر لاجل اي علة كانت ان اطلق بارودي وعلى الخصوص
بالقرب من تلك الجزيرة من الجزيرة التي من عادتهم ان يترددوا اليها وذلك
ثلاث اخفهم فيهرسوا واذا هرسوا في مئة فلا بد من انهم يأتون ثمانية بعد ايام
قليلة مصحوبين بائة او ثلاثمائة قارب . وكت اعلم ماذا يجب ان انتظر اذا
فعلوا ذلك غير الي صرفت سنة وثلاثة اشهر اخرى قبلما رأيت احداً من
البربر . ثم بعد ذلك صادفهم كما سماني بائة بعد قليل . ومن الممكن ان
يكونوا قد اتوا الي ذلك الموضع مرة او مرتين في تلك الفترة ولكن اما انهم
لم يطيلوا المكث او اني لم ارم غير الي في شهر ايار على قدر استطاعتي على
ضبط الحساب وذلك في سنتي الرابعة والعشرين صادفهم مصادفة غريبة
جداً كما سجد يار ذلك في مكانه

وكت في اضطراب شديد في تلك الفترة التي استمرت مدتها خمسة
عشر او ستة عشر شهراً غير مراتج في نومي بل اري دائماً احلاماً مرعبة
مرعبة في الغاية ففي النهار كانت مصائب عظيمة نفسي فكري وتلفني وفي
الليل كنت اري مراراً في الحلم الي آخذ في قتل البرابرة وانصوب في نوم

الاسباب التي تميز لي ذلك . ولكن فلندرك ذلك الآن جانباً الى حين . ففي
 اواسط شهر ايار اي في اليوم السادس عشر منه كما ظهر لي بعد تحقيق
 النظر في عمود الحساب الخشبي الذي كنت الى ذلك الوقت استخدمة هناك
 الغاية واعقد عليه مبيت ربح شديدة ناعمة ذلك النهار كله ومعجوبة يبروق
 وروعود عظيمة . ثم تبع ذلك النهار ليلة مظلمة هائلة . ولم اعلم ماذا كان سبب
 ذلك . وهنا انا اقرا في الكتاب المقدس وافكر افكاراً مهمة عن الحالة
 التي كنت حينئذ فيها اذا صوت ظفنة صوت مدفع اطلق في البحر قد طرق
 اذني فدمشت دهشة عظيمة تماماً عما حصل لي قبلاً . وذلك لان الارغام التي
 احدثتها في فكري كانت من نوع آخر فتمضت على الفور وبادرت الى نصب
 سلمي على المكان المسطح من التل ثم سميتها ورائي وصعدت عليها ثانية واخذت
 اعدو الى راس التل . وحالما وصلت الى هناك اذا بلعب مدفع يندبني ان
 اصغي الى صوت طلق آخر . ولم يضر الا نحو نصف دقيقة حتى سمعت
 الصوت . ونئين من الصوت ان ذلك كان في جهة البحر التي دفعت فيها
 بغاري في الحال افكرت ان ذلك يجب ان يكون من مركب في ضيقة والم
 ربما يوجد مع ذلك المركب مركب آخر برافعة وقد اطلق تلك المدافع علامة
 للصبيحة وطلباً للنجاة . وكان عدي وعي في تلك الدقيقة لان افكر اني اذا
 كنت انا لا افدر ان النجدم بقدر ان ينجوني . وهكذا فشمت جاعاً ما كل
 ما وصلت اليه يدي من الحطب اليابس والاش حتى صار عدي كومة كبيرة
 فالتبست فيها النار على راس التل . واذا كان الحطب يابساً ارتفع عليه
 منضاعداً . ومع ان المياه كان فوقاً جداً لتعمل ذلك الحطب جيداً حتى ناك
 لدي انه اذا كان هناك مركب يكونون قد رأوا ناري لا محالة . ولا شك انهم
 رأوها لاني سمعت حالما ابتدأت ناري تلعب طلقاً آخر ثم سمعت بعد ذلك
 طلقات وكل ذلك من جهة واحدة . وكنت اعلم ناري حطباً اللول كله الى
 النهر . فلما طلع النهار وراق الجو رأيت شيئاً على بعد فاص في البحر شرقاً

الجزيرة ولم أقدر أن أميز بواسطة النظارة هل ذلك قلع أو سياد مركب.
وذلك لأن المسافة كانت بعيدة جداً والبحر لا يخلو من الغمرار أقله فوق
ظهر البحر

وكنيت كنت نحوه مراراً ذاك النهار كله حتى وجدت بعد قليل أنه
لا يترك. فظهر لي عند ذلك أنه مركب قد أتى مرساته. واذ كنت راغباً
جداً أن أؤكد ذلك أخذت بارودي بيدي وجعلت أركض إلى الجهة الجنوبية
من الجزيرة إلى تلك الصخور التي حماي قبلاً أخيراً عندما ذاعبني إلى البحر.
فلما وصلت إلى هناك وكان البحر جشعاً صافياً رأيت رأيت واحداً وذلك بحزن
شديد بناياً مركب قد فذف ليلاً على تلك الصخور التي كشفها عندما سافرت
في قاري وكانت واسطة لبحري من أعظم خطر وقعت فيه في حياتي كما علمت
قبلاً. وهكذا ما يكون سبباً لنجاة شخص قد يكون سبباً لهلاك شخص آخر. لأن
أولئك القوم أيا كانوا حيث يجهلون المكان وتلك الصخور مغطاة تماماً بالماء
دفعوا عليها ليلاً لأن الريح كانت تهب نحو شرقي الشمال الشرقي. فلو رأوا
الجزيرة لكانوا اجتهدوا في التخلص أنفسهم والحياء إلى البر سبباً لحد قواربهم.
ولكنني أظن أنهم لم يروها ولكن أطلقهم المدافع طلباً للنجاة وعلى الخصوص لما
رأوا لميب ناري كما ظننت جماعي افكر افكاراً كثيرة. فافكرت نارة أنهم لما
رأوا لميب ناري نزلوا في قارب وطلبوا البر ولكن البحر دفعهم بشدة فلم
يفسروا أن يدركوا الشاطئ. ونارة أنهم ربما اضاعوا قواربهم قبلاً وذلك
بواسطة هجوم الازواج على ظهر المركب وقذفها إلى البحر أو بواسطة النانو
في البحر بأيديهم. ونارة أنه كان يرافقهم مركب أو أكثر فلما أطلقوا مدافعهم
انجدم وقلم اليه والصرف بهم متوغلأ في البحر. ونارة أنهم نزلوا في قواربهم
فحملهم التيار الذي حماي حتماً تقدم وذهب بهم رغماً إلى الخليج الأرفقياوس
العظيم حيث لا يوجد إلا الشقاء والملاك. ولهم ربما كانوا الآن قد اشرقوا

على الموت جوعاً وصاروا في حالة تحملهم على التفكير في ان يأكل بعضهم بعضاً

فكل تلك الانراضات لم تكن الا من باب الظن والتخمين . ولا استطاعة لي في تلك الحالة الا ان اقف واتأمل في شناعة اولئك انعم المساكين وارثي لحالم . وقد استندت مع ذلك من تلك الحادثة فائحة عظيمة وهي التي زدت شكراً لله لانه رزقني في تلك الحالة المرححة كل ما احتاج اليه من السم والبركات وخلصني وحدي من بين بحرية مركبين قد غرقوا في تلك الجهة من العالم . وقد تعلمت ايضاً من ذلك انه فلما بلغنا الله بعنايته حالة فيها كانت دابة او في شناعة بها كانت عظيمة ما لم نجد فيها ما يجعلنا على ان نؤدي الشكر بسببها ونرى اخرين في احوال اردأ منها . فهكذا كانت حالة اولئك النعم الذين لم افدر ان ارى وجهاً للطن بان احداً منهم قد خلع ولم يوجد شيء يجعل ارادة وانظار خلاص البعض منهم موافقاً للشراب الا احوال كونهم قد أخذوا بواسطة مركب آخر موافق لهم . وقد كان ذلك ايضاً من باب الاحمال فقط لاني لم ار اه اذني علامة ولا اثر . ولا افدر ان اشرح بواسطة الكلمات بها كنت قوية الانشاق والمواطف التي خابرت نفسي عند ما طلعت ذلك المظر . وكنت احراماً انحسر قائلاً يا ليت واحداً او اثنين لا بل واحداً فقط خلاص من ذلك المركب واتى اليّ لكي يكون لي اقله رفيق واحد وعشير من اخواني بني البشر بكلمي واكله . وفي كل ملك وحدي لم اشعر قط برغبة حارة وشديدة في معاشرة الناس او بتألف عظيم لئندي ابابا بقدر ما شئت هذه المرة

شعر

والنفس رغبة اذا رغبها واذا ترد الى قليل تنع

آخر

ألا انما الدنيا كظل حجابي اظلمت يوماً ثم عك اضحلت
فلا تك فرحاً بنا حين اقبلت ولا تك جزعاً بنا حين ولت

النصل الحادي والعشرون

اخراج روبن من كروزي اشياء كثيرة من المركب واهتمامه
بفارقة الجزيرة وحلته

انه يوجد في عواطف الانسان بعض آلات كأنها دوايب. ربة تحركة
من شأنها اذا تحركت في طلب مقصد مطبوع فيه بصورة او غير مطبوع
فيه بصورة له قوة الخيلة ان تحرك بقوة غفلة بهرم شديد نحو ذلك المقصد
حتى يكون عدم الحصول عليه امراً مستصعباً لا يطاق فهم كما كانت تلك
الرغبة الكمارة في خلاص انسان واحد على الاقل . واظن اني كررت الف
مرة هذه العبارة عسى ان يكون قد علم واحد على الاقل . وكانت رغبتي تحرك
بواسطة ذلك حتى اني عند ما كتبت اللفظ بنك الكلمات كانت كناية نفوذ ان

مكاشفين معاً واصابني تشنج ضاعطة راحتي حتى انه لو وجد في قبضي شيء
 لين لكان سحق فتأنا رغماً عني . وكانت اساني في في نصطك صارّة ونصق
 بعضها ببعض بعزم شديد حتى اني كنت انفي مدة لا استطع ان افترق بها .
 فليفسر الطيبيون هذه الامور وليوضحوا اسبابها وكيفيةها . وكل ما اقوله لم
 انما هو مجرد ذكر الحادثة التي تعبرت منها عند ما اطلعت عليها وان كنت
 لا اعلم من اين صدرت . ولا شك انها كانت نتيجة رغبة حارة وافكار قوية
 مرتسة في العقل تنحصر في اللذة التي تكون لي من معايشة شخص واحد من
 اخوتي المسيحيين . الا ان ذلك كان ما لا يطعم في نواله . وذلك لان نحسهم
 او نحسي او نحسنا جميعاً جملة من الامور المستغلة . لاني بقيت الى السنة
 الاخيرة من اقامتي في تلك الجزيرة لا اعلم هل خاص احد من ذلك المركب
 او لا . غير اني لاجل زيادة غي رأيت بعد ذلك بايام جنة غلام غريب
 كان البحر قد قذفها الى البر عند طرف الجزيرة المقابل لبنايا ذلك المركب .
 ولم يكن عليه ثياب الا صدرية بحرية ولباس من كتان مفتوح عند الركبة
 وقبص زرقاء من كتان ايضاً . ولكن لم يكن عليه علامة استدل منها حتى
 ولا على سبل التحمين على جنس او بلاد . ولم اجد شيئاً في جويرو الا قطعتين
 من القانية وآلة لشرب الدخان . وكانت تلك الآلة عندي اكثر فجة من
 تينك القطعتين بمشر مرات

وكان حينئذ هدوء وكنت اسير ميلاً شديداً الى التوجه في فاربي الى
 ذلك المركب عالماً بانني لا بد من ان اجد فيه بعض اشياء نافعة لي . الا ان
 ذلك لم يحركني الى التوجه فليس ما حركني اليه ما كنت ارجوه من وجود
 بعض من اهالي المركب احياء فاخلصهم . لاني كنت عالماً اني بواسطة تخلص
 حيائهم اجعل حياتي ذات راحة وسعادة الى الغاية . وكان هذا الفكر ملاصقاً
 قلبي حتى اني لم استطع ان اهدأ ليلاً ولا نهاراً عن طلب الذهاب في فاربي الى
 ذلك المركب . واذا استودعت باقي الامور بيد الله كنت افكر ان تأخير

ذلك في غلي اذا كان شديدا جدا ولم تكن ازانة ممكنة يجب ان يكون صادرا
من جهة غير منظورة حتى الى الخطي ضد نفسي اذا لم اوجه
وبما كنت تحت ملحة هذه الحركات رجعت مسرعا الى قلبي وهيات كل
ما يلزم لسفري واخذت كمية وافرة من الخبز وجرّة كبيرة من الماء العذب
وحكا استرشد بوسلة زبيب وقينة روم وكان بافيا عندي كثير من ذلك
ونوجهت بها الى فارسي وبعد ان افرغمت الماء منه وعمومته وضعت ذلك
الحمل فيه ثم رجعت الى المنزل لاجل الاتيان بغيره ايضا . وكان حملي الثاني
كثما كبيرا من الارز والشمسة وجرّة اخرى من الماء العذب اكبر من
الاولى ونحو اربعة وعشرين رغما صغيرا او كككة من الشعير وذلك اكثر
من الاول وقينة من حليب المعزى وقالب جبن . فحملت كل هذه بعب
وعرق كثير الى فارسي . وبعد ان صليت الى الله طالبا منه الارشاد والتيسير في
سفري اقلعت واخذت اذف سائرا في جوار الشاطئ حتى وصلت الى
افصى طرف من الجزيرة ما يلي الشمال الشرقي . وكان عليّ حمتذر ان ابعد
متوقفا في الاوقيانوس . فاخذت اتردد بين التندم والرجوع . وجعلت اخطر
الى التيارات السريعة التي كانت تجري من دون انقطاع عن جانبي الجزيرة
على بعد مني . وكان منظرها يخيفني ويرعبني لانها كانت تذكرني الخطر الذي
اصابني قبلا فابتدا قلبي بخلق وهي تضعف . حيث رأيت اني اذا دُفعت الى
احد تلك التيارات يدفعني لاجالة الى مدى بعيد في البحر وربما لا يعود لي
امكان لان ارجع الى الجزيرة او اراها . وبما ان فارسي صغير خفيف كت في
خضار من ان املك اذا هبت ريح خفيفة

وكانت تلك الافكار تضايقي حتى هبت ان اعتدل عن سفري . وعند
ذلك ادرت فارسي الى ثم يمر صغير على الشاطئ . وخرجت منه وجلست على
مرتفع من الارض غائضا في بحار التامل والحمرة بين اوج الخوف والرغبة من
جنة تلك السفرة . وبما انا في تلك الحالة رأيت المدة قد اتردد واقبل النقص

ولذلك صار سفري غير ممكن الا بعد ساعات كثيرة . وفي الحال لاح لي ان
اصعد على اعلى مكان مرتفع من الارض اراقب اذا نهر في ذلك كيف تكون
حالة المد او التيارات عند حصول الفيض لاري هل اذا دفعت التيارات
من جهة واحدة نحو البحر لا تدفعني ايضا من جهة اخرى نحو البحر . وحالما
جال هذا الفكر في خاطري رفع نظري على نلة صغيرة نطل على البحر من
الجهتين على قدر المرغوب . فصعدت عليها ونظرت منها واضحا التيارات
والطريق التي ينبغي لي ان اخذ فيها عند رجوعي والتي اذا بقيت ناهيا في
رجوعي الجهة الثالثة من الجزيرة اكون قد احسنت في ما عملت

واذ تشطت متجها بواسطة ذلك الاكتشاف عرفت على السفر في غد
ذلك اليوم صاحبا مع اول المد . واذ كنت قد اسرحت في قاري لولا نمت
ذلك الكيوت الكبير المار ذكوره اقلعت صاحبا . فسررت اولاً فلولاً نحو
البحر الى الجهة الشمالية الى ان اندأت اندعر بانه التيار الذي كان متجها
نحو الشرق وكان يحسني مسرعاً في الا انه لم يستكن في جاذبا اياي نصف كما
فعل قبل التيار الجنوبي حين عجزت عن ان اضبط قاري واديرة حسب
مرغوبي . واذ كنت اهدف بجها في قدفا شديداً كنت اسرع في سيري باستئذان
نحو المركب حتى اتى في اقل من ساعتين وصلت اليه . وكانت مطرة غزيراً
جداً . فانه كان كما ظهر لي من بنائو اسباباً او كما يقال اسبابولياً . وقد
دخل بين صخرين وانشاك بينها حتى صار معها كقطعة واحدة . والبحر قد
كسر موجرة وما يليه قطعاً قطعاً . واما مقدمة فكان قد غرز بين الصخور
بان دفاع شديد وساربه الاوسط المتقدم قد انكسر ولم يبق منها الا القليل
واما الساري الصغير الذي لي المؤخر فكان صحيحاً سالماً وكذلك الراس
والجانبان ولما دنوت من المركب رأيت كلاً على ظهره وهو لما رأيته مثلاً احد
يهر وبنج ممر كما ذنبه فدعوت فلحال وشب الى البحر موافقاً الي فادخله الى
الفارب ووجدت انه فارب الموت من الجوع والعطش فتاوله كعكة من زادي

فالتفتها مبتلغا ايها ما نعالر ذئب متفرس قد مضى علىو نحو اسرعيت في
وسط النخ من دون اكل . ثم قدمت له قليلاً من الماء العذب ولو سمحت له
ان يشرب كفاهته لكاف شرب حتى اشق جوفه . ثم بعد ذلك طلعت الى
المركب واول منظر صادفته رجلان من الجهرية قد مانا غرقاً في عندع الطبايح
عند المنتم وكانا متعافين معاً . فلاح لي وكانت ذلك محملاً انه لما غرز
المركب في الارض كان البحر بسبب النور يرتفع متعاليًا جدًا ويطفو من دون
انقطاع على المركب مغطياً اياه فاختفى ذاك الرجلان من نواير هجوم المياه
بكثرة طيها كما لو كانا تحت الماء . ووجدت انه لم يبق في المركب شيء فيو
حياة الا الكلب ولم ار فيه شيئاً من الامتعة الا ما عطفه المياه . وبعض برامل
من المسكرات موضوعة في خن المركب ولم اعلم هل كانت خمرًا او عرقاً
وبما ان المياه قد انكشفت عنها رأيتها جيداً الا انها كانت كبيرة جدًا لا ترام
ولا يطمع في اخراجها . ورأيت ايضا عدة صناديق ظلمت لها من صناديق
الجهرية . فازلت اثنين منها الى القارب من دون ان اعلم ماذا داخلها . ولو
كان مؤخر المركب سالماً صحيحاً ومقدمة فقط مكسراً لكانت سفرتي قريت
بتوفيق عظيم . لاني استدللت ما وجدت في ذئبك الصدوفين ان المركب
كان فيه اموال وبضائع كثيرة . ومن ملاحظة الجهة التي كان مقدم المركب
متجهاً نحوها ظهر لي انه قدم من بوبوس ايرس او ريودي لبلانا في القسم
المحتوي من اميركا عبر البرازيل الى هاوانا في خليج مكسيكو وربما من
هناك الى اسبانيا . ولا ذلك انه كان فيه خربة عظيمة ولكن لم يكن منها
نفع لاحد في ذلك الوقت . واما رجال المركب فلم اعلم حوتل في فيها ماذا
اصابهم

وقد وجدت هنا ما تقدم برهلاً صغيراً مملوءاً مكسراً فضلة بصعوبة
كبيرة الى فاربي . ووجدت في القمرة عدة بواريد وجراب بارود فيو نحو
ثلاثي اواق . اما البواريد فلم التفت اليها لانه لم تكن لي بها حاجة . واما جراب

البارود فاني اخذته الى القارب واخذت ايضا رفشا ومطعاً للنار كنت في غابة الاحتياج اليها وطاجين صغيرين من نحاس وليريق نحاس لعمل الشوكولاتا او القهوة وسعود اي مصبعا من حديد واشتيت راجعا بهذا الوسخ والكسب الى البر لان المد كان قد ابتدا . وفي ذلك اليوم بعد الغروب بساعة وصلت الى الجزيرة نعبا وكالا جدا . فاسترحمت تلك الليلة في القارب وعند الصباح عرفت على ان اضع ما اتيت به في مغارقي الجديدة ولا آخذة الى قلعتي . وبعد ان تناولت قليلا من الطعام وراق مزاجي اخرجت كل وسفي الى البر واخذت المحص مفردانو . فوجدت ان البرميل كان فيه روم ولكن ليس كالذي كان عندنا في البرازيل وبالاختصار لم يكن جيدا . ولكن لما فتحت الصندوقين وجدت فيها اشياء كثيرة نافعة لي . فاني وجدت مثلاً في احدهما صندوقاً لطيفة فيها فتاني غريبة في منظرها مملوءة مشروبات نافعة مرطبة . وكانت اطرافها مصلحة بالفضة . ووجدت ايضا فاروريتين فيها مريات مسدودتين مدا محكما حتى انه لم يدخلها شيء من ماء البحر ثم وجدت فاروريتين اخريين غيرها فيها حلويات كانت قد عطلتها مياه البحر . ثم وجدت قصائنا حيث جئنا كنت في احتياج اليها فخرجت بها . ونحو دزينة ونصف من محارم كنان ايض وورطات رقبة ملونة فسررت بالمحارم لانها كانت مفيدة كثيراً لي لاجل مسح عرق في ايام الحر . ثم وجدت في صرقة الصندوق ثلاثة اكياس كبيرة فيها قطع من القنبلة وكانت جملة ما فيها الف ومائة قطعة . وفي احد الاكياس ست قطع من الدابلون الذهب ملفوفة في ورقة وبعض سبائك ذهب ربما وزن جميعها نحو ثمانين مثقالاً . واما الصندوق الآخر فوجدت فيه بعض ملابس قليلة القيمة والفائدة . والظاهر انه كان مختصا بيالي اعطيتني مع انه لم يكن فيه بارود الا نحو خمس او افي من البارود المزيق في ثلاث نكبات صفار . وربما كان ذلك بمحوظاتنا لك لاجل اطلاق البارود عند الانقضاء . واقول بالاجمال اني في هذه السفرة حصلت اشياء

فليلة جداً ما يمكنني ان استفيد منه . لان الدرهم لم يكن لها عدي اذني فائدة بل كانت كالتراب الذي كنت ادوسه تحت رجلي . واعطيها كلها بدل ثلاثة او اربعة ازواج من الاحذية والجوارب الانكليزية لاني كنت في غاية الافتقار الى ذلك . وكان قد مضى علي عدة سنين ولم اهن جورباً ولا حذاء في رجلي . غير اني وجدت حينئذ زوجتي احذية في رجل الرجلين الغريبن المار ذكرها فترعتهما عنهما . ثم وجدت زوجين اخرين في احد الصناديق كانا ملائين لي الا انها لم يكونا كاحذينا الانكليزية في الملائمة والافاقية . لان لهما كانت رقيقة جداً . ووجدت في ذلك الصندوق ايضاً نحو خمسين قطعة من القابية واكن لم اجد هناك ذمياً . والظاهر ان صاحبة كان فقيراً بخلاف الآخر الذي بيان ان صاحبة كان من الضباط . فاخذت تلك الدرهم الى سفارتي واحرزتها كما فعلت بالتي اتيت بها فعلاً من مركنا . وكان من سوء حظي ان القسم الآخر من المركب لم يكن لي فيه نصيب . لاني اعلم جيداً انه لو صادفني ذلك السعد تحسنت فاردي دراهم مرات متوالة . وكنت انكر انه اذا تسمر لي الذهاب الى انكلترا يمكنني ان تركها في تلك المغارة بالامان الى ان تحصل لي فرصة لان ارجع الى الجزيرة واخذها

شعر

بما فشت الابل ما بين اهلها مصائب قوم عند قوم فوائد

واذ كنت قد اتيت بجميع امنعي الى البر واحرزتها جيداً التبت راجعاً الى فاردي واخذت اجلف سائراً و بجانب الشاطئ الى ميناء القدينة وتركته هناك . ثم ذهبت من ذلك الموضع الى مسكني التبت فوجدت هناك كل شيء في هدوء وامان كما تركته . فاخذت حينئذ ارجع نفسي واعيش كما ادي القدينة واعني بهام هائلتي . و بنيت مدة اعيش بالراحة والهدوء الا اني كنت دائماً على

حذر أكثر من السابق وانطلق متلصصاً الى الخارج أكثر مما مضى واجول
في الجزيرة اقل من جاري عادي . ولم اكن اذهب برائحة بال الى الجهة
الشرقية من الجزيرة اذ كنت اعلم ان البرابرة لم يأتوا قط الى هناك . وكانت
يمكنني ان اتوجه الى تلك الجهة من دون تلك الاحياطات الكثيرة ومن دون
ان اتزم ان احمل حلاً ثقيلاً من الاسلحة والذخيرة كالذي كنت احمله عند
التوجه الى الجهة الاخرى منها . فثبتت في تلك الحالة نحو مدين ايضاً ولكن
رأسي المخوف الذي كان من دأبي ان يذكرني دائماً بأنه اذا ركب على جثتي
يكي يجهل جسدي تعباً كان في تلك المرة بأسرها ملوفاً من الدمار
والاعنانات بايجاد طريق القصاص من تلك الجزيرة . لاني كنت احياناً اقصد
التوجه مرة اخرى الى المركب على ان عقلي كان يقول لي انه لم يبق هناك شيء
يسحق مشقات السفر وكنت اطلب نارة التوجه الى جهة واحدة ونارة الى
جهة اخرى . وليس عندي ادنى شك انه لو كان باقياً في حوزتي ذلك الكور
الذي مررت فيه من سالي كنت سافرت فيه لاجالة حينا ساقي القنادير من
دون حساب . فاني كنت مثلاً للصايين بوباء البشر المعوي الذي يتبع منه
بحسب معرفتي نصف مصائبهم وهو عدم الارضاء بالحالة التي وضعهم فيها الله
والطبيعة . لاني مع صرف النظر عن حالتي الاولى ونصيحة الى الناضلة التي
يمكنني ان ادعو محالتي ايها خطيئي الاصلية كانت اعلاهي من هذا القيل نسو
في ما بعد واسطة لوصولي الى تلك الحالة النعمية . لانه لو كانت تلك العناية
التي يستر لي ذلك المذكر الحسن في البرازيل وهو معاطاة الزراعة العمت
بان اضبط نفسي عن الطمع وارضي ان اتقدم في عملي بالتدريج اكنت صرت
في ذلك الوقت اي وقت وجودي في تلك الجزيرة من اكبر فلاحي البرازيل .
ولست اشك اني بواسطة النجاج الذي حصلت عليه في تلك المرة القصيرة التي
صرفت فيها هناك والنو الذي كنت على الاكثر مزعماً ان احصل عليه لو بقيت
مدة اطول في ذلك الموضع كنت صرت لاجالة صاحب ثلاثين الف كمن

تقريباً . وماذا حملي على ترك نروغ ثانية ومررعة عنصبة آخذة في التقدم والريادة لكي أكون وكلاء على مركب متوجه الى غروبها في طلب العبد مع ان الصبر والعادي كانا زادا املاكنا في بلادنا حتى كان يمكن ان نشري العبد على ابواب بيوتنا من الذين كانت مصالحهم جليهم والمهاجرة هم . وما كنا نلتزم ان ندفع من الريادة في عنهم لم يكن توفيرة يستفي هذا المقدر من التعب والمخاطرة . ولكن كما كان ذلك يكون غالباً نصيب الشبان كذلك التامل في حمايتهم يكون في الغالب عمل المتقدمين في السن او الذين كفهم اختبارهم المنطوق لنا غالباً . فمكنا كانت حالي حذر . ولكن كان الغلط تمكن جداً وصار ملكة في طبعي حتى انه لم يكن يمكن ان ارفض قاضاً بحالي بل كنت دائماً منهما ومنهما كما بامر خلاصي من ذلك الموضع . وسيجتمع ما عملك من التدابير لاجل نيل هذا المقصد من ميان قصتي كما ترى

شعر

طلبت المستقر بكل ارض فلم ار لي بارض مستقراً
اطلعت مطالبي فاستعبدتني ولو اني قتلت لكنت حراً

واعلم اني كنت حذر تخطياً في قلعي بعد رجوعي من ذلك المركب وكان قاري مربوطاً بامان في مينا ابنة كالعادة وقد رجعت الى الحالة التي كنت فيها قبلاً . فم ان كان عندي اموال اكثر من السابق الا اني لم اكن لذلك اعني لاني لم استند من تلك الاموال اكثر مما كان يستند منها منود يرو قبل هي اعالي اسبابنا الى هناك

وفيا كنت في احدى ليالي اذار المطرة في السنة الرابعة والعشرين من دخولي جزيرة الباس مضطجماً في فراشي او ارجوحي طلياً للنوم معافياً

مرتاحاً راتق المراج خالياً من لعب الجسم واضطراب العقل أكثر من مأوف
 عادي لم أكن استطع ان اطبق عملي لكي انام بل احببت الليل كله بالرق
 والقلق . ولا يمكن ذكر جميع الافكار الكثيرة المتنوعة التي جالت في عقلي في
 الليلة . فاني راجعت بطريق مختصر حوادث حياتي من اولها الى ان وصلت
 الى تلك الجزيرة ثم اردفت ذلك بحوادث حياتي في مدة اقامتي فيها . وبعد
 تأملي في حياتي من حين خروجي الى الجزيرة كنت اقابل حسن اموري في
 السنين الاولى من سكائي هناك بما اعتراني من الاضطراب والظروف والمهموم
 بعد ما رأيت اثر القدم على الرمل . وليس ذلك كلتي لم أكن اصدق قبلاً ان
 البرارة كانوا يرددون دائماً الى الجزيرة وانارها وجد احبائنا مثبات منهم
 هناك في البر إلا اني لم اعرف ذلك قط ومن ثم لم يخامرني ادنى احساس من
 هذا القيل . فكانت طمأنينة كاملة مع ان الخطر كان هو هو بعينه . وكنت
 اقترح بعدم معرفتي ما انا فيه من الخطر كلتي لم أكن قط في الحفيظة عرضة له .
 وقد استندت من ملاحظة ذلك فوائد كبيرة من اخصها ما يأتي وهو اعظم
 صلاح وجودة العناية الالهية في جعلها مبدى نظر الانسان ومعرفة قصراً
 وضيقاً حتى انه عند ما يكون محاطاً بالآف من الاخطار يكون مطمئناً مادام
 اذا كانت الحوادث مستورة عن نظره وكان لا يعرف شيئاً من المخاطر
 المحدقة به مع انه لو عرفها كانت تقاى فكرة ونوعية في خور الهمة وفي
 اليأس

ثم بعد ان تسليت مدة هذه الافكار اخذت أفكر بامعان نظر في ما
 كنت فوه من الخطر في تلك السنين الكثيرة التي قضيتها في جزيرة اليأس
 وكيف كنت اجول من مكان الى مكان بكل طمأنينة وراحة بال في اوقات
 كان فيها مجرد ظل نلة او فجرة كبيرة او ظلام الليل فاصلاً بيني وبين
 ارداء نوع من الهلاك اي الوقوع في ايدي الغيلان والبرارة الذين لو
 صادفوني لكانوا قبضوا عليّ كما قبض على عزة او حياء وذبحوني واكلوا لحبي

من دون ان يواخذوا انفسهم بذنب اكثر مما واخذوا نفسي اذا ذبحت
حماة او بومة واكلت لحمها . ولا يجوز لي ان اقول اني لم اشكر الله
مخلص على حفظه اياي لاني كنت اقر بتواضع عظيم ان خلاصي من تلك
الخطاير العظيمة الغير المعروفة انما كان بواسطة عنايته العظيمة واني لولا
تلك العناية لكنت لامحالة سقطت في ايدي اولئك الفساة العارين من الرحمة
والإنسانية

فلما انتهيت من تلك الافكار صرفت مدة من الزمان في التأمل كيف
كانت احوال اولئك الخلائق الاشياء اي البرابرة وكيف امكن ان الله الذي
يدير الامور بحكمة يسلم بعض خلائقه الى ارتكاب تلك القساوات الفظيعة
والانحطاط الى حالة دون الوحوش وهي اكل بعضهم البعض . ولكن اذا
انتهى ذلك في مباحث كانت عديدة الثمرة في ذلك الوقت لاح لي ان اسأل
نفسى الاسئلة الآتية وهي في اي قسم من العالم يسكن اولئك النجوم الموحشون .
وكم نعد بلادهم التي انوا منها عن الشاطئ . ولماذا كانوا يسافرون مبعدين
عن اوطانهم بهذا المنظار . وماذا كانت قواربهم التي يسافرون فيها . ولماذا
لا ارب احوالي واموري بحيث افدر ان اذهب الى بلادهم كما يأتون هم الى
جزيرتي

ولم انعم نفسي بالسؤال ايضاً عما ينبغي ان اعمله ينبغي اذا توجهت الى
بلادهم ولا عما يمكن ان يصيبي اذا وقعت في ايديهم ولا كيف احرب منهم اذا
هجموا علي ولا كيف يمكن ان اصل الى البر من دون ان يدهمني بعضهم
بحيث لا يكون لي سبيل الى النجاة من ايديهم . واذا لم تقع في ايديهم فماذا
اعمل من جهة الراد او الى اي جهة احوّل وجهي . فجميع هذه الامور لم
تخطر قط ببالي ولكن عقلي كان منصّباً انصبّاً شديداً على العبور في قارتي الى
الناصرة . وكنت احسب اني اردت الحالات في العالم وانه لم يكن شيء يمكنني
ان اطرح نفسي فيه ما يمكن ان يقال عنه انه اردت منها الا الموت نفسه . واني

اذا وصلت الى شاطئ الفارة ربما يفتح لي باب الفرج او اسافر بجانب
الخطوط كما فعلت على خطوط انريفة الى ان اصل الى بلاد مسكونة وربما
احصل هناك على فرج . او ربما اصادف مركبا محييا ياخذني معه . ومها
اصابي من الخس وعدم التوفيق فانه لا يكون اكثر من الموت . فاذا مت
فاني اخلى من هذه البليات دفعة واحدة . واعلم ان ذلك جميعه قد نتج عن غل
مضطرب ومزاج لجوج لاني كنت قد شئت من جرى طول مدة مصابي وخيبة
الامل التي حصلت لي في المركب الذي ذهبت اليه مؤملا ان اجد فيه ما
كنت متعظا وناتعا الى الحصول عليه اي بعض الناس اكلمهم واستبد منهم
بعض امور عن المكان الذي كنت فيه وعن الوسائط الممكن استعمالها
لحياي معه . فاني اضطربت مفرقا جدا من تلك الامور . وراحة بالي
الناجمة من تسليمي لتدبير العناية الربانية كانت تبان كأنها قد فارقتني وكنت
كافي عدم الاعتماد على تحويل فكري نحو شيء الا السفر الى تلك الدارة
فان هذا الامر اناني بهزم شديد وجعل في رغبة مفرطة حتى انه لم يكن ممكنا
لي دفعة

وبعد ان ارعيت ذلك مدة ساعتين او اكثر بقوة عظيمة حتى جعل
دوب يغلي ونبضي يتنفس كافي محبوم وذلك بمجرد حرارة غلي يسير الذي
الطبيعة في نوم قليل لاني شئت وكللت من التفكير . وذلك ما يجعل على
الظن بالي قد حصلت عن ذلك في نومي والجمال الي لم احلم عه ولا عن شيء
يتعلق بولب انما حصلت الي في ما كنت خارجا فلهي صباحا كجاري عادي
رايت فاردين واحد عشر سررا يخرجون منها الى البر وقد اتوا معهم
بهريري آخر كانوا مزعمين ان يذبحوه لكي ياكلوا لحمه واذا بذلك البهريري
الذي كانوا مزعمين ان يذبحوه قد وثب بقية ومرب منهم راکصا طلبا لاجل
وقد تراءى لي في الحلم انه اني راکصا الى العاية الصفراء المتكاثرة التي قدام قلعي
لكي يحميني هناك . واني لما رأيت واحدة ولم ار البقية يحدوث في ظلي الى تلك

الجملة اظهرت له نفسي ونظرت اليه بالبشاشة واللبس تشجيعاً له . وانه رجع اناي
كأنه يصرع الي لا محالة واني عند ذلك دأبت على سلمي وطلت منه ان يصعد
ودميت به الى المقارة وجعلته خادماً لي . واني حالماً صار عدي ذلك الرجل
فلت في نفسي الآن يكفي حقاً ان اسافر الى القارة لان هذا الرجل يكون لي
بمثلة دليل ويقول لي ماذا اعمل وان اذهب في طلب الطعام وان
لا اذهب خوفاً من ان اطلع وما في الاماكن التي ينبغي لي ان اسافر فيها والتي
ينبغي ان اتجنبها . وعند هذا الفكر انتهت وكنت فرحاً مستبجاً جداً بما املته
من النجاة في حلي واكن الخوف الذي شعرت به عند ما صحت ورأيت ان
ذلك لم يكن الا حلاً كان شديداً انما حتى انه اوقعني في صغر نفس عظيم
في الغاية

الا في عند ذلك وصلت الى هذه النتيجة وهي ان الطريق الوحيد لمحاولة
النجاة هو ان احصل اذا امكن على واحد من اسرى البرابرة من يكونون قد
حكموا بقتلهم واكلهم وقد اتوا الى الجزيرة لاجل ذبحهم . الا انه كانت توجد هناك
الصعوبة في ذلك وهي انه لا يمكن التوصل الى هذا المقصد الا بالتعمد على جمهور
منهم وتعلم جميعاً ولكن هذا العمل فضلاً عن انه جسارة ربما لا يعينها نجاح
غير جائز عدي كما ذكرت قبلاً وكان قلبي يرتد مرئساً من التفكير
بسفك هذا المنار من الدم البشري وان يكن ذلك لاجل نجاتي . ولا حاجة الى
ذكر النجى التي عرضت لي لعدم جواز هذا العمل لانها في نفس النجى التي
ذكرتها قبلاً . ومع انه كان لي في هذا اسباب آخر اقدتها لجواز ذلك وهي
ان اولئك القوم هم اعداء لحياتي وانهم يتلعونني اذا قدروا وان صباهي نفسي من
الموت بايديهم هو محافظة على الحياة من اعلى درجة ومنفعة عن نفسي كما
لو كانوا حامين علي ليتكلموا بي وكانت سفك دم بشري لاجل نجاتي مانلاً
عندي جداً حتى الى بئس مدة طويلة لا اقدر ان اسلم به . ثم بعد محاورات
سرية بيني وبين نفسي واضطرابات عظيمة بسببها لان تلك الاحتجاجات كانت

تأزع في رأسي وتشتغل زمناً طويلاً غلبت أخيراً الرغبة القوية المحارة في الحياة
مستظهرة على جميع ما سواها حتى عزمت أن أحصل على واحد من أولئك
البربر إذا أمكن مما كلف ذلك . فاخذت حينئذ اهتماماً بامر التوصل إلى
هذا المقصد وإذا كان الاعتماد على طريق مخصوص صعباً جداً عزمت على أن
أراقب أولئك القوم من بعداً مجهولاً إلى البر وان اترك ما وراء ذلك للتضاء
والقدر وإن انصرف عند حصول الفرصة حسب مقتضيات الحال .
فصرفت أكثر من ستة ونصف في المراقبة . وكنت في أكثر تلك المدة أذهب
كل يوم إلى الجانب الغربي من الجزيرة لكي أترصد الثوارب وإذا لم أر شيئاً
مها ضجرت وضعفت همتي وقال أمني . إلا أن رغبتي لم تضعف كما فعلت فيما
مضى بل كانت كلما طالبت المدة تزيد . وأقول بالاحتمال أن اجتهادي في
أول الأمر في أن لا أرى البرابرة ولا أدهم بروني لم يكن أقل من رغبتي
حينئذ أن أفك بهم . وعنا ذلك كان يلوح لي أنني قادر على ضبط بربري
أو اثنين أو ثلاثة أيضاً إذا وقعوا في يدي وعلى جعلهم عبيداً مطيعين لي في
عمل كل ما أمرهم به وعلى منعهم من أن يغدروا لي في أحد الأوقات
فصرفت مدة طويلة أعطت نفسي بهذا الأمل إلا أنه لم يظهر شيء من ذلك
بل ذهبت جميع افكاري وتدابيري سدى لانه مضى مدة طويلة ولم يأت أحد
من البرابرة إلى جزيرتي

شعر

يعاندني دهمري كثني عدوه وفي كل يوم بالكربة بلغاني
ولن رمت خيراً جاء دهمري بضئ وإن يصف لي يوماً تذكر بالثاني

الفصل الثاني والعشرون

تخليص روبنن كروزي اميراً من البرابرة
وتسببته اياه جمعة واتخاذ
اياء عادماً له

وبعد ان صرفت نحو ستة ونصف في تلك الافكار وحكمت بانها
فارغة باطله رأيت ذات يوم صباحاً خمسة قوارب على الشاطئ في الجهة التي
كنت مقيماً فيها وكان الثوم الذين انوا فيها قد خرجوا جميعاً الى البر ولم يكن
ارام حذر قد هشت من ذلك وكانت الكثرة تضعف ايلي في الجاج . لاني اذ
رأيت ان القوارب كانت كثيرة وكنت اعلم ان البرابرة بأنون دائماً اربعة او
خمس واحياناً أكثر في كل قارب حرت في امري ولم اعلم كيف اقدر ان
اتك بعشرين او ثلاثين رجلاً دفعة واحدة وانا وحدي . الا الي نهات
للضال كما فعلت قبلاً وكنت مستعداً لان افزعهم اذا لزم . وبعد ان انتظرت
مدة وكنت انتصت ليلي اسمع صوتهم حتى مللت من الانتظار وضعت اخيراً
بارودتين بجانب لي وصعدت الى اعلى التل ووقفت هناك في ظل رأس
خلا بروني . فرأيت هناك بواسطة نظارتي انهم لم يكونوا اقل من ثلاثين بربراً
وانهم قد اشعلوا نارا وشقوا لحماً غير اني لم اعلم كيف شقوا ولا لحم اي شيء
هو . وكانوا جميعاً يرقصون حول تلك النار بحركات واسارات غريبة
بحسب عادتهم

ثم رأيتهم بواسطة نظاري يهرون من القوارب رجلين منكودي المظ
ويأتون بها الى البر لاجل الذبح . فتقدم احدهم الى واحد منها وضربه على
رأسه بنوت او سيف من خشب حسب عادتهم فسقط لوقتو الى الارض .
فاخذ اثنان او ثلاثة منهم بشنقلان في فزره ونظموه واما الرجل الآخر فكان
واقفاً وحده جانباً الى ان ينهوا من رفقه وبأني دوره . فلما رأى هذا الفيس
ان له حرية قليلة وكان غير مفيد هيبت الطيعة في قلبه آمال الهواة فهرب
منهم واخذ يركض بسرعة لا تصدق على الرمل سائراً باستقامة نحو اي نحو
الجهة من الجزيرة التي كان فيها مثلي . ويجب ان اقر بالي لما رأيت يركض
نحوي خلت جداً وعلى الخصوص لما رأيت كما ظننت متوقفاً ان جميع اولئك
البرابرة كانوا يحدون في طلبه . فاخذت حينئذ انتظر تمام قسم من حالي ومن
انه يهرب لا محالة الى غايي الا اني لم افدر ان اعتمد على التمس الآخر . من
ذلك الحلم وهو ان البرابرة لا يبعوثه الى هناك غير اني مع ذلك ثبت في
مركزي واخذ عزمي بقوى عند ما رأيت ان الذي كانوا بطاردونه لم يكونوا
أكثر من ثلاثة رجال . وزدت جراءة عند ما وجدت انه سيهم كثيراً في
الركض وصارت المسافة بينه وبينهم بعيدة حتى ظهر لي انه اذا بقي كذلك نصف
ساعة ينجو منهم جميعاً ويأمن غائلتهم

وكان النهر الصغير الذي ذكرته مراراً في اول قصتي وقد اخرجت
منه وسقي الى البر بفصل بينهم وبين قلعتي فظهر لي انه يجب على ذلك
المسكين ان يعبره ساجاً بسرعة والأفانة بنع لا محالة في ابداهم . فلما وصل
الاسير المارب الى حافة ذلك النهر التي حالاً نفسه فيوم مع ان المد كان
قوياً وعبره ساجاً بسرعة الى الجانب الآخر منه واخذ يركض بكل عزم
وسرعة . ولكن لما وصل الثلاثة رجال الذين كانوا بطلبه الى النهر رأيت
اثنين منهم يجلسان السباحة واما الثالث فكان لا يحسن ذلك فوقف على
الحافة ينظر الى رفقه ثم بعد قليل رجع على اعنائه الى الوراء . وكان ذلك

من حين حفظ لما سألني بيانه وقد لاحظت ان ذلك الرجلين صرفا في قطع
 البحر ضعف الوقت الذي صرفه ذلك الغارب . فظهر لي حينئذ ان ذلك
 الوقت هو الوقت المناسب لاقتناء خادم او رفيق او مساعد والى مندوب
 من قبل العناية الالهية ان اخلص حياة ذلك الرجل المسكين . فزلت حالا
 على السلم مهرولا وتناولت بارودتي وكنت قد وضعنها بحسب السلم كما
 ذكرت ثم صعدت على بكل عجلة ايضا وعدوت الى راس الدل ثم جاوزته الى
 جهة البحر واذا كانت المسافة قصيرة ومحدرة صرت حالا بين الفاهمين
 والشيوع فاخذت انادي ذلك الغارب باعلى صوتي . فالتفت الى ورائي . وربما
 كان في اول الامر خائفا مني بقدر خوفه منها . ولكنني اشترت اليومي ان
 يرجع واخذت اتقدم في غضون ذلك شيئا فشيئا نحو ذلك الرجلين اللذين
 كانا بطلاني . ثم صممت بنية على العاقبة منها وضربت بندق بارودتي . ولم
 ارد ان اطلق البارودة لاني لم اثنأ ان اسمع الآخرين صوما وان كان لا يمكن
 ان اسمع صوما بسهولة لبعد المسافة حتى انه اذا سمع صوما فاذا كان لا يمكنهم
 ان يروا دخانها لم يكن ممكنا لم ان يعرفوا بسهولة ماذا كان ذلك . فلما
 طرحت الاول مصروعا الى الارض . وقف رفيقه الذي كان يشبهه كأنه كان
 خائفا . فاخذت اتقدم مسرعا نحوه فلما صرت على مسافة قريبة منه رأيت
 جيدا انه كان من قوس وسهم كان يهينها ليرمي بها فاضطرتني الامر الى
 ان رميته بالرصاص فاصبته فوقه حالا على الارض ميتا واما البعري الغارب
 فلما رأى عدوه قد وقفا الى الارض وظن انها ماتا خاف جدا من نار
 بارودتي وصوما ووقف جامدا كأنه حجر . فلم يتقدم ولا تأخر الا انه كان
 يبان كان الغارب كان احب الي من الايمان الي . فادبته ثانية واشترت اليومي
 ان يتقدم نحوه ففهم ذلك بسهولة وتقدم قليلا ثم وقف ومكنا كان كلما تقدم
 بعض خطوات يتف مرجحا كأنه قد أخذ اسيرا وكان مرعبا ان يقتل كما
 فعل عدوه . فاشترت اليومي ايضا ان يأتي الي وعلمت له جميع ما جال في

خاطري من علامات الشجع فكان يتقدم نحوي شيئاً فشيئاً . وكان كلما مشي
عشر خطوات او اثني عشرة خطوة يركع على الارض علامة تأدية الشكر على
الناذي اياه . فبسطت في وجهي ونسجت له واشدت اليوانيت يتقدم ايضاً
نحوي ولا يخالف اذى واخيراً دنا مني وخرّ ساجداً على الارض وقبلها ثم وضع
رأسه على الارض وامسك رجلي ووضعها على رأسي . والظاهر ان مراده سيء
ذلك انما كان بين لي انه قد حلف بان يكون لي عبداً الى الابد . فرفعتني عن
الارض وطويت خاطرة وجمعت واسطة بقدر الامكان . وان البربري الذي
ضربته بالندق كان لم يمت بل انما اغي عليه وكان قد اجنأ يستفيق من صرعه .
فدلفته عليه واشدت اليوانيت لم يمت وعند ذلك كفني ببعض كلمات . ومع اني لم
اقدر ان افهمها كنت الذي بساعها لاشها كانت الكلمات الاولى التي سمعتها من
ثم انما في سنة اكثر من خمس وعشرين سنة . الا اني لم يكن حينئذ وقت لعل
هذه القاملات . وان ذلك البربري استفاق من صرعه واحترق منها للذيام
فاحدث ذلك خوفاً كالاح لي في قلب البربري الذي خلصته . الا اني لما
رأيتني وجهي بارودي نحو عدوه كافي اريد ان ارميه بالرصاص لنج .
وعند ذلك طلب مني ان اعطيه سيفي الذي كان معاً يصر على جاني من
دون فراغ فاعطيناه اياه . ففي الحال ذهب يراكمضاً الى عدوه وقطع به
رأسه بضربة واحدة حتى ان امهر ساجداً في جرمانيا لا يقدر ان يفعل ذلك
بأكثر سرعة ولا على احسن منوال . فاستغربت ذلك من رجل كنت
اعتقد انه لم ير قط سيفاً في حياته الا ما كان عنده من السيف الخشبية
غير اني فهمت في ما بعد انهم يحملون سيوفهم الخشبية حادة وثقيلة جداً
اذ يصنعونها من خشب صلب في الغاية حتى انهم تقطعون بها رؤوساً
وابادي ايضاً بضربة واحدة . فلما فرغ من ذلك رجعت الي صاحكاً منهلاً
علامة للظفر وارجع لي السيف ووضعت امامي مع راس البربري الذي قتله
وكان يشير اشارات كثيرة متنوعة لم اكن افهمها . والذي يبان انه اكثر رغبة

في معرفته هو كيفة قتلي للبربري الآخر مع انه كان بعداً عني كثيراً . فاشار
الي ان اسرع له بالموجه اليه فاذنت له بذلك . فلما وصل اليه وقف مذهلاً
وكان ينظر اليه ويقلبه نارة الى الجانب الواحد ونارة الى الجانب الآخر
وبنفس في الجرح الذي احده الرصاص في صدره لانه كان قد احدث
فيونياً الا انه لم يخرج منه دم كثير لان الدم سال الى داخل فأت بسبب ولم
يق فيو دم . ثم اخذ قوته وجمعه واشفى راجعاً الي . وعند ذلك صمت
على الانصراف واوعزت اليه ان يبعني مشيراً اليه انه ربما يأتي آخرون وراء
ذلك البربرين . فاشار الي انه يجب ان يدفنها لكي لا يراها الباقون اذا
بعوها الى هناك فاشرت اليه اني استصوب رايه . فاخذ في العمل . وفي
الحال حفر يديه حفرة في الارض نكفي لدفن الاول ثم حبة اليها ودفنه
هناك وهكذا فعل بالآخر . ورأى لم يصرف في دفنها أكثر من ربع ساعة .
ثم نادى وذهبت يو بعونا الى مغاري في أقصى الجزيرة ولم اذهب يو الى قلعتي
لانها كانت قريبة الى محل الخطر . وهكذا لم ادع حلي بنم في هذا المعنى وهو
انه يأتي الى غايي ليستظل فيها . فلما وصلنا الى هناك ناورثة رغيفاً من الخبز
وعشوقاً من الرطب لياكل ونارورة ماء ليشرب لانه كان عطشان جداً بسبب
ركه . وبعد ان اكل وشرب اشرت اليه ان يذهب ويضطجع ليلام ودلقة على
مكان كنت وضعت فيوقش ارز ولخافاً فوفته وكنت انام عليه احبباً . وهكذا
اضطجع المسكين ونام

وكان ظريفاً لطيفاً حسن الهيئة ذا فامة مستقيمة طويلة وبنية واعضاء
قوية معتدلة وكان عمره حسب ظني ستاً وعشرين سنة . وكان منظر وجهه
ظليفاً يشوشاً كريماً لا منطياً وحشياً لذي كباتي البرارة . وكانت تلوح على وجهه
علامات الشجاعة والرجولة الثامة وكان حلياً وكبياً كانه اوري وعلى الخصوص
عند ابهامه . وكان شعره طويلاً مستريلاً اسود ولم يكن بمجعداً كشمع العيد .
وكانت جبهته مرتفعة وكبيرة وعيناه مبرتين منوفتين . واما لون جلده فلم

كن اسود خالصا بل كان مشربا صفرة . ولكن اصفراره لم يكن شديدا كرمها
نافرا كما هي البرازيل وورجها وباني هند اميركا بل كانت مشرقا وبنونا
حصنا بعد تحفيق وصله وكان وجهه مدورا سمينا وابنه صغيرا ولم يكن
اطلس كاتوف السودان . وكان في لطيفنا جدا وشفتاه رقيقتين واسنانه ظريفة
منظفة وبضاه كالؤلؤ

فنام نحو نصف ساعة ثم اذنه وخرج من المغارة واقبل نحوني لاني كنت
مشغلا في حلب عتراني في الصبرة بالقرب من المغارة . فلما رأني الى التي
راكها والي نفسي الى الارض بكل تواضع وخضوع وشكر واستعمل علامات
كبيرة لاطهار تلك الحاسيات ثم بسط رأسه على الارض بجانب رجلي ووضع
قدمي على رأسه كما فعل قبل . ثم اخذ يشير اشارات فعمل طاعة وعبودية
وخضوعة التام مظهرا لي بذلك انه يخدمني ما دام حيا فتهبت كثيرا من
اشاراته وسميت له التي مسرورا وراضية . وبعد مدة قصيرة ابتدأت
أكله واعلم ان يكفني . واول كل شيء اأكلته ان اسلم يكون جمعة وهو اليوم
الذي خلصت فيه حياته . سميت بذلك تذكرا لذلك اليوم . وعلته ايضا ان
يتأدني يا معلمي واهمته ان ذلك هو اسمي . ثم علمت ان يقول ام
ولا واهمته معانيها . ثم وضعت قليلا من الحليب في صحن وشربت منه وغسيت
خبرتي فيه فداية واعطيت كعكة واشربت الزو ان يفعل كما فعلت ففعل حالا
واشار الي ان ذلك بلانته جدا . فافقت هناك معه اللول كله . ولما طلع
النهار اشرت الزو ان يذهب معي واهمته التي اريد ان اعطيه بعض ملابس
فخرج بذلك مبتهجا لانه كان هربا بالكلية . وبما كنا مجازين بالقرب من
الموضع الذي دفن فيه ذبيك البر من التفت مشيرا الى المكان الذي
ودني على العلامات التي كان وضعها ليمتدل بها عليها . ثم اشار الي انه يجب
ان نخبرها ونأكلها . وعند ذلك اظهرت العبط وسميت له كراعتي لهذا الامر
وتظاهرت كاني اريد ان استفرغ عند ذكره واومأت الزو بيدي ان يأتي فاتي

حالاً بكل طاعة وخضوع . ثم ذهبت به الى راس النمل لندري اذا كان اعتلوه
فقد انصرفوا واخرجت نظارتي واخذت انظر فرأيت واضحاً الموضع الذي كانوا
فيه ولكن لم أر احداً منهم ولا شيئاً من قواريرهم هناك فاستدلت من ذلك
انهم رجعوا عن الجزيرة وتركوا رفوفهم ولم يبقوا عليها

ولم أكتشف بهذا الاكتشاف ولكنني اذ صرت حيث شئت أكثر جراءة
وبالنسبة أكثر رغبة في معرفة الامور اعطيت خادمي جمعة السيف يد وحملت
النوس والمهام على ظهورهم لانه كان خيراً باحتمال ذلك . وتناولته بارودة
لجعلها لي وحملت انا بارودتين وذهبتنا معاً قاصدين الموضع الذي كانت
اولئك البرابرة فيه لاني كنت حينئذ راغباً في ان اطلع على اسم مرام على اسمهم .
فلما وصلنا الى الموضع رد دمي في عروقي وغاص قلبي في جوفي من كراهة
المخطر . وبالحنفة كان المنظر عندي عظيماً واما جمعة فلم يبال به . فان
المكان كان منطوقاً بعظام الداس والارض مصبوعة بدمهم . وكانت قطع كبيرة
من اللحم مطروحة هنا وهناك قد أكل جانب منها وشويت قليلاً بالنار .
وبالاختصار كان هناك كل علامات ولعبة الظفر التي كانوا قد تجمعوها
بعد الغلبة على اعتنائهم . فرأيت ثلاث حجاجم وخمس ابدع وعظام ثلاث او
اربع ميفان واقدام واجزاء اخر كثيرة من الجسم . واخبرني جمعة بواسطة
الاشارات انهم كانوا قد اتوا الى هناك باربعة من الاسرى ليعملوا ولعبة فاكلوا
ثلاثة منهم والى هو الرابع . وبانه حدثت حرب قوية بينهم وبين ملك مجاورهم
فاخذوا كثيرين من رعاياه اسرى . وكان بيان ان جمعة هو من جملة رعاياه
ذلك الملك . فاخذت الفتاة الظاهرة كل اولئك الاسرى الى اماكن مختلفة لكي
ياكلهم كما فعل هؤلاء الاشقياء بالذين اتوا بهم الى هذه الجزيرة

ثم امرت جمعة ان يجمع معاً الحجاجم والعظام واللحم وكل ما في كومة واحدة
ويشعل عليها نارا كبيرة ويحرقها جميعاً حتى تصدر رماحاً . ووجدت ان جمعة
كان يشتهي ان يأكل بعضاً من اللحم لانه كان لم يزل أكل لحم الناس سبغ

طبعتمو. الا اني اظهرت كراهة عظيمة لذلك العمل فلم بعد يتجاسر ان يظهر
ما انطوت عليه طبيعته من هذا القيل وعلى الخصوص لاني كنت اتيهه بواسطة
ما الي اقله اذا بدامه شيء من ذلك

وبعد ان فرغ خادمي جمعة من عملهم رجعا معا الى الدفعة وهناك
اخذت اغتسل له بعض ملابس. ولول كل شيء اعطينه لباسا من كان كنت
قد اخرجته من صندوق الطبيب الذي خلصته من ذلك المركب كما ذكرت
آنفا. وبعد ان غمرته قليلا كان بلاغة جدا. ثم اصطنعت له جبة من جلود
المري وذلك بحسب معرفتي لاني كنت قد صرت غريبا لا بأس فيه. ثم
اعطينه قميصا اصطنعت من جلود الارانب وكان منبعا ولطيفا. وهكذا كسوته
بقدر الامكان. فمر متجها حين رأى نفسه مكسوبا جدا فظير معلو نفريا.
الا انه كان لا يثني براحة في اول الامر في تلك الملابس. فان لبس اللباس
كان صعبا عليه وكما الجبة كانا ضيقين يتعبان كثرة وإطالة. ولكن بعد ان
وسعها قليلا وليس الجبة منه تعود عليها ووجدتها هينة ونافعة

ثم ثاني يوم رجوعي معه الى مغارتي اخذت انبصر اين انزله. فلكي احسن
معاملته ويكون مع ذلك مرناج البال فنانا علمت له خيمة صغيرة في الفرجة
التي بين سورتي اي داخل السور الخارجي وخارج السور الداخلي. وكانت
هناك باب او مدخل لمغارتي كما علمت فعملت لذلك الباب صندوقا وغلنا
من خشب ركنه من داخل المدخل وجعلت فتحة الى داخل وكنت اسكرو
قليلا واضع سلمي دخلا حتى ان جمعة كان لا يقدر ان يدخل الي داخل
سوري الداخلي ما لم يحدث صوتا قويا كافيا لان ينيه. وذلك لانه كان
لسوري الداخلي حيزه سقف كامل من عوارض طويلة كانت تغطي كل
خميني مئة من السور الى الل. وكان موضوعا على تلك العوارض عرضا
عبدان صغيرة عوض الاخشاب وفوق ذلك غطاء مبهك جدا من قش
الارز الذي كان قويا كالنصب. وكنت قد وضعت على القصب او المعبر

الذي كنت ادخل واخرج منه من الصف بواسطة السلم غلثا معلنا كان اذا حاول احد فتحه من خارج لا يفتح بل ينفذ الى داخل ويحدث صوتا عظيما . واما الاسلحة فاني كنت ادخلها جميعا الى داخل واضعها بجانب كل ليلة . الا اني لم اكن في احتياج الى كل هذا الاحتراز لانه لم يكن قط لاني خادم امين ومحب نصح اكثر مما كان حجة لي فانه كان وديعا بسيط القلب ليس العريكة صديرا شكورا غيورا وكانت عواطفه مرتبطة في كارتباط عواطف ولد بايو . ويمكنني ان اقول انه كان اذا لم يفتحي حوائط الخلع حياي . والاداة الكسيرة التي قدمها لي على ذلك ارالت كل شكوكي وافتعتني بعد قليل انه لا حاجة لي للحفاظة على حياي ولا الاحتراز عليها منه وكان ذلك يهملني اعزب تكرارا متجها كيف ان الله مع الله قد ارتضى كما يظهر من اعمال عباد وسمائة اعمال يدي ان يترج من قسم كبير هكنا من عالم خلافتهم احسن الامور والاعمال التي يوجد في طباعهم وقوى انفسهم اعتماد لما قد اسبغ عليهم نفس القوى والفعل والعواطف وحاسيات المعروف والشكر وكراثة الثمر والنعور بالجميل والخلوص والادانة وكل اعتماد لعمل الخير وقبول الخير ما اسبغ تعالى علينا نحن معاذر المؤمنين . والله عند ما يرتضي ان يجعل لهم فرضا لاراز تلك الحاسيات ترام مستعدين مثلا او اكثر اعتمادا منا لاستخدامها في الامور والمقاصد التي جهات انهم لاحبا . وكنت اغتم واحزن كثيرا عند ما كنت اتأمل لدى حصول فرصة لذلك كيف نسيه نحن له بال تلك القوى جميعها مع انها قد انبرت بواسطة مصباح العلم العظيم الذي هو روح الله وبواسطة معرفة كلنا تعالى وكيف انه تعالى قد ارتضى ان يعزب مثل هذه المعرفة المنة عن ملايين لا تحصى من الناس الذين اذا كانوا مثل هذا البربري المسكين لا بد من ان يستعملوها احسن منا . ومن ثم كنت احوانا انظر في ذلك واعترض على سلطة الله المطلقة وصرت كافي الشك من عدل الله في اخلائه ذلك النور عن البعض

ورحموه الى البعض الآخر مع انه قد وضع واجبات واحدة على الطرفين
 الا الى كت اغلق الباب على هذه الافكار وارفعها من باقي ما يأتي وهو اولاً
 اننا لا نعلم على اي نور واية شريعة تكون دينونة هؤلاء وانه اذ كان الله
 بالضرورة قدوساً وعادلاً طبعاً بغير نهاية وقد مضى على اولئك الخلائق
 بالاعتماد على لا بد من ان يكون ذلك بسبب اخطائهم ضد ذلك النور الذي
 هو كما تقول الكتب المقدسة شريعة لانفسهم وبموجب قوانين تقرر ضاهرم
 بانها عادلة وان كان الاساس غامضاً عنا ولم يبق الباري تعالى ان يكفينا لنا .
 ثانياً اذ كما جميعاً لسنا الا خرقاً بيد الخراف كان لا يحن لنا ان قول لجابلنا
 لماذا جعلنا هكذا

شعر

كم عالم عالم ضاقت ملاعبة وجاهل جاهل ثلثاء مرزوقا
 ملا الذي حير الانعام قاطبة وصير العالم القهر زنديفا

والآن ارجع الى الكلام عن رفيقي الجديد فاقول اني سررت به وكنت
 اسجد في تعليمه كل ما من شأوانت يجعله مفيداً ومريحاً ومساعداً وعلى
 الخصوص ما يجعله يكتفي وبهم مني اذا كلفته . وكان من ابيه اسلاميذ قبل
 التعليم بالفرح ويحسد في اكتساب الفوائد ويسر جداً عند ما يقدرون بهمني
 او بهم مني حتى اني كنت اذ كثيراً بالكلام معه . وصارت عيشتي حينئذ
 هينة لينة مشرفة حتى سررت انقول في نفسي انه لو امكن ان اكون في امان من
 جهة البرارة لكنت لا اطلب ابداً الانفصال من ذلك الموضع ومعارفة تلك
 الجزيرة

الفصل الثالث والعشرون

اجتهاد روبنص كروزي في تهذيب خارصه
جمعة وتعليقه

ثم بعد رجوعي الى قلعتي بالمائة او اربعة ايام قامت في نفسي انه لكي يمكنني ان
اصح احوال جمعة وحاسباته وانزع منه الميل المفرط نحو اكل لحم الناس يجب
ان اذيقه لحم الحيوانات . فذهبت في ذات يوم صباحاً الى الاحراش وكانت
لي نية ان اذبح جدياً من قطوبي الاملي وآتي به الى المنزل واشويه . ولكن في
ما كنت ذاهباً في الطريق رأيت عترة مضطجعة في ظل شجرة وجديين مضطجعين
بجانبيها فامسكت جمعة من كفوف قلتي انه اضرب فف هنا واشرت اليه ان
لا تحرك ثم صليت بارودي واطلقتها فاصت احد الجديين . وان جمعة
المسكين الذي كان قد رأيته عن بعد اتقل ذلك البربري عدوه الا انه لم يعلم
ولا تصور كيف كان ذلك اندمست منهغلاً وجعل يرتفع مرتعداً وكان
خائفاً جداً حتى ظننت انه يسقط الى الارض مفتي عليه . فانه لم ير الجدي
الذي رمته بالرصاص ولا عرف الى قتله بل كان يرفع جبينه ليرى اذا كان
هو لم يخرج وظهر لي بعد قليل انه كان يظن اني عازم على قتله . لانه اني
وركع ساجداً لي واحضن ركني وقال اسماء كثيرة لم اهتم بها الا اني رأيت بسهولة
ان قصه بذلك هو ان يترجاني ان لا اقله
ثم وجدت بعد قليل طريقة لافساعه بانني لا اريد ان اضربه . فامسكته

ييدي وأوقفته وضجعت عليه ثم اشرت الى الجدي الذي قتلته وقلت له ان
يذهب ويأتي به والحال فعل كما امرته . وبهذا كان متعباً بنظر ليري كيف
ذلك الجدي الممكن دككت ايضاً بارودني . ثم بعد قليل رأيت طائراً
كبيراً كالباشق واقفاً على شجرة على مسافة رمية رصاص مني فاقصت حزمة
قليلاً ماذا اريد ان افعله وذلك التي دعوتني اليها وأومأت الى الطائر وكان
في الحقيقة بيضاء مع نفي ظنته باسناً ثم اشرت اليه والى بارودني والى الارض
التي تحت البيضا لكي اريه كيف اطلق البارودة وانزل ذلك الطائر . وفي
الحال اطلقت البارودة وقلت لجمعة ان ينظر فرأى حالاً الطائر يسقط الى
الارض . فوقف كأنه لا يزال خائفاً مع كل ما فعلته وفعلته . ويزداد تعجباً لانه
لم يرني اضع في البارودة شيئاً بل كان يظن انه يوجد فيها ميلاً تعجب الموت
والهلاك قادر على امانة انسان او وحش او طائر او شيء آخر مما كانت
قريباً ام بعيداً . وكان التعجب الذي أحدثته البارودة فيه مؤثراً جداً لم يفارقه
الا بعد مدة طويلة . واخبرني لو سمحت له لعبدني وعبد بارودني فلما البارودة
فاته كان لا يشاء ان يقرب منها او يمساها الى مئة طويلة بعد ذلك الوقت .
الا انه كان منفرداً وحده يتكلم معها ويحاطبها كأنها كانت تجاوبه . وقد فهمت
منه في ما بعد انه كان يطلب منها ان لا تنقله ثم بعد ان زالت قليلاً ذهبت من
ذلك اشرت اليه ان يركض ويأتي بالطائر الذي رمية ففعل ذلك الا انه
بقي مدة وذلك لان البيضا اذ كانت لم تمت بعد سقطت وابعدت قليلاً عن
الموضع الذي سقطت فيه غير انه وجدها اخيراً وانقطعت اليها اليها . واذا
قد عرفت جهلك في امر البارودة استغنيت تلك الفرصة لكها ايضاً من
دون ان يراني لاكون مستمناً لاطلاقها على ما عسى ان اصادفه من الطرائد في
الطريق . الا اني لم اصادف شيئاً في ذلك الوقت . وهكذا انتهت بالجدي الى
البيت وطلعت تلك الليلة وقطعته على قدر معرفتي في صناعة القصصه واذا كان
عندي مرسل يصلح لسلطو سلطت فيه بعضاً من العلم وعمات منه مرقه جيدة الذب.

وبعد ان اكلت قليلاً ناولت جمعة قليلاً فسرى به والظاهر انه احبه . وكان
من اغرب الامور عندي اكله مع اللحم . وانار اليّ ان اكل الملح ردي . ثم
وضع قليلاً في فيه فاصابه بهزج وبصق متفتكاً وغسل فيه يده حلو بعد .
وعند ذلك وضعت انا قطعة لحم في فمي من دون ملح واخذت اصفى
وانتف لمدم الملح كما فعل هو مع الملح . ولكن لا جلال في اللزج . وقد
بقي مدة لا يسال بالكلية عن الملح مع لحمه او مرقته وقبلما كانت يسأل عنه
في ما بعد

وبعد ان اطعمته لحماً مسلوفاً ومرة عذمت ان اعطى له آكلة من اللحم
المشوي فعملت قطعة من لحم الجدي بمخيط قدام النار كما رأيت اناس كثيرين
يفعلون ذلك في انكلترا وذلك اني ركزت عمودين واحداً على الجانب الواحد
والآخر على الجانب الآخر من النار ووضعت عارضة من راس العمود
الواحد الى راس العمود الآخر وربطت المخيط بذلك العارضة فكانت
النقطة تدور دائماً مقابل النار . وان ذلك العجب جمعة كثيراً . ولما ذاق
لحم المشوي هكذا اشعل طوقاً كثيرة ليخبرني به انه احبه جداً . ولما لم اجد
صعوبة في فهم ذلك . واخيراً قال لي انه ان يأكل لحم بشر ما دام حياً
فسررت لما سمعت ذلك .

وفي اليوم التالي اشعلت يدق الشعير وتذريه بالطريقة التي جرت لي
المادة على استعمالها كما علمت فتعلم سريعاً فلما العمل وزادت رغبة فيه لما
عرف ان المقصود من تلك الحبوب ان يعمل منها الخبز ثم سمحت له ان يراني
اعين واخبر ولم يضر الا ايام قصيرة حتى صار قادراً على عمل تلك الاعمال
وغرها ومهر فيها نظيري

واخذت افكر حينئذ انه قد صار عندي فان ولذلك يجب عليّ ان
لوسع دائرة ارضي واليد كمية مزدوعاتي . فانزلت قطعة كبيرة من الارض
وشرعت في عمل سياج لها . وكان جمعة يستعمل فيه بالرغبة والشاغل والفرح .

واخبرته ان المقصود بذلك العمل انما هو زرع الشعير لاجل عمل خبز
يكفيها كلينا وظهر لي انه يشعر انه قد صار علي نسبة كثير يسوي واهمي
انه يريد ان يجهد في المساعدة بذور استطاعوا اذا قلت له ماذا يعمل
وكانت تلك السنة ابلج السنين التي صرفتها قبلاً في تلك الجزيرة . فان
جمعة كان قد اجتمع اليكم قليلاً وبهم اسامي كل الاشياء التي كنت اطلبها منه
وكل المواضع التي كنت ارسله اليها . وكان يجدهني كثيراً حتى صار يمكنني
ان استفيد قليلاً من لساني مع انه كان قبلاً قليل الفائدة اي في امر الحديث .
وعلا لثة الحديث منه كان هو نفسه يعني كثيراً . فان بساطة وامانة
وحسن اطواره كانت تزيد ظهوراً لي يوماً فيوماً حتى صرت احبة حياً
خالصاً . ولما هو فكان يعني أكثر مما كان يمكنه ان يحب شخصاً آخر
غوري أيا كان

ثم جال في خاطري ذات يوم ان انقضه لاري اذا كان مشتاقاً الى بلاده .
واذ كنت قد طمته لغني بحيث صار قادراً ان يجاوبني عن أكثر الاسئلة التي
كنت اسأله اياها سافه اذا كانت المعيرة التي هو منها لم تطلب قط في
الحرب فبسم عند ذلك وقال لي لي كل وقت نهارب الاحسن . اي كل
وقت نهارب الاحسن . اراد انهم دائماً يفلتون في الحرب . وهكذا انتفضا الحاورة
الآتية

روبصن . اذا كنتم باجمعة تفلتون دائماً في الحرب فماذا حدث حتى
اخذت انت اسيراً

جمعة . جماعتنا يكتلوا أكثر وان كان

روبصن . كيف ذلك . اذا كانت جماعتكم يفلتون أكثر فكيف
استأسروك

جمعة . هي كتلر أكثر من جماعتي في مطره التي الي كان فهو هي باكر وا

وأحد اثنين ثلاثي واني . جماعتي كل يوم هونك مطره اني ما كان . هونك
جماعتي اكروا رجال اثنين الف كبير

روبصن . ولماذا جماعتك . يا خلدوك من ايدي اعلائك في ذلك
الوقت

جمعة . هي كطنوا واحد اثنين ثلاثي واملوعن يتراولا الكارب . جماعتي ما
لمن كارب بهاك الوقت

روبصن . عافاك يا جمعة وماذا فعل عديرتك بالناس الذين
يسأرونهم فهل ياخذونهم الى مكان منفرد وياخذونهم كما فعل هؤلاء

جمعة . نعم جماعتي ياخذوا الناس اسات ويزاطون كلهم
روبصن . الى اين ياخذونهم

جمعة . يروعون مطره اكر مطره يفتكروا

روبصن . وهل يأتون الى هنا

جمعة . نعم نعم يتراولا هوني ويتراولا مطره اكر

روبصن . وهل جئت انت معهم الى هنا قبلاً

جمعة . نعم جئتني الى هونك . وعدد قوله هونك اشار الى الشمال الغربي
من الجزيرة الذي يبان انه جانبهم الذي كانوا يأتون اليه

فظهر لي من ذلك ان خادي جمعة كان قبلاً واحداً من البرارة الذين
كانت لهم عادة ان يترددوا الى الجانب الآخر من الجزيرة لكي يأكلوا الناس
كما كان هذه المرة واحداً من الذين أتوا هم ليأكلوا من البرارة . ثم بعد ذلك
بعض عدد ما صارت لي جرانة ان اذهب به الى تلك الجهة عرف حالاً الموضع
وقال لي انه أتى الى هناك مرة مع جماعته وأكلوا عشرين رجلاً وامرأتين

وولداً . وهو لم يعرف ان يقول عشرين بلقي بل عبر عن ذلك بواسطة
عشرين حصاة صفها وأشار الي ان اعددها
وبعد ان فرغنا من تلك المداورة سألته عن مفار بعد الفارة عن
جزيرتنا واذا كانت القوارب لا تضع احياناً . فاجابني انه لا يوجد خطر
والقوارب لا تضع ابداً . واخبرني انه يوجد في البحر يوماً فليلاً عن الجزيرة
نهار وريح يهبان الى جهة واحدة قبل الظهر والى جهة اخرى بعد . فلاح لي
حينئذ ان ذلك انا هو المد والجزر . ولكن فهمت فيما بعد انه يجب عن
حركة نهر اورونكو العظيم الذي وجدت اخيراً ان موقع جزيرتنا هو على
مصبه . وان الارض التي رأيتها الى الغرب والى الشمال الغربي في جزيرة تروينيلد
العظيمة الواقعة شالي مصب ذلك النهر . وسألت جمعة الآق من الاسئلة
عن البلاد والاهالي والبحر والساحل وعن الشعوب القريبة فاخبرني بكل
ما يعرفه من هذا القيل وذلك بكل بساطة وحرية ثم سألته عن اسامي قبائل
شعبه فلم اقدر ان احصل الا على اسم كاريب فهمت من ذلك بسهولة ان
تلك هي الكاريبات التي تضعها خارتانا في قسم من اميركا عند من في نهر
اورونوكو الى غوايانا ومن هناك الى ساسرنا . وقال لي انه على مسافة بعيدة
وراء القمر اي عبر مضيق النهر الذي هو غربي بلادهم يسكن قوم يش
ملفون نظيري مشيراً الى شاري الكيرين اللذين ذكرتهما قبلاً . وانهم قد
قتلوا اناساً كثيرين . فاستدلت من ذلك انه اراد باوشك الناس اهالي اسانيا
اللذين اشتهرت في كل بلاد قساعهم في اميركا وكان يذكرها جميع الشعوب
يتناقلونها خلفاً عن سلف

ثم سألته هل يمكن ان اذهب من الجزيرة الى اولئك القوم اليص .
فقال نعم ان تذهب في قاريين . ولكن لم اقدر ان افهم ماذا غني بقوله قاريين
ولا ان اجعله يوضح لي مراده بذلك . الا اني فهمت اخيراً وذلك بصعوبة
عظيمة ان مراده انه يجب ان يكون القارب كبيراً بقدر قاريين . وكنت

الذي كثيراً يجدت جمعة في ملا البيت . والتفخ لي حيث باب امل في الى
ساحل في احد الاوقات على فرصة للهرب والنجاة من تلك الجزيرة وان
ذلك البري المسكون سيكون واسطة لمساعدتي في بل مقصدي

شمر

بقدر لغات المرء بكثرة نفعه وتلك له عند الشقاء اعوان
فياد الى حفظ اللغات مزارعاً فكل لسان بالحقيقة انسان

الفصل الرابع والعشرون

بناء روبنصن كروزي وجمعة قارباً للذهاب الى بلاد
جمعة وبعي برايرة في تلك الاثناء

وبعد ان تكنت المعرفة والصداقة بيني وبين جمعة وصار بهم كل ما
اقوله له تقريباً وبكم بلغني كلاماً مفهوماً الا انه مكر نصصت عليه نصي
وعلى الخصوص اخبار انيالي الى تلك الجزيرة وكيفية عيشي فيها ومن افامي
مما . وكشفت له سر البارود والرصاص وعلمته كيف يستعمل البارودة
واعطيته سكناً فسر به جداً وعلمت له زناً من جلد جعلت له شبه حيلة
كأنني نعلق بها البطائنات في انكناها واعطيته بلطة ليمتلك تلك الحيلة عوض
البطنان . وكانت البلطة مبنية في بعض الاحوال كالبطنان واسع منه كراً في
الاحوال اخر

واخذت اصف له بلاد اوربا وعلى الخصوص انكلترا التي هي بلادى .
 واخبرته كيف تعيش هناك وكيف تعبد الله وتعامل بعضنا بعضاً وتعامل بجرأ
 في مراكب كبيرة الى جهات مختلفة من العالم . واخبرته عن المركب الذي
 انكسر في وذلكة على الموضع الذي انكسر فيه وكان حيث قد تكسر قطعاً
 وتبدد ولم يبق الاثر . واريت بقايا القارب الذي ضيعة لما غرقنا والذي
 لم اكن افكر حيث قد ان ارجحه بكل قوتي وكان الآن قد صار كالة قطعاً
 متبددة . وان جمعة لما رأى بقايا ذلك القارب وقف منه يفرس متجراً فيها ولم
 يقل شيئاً فسأله عما كان يتأمل فيه . واخبراً قال اني يصفو كارب هذا مثل
 مروح مطره جماعة . فهيت منه لا افهم ماذا يعني الا اني اخبراً بعد التامل في
 عبارته فهمت ان قارباً كذلك القارب الى الى البلاد التي كانت تسكن فيها
 جماعة اي دفع الى هناك بقوة الريح كما اوضح ذلك . فلاح لي حالاً انه يجب
 ان يكون مركب اوربي قد دفع الى شطوط بلادهم وان قارباً اقلت منه وطاع
 الى البر . وكان عقلي مطلقاً بهذا الملتار حتى انه لم يحظر بيالي الله ربها هرب الى
 هناك قوم من مركب مضيع ان اسأل عن المكان الذي اتوا منه بل انما سألت
 فقط عن وصف ذلك القارب

فوصف جمعة القارب جيداً الا اني فهمت مرادة احسن عند قولهم بجرارة
 بهن نكلص الناسات البيض من ممت . يريد نحن خلاصنا الناس البيض من
 تحت الماء يعني الفرق . فسأله هل كانت اناس بيض في القارب . فاجاب
 بالاجاب وبان القارب كان مملوفاً منهم . فسأله كم كانوا . فعد على اصابعه
 سبعة عشر فسأله ماذا اصابعهم . فقال ما معناه انهم لم يزالوا احياء وانهم ما يكون
 مع عشرين

وان ذلك جعل في دماغي افكاراً جديدة لاني حالما سمعت ذلك
 افكرت بان اولئك القوم ربما كانوا من بحرية المركب الذي انكسر مؤخراً
 مقابل جزيرتي فكانهم بعد ان لطم مركبهم الصخر وشقوا من خلاصهم نزلوا في

فأرسلهم وخرجوا على الشاطئ المظفر بين البرابرة . وعند ذلك سأله بتدقيق
 عما أصابهم فأكد لي أنهم لا يزالون إلى الآن منبذين هناك أحياء وإنه قد مضى
 عليهم هناك أربع سنين وإن البرابرة لم يوفدوا لهم بل أعطوهم طعاماً ليأكلوا .
 فعلمت أنه لم يقتلوا ولم يذبحوا . فاجابتهن بأمسألهن ما هن . أي أنهم
 يعملون الحق معهم يريدونهم عقدوا معهم عهداً . ثم قال أنهم ما يزالون ناسات
 إلا لما يهارب الكفار . أي أنهم لا يأكلوا من الناس الأمن فأنزلهم واستأجروا في
 الحرب . فكان المصير في أول الأمر لا يحسن النطق ببعض الحروف بل كان
 في الغالب يبدل العين والحاء والالف كافاً والذيف همزة والحاء هاء وبطلط
 كثيراً في تركيب الجمل ولا يميز إلا نادراً بين صيغ الأفعال باعتبار الزمان
 ولا بين الأجاس كما رأيت

ثم بعد ذلك بنت بنا كست على رأس النبل على الجانب الشرقي من الجزيرة
 الذي ذكرت أني كشفت منه في يوم راني قارة أميركا فإذا كانت الجوز صافياً
 أخذت جمعة بنظر عذوقاً نحو النارة وإذا قد جعل ينفذ ويرقص بالندماش
 وينادي قائللاً يا مآلي يا مآلي . لاني كنت بعداً عنه قليلاً . فعلمت ما بالك
 يا جمعة . فقال ما معناه يا لرحم يا لمروري انظر هالك بلادي هناك
 عشريني . فلاحظت على وجهه علامات الشهور بنوح خارق العادة . وكانت
 عندها نظمان وكانت يلوح على وجهه علامات شوقي مفرط نحو التوجه إلى
 بلاده . فلما لاحظت تلك الأمارات من جال في خاطري أفكار كثيرة جعلتني
 في أول الأمر غير مزاج من حيوته كما كنت في السابق ولم أكن أشك أنه إذا
 أمكنه الرجوع إلى عديرو عيسى كل دياره وكل معروفه معه أيضاً ويخبر أبناءه
 وطنه بأحوالي وربما يرجع منه أو مائتين منهم فيعملون في ولاية بنعم فرحاً
 بها كما كان بنعم بالولائم من أعدائهم الذين أخذوا في الحرب . إلا أني ظلمت
 كثيراً ذلك الخادم المسكين الذين يهلك النعم وحزمت في ما بعد من جرى
 ذلك حزناً شديداً . وإذا كانت ظنوني قد زادت ونيت سنوية على حاسباتي

عدة اسابيع كنت أكثر حذرًا منه وأقل انفعالًا نحوه من السابق . وقد
اخطأت لا محالة في ذلك ايضا . فان ذلك الخادم الأمين صاحب المروءة
والوفاء لم يفكر بذلك الا افكار تطابق احسن مبادئ معي في وصديقي
وفي كما افصح لي ذلك جليا في ما بعد

و كنت في تلك المدة اجهد في استكشاف باطن لاري هل يوجد عند نفسي
من الافكار الجديدة التي كنت اظنها فيه فوجدت ان كل ما قاله كان يدل
على امانته وبراعته حتى اني لم اجد شيئا يعرض ظنوني ومع كل ما كان في من عدم
الراحة والريب من جهته ملك اخيرا قلبي كالساق . واذ لم يكن يعرف شيئا
من اضطراري بسببه لم يكن لي وجه لان اظن فيه الرياء والخداع

وبما كنا ذات يوم طالعين على ذلك النبل نفسمو وكان الجو فوق
البحر مبهرا حتى انه لم يكن يمكننا ان نرى القارة دعونه فقلت له يا حجة اما
ننمى احيانا ونود لو كنت في بلادك وبين عثمرك . فاجاب لي
اني كنت اسر جدا واظن فرحا . فقلت له وماذا تفعل هناك اترجع الى حالة
الشوحش وتاكل لحم الداس وتصدر بريرا ايضا كما كنت قبل . فلاحظت عند
ذلك علامات الحزن على وجهه وقرأ رأسه وقال كلا بل انا - اعلم ان
بعثوا عيشة صالحة وان يصلوا الى الله وبأكلوا خبز شعير ولحم حيوانات
وحلوا . فقلت له اذا فعلت ذلك فانهم يقتلونك . فاجاب عذ وقال كلا
كلا انهم لا يقتلونني لانهم يجهلون ان يفعلوا وقد فعلوا امورا كثيرة من الرجال
الطغيان الذين جاءوا في ذلك القارب . ثم سأله هل يريد ان يرجع اليهم .
فنهض عند ذلك وقال انه لا يندر ان يقطع كل تلك المسافة سباحة . فقلت
له اني اصنع لك فاربا . فقال انه يذهب اذا ذهبت معه . فقلت انا اذهب
الي اخاف ان ياكلوني اذا ذهبت الى هناك . فقال كلا كلا اني لا اذعنهم
ياكلونك بل اجعلهم يجهلونك كبرا . اسأله من يجرم كيف فقلت عدو
وخاضعت حياته ومكلمنا يجهلون ان يجهلون . ثم اخبرني بقدر امكانه عن معاملتهم

بالمعروف والمحبة اولئك الرجال البيض المتقين كما كان يدعوم الذين خرجوا
الى البر هناك في حالة الضيقة

فابتدأت من ذلك الوقت افكر بالاجتهاد الى تلك النارة لاري اذا
كان ينبغي لي لقاء اولئك القوم المتقين الذين لم يكن عندي شك في كونهم
من اهالي اسبانيا والبرتغال ولم اكن اشك في اني اذا توجهت الى هناك اجد
طريقا للهرب مع اولئك القوم من ذلك الموضع لاننا نكون في قارة جهوراً
كبيراً احسن ما يمكن ان اجد في جزيرة بعيدة اربعين ميلاً عن النارة وانا
وحدي من دون مساعد . وهكذا بعد ايام قليلة استأنفت الحديث مع جمعة
ونلت له اني اعطيه قارباً يذهب فيه الى عشرته . ثم ذهبت يو الى قبلي الذي
كان راساً على الجانب الآخر من الجزيرة وبعد ان افرغت الماء منه لاني كنت
دائماً اغرقه تحت الماء اخرجته وارثه اياه ودخلنا سكتلانا فيه . فوجدت انه
كان ماهراً خفياً في تديره وكان يجعله يمشي بسرعة مضاعفة تقريباً . وبعد
ان ابعدنا قليلاً قلت له هل تذهب الآن الى عشرتك . فجدد عند ما سمع
ذلك والظاهر ان ذلك كان لانه رأى ان القارب صغير على تلك المسفرة .
فاخبرته عند ذلك بانه يوجد عندي قارب اكبر منه . وفي الغد ذهبت يو
الى الموضع الذي كان فيه ذلك القارب الذي كنت قد عبثه ولكن كنت لم
استطع ان انزله الى البحر لكبره . فلما رآه قال هزي كبيرتي يمكني الا اني اذ
كنت قد هربت ذلك القارب ولم اكن اعني يو وكان قد مضى عليه اثنتان
وعشرون او ثلاث وعشرون سنة في ذلك المكان كانت الشمس قد شفتة
وجفت حتى رث كثيراً وكاد يبلى . فقال لي جمعة ما معناه ان مثل ذلك
القارب يصلح للسفر فيه ويحمل كفاءة من الادم والمفروبوات والخيز
واذ كنت في ذلك الوقت عازماً على الذهاب معي الى النارة قلت له
يجب ان نذهب ونضع قارباً كبيراً نظيره لكي يذهب هو فيه الى وطنه . فلم
يجب بكلمة بل كانت منظره معباً كثيراً . فسالته قائلاً ما بالك . فقال

ليس اني مكناضي كصباي الي حماه سواملت الي . فسأله ماذا يعني بذلك
واخبرته الي لم اكن غضبان عليه بالكليه . فقال لا كصبان لا كصبان لا كصبان
ليس تدسري حماه من اندك الي بلادو . فقلت له اما قلت انت انك تحب
ان تكون هناك . فقال نعم نعم الي يتردي تكوفي اني وامر هونك لا يتردي
جاء هونك لا ماني هونك . وبالاختصار انه لم يرد ان يفكر بالشوجه الي
بلادو بدوني . فقلت انا اذهب ولكن ماذا اعمل هناك . وعند ذلك التفت
الي بسرعة وقال انت نالي كثير نيب نالي الناسات البري يكون نيب
وناسات جوي ونكولي لمن آرفوا الله صلوا الله ايسوا ابي زديدي . فقلت
واسفا يا حمة انت لا تعلم ماذا نقول انا ذاتي انسان جامل فقال نعم نعم
اني الخبي نيب . اني ناليهن نيب . فقلت لا لا يجب ان تذهب بدوني
اتركي هنا اعيش وحدي كما عشت قبلاً . فلما سمع ذلك اضطرب وركض الي
بلطة كانت له عادة ان يحملها فخطها بسرعة وناولني اياها . فقلت وماذا يعني
ان اعمل بها فقال كريها اكلني حماه فيها . فقلت ولماذا يجب ان
اقتلك . فاجاب بسرعة ليس تدسري زماه . كري اكلني زماه لا تدسري زماه
من اندك . قال ذلك بجراره حتى رأيت الدموع تجول في عينيه ولاجل
الاختصار اقول اني اطلعت على شدة محبتي ونيات عزمي في الاتصاق بي
فقلت له حينئذ وفيما بعد وذلك مراراً الي لا اطرده ابداً من عندي ما دام
يريد الانامة معي

فاطلعت من كلامه على صدق محبتي وعلاني في محبت لا يوجد شيء
يفصله عني ووجدت ان رغبة في توجي الي بلادو كانت ناتجة من شدة محبتي
للمحب واسلو في الي انهم . ولكن اذ لم يكن لي ميل الي ذلك لم يكن لي ادنى
فكر او قصد او رغبة في عملوا الا انه كانت لي رغبة شديدة في محاولة الهابة
كما ذكرت قبلاً وذلك بناء على ما كنت قد استخف من كلامه وهو انه يوجد
هناك سمة عشر رجلاً ملحقون . ومن ثم اخذت من دون ابطاء ايضا في

التشيش على شجرة كبيرة تصنع للقبوب لعمل قارب كبير او كما يقال لخضور
 يمكننا ان نساغر فيه . وكان في الجزيرة اشجار كافية لبناء غارة صغيرة ليس من
 الثوارب فقط بل من المراكب الكبيرة ايضا . ولكن المقصد الكبير عندي انما
 كان ان اجد شجرة قريبة الى الماء بحيث تقدر ان نزلها الى البحر عند ثوبها
 احمراراً من الوفوع في القلط الذي وقعت فيه سابقاً . واخيراً اختار جمعة
 شجرة لاني رأيت انه كان اخير مني في الاشجار التي هي اكثر صلاحية لذلك .
 ولم اعلم ولا اعلم الآن ماذا كانت الشجرة التي قطعناها . وكان جمعة عازماً على
 احراق لب تلك الشجرة لاجل نحو بنائها الا اني علمت كيف بجمعة بواسطة الآلات .
 وبعد ان بنت له كيفية استعمالها كان يستعملها بكل رشاقة وخفة . وبعد ان
 صرفنا نحو شهر في الشغل بالاجتهاد ثناء وكان لطيفاً جداً ولا سيما عند ما
 نجونا خارجةً وجعلناه على هيئة قارب وذلك بواسطة القوس التي علمت
 جمعة كيف يستعمل بها . ثم صرفنا نحو اسبوعين في نقله الى البحر وذلك
 بالندرج على اسافين من خشب ولما صار على ظهر الماء كان قادراً على حمل
 عشرين راکباً وذلك بكل سهولة

وقد فحمت غاية التعجب من رشاقة خادي جمعة وخفته في تدير ذلك
 القارب الكبير وتدويره وتغييره . فسالته هل يمكننا ان نساغر فيه باثمان الى
 القارة وهل يريد هو ان يذهب فيه فاجاب بالاجاب قائلاً اننا نقدر ان
 نساغر فيه مهما كانت الريح شديدة . وقد كان لي مقصد آخر لم يكن يعلم
 شيئاً من امره وهو ان اعمل سارياً وقلماً وان اديره مرسةً وقلماً . اما
 الساري فلم تكن صعوبة في تديره فاني وجدت لذلك شجرة ارز مستقيمة
 صغيرة بالقرب من الموضع وكان في الجزيرة اشجار كثيرة من جنسها . فاشتغلت
 جمعة بنظمها وعلمت كيف بنجرها وجعلها على هيئة سار . واما القاع فاني كنت
 سهماً اعيناً خصوصاً بشأوه . وحسنت اعلم انه يوجد عندي قلوب عتيقة ان
 قطع من قلوب عتيقة بكثرة ولكن اذ كان قد مضى عليها عندي ست وعشرون

سنة ولم اكن بها كما يجب لانه لم ينظر بيالي اني ساكون في حاجة اليها لم
اكن انك انت اكثر ما كانت قد صارت رائة وبالية وبالحقيقة كان اكثر ما
كذلك . اني وجدت بها قطعتين كان بيان انها صحيحتان قليلاً فاخذت
اعالجها . وبعد نصب كبير وخياطة عكسة كما لا يخفى لعدم وجود الامر عندي
عملت قطعة شتوية ذات ثلاث زوايا تشبه ما نسموه في انكلترا بفتح الكف
ثم ركبناها على خشبة عمودية في اسفلها وخشبة عارضة في اعلاها حتى صارت
يظهر فلوع قواربنا التي نساقر فيها ونظهر قلع كوئري الذي هربت فيه من
الجزائر كما علمت في اول قصتي فصرت نحو شهرين في تجهيز قاربي وعمل القاع
والساري وعمل دفعة له لاجل تدويره وتديره . وقد كلفني ذلك انما كلفة
ووقتاً طويلاً بقدر عمل القارب نفسه تقريباً

فلما فرغت من عمل ذلك جميعاً اخذت اعلم خادمي جمعة صاغة السفر
في قاربي لانه لم يكن يعرف شيئاً مما يتعلق بالقاع والدفعة بل كان خبيراً بامر
التجديف فقط . ولجيت جداً لما رايت احوال القارب بسهولة وامسيح حمة شئت
بواسطة الدفة وكيف كان القاع يملأ ماءً بحسب تغير الطريق التي كان
يسير فيها . واخذته الدمشنة والحجرة من ذلك . الا انه بواسطة المارة قليلاً
انكشف له ما غرض من اسرار تلك الامور حتى صار مجرباً مامراً . واما
الحكم فاني لم استطع ان اعلمه الا قليلاً عن فوائده وكيفية استعماله . غير انه
اذ كانت اليوم نادرة الوجود في تلك الجهات والضباب معدوماً بالكيفية
كانت لزوم الحكم قليلاً لان الهجوم كانت ترى دائماً نهائراً والياسة لولا
الا في فصول المطر . وليس من يطلب حيشة السفر من يتو راً
ولا مجراً

وكنت قد دخلت حيشة في السنة العاشرة والعشرين من سني في تلك
الجزيرة الا ان الثلاث السنين الاخيرة التي كانت فيها جمعة عندي يجب
بالاولى حذفها من الحساب لان افاعي كانت تختلف اختلافاً تاماً عن باقي

المثاق بأمرها . وقد عرفت عهدي السنوي هناك مؤدياً بالشكر لله على ما راجو
 كما فعلت أولاً . وإذا كانت لي أسباب حملي على الاعتراف بالشكر في البداية
 كان لي الآن أسباب تحملي على ذلك . إذ كان قد صار لي شهادات وأدلة
 كثيرة زيادة عن الأولى تعلن لي عناية الله في وآمال كثيرة في التي سأحصل
 بعد قليل على نجاته لأنه كان قد تصور راحاً في ذهني أن نجاتي كانت
 قريبة حتى كنت أحسب أن لا أبقى سنة أخرى في تلك الجزيرة . غير أني كنت
 أداوم زراعتي وأحرث وأغرس وأسج كجاري عادي وأجني وأجفف وأخزن
 عبي وأعمل كل ما يلزم عملي كالمهني

وكان قد أقبل عليّ في تلك الأثناء فصل الشتاء فكنت أصرف داخل
 منزلي أوفناً أكثر من باقي الأزمنة وكما قد وضعنا قائمتنا في عمل أمان بقدر
 الامكان وأصعدناه إلى الهر الصغير حيث خرجت باطواني أولاً كما سبق
 ذكره وبعد أن حصلناه إلى الشاطئ إلى أعلى علامات الماء جعلت جمعة
 بجنر خليجاً بسمه ويسع ماء كافياً لأن يرفقه عن الأرض ثم لما انكأ المد بيننا
 سداً قوياً في مدخله منع دخول الماء إليه . وهكذا كان في أمان من جهة مياه
 البحر عند ارتفاع المد . ولأجل منع مياه المطر عنه وضعنا فوقه انصافاً
 كثيرة من الأشجار حتى كنت كأه داخل بيت مسنوف . وهكذا كنا نتنظر
 قدوم شهرتي ثمرت المائي وكانون الأول اللذين عزمت على السفر
 فيها

فلما ابتدأ فصل الصحو قبل اخذت انهما السفر فاعدت أولاً كمية
 من الراد الطريق وعزمت أن أفخ المد بعد أسبوع أو أسبوعين وأزل
 فاري إلى البحر . وفي ما كنت ذات يوم صباحاً مشغلاً في التجهيز دعوت
 جمعة وقلت له أن يذهب إلى جانب البحر وبأنني بعلماء وكانت لنا عادة أن
 نأتي كل أسبوع الحفلة واحدة طمعا في بعضها ولحبا . وبعد انصرافه عني
 بالليل رجعت إلى رآكضاً ووثب عن سوري الخارجي كأنه لم يكن يشعر بالأرض

او الدرجات التي كان يدوسها . وقبلما حصلت لي فرصة لان اسأله ناداني
فانلأ يا ماني يا مالح يا مسرتي يا وياي فقلت له ما بالذك با جمعة . فقال
هو بك واحد تين ثلاثي كارب واحد تين ثلاثي كارب . ففهمت من كلامه
مكلا انه يوجد سنة فوارب الا اني لدى الفحص وجدت انه لم يكن الا ثلاثة .
فقلت له لا بأس با جمعة لا تخف ومكلا فجمعة بقدر استطاعتي . وكان
المسكين قد اعتراه خوف شديد لانه لم يدخل شيء في باله الا انهم انوا لاجل
الفتيش عنه لكي ينطعموه اربا وبأكلوه . ويرتعد مرعبا حتى اني لم اعم
ماذا اعمل . فاخذت اعزى بقدر الامكان وقلت له اني في خطر نظيره
فسوف بأكلوني كما بأكلونه . ثم قلت له ولكن يجب ان نحاربهم . فهل
تقدر ان تحارب با جمعة . فقال اني كوص وامامي يثروا كبار كبير . فقلت
له لا بأس من ذلك فان يواريدنا نعلمهم ولو لم تعلمهم . ثم سألته هل اذا
عزمت على الهامة عنه بمحمدي وينف بجايي وبعمل كما اقول له . فقال اني
بموتي ان كنتي لي اني موتي فذهبت وانبت بقليل من الروم وسفينة اياه .
لاني كنت اوفر ما كان عندي من ذلك حتى انه كان ياتيها عندي من الى
ذلك الوقت كمية وافرة . فلما شرب ذلك امرته ان بأخذ بارود في الصبد
التيون كما لا ندعها تفارقنا البنة ودككتها بخرق كبير بقدر رصاص
الطنجيات ثم تناولت اربع يواريد حربية ودككت كلاً منها برصاصين كبيرين
وخمس رصاصات صغار . ثم دككت كلاً من طنجيتي زوج رصاص . ثم تنادت
سبي على فغذي من دون عمد كجاري عادي وتناولت جمعة بلطف وبعد ان
تهربا مكلا اخذت نظارتي ومطلعت على الثل لاري ماذا يوجد على الشاطئ .
ففي الحال رأيت من نظارتي انه يوجد هناك واحد وعشرون بربراً وثلاثة
امري وثلاثة فوارب . ووجدت ان مصطنعهم الوحيدة البنا كانت عمل وليمة
ظلي من اجسام اوانك الثلاثة الامري . نبالها من وليمة بربرية . ولكنهم لم
يكونوا منادين شبيهاً اكثر من ذلك كما لاحظت نكراراً ورأيت انهم قد خرجوا .

الى الشاطئ لاجت كان جمعة قد درب منهم قبلاً بل في مكان اقرب الى
نهر حيث كان الشاطئ منخفضاً كثيراً وكان حرس يمتد حتى يكاد يصل
الى النهر . فان ذلك وكراهة العمل الذي كان اولئك الاشقياء قد اتوا
لنسيم ملاكي غيظاً منهم حتى اتى نزول عن القل الى جمعة وقلت له مرادي
انزل اليهم واتكلمهم عن آخرهم . وسأله هل يساعدني على ذلك . وكان حينئذ
قد خلص من خوفه وكانت حاسية قد اتيت قليلاً بواسطة الروم الذي
سبقت اياه وكان فرحاً مني فقال لي كما قال قبلاً انه يموت اذا امرته ان
تموت

وهنا كنت مستغيثاً غصياً اخذت الاسلحة وقسمت ما دككت منها بيني
وبين جمعة . فاعطيت طينينة لكي يضعها في منطقتي وثلاث بواريد لكي يحملها
على كتفي . واخذت انا طينينة والثلاث البواريد الباقية وهكذا اخذنا في السير .
ووضعت في جيبي فية صغيرة من الروم واعطيت جمعة كيساً كبيراً فيه
بارود ورصاص . وقلت لجمعة ان يتي دائماً ورائي ملاصقاً اياي وان لا يفرك
ولا يظنني بارودة ولا يعمل شيئاً ما لم اقل له . وكذلك امرته ان لا ينطق
بكلمة بل يتي صامتاً . فقطعت في تلك الحالة مسافة مول تقريباً الى بيتي لكي
اجتاز النهر وادخل الحرس واصبر على معاقبة مرمى رصاص منهم قبل ان
يروني . وكنت قد اطلعت بواسطة نظارتي ان ذلك امر ممكن .

وهنا كنت آخذاً في طريقي وجمعة يسير في اترتي رجعت الي انكاري
الندبة فاخذ عزي يضعف . ولا اقول انه اعتراني ادنى خوف بسبب كثرة
عددهم لانهم اذ كانوا عراة لا سلاح معهم كنت لا محالة اقوى منهم حتى ولو
كنت وحدي . فقلت في نفسي من اتدني الى ان اذهب والطح يدي في الدم
واقفلت بقوم لم يتعرضوا لي ولا قصدوا ان يلحقوا بي اذى وماذا يعملني او يلحقني
الى هذا العمل . انهم ابرياء بالنظر الي وعاداتهم البربرية انما هي هلاك لم
تدل على ان الله قد تركهم مع باقي الامم الموجودين في ذلك القسم من العالم في

تلك الحالة من الجهول والوحش . الا انا تعالى لم يتدبني لآكون قاضياً على
اعمالهم ودياناً لهم ولا اجري مناصد عدو فيهم . وانا تعالى متى شاء يجرب
احكامهم عليهم ينزل بهم ضربات عمومية تأديباً على ذنوبهم العمومية واما
انا فلا يعني ذلك ولا هو مصلحتي . واما جمعة فرما كان له حجة مقبولة في
ذلك خلافاً لي لانه كان عدواً ظاهراً لم وفي حالة الحرب مع نفس اولئك
القوم . فكان يجوز له ان يفتك بهم . وكانت تلك الانور تشغل افكارهم
دائماً وانا ماش على الطريق وقضاني جداً حتى عزمت على ان اذهب فقط
واقبم بالقرب منهم لكي ارى ولسنهم البهيرية ثم اعمل عند ذلك كما يرشدني
الله . ولكن اذا لم يحصل شيء فبمعني بان الله يدعوني لان افعل بهم لا العرض
لم الله

فبذلك العزم دخلت المحرش وكنت اتقدم بكل هدوء وصمت مخفياً
خطواتي وجمعة يتبعني الى ان وصلت الى ذيل المحرش في الجانب الذي يابهم
حتى انه لم يكن عني وبينهم الآخرة منه وحينئذ دعوت جمعة بصوت مهدوس
خفي ودلته على شجرة كبيرة كانت في تلك القرنة وقالت له ان يطالع الى ناك
الشجرة ويشرف عليهم من هناك ثم يرجع ويخبرني ماذا كانوا يعملون . فذهب
ثم رجع حالاً اليّ واخبرني بانه تمكن رؤيتهم من هناك واضحا بكل سهولة وقال
انهم جميعاً حول نارهم يأكلون لم احد اسرام . وان اميراً آخر كان
مطروحاً على الرمل بعيداً قليلاً عنهم مكتوماً ثم اردف ذلك بقوله انهم
يذبحونه بعد ان يتناولوا من اكل رفيتو ففجعت عند ذلك جداً وانشطت
غضباً . ثم قال ان ذلك الامير المكثف ليس هو من عديرتهم بل انما هو
واحد من الرجال البيض اللثمين الذين كان اخبرني بانهم اتوا الى بلادهم في
قارب فانزلت حفاً من مجرد ذكر الناس البيض اللثمين . ثم ذهبت الى
الشجرة فראيت واضحا بواسطة نظارتي رجلاً ايضاً مطروحاً على حافة البحر

وبناءً ورجلاً مربوطاً بأغصان اشجار وكانت اوراقها وكانت فوقه
ثياب

وكان هناك شجرة اخرى وعبرها ايكه كانت اقرب اليهم من المكاتب
الذي كنت فيه مسافة نحو خمس وسبعين ذراعاً حتى اني اذا طفت قليلاً
يكني ان اصل اليها من دون ان يروني واكون حينئذ على مسافة نصف رمية
رصاص عنهم . وهكذا ضبطت نفسي عن التفك بهم مع اني كنت ساعطاً جداً
عليهم . ثم رجعت الى الوراء مسافة نحو عشرين خطوة حتى وصلت الى ما وراء
بعض رياحين كانت تظللني الى ان وصلت الى تلك الشجرة ومن هناك
وصلت الى مكاتب مرتفع قليلاً كنت اراهم منه جيداً وكان يبعد عنهم نحو
ثمانين خطوة فقط

نحو

ان في الدنيا اموراً وانفاقاً غرائب
فاذا فكرت فيها لاح لي منها عجائب

الفصل الخامس والعشرون

اغادروا بنصن رجلاً امبانيولياً ووجدان جمعة اياه
وقدوم مركب انكليزي

فلم تكن لي حيلة دقيقة اضيقها لان تسعة عشر من اولئك الاشقاء
المجانين كانوا جلوساً على الارض بجانب بعضهم بعض وكانوا قد ارسلوا الاثنين
الباقين منهم لكي يذبحوا المسيحي المحكوم ويأتوا بقطعة قطعة الى فارم .
فالتفت الى جمعة وقلت له اعمل الآن كما اقول لك . فاجاب سمعاً وطاعة . فقلت
له اعمل كما تراهي اعمل تماماً وايك والمخالفة . ثم وضعت على الارض احدي
البارود الحربية وبارودة الصيد وهكذا فعل جمعة يا سمعاً . ثم صرخت بارود في
الاخرى الحربية ووجهتها نحو البرابرة وامرته ان يفعل كذلك . وسأله هل هو
مستعد لاطلاق البارودة فقال نعم فقلت له اطلنها عليهم فاطلنها وهكذا
فعلت انا في اللحظة ذاتها

وان جمعة ضبط جيداً وسدد بارودته احسن مني فاصاب خمسة قتل
اثنيون وجرح ثلاثة . واما انا فلم اصب الا ثلاثة فقتل واحد وجرح اثنان .
فاندحر اولئك البرابرة ووقعوا في اضطراب عظيم وجميع من لم يصيبهم
الرصاص كانوا يظفرون وينفرون على ارجلهم الامامهم لم يعرفوا حيث يهربون الى ان
يجب ان يهربوا او الى اي جهة ينظرون لانهم لم يعرفوا من اين اتى هلاكهم .

وكان جمعة ناظرًا دائمًا نحوي لكي يلاحظ ماذا يعمل فيفعل مثلي كما امرته .
فحالما انتهت من الطلق الاول وطرحت البارودة الحربية الى الارض وتناولت
بارودة الصود وهكذا فعل جمعة ثم صلبتها وحكمتها ففعل هو كذلك فقلت له
هل انت مستعد يا جمعة فقال نعم فقلت له اطلق على اسم الله وتوفيقه وعند
ذلك اطلق البارودة على اولئك الاشقياء المرتبكين وهكذا فعلت انا . واذ
كانت يواريدنا مدكوكه برصاص صغير رأينا انه لم يسقط الا اثنان .
الا ان كثيرين انجرحوا واخذوا بركضون مولولين وصارخون كهابين . وكانوا
جميعا مضرجين بالطين بالدم ومجروحون بجراحات بايعة ولسبب الجراحات
سقط ثلاثة منهم الى الارض بعد ذلك فليل الا انهم كانوا لم يموتوا بعد

فوضعت الاسلحة النارية على الارض وتناولت البارودة المذكورة وقلت
لجمعة تعال انبني فتبني الحاجة وعند ذلك سرت خارجا من الغابة
والسرفت عليهم مظهرًا لم نفسي وكانت جمعة ورائي وحالما علمت انهم راواي
اخذت اصرخ باعلى صوتي وامرت جمعة ان يصرخ هو ايضا ثم جعلت اركض
بنفس استطاعي ولكن لم يكن ركني سريعًا جدًا لاني كنت حاملاً كبيراً من
الاسلحة . وسرت باستقامة نحو ذلك المربوط المسكين الذي كان كاسي
منطرحاً على الشاطئ بين الموضع الذي كانوا فيه والبحر وكان الجزارات
الثلثان كانا هامين على ذبحه ونقطيمه قد تركاه عند ما اطلقنا الطلق الاول
وهما خائفين جدًا الى حافة البحر ومن هناك ولما الى احد القوارب وهكذا
فعل ثلاثة غيرها من زمريهم . فالتفت الى جمعة وقلت له ارمهم بالرصاص .
فهم حالاً مرادي وركض نحو اربعين خطوة ليكون قريباً منهم ورماهم
الرصاص . فظننت انه قتلهم جميعاً لاني رأيتهم جميعاً يستطون كومة واحدة
الى قعر القارب الا اني رأيت بعد لحظة من الزمان اثنين منهم ينهضان غير
انه قتل اثنين وجرح الثالث وكان منطرحاً في القارب كأنه ميت

وفي تلك الاثناء بينما كان جمعة مشتغلاً بأولئك النوم اخرجت سبكي

من حزاي وعمدت الى المربوط وقطعت رباطها. وبعد ان حلت بذبي
ورجلها جلست وسألت بلسان البرنوغال قائلاً ماذا انت بما صاح فاجاب من
حلاوة الروح باللاتني انا خريستيانوس ابي محبي. وكان ضعيفاً جداً حتى
كان بالكه يقدر ان يقف او يتكلم. فاخرجت قنيتي من جيبي وفارلتها اياها
واشرت اليه ان يشرب فشرب جرعة ثم ناولته كسرة خبز فاكلها ثم سألت من
ابي بلاد هو فاجاب اسبانيولي واذا كان قد استفاق قليلاً اقميني بالامارات
يقدر الامكان انه ممنون لي جداً لاني انتذنته. فقلت انه على قدر معرفتي
باللسان الاسبانيولي باسنيور سوف تكلم في ما بعد ولما الآن فيجب علينا ان
نحارب. فان كنت قادر اخذ الطنبية والسيف وقف معي فاخذها بالشكر
وحالما صارا في يديو كانتهما جعلتا في قوة جديدة فدار على اعدائهما كالطال
وقطع اثبت منهم في لحظة من الزمان. واذا كما قد ذهبا اولئك القوم
المساكين بنفث كانوا قد خافوا الى الغابة من اصوات البواريد حتى كانوا
يسقطون الى الارض من مجرد الرعب والوهم ولم يكن لهم افتداف على الحرب منا
اكثر مما كان لاجسامهم من الافتداف على احوال رصاصنا. وهكذا كان حال
الجمعة الذين اعانقوا جمعة الرصاص عليهم الى القارب لانه سقط ثلاثة منهم
بسبب الجراح التي اصابتهم وسقط الاثنان الباقيان من الخوف

وانت بارودني يدي مذكوكه لاني قصدت ان اتي دكني الى حين
الحاجة لاني كنت قد اعطيت الاسبانيولي طنبية وسيفي كما سبق. وعند ذلك
دعوت جمعة وقلت له اركض الى الشجرة التي اطلقنا منها الطلاق الاول وهات
الاسلحة الفارغة الباقية هناك فذهب ثم رجع بسرعة عظيمة. وعند ذلك
اعطيت بارودني وجلست ادك البواريد الفارغة وقلت لجمعة والاسبانيولي ان
يأتيا اليّ عند الحاجة. ومنا كنت مشتغلاً في ذلك البواريد حصلت موقعة
شديدة بين الاسبانيولي وواحد من البرابرة حمل عليه بسيف من حيوهم الحشوية
كاد يقتله يواولم يخلصه الله من يده. وان الاسبانيولي الذي كان شجاعاً وجسوراً

الى الغاية مع انه كان ضعيفا في مدة يقابل ذلك الهندي وكان قد جرحه
جرحين بلفين في رأسه . واذ كان الهندي قوي الجسم وشديد اليأس ثار على
الاسباهولي واشتبك معه والقاء الى الارض وحاول اخذ سيفه من يده . اما
الاسباهولي الذي كان تحت فترك بحكمة السيف وصحب الطيعة من حزامه
ورماه بالرص فنزل من جهة الى جهة فوقع حالا الى الارض قبل ان
وصلت الرماح لاني كنت قد ركضت لكي اساعد الاسباهولي لما رأيت الهندي
كاد يتغلب عليه

واما جمعة فاذا كان حزين متروكا لحربته جد في امر الهاريين من
البربر ولم يكن معه شيء من الاطعمة الا باطنة فقط . فانهم بها حياة اولئك
الثلاثة الذين ذكرت انهم جرحوا اولاً ونظروا وقتل آخرين غيرهم من ادركة
من البنية واما الاسباهولي فالى التي في طلب بارودة فاعطيت بارودة من
باريد الصيود فاخذها وسار في طلب النين من البربر فجرحها كلها . الا
انه اذ كان يغير قادراً على الركض مرأى كلاً من امامه الى الاحراش فنبهها
جمعة الى هناك وقتل واحداً منها واما الآخر فكان اخف منه . ومع انه كان
قد جرح طرح في البحر وسبح بكل عزوه الى ذلك الاثنين اللذين كانا باقيين
في القارب . وان الثلاثة اللذين في القارب وكان واحد منهم مجروحاً ولم تكن
نعلم هل مات ام لا كانوا كل من خلاص من ايدينا من اولئك البربر الذين
كانوا واحداً وعشرين رجلاً كما علمت وهذا حساب الجميع . قتل ثلاثة في
الطلق الاول من عدد الشجرة واثنان في الطلق الثاني . واثنان قتلها جمعة في
القارب . واثنان قتلها جمعة ايضاً من الذين جرحوا اولاً . وواحد قتلها
جمعة في الحرش . وثلاثة قتلهم الاسباهولي واربعة قتلوا وقد وجدناهم هنا
وهناك مخبئين بالجراح او قتلهم جمعة بينما كان مطارقاً الهام واربعة
مروا الى القارب وقد جرح واحد منهم وربما مات من الجرح . فالجمعة واحد
وعشرون

وان البرابرة الذين دخلوا القارب كانوا ينفذون بكل جهم لكي
يعدوا الى حيث لا يصل الرصاص ومع ان جمعة زمام مرتين او ثلاثاً
بالرصاص لم اذ انه اصاب احداً منهم وكان جمعة يرغب الى ازل في قارب
من قواربهم واسى في الرم . وكنت مترعاً من هزهم خوفاً من انهم اذا وصلوا
بالسلامة الى بلادهم يخبرون اهلهم بما كان فوجدتهم هائتون او ثلاثاً قارب
ويشعلوننا بجردهم كثيرهم . ومن ثم عزمت على اتباع الرم جراً . فركضت الى
احد قواربهم ووثقت اليه واثرت جمعة ان يبعني فلما دخلت القارب دعشت
حين رأيت بربرياً معكياً منظرها هناك مربوط اليدين والرجلين كما كانت
الاسبانولي لاجل الذبح وقد قارب الموت من الخوف اذ كانت لا تعلم ماذا
كانت تلك الاحوال الجارية حوله لانه لم يكن يستطيع ان يدرك عن حافة
القارب لينظر لانه كان مربوطاً ربطاً محكمًا من رجله الى عنقه وكانت قد
مضى على المسكين مدة طويلة في تلك الحالة المكرمة حتى انه كان لم يبق فيه في
الحفرة الا قليل من الحياة

فتعاضت حالاً وباطانو وفصدت انت اساعده على الوقوف الآلة لم
يستطع ان يقف ولا يتكلم بل كان بين ايديهم محروماً للعناية كانه كان يقطن في مكان
لكي يذبح . فلما تقدم اليه جمعة قلت كذا وامنه . ثم أخرجت فنيته وقلت ان
يسئله نقطة . وعند ما شرب تلك النقطة وأمن على حياته ثوى وجلس في
القارب وان جمعة لما سمعت بكلم ورأى وجهه اخذ بقلبه وبعاقله وبصمته الى
صدره وبكى وبشعلته وبصرخ وبطنر ويرقص وبغني ثم اخذ بيكي ايضاً
وبالطم بديه وبشرب وجهه ورأى ثم اخذ بغني وبطنر ايضاً ومكلاً كانه قد جن
وكان منظره محزوناً ميكياً ومضت مدة قبلما قدرت ان اجعله يتكلم معي او يخبرني
بما حمله على تلك الحركات . ولما استفاق قليلاً وسكن روعه قال لي ان ذلك
الرجل المسكين هو ابوه .

وليس امراً سهلاً علي ان اصف كيف كانت حاسباتي عند ما رأيت

تأثيرات الحقبة النبوية التي ظهرت في ذلك البري المسكين عند ما نظر أباه
ونظر نجاته من الموت . ولا أقدر أن أصف نصف حركات جنود بعد
ذلك لأنه كان يخرج من القارب . ويدخل اليه مرات كثيرة . وكان عند
دخوله اليه يجلس بجانب أبيه . يكشف صدره ويسند رأسه عليه وبصرف عدة
دقائق على هذه الحالة ثم كان يمسك ذراعيه وساقيه التي كانت خدرة من البرد
ويتركها يدور . وإذا رأيت أنا حاله أعطيت قليلاً من الروم من قبعتي لينركها
ففعلة ذلك جداً

والاعتناء بوالد جمعة وقتنا عن مطاردة القارب الذي ضرب فيه باقي
البرابرة لأنه كان قد كاد يذهب عن نظرنا . وكان من حسن حظنا أننا لم
لننضم لأنه ميت ربح شدة بعد ذلك بساعتين ولم يكونوا قد قطعوا ربع
طريقهم . وما زالت الليل كله وذلك من الشمال الغربي صدياً لم حتى أتى
خلفت أن قاربهم لا يمكن أن يسلم ولا يمكن أن يصلوا بالسلامة إلى شطوط
بلادهم

وأما جمعة فكان مشغولاً منهكاً في أبو حتى أن قاي لم يكن بطاوعني
إلى أن أخذ من عنده . ولكن لما لاح لي أنه يكره أن يتركه قليلاً دعوتني
إلى فاني طافراً ضاحكاً وسروراً إلى الغابة فسماعة هل أطعم أباه خبزاً فبرز براسه
وقال لي يا مائي كلب موش طيب أكل كلو . أي لا يا مائي كلب ما هو طيب
أكل الخبز كله فاعطيتني رغيفاً من جراب صغير للراد واعطيتني أيضاً كعرة
ليأكلها هو لأنني لم يذوقها بل أخذ الجميع إلى أبيه . وكان معي في جيب عتودان
أو ثلاث عتود من الرصاص فاعطيتني حبة من ذلك لأبي . وحالما أعطى أباه
ذلك ونسب خارجاً من القارب وأخذ يركض بسرعة عجيبه كأنه قد صحر وجن
وكان أسرع رجل صادفنا في حياتي . وفي لحظة من الزمان غاب عن نظري .
وكنت أصبح في منادى أباه فلم يتوقف عن الركض . ثم بعد نحو ربع ساعة رأته
مراجعا . إلا أنه كان يمشي بأقل سرعة ولما صار قريباً رأيت خطواته أبطأ . لأنه

كان حاملاً شيئاً يده . فلما وصل اليّ وجدت انه قد ذهب الى المنزل واني
بحيرة ماء عذب لا يروى وكان معه رغيفان او كعكتان من الخبز . فاما الخبز فانه
اعطاني اياه . واما الماء فذهب به الى ابي واذ كنت عطشان شربت قليلاً من
ذلك الماء وان الماء نفع اياه اكثر من كل الروم والارواح التي كنت قد سقيته
ايها لانه كان قد كاد يموت عطشاً من شدة العطش

وبعد ان شرب ابي قلت له اسقِ الرجل الاسبانيولي المسكين لانه كان
محتاجاً الى ذلك كاي . وبعثت معه رغيفاً من ذبك الرغيفين . لانه كان
ضعيفاً جداً وكان جالساً في مرحلة خضراء في ظل شجرة يستريح . وكانت
مفاصلة باية جداً وبارمة من خشونة الرباط الذي كان البرارة قد ربطوه
به . ولما رأيت انه لما ذهب حمة البرمض وشرب وتناول الخبز واحد يأكل
انطلقت انا البرمض وتناولته حفنة زبيب . فرفع عنقه ونظر الى وجهي وكانت تلوح
على وجهه شعار الشكر والحمدية ولم يكن يستطيع ان يتف على رجليه لشدة
ضعفه . فانه احتشد مرتين او ثلاثاً للفهام الآانه عجز عنه . لان اعفاه كانت
وارمة وموجعة جداً فقلت له اعداً لا تفرك وامرته حمة انت بفرك اعفاه
وبفعلها بالروم كما فعل ابي

وكنت اري حمة كان يلتفت كل دقيقتين وهو عند الاسبانيولي نحو
القارب ابرى اذا كان ابي بافياً في نفس الموضع والحالة اللذين تركه فيها
وايه التفت مرة ولم يره فثار من مكانه ومن دون ان يتف بكلمة بادر راكمها
البرمض بسرعة عظيمة حتى كنت لا تقدر ان ترى قدميه تسانت الارض عند
ركبته . فلما وصل البرمض وجد انه كان انكأ مضطجماً ليربح جسده . فاندبني على
اعفاه راجعاً حالاً اليّ . وقد استدلت من ذلك على ددته محبته وحنونه نحو
ابي ثم قلت للاسبانيولي ان يدع حمة يقيمه ويذهب به الى القارب ومن
هناك يتوجه به الى منزلي وهناك اهتم به . واما حمة فاذا كانت قوي الجسم
وصاحب نحو عند الى الاسبانيولي وحمله على ظهره وذهب به الى القارب

وانزلة يهدو على حافة القارب واضعاً رجله داخله . ثم رفعه يديه ووضعته
بجانب ابيه . ثم خرج حالاً ودفع القارب واخذ يسير به بسرعة عظيمة جاراً
اباه بجانب الشاطئ . مع ان الريح كانت شديدة ومكثت اليها جميعاً ما اتي الي
ذلك الجدول ثم تركها في القارب وركض لكي ياتي بالقارب الآخر . وفيما
كان ماراً في كنفه وسائلة قائلاً الى اين انت ذاهب فاجاب ربه زيب كارب
بأد . يريد انه ذاهب ليأتي بالقارب الاخر ومكثا ذهب كهروب الريح لانه ليس
السان ولا فرس يركض بسرعة نظيرة . وكان قد سبقني ووصل بالقارب
الاخر عندما وصلت انا الى النهر برأ . فغير في النهر ثم توجه فخرج ضيقاً
المجددين من القارب . ولكن لم يكونا قادرين ان يشيا ولهذا كانت جمعة
الممكن مرتبكا في امره لا يعلم ماذا يعمل

فاخذت انصرف في ايجاد طريق لنقلها الى المنزل ثم دعوت جمعة
وقلت له ان يجلسها على حافة النهر ويأتي الي فنعمل فصنعنا حالاً شبه عمل
ووضعناهما على وجهنا بآيدينا . ولكن لما وصلنا بها الى خارج موري
او قلعتي وقعنا في صعوبة ارداً من السابطة لانه لم يكنا ان نجتر بها على
ولا كنت اريد ان اقدمه وانفخ في نفرة او مثلاً . ومكثا اخذنا فنعمل في
عمل خيمة لما وبعد نحو ساعتين من الزمان عملنا خيمة لطيفة غطيناها بثلوع
عنهقة ووضعنا فوق الثلوع اغصاناً خضراء من الشجر . وكان موقع تلك الخيمة
في النخلة التي خارج السور الخارجي وبينه وبين الغابة التي غرسها كما
علمت قبلاً . وعملنا لما في الخيمة سريرين من مراد كانت عدي اي من
قش الارز ووضعنا فوق كل سرير لحافين الواحد نظير فراش والاخر
نظير غطاء

فصارت جزيرتي حيث في معبورة المكان وصرت احب نفسي غنياً
بالرعايا وكنت افرح مبتقياً عند ما اتأمل كيف كنت كافي ملك كبير . فكانت
كل البلاد ملكي الخاص وكنت انسلط عليها من دون معارضة ولا منارعة

وكانت رعاياي خاضعة طائعة لي تماماً . فاني كنت ملكاً ومشترياً . فان
حياتهم جميعاً كانت من عندي ولهذا كانوا مستعدين لان يذلوها اذا لزم
الامر الاجلي . وما يعني له الاعتبار انه لم يكن في ملكي الواحدة الا ثلاثة من
البيعة وكان اولئك من ملاهب مختلفة فان خادي جمعة كان بروسانتيا .
وكان ابو وثيا اكل الناس وكان الاسيابولي بابويا . الا اني ناديت
بحرية الضمير في كامل سلطتي وارزنت فرماتاً عالي الشأن اطعت فيو انه
لا اكراه في الدين وقد ذكرت ذلك هنا نظير حاشية فلا مؤاخلة بقطع
الحديث

ثم بعد ان وضعت ذبيك الضمير في محل امان واوتيتها
واعطيتها محلاً برناجان فيو واخذت اعم في تدبير ما اقوتها . واول كل
شيء امرت جمعة ان يأتي بحدي ابن سفة من المعري من قطري الخاص لكي
تذبح لها . وبعد ان قطعت عجزه وما يليو وجلست ذلك قطعاً صغيرة اعطيتها
لجمعة فطبخها فوضعها في مرجل ووضع معها قليلاً من الشمير والارز فكانت
طبخة فاخرة لذبة من لحم ومرقه . وقد طبخنا ذلك خارجاً لاني لم اكن اشغل
ناراً داخل سوري الداخلي ثم حملت المرجل بما فيه الى داخل الخيمة الجديدة .
ثم وضعت مائة هالك وجلست حولها واكثت مع ذبيك الضمير وكنت
اسلمها والطربها بقدر الامكان . وكان جمعة الدرجان بينا وعلى الخصوص
بني وبين ابو ثم وبين الاسيابولي ايضاً لان الاسيابولي كان يحسن الحكم
بلغة البرارة

ثم بعد ان تغذينا او بالحري تغشينا امرت جمعة ان يذهب في احد
الناريين ويأتي بالبراريد وبقي الاسلحة لانا لندم الوقت كما قد تركناها في
عمل القتال ثم امرته في الغد ان يذهب ويدفن جثث القتلى من البرارة التي
كانت لم تزل منطرحه على الارض للثلاثين وتعد هراء الجزيرة اذا بقيت في
الشمس وامره ايضاً ان يدفن بقايا وليتهم المظلمة . وكنت اعلم انها كانت

كثيرة ولم أكن أطيق ان ادفعها انا يدي لاني لم أكن أطيق ان انظر اليها اذا
انقضى الي امر بجانبها ففعل كل ما امرته بكل نشاط وسرعة ومحا كل امر
يدل على انه كان هناك بربرة حتى اني لما ذهبت في ما بعد الى تلك الجهة لم
اعلم اين كانت الموقفة ولا محل الولاية الا من قرنة الحرش التي كانت مقابل
الموضع

ثم اخذت احداث قليلاً عنني الجديدين . فطالبت من جمعة ان يسأل
اباه عن رأيه من جهة البربرة الذين مروا في القارب هل يمكن ان يرجعوا
الى الجزيرة بجيش عظيم اقوى ما . فكان رأيه الاول ان البربرة الذين
مروا في القارب لا يمكن ان يخلصوا من النوء الذي حدث في الليلة التي سافر
فيها بل لابد من ان يغرقوا في البحر او يدفعوا جنوباً الى الشطوط الاخرى
التي لا يملك ان اعالها بنوعهم فيها اذا خرجوا اليها الا انه لا يعلم ما يعملونه
اذا وصلوا الى بلادهم بالسلامة . غير انه يظن انهم اذا كانوا قد خاضوا جداً
الجمعة التي حصلت عليهم ومن الجلبة والنار سيبدون الناس هناك ان رفاقهم
قد قتلوا جميعاً بواسطة الرعد والبرق لا يد انسان وان الاثنين اللذين
ظهرا لم (يريد جمعة وابي) ما روحان ساويان او الما قامة قد نزلوا
لاملاكم لارجلان محلمان . وادف ذلك بقوله انه يعرف ذلك جيداً . لانه
سمعهم بصريحون هكذا بلغهم الواحد نحو الآخر . لانه لم يمكنهم ان يتصوروا
ان الانسان بقدر ان يخرج من جسمه ناراً وحكم رعداً ويقتل عن بعد من
دون ان يرفع يديه كما حصل في تلك الواقعة . وقد اصاب ذلك الشيخ
البربري في ما قال لانه بلغني في ما بعد من جهة اخرى ان البربرة لم يترددوا
اليه بعد تلك الحادثة الى الجزيرة لانهم ارتاعوا جداً من الاخبار التي حدثهم
يها اولئك الاربعة الرجال الذين مروا في القارب وبيان انهم وصلوا بالسلامة
الى بلادهم حتى انهم كانوا يعتقدون بان كل من يذهب الى تلك الجزيرة
المحيرة يهلك لا محالة بواسطة نار الالهة . واذا كانت هذه القضايا غير معروفة

معي في ذلك الوقت بقيت مدة مستطيلة في حالة الاحساب من دون انتطاع
ولذلك كنت دائماً مع كل جنودي على حذر . لاننا اذ كنا قد صرنا حشداً
اربعه كان يمكننا في كل وقت ان نقابل مئة من البرابرة في ساحة الحرب
ونستظهر عليهم

واذ مضت مدة ولم يظهر شيء من قوارهم فارغني الخوف من مجيئهم
واخذت استأنف افكاري السابقة عن السفر الى القارة وعلى الخصوص عند
ما اكد لي ابو حنيفة اني اذا توجهت الى هناك ساصادف حسن المعاملة من
عديرو بسو . الا ان افكاري كانت معلقة متردة قليلاً عند ما اختلفت
بالرجل الاسابولي وخاطبة مخاطبة جذية بشأن ذلك وفهمت منه انه يوجد
هناك مئة عشر رجلاً من امالي بلاد ديو امالي البرنوغال الذين دفعوا الى تلك
الجهة وكانوا ساكنين هناك بالسلافة مع البرابرة وانهم اضطروا الى ذلك
بسبب العارة وطالباً للحياة وسأله عن قصة سفرهم بالتفصيل فوجدت انهم كانوا
في مركب اسابولي قادم من ديودي ليلانا الى هاوانا وكانت اولاهم ان
يفرغوا منهم هناك وكان اكثر جلوداً وفضة وان يوسفوا عند رجوعهم ما
وجدوا في تلك الجزيرة من البضائع الامريجية . وانه كان معهم خمسة
جيرة من امالي البرنوغال كانوا قد خلصوا عن ما انكسر مركبهم وان خمسة
من رجالهم غرقوا عند ما وضع المركب اولاً وان هؤلاء خلاصوا بعد مفاساة
انعاب شاقة وخطر لا تحصى ووصلوا في حالة يرثى لها من المدة والجمع الى
شطوط البرابرة حيث كانوا منتظرين ان يتبعوا في كل دقيقة . ثم اخبرني انه
كان معهم بعض الحلة الا انها كانت عديدة القاذية بالكلية لانه لم يكن معهم
بارود ولا رصاص . لان امواج البحر كانت قد عطلت كل بارودهم
الا قليلاً منه فكانوا قد استعملوا عند خروجهم الى البر في صيد ما
يتناولون به

ثم سأله ماذا يظن ان يصيرون هناك وهل هم مهتمون في ايجاد طريقة

لجائهم . فاجاب انهم تكلموا كثيراً بشأن ذلك ولكنهم اذ كانت لامركب لم
ولا ادوات لبناء مركب ولا زاد ولا ذخيرة كانت تدابيرهم تنهي دائماً بالدموع
والأس . ثم سأله ماذا يظن هل يتبلون رأياً اذا بحث لم طريقة لجائهم وهل
يسير ذلك اذا كانوا جميعاً في جزيرة . ثم قلت له بحرية الى اخاف من
انهم يخونوني ويغدرون بي اذا سلطت نفسي لم . وذلك لان معرفة الجميل
ليست فضيلة عزيزة في طبيعة الانسان وليس من عادة الناس ان ينظروا
دائماً في اعمالهم الى ما نالوه من المعروف بقدر ما ينظرون الى العوائد التي
يكنهم ان يحصلوا عليها . وانه يصعب علي جداً ان اكون واسطة لجائهم ثم اكون
في ما بعد اسيراً لم في اسبابنا الجديدة حيث يكون الانكليزي دائماً ضحية مها
كانت الضرورة والصدفة التي اثقت هناك وانه احب الي ان اسلم نفسي للبرارة
وادعهم يتعلموني حياً من ان اقع في محالب الخوارنة العدي الرحمة وارسل الي
محل التفتيش . ولولا ذلك كان هذا الرأي من احسن الازراء لانهم اذا كانوا
هنا جميعاً يمكننا نحن وايام ان نبني سفينة تكفي لان نعدنا جميعاً الى البرازيل
جنوباً او الى الجزائر او سواحل اسبانيا شمالاً . ولكن اذا كانوا عندنا
اضع اسلحة في ايديهم بأخذوني جبراً الى ما بين شعبيهم ربما يستهون معاملتي هناك
جراه لمعروف في مخوم ويحصلون حالتي اردأ ما في الآن

فاجاب بكل خلوص ونصاحة ان حالتهم نعمة بهذا المقدار حتى انه
يعتقد بانهم يكرهون ان ينكروا ايضاً بالاساءة الى شخص قد صار واسطة
لجائهم وانه اذا حسن عهدي بذهب هو والرجل البربري الشيخ ويكلمهم بشأن
ذلك ثم يرجع الي بالجواب . وانه يعتقد معهم شروطاً وعهوداً ويعلمهم انهم
يكونون تحت سطحي المطلقة كمدر ورئيس لم ويعلمهم يحصلون بالقربات
القدس والاعجيل ان يكونوا امناء لي يذهبون الى اي بلاد مسجبة اردنها لا
الى غيرها ويطلعون في كل شيء اسري ومعي الى ان يصلوا الى البلاد التي
اريد ان اذهب هم اليها وانه يأتي بصك منهم بخطهم بهذا المعنى . ثم قال لي انه

هو نفسه بجلف لي بان لا يفارقني ما دام حيا الى ان امرة بذلك . وان يدافع
دائما عني الى آخر نقطة من دمو اذا حصل ادنى نقض للعهد من طرف اباء
بلادهم . ثم اردف ذلك بقولهم قوم ظرفاه اساءه لا صلاح معهم ولا ثياب
ولا طعام وم تحت رحمة البرارة وساطتهم المظلمة وليس لم ادنى أمل
في الرجوع الى بلادهم وانه لا يملك في اني اذا سميت بخلاصهم يهودون وهونون
في خدمتي

وعند ذلك عزمت على الاعتمام بانقاذهم اذا امكنت وارسال البراري
الشخ وهذا الاسبابولي اليهم لاجل عمل ما يلزم عملة للحصول على هذا المطلوب .
ولكن بعد ان جهزنا كل ما يلزم تجهيزا لسرعنا قدم الاسبابولي رايانا بالحق عن
فطنة وخواص نية فوجدت انه من المحرم والصواب اتباعه وتأخير امر
انقاذ اباء بلادهم منه نصف سنة على الاقل . فان الامر كان كما باني . فانه
كان قد مضى طويلا عندنا نحو شهر وكنت قد اربطه كيف كنت بموت الله
ادبر لوزم معيشتي . ورأى كم كان عدي من الموتى من الشعوب والرؤ . ومع
ان ذلك اكابر من احتياجي لم يكن كافيا اذا كانت اباء وطني وكان عددهم
سنة عشر كما ذكر يأنون اليها . وهذا ذلك لا يكفي لتجهيز مركبنا اذا بها
مركبنا وقصدنا السفر فهو الى احد البلدان المعصية في اميركا . وبناء على ذلك
قال لي الامم اني ادع . والرجلين الآخرين بحر زيف ارضا نكني لزرع ما
يمكنني الاستغناء عنه من المحبوب وان نصبر الى ان نحصد العلة الجديدة لكي
يكون عندنا مونة نكفينا ونكني اباء وطني جاعوا . وذلك لان العارة
ربما اقتادتهم الى الخصام ونكران الجميل ونقض العهد او حملتهم على الفكر بانهم
قد خلاصوا من مصيبة ووقعوا في اخرى ربما كانت في اعتبارهم اعظم مما ان
كما يقال انقلوا من تحت الدلف الى تحت المرراب . ثم قال انت تعلم ان
بني اسرائيل مع انهم فرحوا اولاً بخلاصهم من مصر . عصوا في ما بعد فمرددين
على الله نعمه الذي خلاصهم بعد ما احتاجوا الى التخرج في البرية .

وكانت تصبغة صالحة وصورة حسنة . بهذا المنظار حتى انه لم يكن في الآ ان
امر مرصفا برأيه كما كنت معروفا باماني . وبكنا اخذنا نحن الاربعة جميعا
في العمل بقدر ما تسع اما الآلات وبعد مضي شهر من الزمان الى وقت
الزرع فررنا الثين وعشرين مئة من الشعير وست عشر جرة من الرز في
ارض كما قد قلنا ما في تلك الايام . وكان ذلك كل ما انكسنا الاستغناء عنه من
الحبوب البشار حتى انه لم يبق عندنا شعير يكتفي بالاكل . مئة ستة اشهر اي
من حين امرنا الحبوب للبشار الى ان نطلع الفلة الجديدة لا من حين الزرع
الى حين الحصاد لان المدة بين الزرع والحصاد تكون اقل من . مئة اشهر في تلك
البلاد الحارة

واذ صار عندي جسد رفاقي ونديما . وكان عددا كافيا لان يزول من
قلوبنا الخوف من البرابرة اذا انما الى الجزيرة ما لم يكونوا جهورا مخفيا كما
اذا اردنا نجول في الجزيرة حفا شتا بكل راحة بال . واذا كان امر هربنا
او نجائنا متصورا دائما في بالنا كما لا نقول عن الواسطة المبلغة الى ذلك
وعلى الخصوص العبد الفقير . ومن ثم علمت بعض التجار ما حسنة يصلح
لعملنا وجعلت جمعة واباء يستغلان في قطعها ثم اتمت الاسابولي الذي كنت
قد كاشفته بما في نفسي باطلا عليها لكي يلاحظ العمل . وقد اريتهم كم قاسمت
من التعب في نشر شجرة كبيرة الى الواح وقلت لم ان يفعلوا كذلك فنشروا
اني عشر لوحا كبيرا من شجرة بلوط حيث كان عرض الموج منها قد مبيت
وطوله خمسا وثلاثين قدما وسمكة من قهراطين الى اربعة قراريط . ولا يخفى
كم كلتهم من التعب والعرق

وقد اجتهدت ايضا في تكثير المعرى الاطية عندي . فكنت نارة اذهب
انا وجمعة ونارة يذهب جمعة والاسابولي الى الاحراش لنخل صد المعرى .
وبهك الواسطة انقلنا نحو عشرين جدبا مرة لكي نربها مع البنية . لانا كما
قلنا عشرة نعلك ما ما من الجلاء وقصة مع النطبع . واذا كانت ايام

الذهب غلبنا كمية وافرة من العناقيد في الدمن فصار عندنا احوال كثيرة
من الرهب . وكنا نعتمد في امر الأكل على الرهب والمخز . وكانت ذلك
قوتنا الذبنا ومغذيا جدا كما لا يخفى

ثم اخذنا في الحصاد وكانت غللا جيدة . ومع انها لم تكن في كثرتها
احسن ملة طلعت في الجزيرة كانت كافية لطاوبنا . لانهما استغللنا من العشر
منا من الشعير اكثر من مائتين وعشرين مئاة وعلى هذه النسبة من الرز .
وكان ذلك مونة تكفيها وتكفي ايضا السنة عشر اسابوليما الى الحصاد القادم
وكانت ذخيرة كافية لنا في السر الى اية جهة اردنا ما سن العالم الجديد اي
من بلاد امريكا . وبعد ان حصلنا غلبنا واحرزنا ما اخذنا فعمل سلاا كبيرة
فضعها فيها . وكان الاسابولي مامرا وخفيف اليد في عمل السلال . وقد
لادني على اني لم اعمل من تلك المواد بعض اشياء للرقابة الا اني لم اتمر
بالاحتياج الى ذلك

واذ قد صار عدي حيتلر مونة كافية لجميع الضيوف الذين كنت
انظرهم اذنت للاسبابولي ان يسافر الى القارة ليرى ماذا يقدر ان يعمل مع
الذين تركهم هناك . ووصفة بكل تشديد ان لا يأتي الا بالذين يحملون
اولا امامه وامام البربري الشج بانهم لا يضرون وجهه من الوجه ولا يتكون
ولا يقدرون بالرجل الذي يبدونه في الجزيرة الذي قد تحرك من باب
المروة والشفقة لارسال من ارسله لاجل انقاذهم من كل عدو يريد اذام
وبانهم حقا توجهوا يكونون خاضعين تماما لآمره وان تكون تلك اليهود كتابة
تصونها يدم . واما كيفية تنعيم لنا الشرط الاحمر مع انه لم يكن عندنا افلام
ولا جبر فلك لم نخطر اما بال فيهك الاوامر والعمليات سافر الاسابولي
والشيخ البربري ابو جمعة في القارب الذي انبا او بانجري اني بها فربو عدد
مبينها اسيرين يد البرارة الذين كانوا عارمين على اكلها . واعطيت كل منهم

بارودة ونحو ثمانى دكات من البارود والرصاص وأوصيتها ان يعتنبا بها
جدا ولا يهملها الا عند الضرورة القصوى

وكت امر متبعها بذلك العمل لانه كان اول واسطة استخدمتها لبقاى
في مدة نحو سبع وعشرين سنة وبعض ايام . واعطينها زاداً من الخبز والزيوت
يكنيها اياماً كثيرة ويكني كل الاسبانوليين معها ثمانية ايام . وبعد ان دعوت
لها بالتوفيق وشبعتهما الحذا في طريقها فاصدين القارة . وقد انفتت معها على
علامة يعلنانها عند رجوعها لكي يكني ان اعرفها عن بعد قبل وصولها الى
الجز . وبعد سفرها كانت المراه جدا والشم بدراً . وكان ذلك في شهر
نشرين الاول من حساني ولم يكن يكني التذوق العام في حساب الايام بعد
ان انصفت ذلك . وكذلك لم احافظ جيداً على حساب السنين بحيث يكني
ان احكم حكماً قاطعاً بالي مذهب قوم . الا اني عند ما لمحت حساني في ما
بعد وجدت ان حساب السنين كان صحيحاً صادقاً

ثم بعد سفرها بامام يينا كت النظر رجوعها حدث امر غريب
ربما لم يسمع نظيرة في التاريخ . فالي يينا كت ذات يوم صباحاً في صومعتي
مستريحاً في النوم اذا بخادمي جمعة فداني داخلاني ركضاً وصرخ باعلى
صوته قائلاً يا مالي يا مالي ازوا ازوا . فذهبت ثائراً من سريري وليست ثيابي
بكل سرعة وخرجت على الفور من دون بارودي بخلاف عادتي وبعد ان
عبرت غافتي التي كانت حيث قد صارت حرقاً ظليلاً كبيراً انفتت نحو
البحر واذا بمركب على مسافة نحو فرسخ ونصف متبلاً نحو الداخل . فبلغ جانبي
وكانت ريح قوية تدفعنا برفق وسرعة نحو الجزيرة فدهشت مندهلاً . وقد
لاحظت انه لم يكن قادماً من جهة تلك الشطوط بل من الجهة الجنوبية من
الجزيرة . وبعد ذلك دعوت جمعة الى داخل وامرته ان ينف بجاني
لان اولئك لم يكونوا النوم الذين كما نتظرم ولم يكن يكني ان نعلم هل هم
اصنفاه او اعناه . ثم ذهبت لكي آتي بظارقي لعل اعرف من كانوا .

فاخرجت السلم وطلعت على الثل حسب عادتي عند الاحتماب من شيء
لكي استطيع ان اراه باكثر وضوح وذلك من دون ان يراني احد . وحالما
وضعت قدمي على راس الثل رأيت من دون نظارة مركبا قد اتى مرسانا
على مسافة نحو فرسخين ونصف مني الى جهة الجنوب الشرقي الا انه لم
يكن بعيدا عن الشاطئ اكثر من فرسخ ونصف . وظهر لي واضحا لدى
تخفيف النظر فيه انه مركب انكليزي وان قارب كان قارباً انكليزياً
طويلاً

ولا اقدر ان اصف الاضطراب الذي اغتراني والفرح الذي خاضعني
عند ما نظرت مركباً ولا سيما ذلك المركب الذي كان لي وجه للطن بان
يجريته من امالي بلادي وبالنسبة الى اصدفاه . الا انه كان عندي بعض
شكوك حرة واذ لم اكن اعلم من اين اتوا كنت على حذر منهم . وقلت في
نفسي ما هي مصلحة مركب انكليزي في ذلك القسم من العالم لانه ليس طريقاً
الى احد اقسام العالم التي للانكليز تجارة فيها . واما اعلم انه لم يحصل ابداً
لدفنهم الى هناك رغماً وانهم اذا كانوا انكليزاً في الحقيقة يجب ان يكون قدومهم
الى هنا ناتجاً عن نية خير صالحة او لاجل غاية غير جوفه وانه الاصلح لي ان
ابقي على حالي ولا اتبع في ايدي لصوص وقلة

ولم يضر علي في تلك الحالة الا رهبة قليلة حتى رأيت المركب يهرب
متدماً نحو الشاطئ كأنهم كانوا يخشون على خليج يدخلون بالمركب اليه لكي
يجرؤا منه الى البر بسهولة . ولكن اذ لم يجرؤوا كثيراً الى البر لم يروا
الخليج الصغير الذي خرجت منه قبلاً باطواني بل دخلوا الى ذروة تبعد عني
نحو نصف ميل . فعدت في ذلك جداً . لانهم لو ارسلوا في الجهة الاخرى
لكانوا خرجوا الى البر عند باب بيتي قريباً وكانوا طردوني حالاً من قلعتي
وربما كانوا ملأوا كل ما عندي . فلما خرجوا الى البر تأكدت انهم جميعاً او
افله اكثرهم انكليز . وظننت ان واحداً او اثنين منهم كانوا فلتكون الا الى

وجدت في ما بعد ان ظني كان في غير محله وكانوا جميعا احد عشر رجلا
 وكان ثلاثة منهم من دون سلاح وكانهم كانوا مفتردين . فلما وثب اربعة او
 خمسة منهم اولاً الى البر اخرجوا اولئك الثلاثة من القارب كاسرى وكان
 واحد من الثلاثة يهراسي كأنه يضرع بكل مذلة وانكسار قلب وبأس واما
 الاثنان الاخران فكانا يرفعان ايديهما احياناً مضطربين جداً ولكن لا نظير
 الاول فانه هلت مدهمناً من ذلك المنظر ولم اعلم ما هو معناه . فدعاني
 جمعة بالانكليزي اعلى صوتاً قائلاً يا مائي انظر ناسات الانكليز يا حبلوا
 الاسرى مثل الناسات البرابرة . فقلت له ماذا تعني يا جمعة انظن انهم ياكلونهم .
 فقال نعم يا حبلوا فقلت يا جمعة الى اخفى من انهم ياكلونهم ولكن لا انظن انهم
 ياكلونهم

وكتبت في نالك الاشياء لا افكر بما كان بل اكتب مرنداً من فظانة
 المنظر ومنظر اكل دفيقة ان ارام يتناولون اولئك الاسرى . وقد رأيت مرة
 واحداً من اولئك الاشياء يرفع يده لضرب بحجر كان معه احد الاسرى
 المساكين . وكتبت انظر كل لحظة وقوعة الى الارض . وعند ذلك سمعت في
 عروفي كل ما في جدي من الدم . ولم كنت اشفي ان يكون عدي ذلك
 الاسبانولي والبربري الشيخ او ان تكون لي طريفة لكي اتقدم نحوهم الى ان
 اصير على معافاة رمية رصاص منهم من دون ان يروني وذلك لاختصاص
 الاسرى من ايديهم لاني لم ارمعهم احلقة نار الا اني لاصح لي امر آخر . فاني
 بعد ان رأيت القساوة البربرية التي عامل بها البحرية الثلاثة الرجال المساكين
 رأيت اولئك الاشياء يركضون متفرقين في الجزيرة كأنهم يريدون ان يفرجوا
 عليها . ولاحظت ايضاً ان كان للثلاثة الاسرى حربة في الدعاب حيناً شاموا
 الا انهم كانوا جميعاً جثوا على الارض غائضين في بحار التفكير وخاضعي البال
 كأنهم قد بشوا من المحارة . فذكرتني حالتهم بالحانة التي كتبت فيها عند ما
 خرجت اولاً الى البر . واخذت انظر الى ما حولي وانذكر كيف كتبت

اشعر بانى هالك لا محالة وكيف كنت مستوحشاً موعياً من المخاوف
والاحسابات الهائلة وكيف بت ذلك الليل كله في شهر صافى من ان تبلى
وحوش مربة . وكأني لم اكن اعلم تلك الليلة شيئاً من امر الثوت الذي
كانت العناية الالهية مرمية ان تهره في يواطة دفع الاتواء والمذ المركب
الى الثرب من البر والذي لا ارال الى الآن انما هو وامند عليه كذلك
اولئك الثلاثة الرجال المماكين المكودو المحظ لم يكونوا يعرفون ان نجائهم
وعمالهم كانوا موكدين بهذا المقدار ولا كم كانوا مريدين اليها ولا كم كانوا في
امان تام وطيد عند ما كانوا يحسبون انفسهم مالمكين لا محالة ولا باب لم للامل
في النجاة . فما اقل الاذياء التي نراها امامنا في العالم وما اكثر الاسباب التي
نعملنا على الاتكال على خالق العالم العظيم وانفة بانه لا يهل خلافة في حالة
الحاجة القصوى بل انما يكون لم دائماً في ارداء الاحوال ما يشكرونه تعالى
لانجوت وتكون نجائهم احياناً اقرب مما يتصورون حتى انهم قد يحسبون مراراً
على النجاة بالوسائط التي كان بيان لم انما يشكون سبب هلاكهم

الفصل السادس والعشرون

اظهار روينن كروزي نفسه للرئيس الانكليزي
ومساعدته اياه على بحريته العصابة

لما خرج اولئك القوم الى البر كان المد في اعلى درجاته. وهنا كانوا يطوفون في الجزيرة يفرجون عليها جزر البحر ورجع مسافة الى الورا تاركا غارهم على الارض الباسية. وكانوا قد تركوا في القارب رجلين كانا كما وجدت في ما بعد قد شربا كثيرا من العرق وناما مستغرقين. الا ان واحدا منها اتبه قبل رفته واما وجد القارب قد قد على الارض بحيث لم تكن له استطاعة على تحريكه اخذ يصيح باصحابه الذين كانوا منشغلين في الجزيرة فلما سمعوا صوته اتوا جميعا راجعين بسرعة الى القارب. الا ان تذيلا الى الماء كان قد صار فوق طاقهم لانه كان ثوبلا جفا وكان الشاطئ في تلك البجعة رملا رخيا موحلا مائلا. فتركوه في تلك الحالة كما هي عادة البحريه الذين هم اقل اعتناء بالمستقبل من سائر بني البشر ورجعوا الى ما كانوا عليه من الجولان واليه في الجزيرة. وقد سمعت واحدا منهم يقول لآخر بصوت عال. لم بنا جاك دعه لثأروا اما تعلم انه سيموت متى اقبل المد ثانية. وعند ما سمعت كلمة جاك تخلفت ان اولئك انكليز لان هذه اللقطة كبيرة البحري على السنتهم وفي علم حسي عندم لكل بحري ورفيق ومعداها يعقوب وقد اثبت مقبلا كل تلك المد في مكاني لا انجاس ان اخرج من قلعتي الى مكان ابعد من مكان

المراقبة بالقرب من رأس النمل . وكنت اقترح متجهاً عند الافكار يكونو كان
حصناً متيناً بهذا المقدار . وكنت اعلم ان القارب لا يمكن ان يعم على الماء
الأبعد مضروب عشر ساعات من ذلك الوقت حين يكون الظلام قد خيم
وتكون لي حربة أكثر لان انظر الى حركاتهم واسمع حديثهم انا كان لهم
حديث . وقد هيأت نفسي في تلك الاثناء للقتال كما فعلت قبلاً ولكن بأكثر
حذر لعلي بان اولئك الاعلاء هم اشد وأخبر من الاعلاء الآخرين . وامرت
جمعة الذي كنت قد علمته جيداً استعمال الاسلحة ان يسلح بالعدة الكاملة .
فاخذت بارودين واعطينته ثلاثاً . وكانت مهني عذبة جداً فاني كنت متوتراً
برسائي القوي من جلود المعزى ولايساً على رأسي فبني الكبير الذي تقدم وصفه
ونقلنا على جني نصف مجرد وشاكاً طينيين في حزامي وحاملاً بارودة على
كل كنف من كنفي

وكان فسدي كما ذكرت أننا ان لا اعدل شيئاً الأبعد ان يخيم الظلام
واكن نحو الساعة الثامنة من النهار ذهبوا جميعاً هائمين في الاحراش وناموا
هناك ولما الثلاثة الاسرى الساكنين فاذا كانوا مضطربين ولم يستطيعوا ان
يناموا من جري نعاله حالم كانوا جلوساً في ظل شجرة كبيرة بعد غني نحو
ربع ميل وكانوا كما ظننت مستترين عن نظر البقية . وبعد ذلك عزمت على
ان اظهر لهم نفسي واعرف شيئاً عن احوالهم فاخذت حالاً اتقدم نحوهم بين
الحالة التي وصفتها لك وكان جمعة يتبعني من الوراء عن بعد متسلحاً بالعدة
الكاملة نظيري الا انه لم يكن غريباً في زي ومظهره كما كنت انا . قد نوت منهم
بقدر الامكان من دون ان يروني ثم قيل ان يقع نظر احد منهم علي صححت
بصوت عالٍ باللسان الاسبانيولي قائلاً من اسم ايها الخوارجات . فارعدوا
عند ما سمعوا الصوت وكانت رعدتهم عشر مرات اكثر عند ما راوني
بذلك الزرير الغريب والهيئة الموهلة . فلم يجيبوا بكلمة وكان يلوح لي انهم كانوا
هامين على الحرب مني فكفتمهم باللسان الانكليزي . وقلت يا خوارجات لا تخافوا

ان شاء الله يكون لكم حديق قريب لم تكونوا تنظرونه . فاجاب واحد منهم بكل وقار رائعا نريضة احتراما لي وقال يجب ان يكون ذلك قد ارسل باستغاثة من السماء لاننا صرنا في حالة لا يقدر احد الناس ان يخلصنا منها فقلت له ان كل معونة هي من السماء يا مولاي . فهل قدرون ان تنهبوا رجلا غريبا كيف يقدر ان يساعدكم لانه يبان انكم في ضيقة عظيمة . فاني نظرتكم عند نزولكم الى البر . وعد ما كنتم تضرعون بانكم ابر الى اولئك الوحوش الذين اتوا معكم رأيت واحدا منهم يرفع حجرا ليضربكم

وان ذلك الرجل المسكين اجاب والدموع تذرف على خديه وهو يرتعد قائلا قد دهمش منذملا وقال حل الذي اكلته يا مولاي اله او اسان وهل هو اسان حقيقي او ملاك بصورة انسان . فقلت لا تخف من هذا الثميل يا مولاي فلو ارسل الله ملاكا اليك يفتدكم لكاف اني بلباس احسن واسلحة مختلف عما ترون لي فاطردوا اذا محاوركم . انا اسان . اما رجل انكلازي اريد ان اساعدكم وانتم ترون معي خادما واحدا فقط ومعنا اسلحة وذخيرة فنوالنا بصريح العبارة هل تقدر ان تساعدكم وما هي فتدكم . فقال يا مولانا ان فتننا طويلة عريضة لا يسعنا الوقت لشرحها لك لان الذين يطلبون قتلنا هم فرييون منا . ولكن اقول بالاختصار اني يا مولاي كنت رئيس ذلك المركب وقد هاني بحربي وثرديا علي وبالك قد قدرت ان اتهم ان لا يقتلوني فوضعتني على هذا الشاطئ في هذا المكان المنفر مع هذين الرجلين اللذين معي فان احدهما ثاني رئاسة المركب والآخر راكب معنا . وكنا متوقعين الهلاك في هذا الموضع لاننا ظننا انه لا سكان فيه ولم نعلم شيئا من امره . فقلت له وان هم اولئك اللصوص اعتلواكم انتم اين ذهبوا فقال مديرا الى غاية قد التفت وانذركت التجارها انهم مضطجعون هناك . ان غلي يرتعد خوفا من ان يكونوا قد راونا وسموك نكلم معنا فها انوا ويقتلوننا جميعا لا محالة . فقلت له وهل معهم اسلحة نارية . فاجاب ان عدم بارود ذنون وقد تركوا احداها في القارب .

فقلت لا تخف اذا انا اديرهم . فالظاهر انهم جميعاً نافعون وممكنات ان نقتلهم
جميعاً بسهولة . ولكن انا نظن ان الاحسن استثمارهم . فقال انه يوجد بينهم
رجالان رديان جداً لا ارکان فيها ولا يؤمن لها اذا عوملا بالرحمة فاذا خلاصنا
منها فان البقية يرجعون الى حيز الطاعة وتقيم الحاجيات . فسأله ومن ما
فقال لا يفسد ان يترها من البقية ليعيد المساعدة . الا انه يطاع امرى في كل
ما امره به . فقلت له دعنا اذا نوارى عن نظرم ونبعد عن سمعهم لئلا ينسبوا
وعند ذلك نعيد على ما يجب عمله . وهكذا رجعت في طريقى وذهبت
طوعاً معى متوغلون في الاحراش واستمرنا هناك عن نظرم

ثم قلت له اذا خاطرت بنفسى لكي اخلص حياتكم فهل قبول الشرطين
اطلبها منك . ومو قبل ان اذكر الشرطين فهم مرادى وقال انه مو والمركب
اذا خلاصا يكونان بالغام تحت رئاستى وامرى في كل شيء . واذ لم يخاص
المركب فانه مو يعيش ويموت معى في اى محل اخذت اليه من العالم . وهكذا
قال الرجلان الآخران . فقلت ان لى شرطين فقط احدهما انكم في منة اقامتكم
معى في هذه الجزيرة لا تدعون باحدى سلطة فيها . واني اذا سلطتكم اسلحة تردوها
لى في اى وقت طلبتها منكم ولا تعملون شيئاً يضر لى او يضر ما يخص لى
يلوذ لى وتكونون دائماً خاضعين لوامرى . ثانيها انه اذا خلاص المركب تأخذوننى
فيو انا وخادمى الى بلاد الانكليز مجاناً من دون اجرة

فتعهد الرئيس لى نعمداً وطيداً بانه سيقم هذين الشرطين العاديين من
دون ادنى خال وانه عند ذلك يحسب دائماً ان حياته لى من عندي وملكى
ونفرد بذلك في جميع الاحوال ما دام حياً . فقلت له فاذا هناك ثلاث بوارب
لكم مع الرصاص والبارود فهل لى الآن ماذا نطلب ان يبنى لنا عملة . فاطهر
لى كل ما امكنا اظهاره من المنوبة وقال انه يرغب فى ان يترك كل شيء
لنديرى ورأى فقلت له انى اتخفن ان يرميهم بالرصاص حالاً وهم ينام فاذا
اعطانا بعضهم فى الطابق الاول ومطالب ان يعلم لنا نفوذه وهكذا سلم الاصابة

والخطأ لعناية الله فقال بكل وداعة انه يكره قتلهم . الا انه يوجد منها رجلان
 رديان لا يصح لهما وقد كانا اصل القصاد والعصيان فاذا لم تقتلها بقي في
 خطر لانها يذهب الى المركب ويأتين بها في البحرية فيهلكون جميعاً . فقلت
 له اذا الضرورة تجلب ما اشرت به جائزاً لانه هو الطريق الوحيد لقضائه
 حياتنا ومعلومك ان الضرورات تنزع المحذورات . ولكن لما رأيت لم يزل غير
 راض بعفك الدم قلت له يجب ان يذهب هو وجماعته ويدروا الامور
 كما يحسن لديهم

وبما كان في وسط الحديث اتى البعض منهم ثم بعد قليل رأينا اثرت
 منهم قد وقفنا على ارجلها . فسمنا له هل احد من ذبلك الرجلين هو من روساء
 الحركة فاجاب لا . قلت له فاذا لا تعرض لما لان اللذان انت العناية قد
 اغفلنا لاجل اغاذهما . ولما اذا اقلت القانون منك فان اليوم انما يكون
 عليك فلما قلت له ذلك اخذ البارودة التي اعطيتها لاياميك وخبثه في حزامه
 وهما معه وكان يمد كل منها بارودة وذهبا مائاً . وكان الرجلان اللذان
 ذهبا معه يشيان قتله

فاحدنا صوتاً التفت عنه احد الرجلين المشبهين فراهما ولهما صاح
 رفاقنا فلما صاح الصبح رفاقا الرئس البارود . ولما الرئس فاقى بحكمة
 بارودته مدكوكه لموت الانقضاء . وكانا قد حكما حبلنا بارودتهما على
 الرجلين المظلومين فاصابهما كماها فقتل احدهما في ارضه وجرح الآخر
 جرحاً بليلاً . واذ لم يمت طرنا فاقنا على رجله وصاح باعلى صوته مستغيثاً رفاقه .
 فنقدم الرئس اليه وقال له انه قد مضى وقت الانتفاضة بالناس فيجب عليك
 ان تطلب الى الله ان يغير لك خيانتك . ولم يسمع منه العبارة حتى صرعه
 بندق بارودته الى الارض . فلم يبق بكلمة بعدهما وكان باقياً للثلاثة من اولئك
 الاشياء كان احدهم قد جرح جرحاً خفيفاً وكنت عند ذلك قد جئت فلما رأوا ما
 كانوا في من الخطر واتوا لا فائدت لهم من المقاومة طلبوا ان ياملوا بالرحمة

والغزو فقال لم الرئيس انه يغزو عنهم اذا كانوا يندمون على الحياة التي
ارتكبوها ويخافون له بانهم يكونون اساءة له ويساعدونه في تخلص المركب
والرجوع فهو معه الى جاسكا التي كانوا قد اتوا منها فقدموا له جميع
الادلة المرغوبة على صدقهم واذا رأيت ما اتى الى تصديقهم والغزو عنهم لم اسأ
ان اصاده في ذلك الا اني الزينة ان يقدم من اديتهم وارجلهم ما داموا في
الجزيرة

وفي تلك الاناء ارسلت جمعة وثاني الرئيس الى القارب لاجل نسلو
والاثنان بالمجاديف والقلاع فعلا كما امرهما. وان ثلاثة من الرجال الذين كانوا
في البر وكانوا لاجل - مدم قد اتصلوا عن البقية لما سمعوا صوت الزارود
اقبلوا راجعين الى ذلك الموضع. فلما رأوا الرئيس الذي كان قبلاً اسيراً لم
قد فاز بالظفر على رفاقهم لموا له طوعاً وارضوا ان يقدم كرفاقهم. وهكذا
حصلنا على العاقبة الدائمة

ففي علي وعلى ذلك الرئيس ان نسال عن احوال بعضنا بعض فابتدأت
ابا اولاً واخبرته بكل قصتي وعلى الخصوص بكيفية حصولي على القوت والذخيرة
واذ كانت قصتي مجموع عجائب تأثر منها جداً. وعدد ما نظر الى حاله ورأى
كيف كنت كافي انما حفظت هناك لكي اخاص حياة اخذت الدموع تساقط
ذارفة على خدي ولم يعد بقدر ان يطاق بكلمة. واعد ان فرغنا من الحديث
ذهبت به وبالرجلين اللذين معه الى منزلي وقدمت لهم ما حضر من الطعام
والنمل واربتهم جميع الاخذراعات التي استعطفها في مدة سكاني المستطيلة في
ذلك الموضع

وكان كل ما اربتهم اياه وكل ما قلته لم عجباً عديم في الغاية. وما زاد
الرئيس عجباً فلعني وكيفية سترتي منزلي بواسطة تلك الغاية التي كان قد صار
عمرها حينئذ نحو عشرين سنة واذا كانت الاشجار هناك تكبر باكثر مرحلة
من الاشجار في بلاد الانكليز كانت قد صارت حرجاً متكاثاً جداً حتى انه لم

يكن ممكناً العود فيه الأمن جهة واحدة حيث كنت قد تركت طريقاً ممرجاً
ادخل منها اليو . وقلت له ان هنك في قلبي وحمل افاني ويوجد لي قصر في
الجبل كما يكون لأكثر الملوك فكيف انت اذهب اليو متى شئت ووعده بالي
سأريو ذلك الموضع ايضاً في وقت آخر . لانه كان علمنا في ذلك الوقت
الاجتهاد في تخلص المركب . فقال انه لا يعلم كيف يكون السبل الى ذلك
لانه يوجد في المركب ستة وعشرون رجلاً وهؤلاء اذا كانوا قد اشتركوا في الملك
الحياة الحية وصاروا تحت طائلة الشريعة مستحقين القتل سبوت قلوبهم
ويصرون يأس وعناد على حياتهم . لانهم يعلمون انهم اذا امسكوا سبلهم
الى المشقة حالاً يصلون الى انكسار او الى احد املاك الاكليل الخارجية .
ومن ثم لا سبل الى قدامهم بعد فليل كعدونا

فأملت من في ما قاله ووجدت انه نافع عن حكمة وجودة رأي ومن ثم
كان لا بد من الاعتماد بسرعة على طريقة تفهمنا من ذلك الحضور . وذلك اما
بمنصب شرك لم في المركب لاهلاكهم او بنعم من الخروج الى البحر لئلا يقتلوا
بنا ويهلكوا وعدد ذلك جال في خاطري ان بحرية المركب سيخطر بهائم
بعد قليل ما اصاب رفائهم وفارهم وبأنون لا محالة في قاربهم الآخر لاجل
التفتيش عليهم وربما بأنون عدد ذلك مستحقين فيكونون اقوى ما . فقال
الرئيس ان ذلك حيلة ممكن وموجب الاحتمال . ثم قلت له ان اول شيء
يجب ان نفعله هو ان نخرج القارب الذي في الخلف لئلا يأخذوه ويذهبوا به
الى المركب وان تأخذ كل ما يوجد فيه من الادوات ونعطاه بحيث لا يعود
يصلح للسفر . ومن ثم ذهبنا الى ذلك القارب واخرجنا منه كل ما كان فيه
من الاسلحة وكل ما وجدناه فيه من باقي الاشياء كقنية من العرق وقية من
الروم وقليل من الكعك وشككة بارود وقال لي سكر . فترى في قطعة جانبهم .
وكانت وزن ذلك القارب نحو اثنين . وقد فرجت جداً بكل ما وجدته

وعلى الخصوص العرق والسكر لانها كانا قد نفدا من عدي منذ سنين
كبيرة

فبعد ان اخرجنا كل ذلك الى البر وكانت الجاذيف والثلوع والدفة
قد اخرجت قبل ان نقدم ثقبنا ثقباً كبيراً في قعر القارب حتى اذا اتى منهم
عدد اكثر واقدر لا يمكنهم ان يأخذوه . ولم يكن لي امل كبير في اننا نقدر
ان نخلص المركب ولكني كنت افكر انهم اذا ذهبوا من دون القارب يمكننا ان
نصله ونجهزه ليعملنا الى جزائر ليورد اذا تم في طريقنا على اصحابنا الاسبانوليين
لا في لم النهم

ثم بعد ان دبرنا امورنا على هذا المنوال وراينا القارب من البحر بحيث
لا يمكن ان نرفعه ان يسبح راجعاً به الى العمق وثقبنا في قعره ثقباً كبيراً
لا يمكن منه اربعة وجلسنا نأمل ماذا ينبغي لنا ان نعمله سمعنا صوت مدفع
من المركب ورأينا علامات قد ظهرت فيه الذين في البر لكي يرجعوا اليه . ولما
رأوا القارب لم يتحركوا بل انطلقوا ايضا المدافع مرات متوالية وعلموا علامات مختلفة .
واخيراً اذ رأوا لا فائدة من ذلك جميعاً ومن القارب لم ينزعج من مكانه
انزلوا قارباً آخر الى البحر واخذوا يتدفقون قاصدين البر . فلما قربوا
وجدناهم عشرة ومعهم اسلحة نارية

واذ كان المركب راساً على مسافة نحو فرسخين عن الشاطئ نظرناهم
جيداً وهم يقبلون ونظروا وجههم واضحاً . وذلك لان المدف قد دفعهم قليلاً
الى شرقي القارب الآخر فلما دخلوا يتدفقون ويمسرون بحانب الشاطئ
قاصدين الذهاب الى الموضع الذي خرج منه بحيرة القارب الآخر . فهذه
الواقعة رأيناها جيداً وعرف الرئيس كل الرجال الذين في القارب وقال ان
ثلاثة منهم امناء وقد دخلوا مع البقية في تلك الحركة جبانة وخوفاً منهم . ولما
وكل المركب الذي يبان انه كان اكبر ضابط منهم والياقون فكانوا اشراراً
نظروا بالي البحرية . على انهم ربما كانوا اقوى منا . فالتفت اليه متحسماً وقلت له

أن من كان في حالنا لم يبق الخوف تأثر فيه وإذا كنا نعلم أن جميع الأحوال
في أحسن من الحالة التي نحن فيها يجب أن نحسب النتيجة سواء كانت موتاً
أم حياة لا بد أنها تكون نجاة . ثم سألت ما إذا يظن عن حالة حيواني وهل العجاء
منها لا تتعنى المخاطرة . ثم قلت له أين اعتقادك يا مولاي باني أنا حفظت هنا
لكي اخلص حيوانكم وقد كان واسطة لتبسطك قبل قليل . على اني اظن انه
يوجد صعوبة واحدة فقط . فقال وما هي تلك الصعوبة . فقلت له هي وجود
ثلاثة او اربعة بينهم تقول انه يجب العفو عنهم . فلو كانوا جميعاً من الاشرار
لكنت ظننت ان الله نفسه قد امرهم بمعاقبتي كي يدقههم بذلك واعلم بقبلي ان كل
رجل يخرج الى البر هو نصيبنا وسيموت او يمشي بحسب تصرفه نحوها . وإذا
قلت ذلك بصوت عالٍ رخم ووجه باشٍ طلق ظهر لي انه لن يجمع كثيراً
ومكلاً تأمينا بنشاط ونجاعة للضال والمدافعة

وكما قبل ان رأينا القارب قبل من المركب قد عزمنا ان نفرق بين
امرأا وكما قد احتفظنا عليهم جيداً . فان اثنين منهم كان الرئيس اقل اركاناً
اليها من البقية ارسلتها مع جمعة ورجل من الثلاثة الذين خاصناهم الى مغارقي
حيث كانوا يبدون ولا يخشى من ان يسمع صوتها او يعرف موضعها حتى انها
اذا افلتت لا يمكنها ان يعرف الطريق للمخرج من الاحراش فتركها جمعة ورفقة
هناك مفهدين واعطاهما زاداً لئلا يهلكا ووعدها بانها اذا اقامت هناك بالهدوء
سيعتقنها بعد يوم او يومين . ولكن اذا حاولا الهرب سيقبلان من دون
رحمة . فوعدها وعداً صادقاً بانها سيمتلان حبسها بالصبر وكانا شكورين
جداً من جري حسن معاملتنا لهما في اعطائهما زاداً وضوءاً لان جمعة اعطاهما
شعراً ما كما نملكه لاجل راحتنا وربما كانا يظنان ان كان واقفاً دائماً على الباب
خديراً عليها

واما باقي الامرى فكانت معاملتهم احسن من ذيك الرجلين . نعم اننا
ايقنا اثنين منهم مكنونين لان الرئيس لم يكن يركن كثيراً اليها . واما الاثنان

الآخران فاني ادخلتهما في خدمتي على شهادة الرئيس وتوصيته وتعهدهما القوي
 باعها سيوفان وبيشان معنا . وهكذا كنا نحن وعما والثلثة الرجال الاربعة
 سبعة وكنا جميعنا متسلحين جيداً ولم يكن عدي شك في اننا نقدر ان ندر
 العشرة القادمين في القارب اذا صح قول الرئيس انه يوجد بينهم ايضا ثلاثة
 او اربعة من الاسماء الاربعة . فلما وصل اولئك البحرية بقاربهم الى المكان
 الذي كان فيه القارب الآخر دخلوا بقاربهم في الخليج وخرجوا الى البر وجرأ
 القارب وراهم فسررت اذ رأيت ذلك . لاني كنت خائفاً من ان يتركوا القارب
 راسياً بعيداً عن البر ويتركوا فيه بعض بحرية لاجل المحافظة علىو فلا يمكن ان
 نستأمره . ولول شيء عملوه بعد خروجهم الى البر هو انهم ركضوا جميعاً
 الى القارب الآخر . ولا يخفى ما حصل عندهم من الحيرة والذهول عند ما
 رأوا ذلك القارب معزى من كل ما فيه ومتفوقاً ثباتاً كبيراً في قعره كما تقدم .
 ثم بعد ان تأملوا في ذلك مدةً صاحوا صهيون او ثلاث صهيات باعلى اصواتهم
 نحو اصحابهم لعلهم يسمعون . ولكن لم يستفيدوا شيئاً . ثم اصطفوا حلفةً واطانوا
 ما كان معهم من الاسلحة طلقاً واحداً فسمعنا نحن ذلك الطلق وانتمت
 الاحراش من صده . ولا من هذا استفادوا شيئاً فان الذين في القارة لم يكن
 يتكلم ان يسمعوا ذلك لعدم والذين كانوا معنا من رفاقهم مع انهم سمعوا ذلك
 جيداً لم يخبرونا على ان يحسروا . فوقفوا في حيرة عظيمة من هذا الامر حتى
 انهم عزموا كما اخبرونا في ما بعد على ان يرجعوا الى المركب ويجهزوا بالغاب
 رفاقهم بان اصحابهم قد قتلوا جميعاً وبان القارب قد تعطل وهكذا انزلوا حالاً
 الى البحر القارب الذي اتوا فيه وتزاولوا فيه جميعاً

وان الرئيس لما رأى ذلك اضطرب جداً وطار في امره لانه كان يظن
 انهم يذهبون الى المركب ويقلعون طائين ان رفاقهم قد طكروا وهكذا يخسر
 المركب مع انه كان يأمل اننا نقدر ان نخاطبه من ايدي اولئك العصاة .
 ولكن لم يضر الا قليل حتى اضطرب ايضا من الجهة الاخرى

ثم بعد ان سافروا قليلاً في القارب رجعوا جميعاً نحو الشاطئ في ثلاثه
منهم في القارب وخرج الباقون الى البر عازمين على الصوغل في الجزيرة لاجل
التفتيش على اصحابهم . فارتبكنا في امرنا عند ذلك ولم نعلم ماذا نفعل . لاننا
اذا اسكنا السبعة الرجال الذين خرجوا الى البر لا يبعدنا ذلك شيئاً اذا
اقلت القارب منا . لان الثلاثة الذين بقوا فيه بقدر ان يذهبوا راجعين الى
المركب ومنى وصلوا الى هناك يرفعون مرسة المركب ويقطعون به من فيه
وهكذا لا يبقى لنا أمل في تخلص المركب الذي كان جل مقصودنا حينئذ .
الا انه لم يكن لنا سبل الا الصبر والنظر الى جري الحوادث في ما بعد .
فاتي السبعة الرجال الى الشاطئ والثلاثة الذين بقوا في القارب ابدوا به
عن الشاطئ وارسوا هناك ينتظرون رفاقهم . فالتفت خرجوا الى البر
اخذوا يسيرون معاً فاصدين راس الثعلب الذي كانت فنامي عند
حضيضه وكما رام واضحا امامهم فلم يكونوا يروننا . وكما رغب انهم يفلون
متقدمين نحونا لكي نرمهم بالرصاص او يبتعدون مولين عنا لكي يمكننا ان
نخرج من وسط الاحراش التي كنا كامنين فيها . فلما وصلوا الى قمة الثل
حيث يطلون الى مسافة بعيدة عن السهول والاحراش التي موقعها في الجهة
الشمالية الشرقية وحيث كانت الجزيرة منطامة اخذوا ينادون ويصرخون
باعلى اصواتهم حتى يسموا وكلوا . واذا كانوا لا يسمعون ان يبعثوا كثيراً
عن الشاطئ . ولا ان يتفرقوا خوفاً من امر يأتي جلوساً معاً تحت شجرة وعقدوا
هناك ديان شوري . فلو ناموا هناك كما فعل رفاقهم الذين دهمناهم لكانوا
عملوا معروفاً كبيراً معنا . الا انهم اذا كانوا خائفين جداً ومحمسين
من الخطر لم يحسروا ان يناموا وان كانوا لا يعلمون شيئاً ما هو الخطر الذي
كانوا فيه

وفيما كانوا جلوساً يبصرون في المسافة قدم الرئيس رأياً اعجبي فقال ربما
يطلقون جميعاً طلقاً لكي يسمع رفاقهم الصوت فاذا فعلوا ذلك يجب ان

ندهم عند ما تكون اسفلهم فارغة فيسلمون لنا لا نحالة فقلني التبعس عليهم من
دون سفك دم . فاستصوبت هذا الرأي على شرط ان تكون قريين منهم عند
تفرغ يواربهم بحيث تقدر ان ندهم قبل ان تحصل لم فرصة لان يدكوما .
الا ان ذلك ايضا لم يتم . فاقمنا مدة طويلة في مكاننا غير عارفين ماذا نعمل .
واخيرا قلت لم انه حسب رأي لا يمكن عمل شيء الا في الليل . فاذا اقبل
الليل ولم يرجعوا الى القارب فربما نجد طريقا للتوسط بينهم وبين الشاطئ
ومكلا نحال على الذين في القارب ان يخرجوا الى البر . فاعتظرنا مدة طويلة
انتقالهم من مكانهم حتى ضجرنا . ثم رأينا انهم بعد محاورات مستطيلة فيما بينهم قاموا
جميعا واشتروا راجعين نحو البحر سقط في يدنا وارتيكنا . والظاهر انهم لشد
خوفهم واحسانا بهم عزبوا ف يرجعوا الى المركب ثم يسافروا فيه الى الجهة
المقصودة منهم معتقدين بان رفاههم قد ملكوا لا محالة

فحالما رأينهم راجعين الى البحر لاح لي انهم قد عدلوا عن التفتيش وعولوا
على الرجوع الى المركب . وحالما كانت الرئس بالاح لي كاد ينسى علي من
شد الحزن والاحساب . الا الى انكثرت بعد قليل بجولة حصلت بها على
مطلوبي كما سئى . فاني امرت جمعة وثاني الرئس ان يذهبا الى عبر النهر
الى جهة الغرب نحو المكان الذي خرجت فيه البرابرة بجمعة عند ما خلاصنا
من ايدهم فاذا وصلا الى مرتفع من الارض على مسافة نحو نصف ميل
بصحان باعلى صونها الى ان تأكدنا بان الهربة قد سمعوا صونها . وانها
حالما سمعت الهربة يسمونها بصحان ثانية . وان يمشوا دائما عن اعينهم
ويدوران من مكان الى مكان ويحييهم كلما نادوها لكي يستجروا مشغولين
هم في الجزيرة وبين الاحراش بقدر الامكان ثم يرجعان ايضا نحو في طريق
ذلكها عليها فتملا . وفيما كان اليوم على همة النزول الى القارب نادى جمعة
وثاني الرئس فسمعوا حالا واخذوا يركضون على الشاطئ نحو الغرب
قاصدين المكان الذي سمعوا منه الصوت فلما وصلوا الى النهر وقفوا لانهم لم

بمنطعموا ان يمدوا بسبب ارتفاع المد وصاحوا برقايمهم ان يأتوا بالفارب
 ليعبروا فيه النهر . وهكذا كنت احسب من اول الامر . فلما عبروا النهر
 لاحظت ان الفارب اذ كان قد ابعد مشغولاً فيه وصار كأنه في مينا في البر
 اخذوا واحد من الثلاثة الذين كانوا فيه معهم وتركوا فيه الذين فقط بعد ان
 ربطوه الى ساق شجرة صغيرة على الشط . وكان ذلك طبق مرغوي . فتمكنت
 جمعة ورفيعة في عملها واخذت حلاً القبة معي وقطعنا النهر من دون ان
 يرونا ودعنا بقية ذلك الرجلين الذين كانوا يجرمان الفارب . وكان احدهما
 مصطحباً على حافة النهر والآخر في الفارب . فالذي على الحافة كان يمشي
 متنبه ونائم وعلى قمة القبة وإذا بالرئيس الذي كان في مقدمة جيشنا قد هم
 عليه كالاسد وصرعه الى الارض ثم طلب من الذي في الفارب ان يسلم والآخر
 فهو مقتول . ولا يخفى انه لا يحتاج الا الى براصيت قليلة لافئاع رجل واحد
 بالتسليم عند ما يرى خمسة رجال عاجزين عليه ويرى رفيعة قد طرح الى
 الارض مصروناً . وعند ذلك كان ذلك الرجل من الثلاثة الذين لم
 يثورطوا في تلك الخيانة بقدر القبة ومن ثم فنع بسهولة ليس بالتسليم فاضطرب
 بان يبعد معنا في ما بعد اتحاداً صادقاً . وكان جمعة وثاني الرئيس في تلك
 الاثناء يدبران الباقين جيداً . فكأما يسخرانهم بواسطة النداء والمجاوبة من تلك
 الى تلك ومن حرس الى حرس حتى اتبعناهم جداً وتركناهم في مكان لا يمكنهم ان
 يرجعوا منه الى قاربهم الا بعد ان ينجي الظلام حتى ان جمعة ورفيعة انفسهما رجعا
 اليها وقد كلاً من التعب

ولم يبق عليهما حينئذ الا ان نترصد في الظلام ونقدمهم دحمة هائلة
 بحيث لا يفلت احد منهم وضمت ساعات كثيرة بين رجوع جمعة الى ورجوعهم
 الى قاربهم . وكنا نسمع المتقدمين منهم ينادون المتأخرين ان يسرعوا في
 مقدمهم . وسمعناهم يهتفون ويشكون من شدة التعب والام وعدم اقتدارهم على
 الاسراع . وكان ذلك خبراً يسيراً جداً . واخيراً وصلوا الى الفارب . ولكن

لا يمكن وصف الاضطراب الذي اغترام عند ما رأى الفارب قاعاً على
الارض اليابسة والمد قد انكسأ ورفيقهم مقودين . وكنا نسمعهم ينادون بعضهم
بعضاً بصوت محزن ويقول احدم للآخر انا في جزيرة محصورة . اي انه يوجد
فيها مكان سيقتلونهم لا محالة عن آخرهم او شياطين وجان لا بد من انهم
سيقتلونهم جميعاً ويقتلونهم . ثم اخذوا يصرخون وينادون مرات كثيرة
رفيقهم باسمها فلم يكن من يجيب . ثم بعد قليل كنا نرام بواسطة ما كان بانها
من الضوء اللليل يركضون من جهة الى جهة يصفقون بايديهم كأنهم قد وقعوا
في حالة اليأس . وكانوا احياناً يذنبون ويحلمون في الفارب ليمتدحوا ثم
يجرجون الى البر ويصيحون وقد فعلوا ذلك مراراً كثيرة . وكان رجالي
يرغبون ان اسمح لهم ان يدمجهم بغتة في الظلام الا اني كنت ارجب ان انصرف
معه بالرفق واخلص البعض منهم واجبب دم العباد بقدر الامكان وعلى
الخصوص لاني لم ارد ان اخاطر بحياة احد من رجالنا . لاني كنت اعلم ان
القوم كانوا منسلطون بالعدا انكاملة . فصبرت لاري اذا كانوا لا يترقبون
مبتعدين بعضهم عن بعض . ثم لكي لا ادع احداً منهم بملت تقدمت بجياعتي
نحوهم وامرت جمعة والرئيس ان يديا على ايديها وارجلها ويديا منهم بقدر
الامكان بحيث لا يرونها وان لا يظنوا الرصاص عليهم الا بعد ان يصيرا
قريبين منهم

ولم يبق زماً طويلاً في تلك الحالة حتى اقبل ما شئت نحوها وكمل المركب
الذي كان منقاد العصاة في تلك القومة وقد ظهر حينئذ اجبت واضعف
منهم جميعاً وكان يرافقه اثنان من البحرية . وكان الرئيس منعطفاً جداً الى
وقوع ذلك الذي الخيف في يدي حتى انه بالكاد كان يقدر ان يمالك نفسه
وبصر الى ان يقرب منه بحيث لا يخطئه اذا رماه بالرصاص . لانها كانت قد
سماء يتكلم فقط ولم يراه . فلما صار الرئيس وجمعة اقرب الى القوم وقفنا
على ارجلها واطلنا عليهم الرصاص . فاصابا الوكيل فوق قهلاً في ارضه

واصابا ايضا احد رفبهرو في جسده فوقع صريعا يجاشو الا انه لم يميت الا بعد
 ذلك بساعة او ساعتين . واما الثالث فمرب بنمو . فلما سمعت صوت
 البارود تقدمت حالا بياني جشي وكاست جملتنا حينئذ ثمانية . اي انا قائد
 الجيش العظيم وجمعة فريق المعسكر والرئيس ورجاله والثلاثة الاسرى الذين
 كانوا قد سلخناهم . ففجئنا عليهم وكان ظلام فلم بقدروا ان يعرفوا عددنا .
 فاسرت الرجل الذي كانوا قد تركوه في القارب وكان حينئذ معنا ان يدعوم
 باسمهم لعله بقدر ان ينعمهم بالسليم وقبول شروط الصلح . فنادى باعلى
 صوته احدهم قائلاً يا توما سميت يا توما سميت . فاجاب توما سميت حالا
 وقال للنادي هل انت روبنصن . لانه كان كانه يعرف صوته . فاجابه
 روبنصن نعم نعم انا روبنصن اكراما لله يا توما سميت القوا سلاحكم وسلموا
 والا فقد قتلتم في هذه الدقيقة . فقال توما ولان نسلم . اين هم القوم . فقال له
 هم هنا . هنا رهننا وبعده خمسون رجلاً وقد صرفوا هاتين الماعزتين
 برصدونكم طالين فحاكم عن احركم . فان وكل المركب قد فحل ووبل فرأي
 جرح وانا اخذت اسيرا وانا كنتم انتم لا تسلمون فانكم علكون لا محالة .
 فقال توما سميت فهل تعطوننا الامان لكي نسلم . فقال روبنصن اذا وعدتم
 بانكم تسلمون فاني اذهب واسأل ولما سأل الرئيس قال الرئيس نفسه انت
 يا سميت تعرف صوفي اذا التينم سلاحكم حالا وسلمتم من دون فقال فعلمكم
 الامان جميعا ما عدا ول انكس

الفصل السابع والعشرون

ما جرى بين ول انكس والرئيس وتخليص المركب
وخروج رونصن كروزي من الجزيرة

وعند ذلك صرخ ول انكس قائلاً أكراماً لله ايها الرئيس اعطني
الامان ماذا علمت فانهم جميعاً مذنبون نظري . ولكن ذلك لم يكن صحيحاً .
لاننا بيان ان ول انكس هنا كان اول من قبض على الرئيس عند ما قاموا
عليه وعامله معاملة بربرية وقتل من يديه وشتمه شتماً مهيناً في العانة . فقال
له الرئيس يجب ان نسلح سلاحك من دون شرط ونشكل على راحة الحكمدار .
واباي عني بقوله الحكمدار لانهم كانوا دائماً يدعونني هكذا . فالتفت الجميع
استنهم وطلبوا الصلح والعفو عن دمه . فارسلت الرجل الذي كلمهم واتين
معه قنيدوم جميعاً . وعند ذلك تقدم جيتي المنظر الذي قال سنوري انه
خمسون رجلاً مع انه لم يكن الا ثمانية كما سبق واسمكروم واخذوا قاربهم .
الا اني انا اثبت صحيحاً عنهم مع حاجب لي اعشاراً لماسي وشان وظباني
ثم اخذنا في ترميم القارب والاهتمام بتخليص المركب . وقد صار حوض
فرصة للرئيس للسلام معهم فاخذ بعائتهم على خيانتهم له وسوء معاملتهم اياه
وبظهر لم رداهة عملهم وشتر عواقبهم وكيف كان مزمعاً ان يصل بهم الى الشقاوة
والضيقة فيما بعد وربما الى المشقة . فأتروا من تلك المواقظ وكان بيان انهم

فأبوه . وكانوا يخرجون مرامين على قدميه ان يفتو عنهم ويغفر لهم ما
افترطوه . فقال لهم ان ذلك ليس هو تحت سلطانهم ليسوا اسرا بل
اسرى حكماء الجزيرة . وانهم كانوا يظنون بانهم قد طرحوه على جزيرة
موحشة وغير مسكونة . ولكن الله قد ابطل نديهم لان الجزيرة هي مسكونة
وحكامها رجل انكليزي . والله يقدر اذا اراد ان يشقهم جميعا هناك
ولكن بما انه قد اعطاهم الامان ربما يرسلهم الى بلاد الانكليز لكي يعاملوا
صانك بحسب مقتضيات العدل والحفاية الا انكس فان حكماء الجزيرة
كان امره ان ينفروا بالاستعداد للموت لانه يشق في غد ذلك اليوم
صباحا

ومع ذلك لم يكن الا حيلة من الرئيس احدث فيهم التأثير المرغوب .
فركع انكس على ركبتيه واخذ بترجاءه مثلاً ان يوسط امره عند الحكماء
ويترجاه ان يفتو عنه وكان الباقون يخرجون ان لا يرسلهم الى انكلترا اكراما
لوجه الله الكريم

فلاح في حينئذ ان وقت نجائنا قد اتى والله يمكننا ان نجعل اولئك
الاسرى يساعدوننا من كل قلوبهم في تخلص المركب . وهكذا بقيت محبوسا عنهم
في الظلام لكي لا يروا ما هو حال الحكماء الذي هم تحت سلطان وناديت
الرئيس باسمه ثم ناداه الحاجب بعدي قائلاً ايها الرئيس ان جلاله الحكماء
يدعوك . فاجاب الرئيس حالاً قائلاً اعرضوا لجلالك بالي فاقدم . فارأى
القوم عند ذلك مضربين لاهم كانوا يعتقدون جميعاً بان الحكماء هو قريب
منهم مع رجاله الخمسين . فلما اقبل الرئيس اليه كاشفته بما في نفسي من امر
تخلص المركب فاعجبه ذلك جداً وعزم على اجراء قصدي في اليوم القادم .
ولكن لكي تفعل ذلك باكثر شجاعة وشجاعة فقلت له يجب ان قسم الاسرى والله
هو يذهب وبمسك انكس والذين آخرون من اردائهم ويرسلهم متقدين الى المغارة
حيث كان الرض منهم . ففوضت هذا الامر الى جمعة والرجلين اللذين اتيا

الى البر مع الرئيس فساروا بهم الى المغارة كانه الى من . وقد كان في الحقيقة
مكائنا مظهرا وعلى الخصوص عند قوم في حالتهم . واما البنية فارسلهم الى
خيمتي الجبلية التي سبق وصفها واذ كانت داخل سور وم مقيدون فيها كانوا
في محل حفظ لا يخشى من ان يهربوا منه وعلى الخصوص لان نجارتهم كانت
متوقفة على سلوكهم

ثم ارسلت الرئيس صباحا الى اولئك القوم لكي يكلمهم ويرى اذا كان
يمكن الاركان اليهم في الذهاب الى المركب والهموم على من بقي فيه لاجل
تخلصو . فبين لم الرئيس الضرر الذي لحق به من جرى تصرفهم المعلوم والحالة
التي اوصلم ذلك التصرف اليها . ومع ان الحكمدار اعطاهم آلات
الامان على انفسهم فاذا ارسلوا الى انكسار يستقون هناك جميعا لاجل حاله ولكن
اذا ساعدوا في هذا العمل العادل وهو تخلص المركب من ايدي اولئك
الخصوص يتعهد هو لم باقتناع الحكمدار بان يطيب خاطرهم ويعفو عنهم
ولا يخشى ان من كان في حالتهم لا توجد صعوبة في اقتناعه بقول ذلك
الامر فركبوا على ركبهم امام الرئيس ووعده بكل تذلل وانكسار بانهم
سيكونون اساءة له الى آخر نقطة من دمهم . وقالوا ان حياتهم هي من عند
وانهم سيذهبون معه حينما اراد ويتبرونه كاتب لم ما داموا احياء . فقال لم
الرئيس فاذا يجب ان اذهب واخبر الحكمدار بما فلتسوه وانرجاه لعل
اقدر ان استعطف خاطره واقنعه بالعفو عنكم . وهكذا رجع الي واخبرني
بأحوالهم وحاسباتهم وبانه معتقد ببقائهم بانهم سيكونون اساءة . ولكن لكي تكون
في امان تام قلت له ان يرجع ثانية ويختار منهم خمسة ويقول لم انه لكي
يؤكد لم انه لا يحتاج الى رجال يأخذ اولئك الخمسة فقط لكي يساعدوه وان
الحكمدار يبقى عند تحت الحفظ الاثني الباقيين مع الثلاثة الذين كانوا قد
ارسلوا مقيدين الى القاعة نظير رهن على صدق الخمسة حتى اذا ظهرت منهم
ادنى خيانة يثنى الخمسة الذين ابقاهم عند رهن مقيدين بسلاسل من حديد

على الشاطئ . فاستدلو من ذلك على ان دعواهم ممسوكة بصرامة وفتعوا
بان الحكماء كان عازماً على اجراء ما نودعهم به . فانتد عليهم الخطب جدا
ولكن لم يكن لهم باب الا القول والاجابة الى المطلوب . ومن ثم صار الاسرى
يجهدون اكثر من الرئيس في تحذير الخمسة الباقين من الخلفاء والثارم
بصدق الخدمة

وكان جيشا كما يأتي اولا الرئيس وثاني الرئيس والراكب . ثانيا الاسيران
الثلاث مسكاهم في المعركة الاولى وقد اطلقنها ولحقها بناء على شهادة الرئيس
فيها . ثالثا الاسيران الاخيران الثلاث كنت قد اتقنها الى ذلك الوقت في
خيمتي مقيدتين وقد اطلقنها اجابة لالتاس الرئيس . رابعا هؤلاء الخمسة
الذين اطلقناهم اخيراً فكانت الجملة اثني عشر بين ضابط ونفر . وذلك ما عنا
الخمسة الذين اتقناهم محبوسين في المغارة رها

فما لك الرئيس هل يريد ان يدم المركب بأولئك النور . وقلت له اني
انا وجمعة لا يصلح ان نشارك الجزيرة لانه كان باقياً عندنا سبعة رجال في
الحبس . وكان علينا ان نحفظهم معتقلين بعضهم عن بعض ونقدم لهم ما يلزمهم
من الثوت . وذلك شغل كاف لنا . فاما الخمسة الذين في المغارة فالتب
عزست على حفظهم مقيدتين . وكان جمعة يذهب كل يوم مرتين اليهم ويقدم
لهم احتياجاتهم . وجعلت الاثنين الباقين يحملان الزاد الى مسافة معينة
وهناك كان جمعة يسلمة منهم ويذهب به الى الخايس

وكان الرئيس معي لما اظهرت نفسي لذيتك الاسيرين فقال لم عني هذا
هو المعتد من قبل الحكماء فمن امر الحكماء لا نذهب الى مكان
ولا نملا عملاً الا بأمر المعتد فاذا خالفنا امره فتوجهنا الى القلعة
ونطلب بالحديد . فالحذر ثم الحذر من الخلف . وهكذا كنت انظرهم الآن
كأني غير الحكماء وكنت أتكلم في كل الاوقات عن الحكماء والجند
والثلة وما اشبه ذلك نويها عليها وترهيباً لها

فاخذ الرئيس حينئذ يجهز قاريه ويعد ثوب احدهما ويضع بحرية
 فيها . فاقام الراكب الذي كان مسافراً معه رئيساً اقارب الواحد ووضع
 تحت امره اربعة رجال . ودخل هو وثاني الرئيس وخمسة رجال في القارب
 الآخر وبعد ان تأمروا جيداً اخذوا في التذيق فوصلوا الى المركب عند
 نصف الليل . وحالما صاروا عن المركب على قدر امتداد الصوت امر
 الرئيس رويصن ان يناديهم ويقول لم انهم اتوا بالرجال والقارب وانهم
 صرفوا زمناً طويلاً حتى وجدوم وما اشبه ذلك . وكان يشغلهم بالحديث
 الى ان صاروا على جانب المركب . وعند ذلك دخل الرئيس وثاني الرئيس
 اولاً الى المركب بالحنها وضربا ثلث الرئيس والحجار بفندق بارودتها
 وطرحاها على ظهر المركب صريعين . وكانت رفاتها قد نيموها وساعدوها
 بنصاحه وامانة وقبضوا على كل الذين وجدوم على ظهر المركب واعقلوم
 واخذوا يعدون المنافذ ليمسوا من المخرج الذين كانوا في جوفه والذين
 هربوا اليه وتحصنوا فيه . وبعد ان سدوا كل المنافذ جيداً امر الرئيس ثاني
 الرئيس وثلاثة رجال معه ان يبقوا العبير الكبير حيث كان الرئيس الجديد
 العاصي مخبئاً وكان قد نلج مع رجلين و غلام من اتباعه واستعدوا للقتال .
 فلما فتح ثاني الرئيس ومن معه باب العبير رماهم الرئيس الجديد واتباعه
 بالرصاص فاصابوا ثاني الرئيس برصاص حتى ساعده وجرحوا اثنين من
 جماعته الا انهم لم يقتلوا احداً منهم . فاستمهم ثاني الرئيس قومه ونار وهي
 مخرج هكلا الى العبير واطلق طبعته على الرئيس الجديد فاصاب الرصاص
 راسه داخلاً من فيه وخارجاً من وراه احدى اذنيه فسقط ميتاً ولم يطق
 بكلمة . وعند ذلك سلم الباقيون وسلم الرئيس الشرعي مركبه من دون ان يقتل
 احداً ايضاً

فلما خلاص المركب امر الرئيس باطلاق سبعة مدافع علامة للصر كما
 كانت الرابطة بيني وبينه . فلما سمعت اصوات المدافع فرحت جداً لاني لست

سهران على الشاطئ الى ما بعد نصف الليل يساعدين انظر تلك البشارة .
 فلما تخفت الغلبة اضطجعت واذ كان يوم نعب وعناء شديد علي كنت مستغرقة
 الى ان ابطني بغنة صوت بارودة فالتفت من النوم واذا رجل يدعوني
 ناديا اباي ماداً صوته قائلاً يا حكيم يا حكيم . فعرفت ان ذلك
 هو صوت الرئيس وصعدت الى رأس القل فوجدته هناك فاحضني مائفاً
 اباي وادار الى المركب وقال يا مولاي العزيز فاك مركبك لانه لك يحملو
 وكذلك نحن وكل ما يختص بالمركب قد صرنا خاصتك . فالتفت نحو
 المركب واذا به رأس على مسافة أكثر من نصف ميل بلبل عن الشاطئ
 لانهم كانوا قد رفعوا مرسانه حالما نكروا واذ كان الهواء جيداً اتوا به وارسلوه
 مقابل مصب النهر واذ كان المد مرتفعاً جئت وصل الرئيس بالقرب الى
 الثرب من الموضع الذي وصلت اليه فيلاً بطوا في وخرج الى قدام باب منزلي .
 وكنت في اول الامر اتبع الى الارض مقلداً علي من الدهشة لاني رأيت نجاني
 قد وضعت حقاً بنوع محسوس يدي وكل الاشياء مبسورة لي ومركباً كبيراً
 معاً ليحمني ذاهباً لي حيث شئت . وفيت في اول الامر من لا استطع ان احجب
 الرئيس بكلمة . واذ كانت قد احضني يديو تمكنت به . ولولا ذلك لكانت
 سقطت الى الارض مفتي علي . فلما رأى الرئيس ما اعتراني من الدهشة انزع
 قهقهة من جيو وسفالي درهماً من ارباح مزحة متعشة كان قد اتى بها .
 عمداً قدياً لي . وبعد ان شربت ذلك قعدت جالماً على الارض ومع الي
 استنقت بواسطة ذلك بقيت من لا استطع ان اكله بكلمة . وكانت الرئيس
 المسكين في حالة سهو شديد نظيري الا انه لم يصب ما اصابني من الدهشة
 والذهول . وكلني بالف شيء لطيف ورفق لكي يرد روعي الي ويسكن
 قلبي . ولكن كانت تيارات الفرح مزدحمة في صدري في هذا المنظر حتى اوقعت
 كل حاسباتي وعواظي في حالة الشوش والذهول الى ان انفجرت دموعاً
 فانفجرت بها وانطلق لساني الكلام . وبعد ذلك احضت ذلك الرئيس

معافاً اليه كشف لي وفرحنا كلانا متبهين معاً . ثم قلت له اني احب انظر
انسان قد ارسل من السماء اليي بخلصي وان كل تلك الحوادث ليست باقل
من سلمة من الجانب وان تلك الامور هي شهادة لنا بوجود يد مربية فائقة
تدير العالم ودليل على ان عين القدرة الغير المتناهية تدرك ابعاد جبهة من
العالم وترسل عوناً للباقيين متى ارادت . ولم اتعافل عن رفع قلبي بالشكر
نحو السماء . واي قلب يمكنه ان لا يبارك ذلك الذي عاينته بنوع عجيب في
قصر كهذا وحالة موحشة كهالتي والذي يجب الاعتراف والاقبال دائماً بان
كل نجاه يحصل عليها انما تصدر من عنايته النافذة

ثم بعد ان تكلمنا مدة قال لي الرئيس انه قد اتى اليه بعض مشروبات
ومأكولات من المركب ما فضل عن الاشياء الذين بقوا مدة طويلة
يستولون على المركب بمنعون بها فهو . ثم نادى باعلى صوتي الصرير الذين
في القارب واسم ان بانوا الى البز بالاشياء التي اتى بها هدية الى
الحكماء

وكانت تلك الهدية كلها تنير الى ان لم يكن زمناً ان اسافر معهم بل
ان اتى مقبلاً ايضاً في الجزيرة . فانه اتى اليه صندوق قنار مملوء من ماء
الكربرة وست قنار كبيرة من خمر ماديرا ونحو اربع اواني من النعج الجدد
الفاخر واثنى عشرة قطعة من لحم البقر وست قطعة من لحم الخنزير وكيس
مملوء من اللبون وقنيتين من شراب السفرجل واشياء اخر كثيرة . وقدم
لي ايضاً ست قمصان كتان جديدة وست ربطات رفيعة جيدة وزوجي كنوف
وزوج احذية وزوج جوارب وبدلة جيدة من ثياب كانت لم يلبسها الا قليلاً .
وكانت هذه اكثر فائدة لي من باقي الاشياء الف مرة . وبالاختصار اقول
انه كما اني من فمة رأسي الى كعب رجلي . وكانت تلك الهدية الطيبة ودليلاً على
معروف الرئيس وحنانه وكرم اخلاقه ولا سيما عد من كان في حالتي .

ولكن اكتفى بذلك الملايكة كان في اول الامر من اصعب الامور وانعيا
عدي

وبعد ان فرغنا من تلك الاستعدادات وادخلنا كل الاشياء التي اتاني بها
الى منزلي اخذنا تقاور ماذا نعمل بالمهاجيس الذين عندنا . وكان امر اخذهم
معنا او تركهم في الجزيرة ما يستحق النظر والبحث وعلى الخصوص انان منهم
كما نعلم بانها لا يبلان الاصلاح وعائين في الغاية . فقال الرئيس انها تترك
المجمل وما تترك ان جدا حتى ان عمل المعروف معها يكون ضائفا . وانه اذا
اخذها مع يجب ان يأخذها متهدين بالمديد كفتاتلين لكي يسلمها لهم في
اول بلاد تصل اليها في حكم الانكليز . واذ رأت الرئيس مدعجا جدا من
هذا الامر قلت له اني اذا اراد استدي ذبك الرجلين اللذين اشار اليها
وانعيا بان يطلبنا ان يخلها في الجزيرة . فقال يا حيفا لو صح ذلك . فقلت
له فاذا ارسل انا فاحضرها واكلمها بشأن ذلك . فدعوت جمعة والابريست
الذين كانوا عندنا رجا وكنا قد اطلقناهم لان اصحابهم لما بامانة ما تعهدوا به
ولرسلهم الى الغارة لكي يأتوا بالخمسة الرجال الى الخيمة متهدين وبينوم هناك
تحت الحفظ يحضرون فدوي الهم . ثم بعد قليل توجهت الى هناك بيدي
الجدي وكانوا لا يزالون بدعوني بالحكماء . فلما وصلت الى الخيمة والرئيس
معي استحضرت القوم بين يدي وقلت لهم انه قد تقرر لي كل ما فعلوه من
القبائح ضد الرئيس وكيف كانوا قد عصوا بالمركب وكانوا مستعدين لان
يرتكبوا تعديات وكبار اخرى الا ان العناية الالهية قد اوفعتهم في شرطهم
والقهم في الحفرة التي استفروها لغيرهم . واخبرتهم بان قد وقع القبض على
المركب سامري وهو الان في المينا وبانهم سمعوا بعد قليل ان رئيسهم
الجديد العاصم قد نال جزاء اعماله الخبيثة ومروءة باعينهم مستوقفا في
سامري المقدم . وقلت لهم اني اريد ان اعلم ماذا يقدرون ان يقولوا اعتذارا
عن انفسهم ما يعني من ان انقلهم نظور لصوص بحر او كما يقال فرصان قد

أخذوا في ذات الفعل . لأنه ينبغي لم ان يعلموا بان لي سلطانا لا ريب فيه ان
افعل ذلك .

فاجاب احدكم بالاصالة عن نعمه والوكالة عن اليه انه ليس عنده ما
يقولونه الا هذا وهو انه لما ألقى القبض عليهم وعدم الرئس بالعفو عنهم وانهم
يطلبون منه بكل تدبير ان اعاملهم بالرحمة . فقلت لم لست اعلم ما هي الرحمة
التي اعاملهم بها . لاني قد عرفت ان اسافر من الجزيرة مع كل رجالي وقد
انفقت مع الرئيس ان يأخذني معه الى انكلترا . فاما الرئيس فانه لا يمكنه ان
يأخذهم معه الى بلاد الانكلترا الا نظير اسرى متولين بالمحدد لكي يجري
محاكمهم هناك كخائنين ولصوص . ولا ينبغي عنهم انه سيجم عليهم هناك بالشق .
ولهذا لا يمكنني ان اعلم بان يوجد لهم طريق احسن من البقاء في الجزيرة . فاذا
ارتضوا بذلك فاني اذ كانت لي الحرية في السفر من الجزيرة لي بعض المال
ان اعنو عن دهم اذا رأوا انهم يقدرون ان يبقوا في البر . فبان لي انهم
كانوا محظوظين جدا بذلك وقالوا انه احب اليهم كثيرا ان يبقوا في الجزيرة
من ان يوحّدوا الى بلاد الانكلترا لكي يبقوا هناك كقطاع طريق . وعند ذلك
انقطع الحديث بيننا

ولكن الرئيس كان يتظاهر بان ذلك لا يجيء وكأنه لا يخاف ان يتركهم
هناك . وعند ذلك نظاهرت كافي مضايق قليلا من الرئيس وقلت له انهم
اسراي لا اسراء واذ كنت قد توارلت معهم الى هذا الحد من المعروف لا بد انه
يضر بغيري ان ارجع في كلامي وانه اذا لم يرتض بذلك فاني اطلقهم كما
وجدتهم وحيثما فليسكنهم اذا قدر . وعند ذلك شكروا فضلي كثيرا وفي
الحال اطلقهم وامرهم ان ينصرفوا الى الاحراش حيث كانوا قبلا وقلت لم اني
اترك لم بعض اسلحة وذخيرة وبعض نصائح وتعليمات ترشدكم الى العبث بالراحة
اذا استحسنوا ذلك . ثم اخذت اناسي للاطلاق الى المركب وقلت للرئيس
الي ابقى تلك الليلة في البر لاجل تجهيز اموري . وطلبت اليوان يذهب الى

الركب ويسمى لسفر ويرسل لي في القيد قارياً بأخذلي . وامرته امرأ
مقدماً ان يشق الرئيس الجديد الذي كان قد قتل على راس ساري المقدم
لكي يراه اولئك الاسرى

ثم بعد انصرف الرئيس انحضرت الاسرى الى محدي واخذت انكلم
معهم بكل حرارة وجد عن احوالهم . وقلت لم الي اري انهم قد اختاروا لانفسهم
النصب الاحسن لانه اذا اخذم الرئيس معاً لا بد من شتمهم . واربهم الرئيس
الجديد مشوقاً على ساري المركب وقلت لم انه لم يكن لم وجه لاني نظروا
فصاحوا اقل من ذلك

فلما اطلق راعهم جميعاً على ان يكتفوا في الجزيرة قلت لم اني اخبرهم بنص
اقامني فيها واعلمهم كيف يمكنهم ان يعيشوا هناك بالراحة والرضى . ثم قصص
عليهم اخبار الموضع وكيفية اني الي واربعهم قلعتي وكيفية اصطفاي الخبز
وزرعني الحبوب وقبضي العنب وبالاختصار كل ما يلزم لراحتهم ورفاهتهم
واخبرتهم ايضاً بنصه السبعة عشر اسبوعاً الذين كانوا مزبوعين القدم الى
الجزيرة وقد تركت لم يدم مكتوباً وجعلتهم يعمدون لي بانهم يحسنون
معاملتهم ويساونهم بانفسهم . وبكنا ان نذكر هنا انه كان عند الرئيس في
المركب حبر وقد تعجب من اني لم اكتشف على طريقة عمل الحبر من النعم
والماء ومن شجرة آخر مع اني قد عملت اشياء أخر كثيرة اصعب من
ذلك جداً

وتركت لم السحبي اي خمس بواريد حرية وثلاث بواريد صيد وثلاثة
سوف وما كان باقياً عندي من البارود وهو أكثر من رميل ونصف لاني
بعد السنة الاولى او الاولى والثانية ايضاً لم استعمل الا قليلاً من البارود ولم
اعطى شيئاً منه . واوضحت لم كيفية تدويري المعزى وكيف كنت احلبها
واسمها واعمل السمن والخبز من حليبها . وبالاختصار اخبرتهم بكل قسم
من قصتي وقلت لم اني اترجى الرئيس ان يترك لم يرسلت من البارود

وقليلاً من ضرر الجنائن ما كنت امرؤ جذاً لو حصلت علي. واعطيتهم
كيس اللوبيا الذي اعطاني ابيه الرئيس وحرضهم على زرع ذلك وزيادته
بهذه الوسيلة

وبعد ان فعلت ذلك جمعة تركهم في الغد وذهبت الى المركب وحيثما
حالا للسفر الا اننا لم نطلع تلك الليلة. وفي اليوم القادم باكرآ الى رجلان من
الخدمة الذين تركاهم في الجزيرة ساجدين الى جانب المركب وطلبنا ان نقلها
اكراماً لله في المركب لانها كانتا يخافان من ان يقتلها الباقون واخطا بنرايمان
منوافعين على الرئيس ان نقلها وان كانت بدسها حالاً. وعند ذلك تفاهم
ان لاسطة له على ذلك بدون امرى. الا انه بعد وعدنا الوفاق بالاصلاح
قيلها بصعوبة في المركب وبعد ان بقيا مدة يطلان جداراً شديداً وبوديان بصرامة
كل يوم صاروا اميين طابعين ومادين الى الغاية

ثم بعد ذلك بنقل ارجل الرئيس فارياً الى البر حيث قيو الاشياء التي
وعدت بها الاسرى وبعت لهم معها اكراماً لحاطري صناديقهم وثيابهم فاخذوا
ذلك بالشكر. وكنت قد وعدتهم جيراً لحاطرم باي اذا قدرت سارسل
مركباً يأخذهم ولا انسام

ولما ودعت الجزيرة اخذت معي الى المركب لاجل الذكر التبع الكبير
الذي علمته من جلود المعرى ونسختي واحداً من بغالاتي. ولم اتسك ان
أخذ النقود التي ذكرتها قبلاً وكان قد بقي عليها مدة طويلة عندي من
دون ان استفيد منها شيئاً حتى علامها العفن والوخ ولم تعد نعرف انها فضة
الا بعد فركها قليلاً وتناول الايدي لها. واخذت ايضاً الدرهم التي وجدتها
في المركب الاسبانيولي ومكنا فارقت الجزيرة في اليوم التاسع عشر من شهر
كانون الاول كما ظهر لي من دفتر المركب وذلك سنة ١٦٨٦ بعد ان
صرفت فيها ثمانى وعشرين سنة وشهرين وتسعة عشر يوماً. فخلصت من هنا

السي الثاني في نفس اليوم والشهر الذي هربت فيه في الكوثر من بد مغاربة
ملي. وبعد سفر طويل في ذلك المركب وصلت الى بلاد الانكليز في ١١
حزيران سنة ١٦٨٧ بعد ان بقيت غائبا خمساً وثلاثين سنة

نعر

ان اللبالي ثلاثام مناهل نظوى ونشر دوما الاعار
فصارهن مع المصوم طوبى وطوافن مع السرور قصار

الفصل الثامن والعشرون

ذهاب روينصن كروزي الى لسبون ومقابلة الرئيس
البرتوغالي وذهابه من هناك الى
انكلترا برا

فلما وصلت الى بلاد الانكليز كنت غريباً عند جميع الناس كاني لم اكن
قط هناك. وان الحصة التي وخزيتي الامية التي كنت قد تركت مالي بيدها
كانت لم تزل حية الا انها صادفت مصائب كثيرة في العالم وترملت ثانية
وصارت فقيرة جداً. ولم اشد عليها في طلب ما كان لي عندها بل اكدت
لها بالي لا ازعجها بل بالبحري اساعدها بقدر ما نسم لي بوساطتي وفاء
لمعرفتها بخوي. ولم اسها عند ما كان عندي كفاه لمساعدتها كما سياتي بيانه

في مكاء . ثم اتحدث بعد ذلك الى بوركندر . وكان ابي وامي توفيها وكل
العائلة انقضت الا اخذين وولدين لاجد اخوتي . واذ كانوا قد غلبوا الي
من منذ زمان مديد لم يحسبوا لي حسنا . وهكذا لم اجد شيئا يساعدني في
قضائي حاجاتي والنفود القليلة التي كانت عندي كانت غير كافية لان تساعدني
كثيرا في معيشتي في الدنيا

الا انه عمل معي معروف لم اكن انظره . وذلك ان الرئيس الذي
خاضت وخاضت مركبة ووسيلة كما سبق اخبر اصحاب المركب بما عمله من
المعروف من هذا القليل وكيفية خلاص حياة الرجال والمركب فكلوني
ان اجتمع بهم وشجار آخرين لم تعلق بذلك المركب . ولما اجتمعت بهم
شكروني جميعا شكرا جميلا على ما عيانه وقدموا لي صرة فيها نحو مائتي
ليرا انكليزية

ثم بعد ما تأملت مدة في ظروف حياتي وكيف ان ذلك لا يفي لتسليك
اموري في العالم عرفت على السفر الى لسون لعلي انهم شيئا هناك عن احوال
عشاراتي في البرازيل واحوال شريكتي الذي كانت لي اسباب تعلمي على الظن
بانه يكون قد حسب باني من منذ سنين كثيرة . وهكذا ركبت مركبا متوجها
الى لسون فوصلت الى هناك في شهر نيسان تلك السنة . وكانت خادمي
جميعا مرافقا لي بكل امانة في كل هذه الاسفار وكانت اصدق خادم في جميع
الاحوال . فلما وصلت الى لسون وجدت بواسطة الشخص صديقي القديم
رئيس ذلك المركب الذي قبلني في ما كنت ماركا على شطوط افرقة ففرحت
جدا بمصادفني اياه . وكان قد شاخ واعتدل السفر في البحر ووضع ابنه
الذي كان قد تجاوز سن الشباب في مركب وكان لا يزال يتعاطى تجارة
البرازيل وان الرجل الشيخ لم يعرفني ولا انا عرفته في اول الامر الا في تذكرته
وذكرته سريعا بنفسه لما اخبرته من انا

ثم بعد ان صرفنا مدة في الكلام عن اماننا واحوالنا اقدية سأله عن

غفاري وشركي فاحبرني انه لم يضر الى البراريل منذ نفع من ثمرتها وانه
عند ما سافر من هناك كان شركي لم يزل حياً . واما الوكيلان اللذان
افسها معه على حصتي فكانا كلاهما قد ماتا . وانه مع ذلك يظن ان ستكون
لي اخبار جيدة جداً عن قدم املاكي هناك وذلك لانه عدد نوازل الاخبار
بالي قد عرفت قدم وكيلاتي حساب محمولات سهي من الغفارات الى ناظر
الاملاك وهذا خصص ثلثها بالملك والثلثين للباقيين بدور مار او غططونوس
لاجل توزيعها على الفقراء ولاجل رجوع اليهود الى الايمان الكاثوليكي وذلك
على شرط ان لا آتي ابدأ واطلبها ولكن اذا تقدمت لنا او احد آخر بالوكالة
عني لاجل الادعاء بالارث يجب تسليم الغفارات عينا واما الغلال فلا ترجع
لانها تكون قد صرفت في اعمال الصدقة . واكد لي ان ناظر الاملاك المقام
من طرف الملك ووكيل الدير كانا يطلبان كل سنة من شركي الذي كان
واقفاً بناءً على الاراضي حساباً مدفوعاً عن الغلال ويسنولان على النصف
الذي يخصني . ثم سأله الى اي درجة من التقدم كان قد اوصل تلك الاملاك
وهل يظن انها تحقق ان يسأل عنها او هل اذا ذهبت الى هناك اصادف
مانعاً من استلام حصتي التي هي حق شرعي . فاجابني انه لا يهك ان يخبرني الى
اي درجة من التقدم وصلت املاكي الا انه يعلم ان شركي صار غنياً جداً
بواسطة ثمنه وسهم منها وانه على قدر ما يذكر قد سمع ان تلك الملك من
حصتي الذي يبان انه كان يعم ويعلو دير آخر او محل للفقراء كان يبلغ
اكثر من مائتي لورا برونغالية كل سنة اي نحو الف ومائتي ريال . واما امر
استلامي لها من دون صعوبة فهو ما لا يشك فيه وذلك لان شركي لم يزل
حياً وهو يشهد بان لي حق الاستيلاء عليها . وهنا ذلك ان انسي هو مجمل في
دفتر البلاد . وقال لي ايضا ان وراثته وكلي هم ابناء صادفون واغنياء جداً
وانه لا يشك بانهم يساعدوني في استلام ملكي واني سأجد في ايديهم مبالغاً وافراً
من الدراهم لحسابي من غلة الاملاك التي نضمت في منة وكالة والديهم اي قول

ان التقلت على الوجه الذي ذكره . وان تلك المدة كانت على قدر ما يذكر
نحو اثني عشرة سنة

فظهرت على "لوائح الانزعاج والاضطراب عند ما سمعت من الاخبار
فسالت الرئيس الشيخ كيف امكن الوكلاء ان يصرفوا مكلنا ملكي مع اني كنت
قد كنت وصفي واقربته هو اي الرئيس البرنوغالي ورفقا حائنا لكامل تركي
الشيخ . فاجاب ذلك صحيح ولكن اذ كان لا توجد بينه تيمت الي مت لم يكن
يمكن ان يجري وصفي الا بعد تأكد وفاتي وانه فضلاً عن ذلك لم يشأ ان
يتدخل في امر بعد موتنا المختار . وانه كان قد سجل وقدم دعواه ولو امكنه
ان يثبت اني قد مت او اني باق في الحياة لكان نصرف نظير وكيل او وصي
واستولي على محل السكر وقوض الى ابو الذي كان حينئذ في البرازيل امر
النصر فيه . ثم اردف ذلك بقوله ولكن حدي خبر صغير اخبرك وربما
لا يترك نظير باقي الاخبار وهو اني اذ افكرت انك قد مت وكان الناس
جميعاً يذكرون مكلنا عرض شريكك ووكلائك ان يحاسبوني بالوكالة عنك
عن الست السنين او الثاني السنين الاولى فقبلت ذلك منهم . واذ نفذ في
ذلك الوقت مصاريف كثيرة لاجل زيادة الاشغال وعمل السكر
ومدبري العيد لم يكن الربح حينئذ بقدر ما كان في ما بعد . وما قدم لك
حساباً حقيقياً عما وصل ليدي وعن كيفية تصرفي و

ثم بعد ان صرفت بعض ايام ايضا في الحديث مع ذلك القديس القديم
قدم لي حساب دخل الست سنين الاولى ممضياً من شريك ووكلي وكان قد
استولى عليه عينا اي النبع حرمنا والسكر صناديق ما عدا الروم والديس الخ
ما كان ينفع من محل السكر . ووجدت لدى فحص ذلك الحساب ان
الدخل كان يزيد كثيراً سنة فسة . ولكن اذ كانت المصاريف باهظة كما
تقدم كان الصافي من الدخل اولاً قليلاً . الا ان ذلك الرجل الشيخ اراني مع
ذلك انه كان لي في ذمتي اربعة مائة ومعون لبرنوغالية وسنوت صندوق

سكرو خمس عشرة حزمة مزدوجة من الشبغ فقلت في مركب عند ما انكر
وهو راجع الى اسبون وذلك بعد سفري من الموضع نحو احدى عشرة سنة .
ثم الشبغ المسكين يشكى لي من النكبات التي حصلت له حتى الازم ان يصرف
دراهمي في تعويض خسائره ويشترى سهم في مركب جديد . ثم قال ولكن
يا صديقي التقدم الي لا ادعك فحتاج ولا تقع في ضيقة من جهة الندبة وبعد
ان قال ذلك اخرج جراباً عنقه واعطاني منه وسنتين ليرا برنوغالة ذهباً ثم
ناولني حجة المركب الذي كان ابنة قد سافر فهو الى البراريل وكانت له فهو
ربع ولا ربع ووضعها رها يودي على المبلغ الذي بقي لي عند

فأثرت جداً من امانته ومعروف ذلك الرجل المسكين حتى اني لم اطلق
ان احمل ذلك . وبعد ما تذكرت ما عساه لاجلي وكيف فباني سبغ مركب
وكان في جميع الاوقات كرمياً نحوي وعلى الخصوص خلوص محبة لي في ذلك
الوقت كدت لا انا لك نفسي من الكاء عند ما سمعت ما قاله لي . واذلك
سأفة اذا كانت ظروف حاله تسع له بالاستغناء في ذلك الوقت عن المبلغ
الذي دفعه لي واذا كان لا يحصل في ضيقة من جري ذلك . فاجابني انه لا
يقدر ان يقول الا ان ذلك بضايفه قليلاً ولكن المال مالي وربما كنت محتاجاً
اليو اكثر منه

وكان كل ما قاله ذلك الرجل الصالح موعباً محبة وحنوا وكنت بالكد
اضبط دموعي عند ما كان يتكلم . فاخذت فقط منه ليرا من الليرات
وطلبت قلماً وحبراً لكي اعطيه وصلاً بذلك ثم ارجعت له ما بقي وقلت له اني
اذا حصلت على املاكي سارجع له ايضاً المئة التي اخذتها . وقد فعلت ذلك
في ما بعد . واما حجة المركب فأبست رأياً قبولها رهاً لاني كنت مغفلاً اني اذا
استجبت الى الندبة فلما كان منطوباً علي من الامانة سددت ذلك اذا قدر
من دون احتياج الى رهن واذا لم ارجع الى ذلك بل استوليت على ما جعل
لي املاً في انظاره لن آخذ منه ايضاً درهماً واحداً

و بعد ان فرغنا من ذلك سألني الرجل الشيخ اذا كنت اريد ان بدلي
على طريق لاسترجاع املاكي . فقلت له ان مرادي ان اذهب الى هناك بنفسي .
فقال انه يمكنني ان افعل ذلك ان شئت ولكن اذا لم اشأ ان اتوجه الى هناك
فوجد طرق كثيرة للحصول على حقي والاستيلاء سريعاً على ارباحه . واذ كان
حبيبي في مينا لسيون مراكب على همة السفر الى البرازيل اشار علي ان افيد
اسمي في سجل الحكومة مع شهادتي بكوني باقياً في الحياة وكوني انا نفس الرجل
الذي اشترت الارض لاجل زرع وتعمير تلك المزرعة اولاً . ثم بعد ان قيد
ذلك ناظر الاملاك وفتح عليه بخطوه وختم مأموريته وعلق عليه ورقة وكالة اشار
علي الرئيس ان ارسله مع مكتوب بخطه الى تاجر من معارفه في البرازيل
واخي عنداً منتظراً بحبي الجواب

ولم يمر شيء باكثر نصاحة وشرف مما اجرى به تلك الوكالة لانه في
اقل من سبعة اشهر ورد الي رزمة كبيرة من ورناء وكيلي اللذين سافرت تلك
السفرة المشقوقة على حسابها وكانت تلك الرزمة تحتوي على المكاتب والاوراق
الآتية

اولاً صورة الحساب الجاري لمحصولات مزرعتي من السنة التي كان
والثام قد قدما فيها حساباً للرئيس البرنوغالي ابي عن مدة ست سنين
فكان الصافي لحسابي بعد كل المصاريف الفاً ومئة واربعاً وسبعين ليرا
برنوغالية

ثانياً صورة حساب محمولات اربع سنين اخرى عند ما كانوا واضعين
يدم على الاملاك قبل ان ادعى الى الحكم بحبي الاستيلاء عليها بناء على انها
تركة شخص منقود وكانوا يسمون ذلك موتاً شرعياً . وكان صافي ذلك بعد
المصاريف نحو ثلاثة آلاف ومئتين واربعين ليرا برنوغالية لان قيمة المزرعة
كانت قد زادت كثيراً

ثالثاً صورة حساب رئيس دير مار اغوستينوس الذي كان قد استولى
على ما يخصه من المحصولات أكثر من مئة أربع عشرة سنة ولكن اذ كانت غيرة
ملتزم ان يحاسبها عما صرفه في البر اقر بكل امانة انه كان باقياً يترك من دون
توزيع ثمانية واثنان وسبعون لهما برنوغالية فقرر انهما محفوظات تحت امري .
واما حصة الملك فلم تحصل لي منها شي

وكان في تلك الرزمة مكتوب من شريكى بهننى بكل محبة بالسلامة
وتجبرني عن تقديم المربعة وما يدخل منها كل سنة . ويذكر كمية مساحتها
وكمية زرعها وعدد العبيد فيها . ثم بعد ان رسم في المكتوب اثنين وعشرين
صلياً طلباً للبركات قال انه صلى كمية معينة من السلام لك يا مريم شكراً
لمريم العذراء المباركة على بنائي حياً . وانح علي في المكتوب بالحضور والسلام
ما يخصني او ان اخبره من هو الشخص الذي اريد ان اسلمه ما يخصني اذا
لم انا الحضور بنفسى . وختم المكتوب بتأكيدات محبة الخالصة القلبية والسلام
عاشقو الحروسة . وارسل لي حبة خمسة جلود لطيفة من جلود النمرودة كانت
قد ارسلت لك من افرقية في مركب بيان ان سفرة كانت مفروقة بالتوفيق
أكثر من المركب الذي سافرت انا فيه الى هناك . وارسل لي ايضاً خمسة
صناديق فيها حلويات فاخرة وخمسين قطعة ذهب مطروقة ولكمها لم تكن
كبيرة بقدر الليرة البزنطانية . وارسل لي وكلاهما مع المركب نفس النما وشمعي
صندوق من السكر وثمانية حبة من التبع وباتي الحساب ذهباً

ويجنى لي ان اقول ان اخريات ابوب كانت احسن من اوليان ولا افقد
ان اشرح ما خاضني من المحور والهيئة عند ما وجدت كل ثروتي حولي .
وبما ان مراكب المراكب ناني دائماً عبارات معاً فان نفس المراكب التي انت
بكتاني انت بضائني ايضاً . وكانت الامتعة قد وصلت الى ميناء الامان قبل
ان وصلت المكاتب لىدي . وبالاختصار اقول انه اصغر لوتي واصالي بموع
عد وصول تلك المكاتب ولو لم يبادر الرئيس وبأني روح الشداد كانت

الدهشة العجائبة الناجمة من شدة الفرح غلبت الطبيعة وكنت وقعت متناجية
ارضيا او كما يقال في سبلي . حتى اني بنيت مريضا جدا مدة ماعات ثم اني
طبيب كنا ارسلنا في طلبه واذ عرف شيئا من علة مرضي الخفيفة امر بنفسي
وبعد ذلك استرحمت قليلا ثم شئت نهما . اني اعتقد ببقائه لو لم يتذكرني
الله بهذه الوسائط لكنت فارقت الحياة لاحالة

فصرت حزينه وذلك بغية صاحب أكثر من خمسة آلاف ليرا انكليزية
ثودا وكان لي عقارات في البرازيل يدخل لي منها أكثر من ألف ليرا
كل سنة من دون ادنى خطر كأنها في نفس بلاد الانكليز وبالأجمال صرت
في حالة بالكاد كنت استطع ان انصورها او احمل قوة الفكر في الصنع بها .
فاول كل شيء علمه هو اني كلفت الحسن الاصلي اني ذلك الرئيس
الصالح الذي احسن اني اولاً في صيتي وعاملي بالمعروف في بلدي وكانت
اميا في نهايتي . فاريت كل ما ارسل لي وقلت ان ذلك كان يسمو بعد
عبادة الله الذي يدير الامور باسمه والله ينبغي لي الآن ان اكافئه وقلت ان
اني ساعمل ذلك الى متى ضعف . فاني اولاً ارجعت له المئة ليرا التي اخذها
منه . ثم استحضرت كتاباً من طرف الحكومة وجعلته يكتب ورقة ابراء عام
منقط لكل دعوى علي اكل واثبت منوال بالاربعائة والسبعون ليرا التي قال
انها كانت لي في ذمتي . ثم جعله ايضا يحرر صك وكالة شرعية يعلن انه هو
وكلي في الاستيلاء على غلال ومحاصيل مزرعتي وان شركي يجب ان يقدم
الحساب له ويرسل له باسمي ما يقع من حصتي مع المراكب التي ترد من هناك .
وقد عرفت ان في ذيل الصفحة مئة ليرا برنوغالية كل سنة مئة حيوان مئة مئة
يستولي عليها من اصل المحاصيل وخمسين ليرا برنوغالية ايضا كل سنة لاني
بمئة مئة حيوان ايضا وهكذا كافأت شفي .

ففي علي حيلة البصر الى اين اتوجه بعد ذلك وماذا اعمل بالاموال
التي انبها العجائب هكذا يدي . والخليفة كان حزينه هموم في راسي أكثر من

التي كانت فيه اذ كنت ساكنا وحدي في الجزيرة حيث لم اكن محتاجا الى شيء
الا ما كنت حاصلًا عليه ولا كنت احصل على شيء الا ما كنت محتاجا اليه .
واما الآن فانه كان علي شغل كبير وكان اعطاني ان اديره . ولم يكن لي
حرف في مخارة اخي فيها دراهي او مكان اضعا فيه من دون مناج ولا قفل
الى ان يعلوها الففن والوخ ولا يكون من يسها بل كنت في حيرة لا اعلم
اين اضعا ولا من اسأله عليها . وكانت مصالحي في البرازيل تستدعي
اليها الا اني لم افدر ان افكر بالتوجه الى هناك الا بعد تدبير اموري ووضع
اموالي بغير امانة تحفظ عليها في غربي . فافكرت اولًا في الارملة صديقي القدية
التي كنت اعلم انها امانة ولا يمكن ان تفشي الا انها كانت حريصة قد طمعت
في السن وصارت ففيرة الحال . ومن اين كنت اعلم انها ليست تحت دين .
ولاجل الاختصار اقول اني لم اجد طريقا الا ان ارجع الى بلاد الانكلترا واخذ
اموالي معي

الا انه مضت الشهور قبلما عرفت على ذلك . ومن ثم كانت الرهس
مكافأة نامة على قدر خاطره لاجل احصائه التي ابتدأت افكر في صديقي
الارملة التي كان المرحوم زوجها هو المصنف الاول نحوي وكانت في عند ما
كانت فادرة خريفة امانة ومديرة صادقة لي . ومكافأة اول شيء عملته لما هو
اني جعلت تاجرًا في لسبون يكتب الى عملي في لندن ان يدفع بنفسي الى
تلك الارملة ويدفع لها عني مئة ليرة نفوسًا ويكلمها ويهزئها في حالة فقرها
وبمدها بالي اذا بقيت حيا لا انساها بل سارسل لها ما يبره المولى .
وارسلت في الوقت ذاته لكل من اخي مئة ليرة . ومع انها لم تكونا فقيرتين
كانا غير مرتاحين كما يجب في احوالهما . فان احداها كانت تزوجت
وترملت وكان للآخرى زوج لم يكن يلفت اليها كما يجب عليه . ولكن لم
اجد بيت كل معارفه واقارب من اركن ان اضع عندي كل اموالي بحيث

يمكنني ان اذهب الى البرازيل مرناج البال من جهة متخطاني . وكان ذلك
بزعمتي كثيرا

وقد خطر لي مرة ان اذهب الى البرازيل واسكن هناك الا انه كان
في عقلي وسواس من جهة الديانة كان يعني من ذلك . على ان الذي عانني
عن التوجه الى هناك في ذلك الوقت لم يكن الديانة واذ لم يكن عندي
وسواس من ان اكون منسكجا جهاراً بديانة اهالي تلك البلاد في كل
المدة التي كنت فيها بينهم في ما مضى لم يكن عندي وسواس حينئذ ايضا .
غير اني اذ صرت مؤخراً افكر مرة بعد مرة في الديانة اكثر من السابق
كنت عند ما ابتدئ انصور الى ساحا واموت بينهم انأف من اني كنت
ناهما المذهب الباهوي الذي كنت احب له ربما هو ليس احسن مذهب
يؤمن الانسان فيه

ولكن لم يكن ذلك المانع الاصل الذي يعني من التوجه الى البرازيل
كما تقدم بل افا كان يعني من ذلك عدم معرفتي يد من اخلف اموالي .
وهكذا عرمت اخيراً على التوجه بها الى بلاد الانكليز وعلى اني اذا وصلت
الى هناك بالسلامة انعرف بأحد الناس او احد احد الافارب من يكون
امينا لي . وهكذا اخذت لاعد المذهب الى انكثرا عارداً على ان اخذ كل
ثروتي معي

فلكي اني اذهب الى وطني ولما كانت عمارة البرازيل على هذه السفر
الى هناك كبرت اجوبة تلوي بالاعمار المرححة الصادقة اني انني من هناك .
فكنت الى رهبان دير مار اغوستوس مكتوباً ملوماً شكراً لم على
حسن نصرهم وامانتهم وعرضهم علي الثانية والاثون والسبعين ليرا الباقية
يودم لحسابي . وطلبت منهم ان يأخذوا منها خمسة ليرا للدير وبرزعوا
ما بقي على الفقراء بحسب معرفة الرئيس . طالباً دفعه البادري لي وما اشبه
ذلك . ثم كنت مكتوب شكراً لوكلاي مع كل ما تعفنه تلك الاستقامة

والامانة من المديح ولم ارسل لم هدية لانهم كانوا اغنياء جداً لا يحتاجون اليها . واخيراً كتبت تحريراً للشريكي ومدحتي على اجتهاده في نجاج المشرقة واستقامته في الاعمال واوضحت له ان يمدد خاطر صديقي القديم في حصني ويرسل له كل ما ينجح من قوسي الى ان اكتب له ايضاً باكثر تفصيل واكتب له رغبتي في القدوم اليه والافانته هناك مع حياتي الباقية . وارسلت له هدية لطيفة من الحرير الابيض الياني لزوجتي وابني لان ابن الرئيس كان قد اخبرني ان هناك طائفة وشقيين من الجوع الانكليزي من احسن ما وجدت في لسبون وخمس شق في من الصوف الاسود وبعض مطررات من شغل الالة من الحرير ما يوجد

ثم بعد ان تمت اشغالي هكذا وقعت وسقي واخذت لمن بضائحي جميعها كمبيعات وقعت في صعوبة اخرى من جهة الطريق التي يجب ان اذهب فيها الى انكلترا . ومع اني كنت قد تعودت سفر البحر كنت اكره حشد ان اذهب الى انكلترا بجرأ . ومع اني لم اعلم شيئاً لذلك كانت كرامتي له عظيمة بهذا المقدر حتى اني كنت بعد ان ارسل امتعي الى المركب لكي اسافر بجرأ اعدل عن ذلك وذلك لامرّة واحدة فقط بل مرّتين او ثلاث مرات

فخوف اني كنت لاحظت لي في سفر البحر وربما كان ذلك من جملة الاسباب التي كانت تنبهي اكره . ولا ينبغي لاحد ان يعتقد منبهات افكاره القوية في احوال كهذه . فان اثنين من المراكب ما كنت قد عزمتم على السفر فيها وكنت قد ارسلت امتعي الى احدها وقاولت رئيس ثانيها لم ينجح في سفرها . فان احدها وقع اسيراً يد المغاربة والآخر ضيع بالقرب من نوري وغرق كل من كانت فيه الا ثلاثة اخص فقط . ومن ثم لو سافرت في احدها كنت وقعت في مصيبة لا تحال

واذ كنت مرتين مكثا في افكاري كان مرشدي القديم الذي كنت اكتب
 له كل اموري واظلمة على كل اسراري يهذولي من السفر جراً وقد اشار علي
 اما ان اذهب في البر الى كوروننا واجاز يسكني الى رولتلي ومن هناك اسافر
 برا الى باريس وكان ذلك السفر امياً هياً ثم اذهب من باريس الى كاليس
 ودوفار واما ان اذهب الى مدريد ومكثا اسافر كل الطريق برا مجازاً في
 فرنسا . وبالاختصار اقول اني كنت اكره السفر جراً لما المنيار ما عدا
 المداينة بين كاليس ودوفار حتى عرفت على ان اسافر كل الطريق برا .
 واذا كنت لا ابالي من طول المسافة ولا اعبأ بكثرة المصاريف كان سفر البر
 الطيف والذ عدي من سفر البحر . ولكي يكون سفري هذه المرة اكثر لك
 دبر لي صديقي القديم خواجه انكليزيا ابن تاجر منهم في لسبون رفيقاً به اقر
 معي ثم بعد ذلك وجدنا تاجرين انكليزيين وشابين برتوغاليين ارادوا ان
 يرافقونا . الا ان الشابين كانا ذاهبين الى باريس فقط . وهكذا كانت
 جملة زممرنا ستة خواجهات وخمسة خدم . فاما التاجران فكان معهما خادم
 واحد يخدمهما كليهما وكذلك الشبان وذلك لاجل توفير المصروف . واما
 انا فاني استخدمت جرباً انكليزيا لكي يسافر معي بصفة خادم وذلك ما عدا
 غلامي جمعة الذي كان غريباً في تلك البلاد فلم يكن يفتني عن خادم آخر
 في الطريق

ومكثا خرجت من لسبون . واذا كنت زممرنا متجهزة جيداً في الخيل
 والسلاح كنا عسكرياً صغيراً كانوا يدعوني قائداً . وذلك اولاً لاني كنت اكبرهم
 في السن ثانياً لانه كان معي خادمان وقد كنت في الحقيقة اصل كل ذلك
 السفر . واذا قد ازعمجت بقراءة اخبار اسفاري البحرية سارعتك بقراءة خبر
 سفري الذي . ولا يجب ان اعمل ذكر بعض ما فاجبناه وصادفناه في تلك
 السفرة الشاقة الهائلة

فلما وصلنا الى مدريد واذا كما جميعاً غرباء عن اسبانيا كما نرغب ان
نبقى مدة لاري ديبان اسبانيا ونفزع على ما يستحق الفرجة هناك ولكن اذ كان
آخر الصيف امرنا في الخروج من هناك وقمنا من مدريد في اول
نشرين الاول ولما وصلنا الى منقطع ناوادي اضطربنا اذ بلغنا في جملة فرى
على طرفنا انه قد سقط ثلوج كثيرة على جانب فرنسا من تلك الجبال حتى
ان كثيرين من المسافرين التزموا ان يرجعوا على اعقابهم الى بيلونا بعد ان
كانوا قد حاولوا بمخاطرة عظيمة ان يجازوا من هناك

فلما وصلنا بيلونا وجد الامر كما بلغنا . واذا كنت انا متعمداً دائماً على
الماء الحار وعلى بلدان كنت لا أكاد اطلق ان اليس فيها ثياباً لشدت الحر كان
البرد لا يطاق عندي . وكان امراً مذهلاً كما كان موجعاً الانفال في من
عشرة ايام فقط من الدكل حيث كان الهواء حاراً جداً الى مكان كما
نحس فيو برمج باردة وحادة جداً لا تطاق فادمة من جبال بيرنيا حتى كنا
نغشى من ان نخذر اصابع ايدينا وارجلنا مائنة ونسقط متناثرة من شدة
الصنع

وان جملة المسكين خاف جداً عندما رأى الجبال جميعها مغطاة بالثلج
وشعر بالبرد مع انه كان لا رأى ولا شعر بشيء من ذلك في حياته . ولانجل
زيادة الخس لما وصلنا الى بيلونا كانت الثلج بكثرة وبغيت كذلك مدة طويلة
حتى قال الاممالي ان فصل الشتاء قد اقبل قبل اوانه . والظرفات التي كانت
صعبة المسلك قبلاً صارت حيلة مسدودة لا يمكن الدلوك فيها اصلاً لان
الثلج كان في بعض الاماكن سمكاً جداً حتى انه لم يمكن ان تسافر عليه من دون
ان توت برداً او كما يقال دنناً كما هو الحال في البلدان التي في القطبة
الشمالية . ولهذا لم يمكن السفر من دون ان تكون في خطر من ان تدفن احياه
في كل خطوة . فمكنا في بيلونا ثشرين يوماً او اكثر . فلما رأيت ان

فصل الثناء قد صار قريباً على الابواب ولم يكن لي الاكل في استقامة الهواء
 لان ذلك الفصل كان اقصى فصول الثناء في كامل اوربا التي مرت براس
 انسان من ابهاء ذلك الزمان ارنأيت ان نذهب جميعنا الى غنارايا ومن هناك
 نوافر في احد المراكب الى بر دو كاس وهي قرية صغيرة جداً . ولكن بينما كنت
 اشكر في ذلك اذا باربعة خواجات فرنساوين قد دخلوا بميلونا . واذ كانوا
 قد توقفوا عن المسير على جانب فرنسا كانوا توقفنا نحن عن ذلك على جانب
 اسبانيا وجدوا دليلاً حاذقاً قطع بهم البلاد بالقرب من راس لشكوبدوك
 وجرع بهم الجبال في طرق لم يعمروا فيها كثيراً من جهة الثلج لانهم كانوا اذا
 وصلوا الى موضع فوق تلح كبير يمرون على جبلهم لانه كان مغلياً شديداً
 كانوا لان يجعلهم ويحمل عليهم . فاستحضرننا ذلك الدليل فقال لانه يكمل
 الذهاب بنا في الطريق نفسه من ان يلحقنا اذى من الثلج بشرط ان يكون
 معنا سلاح كافٍ في يدا انفسنا من الوحوش البرية . لانه قال انها تتردد
 احبانا كثيرة الى تلك الاماكن الكبيرة اللوح عند حضوض الجبال ضباع
 منتفخة صارت كاسرة من جري عدم الاكل لان الارض كانت مغطاة باللوح .
 قلنا له ان عندنا اسلحة كافية لمقاومة تلك الوحوش بها او كيفا كانت اذا
 ضمن لنا غائلة جنس من الضباع ذي فائتين فقط ما باننا ان الخطر عابنا
 من جهة اعظم ما هو من ذوات الاربع قوائم ولا سيما على الجهة الفرنسية من
 تلك الجبال . فاذعنا باننا لا يوجد خطر من ذلك الجنس في الطريق التي
 مرادة ان بأخذنا منها . وهكذا اتفقا حالاً ان تتبع ذلك الدليل وقد تبعه
 ايضا اثنا عشر خواجه غوريا مع خدمهم بعضهم فرنساويون وبعضهم اسبانيولون
 من كانوا قد حاولوا الذهاب كما ذكرت سابقاً ان التزموا ان يرجعوا الى
 الورا

فسافروا من ميلونا مع دليانا في ١٥ تشرين الثاني واخذنا في الهب عندما
 رأيت انه عوض ان يتقدم بنا الى ما قلنا رجوع بنا الى الورا في نفس الطريق

التي جئنا بها من مدريد مسافة نحو عشرين ميلاً وبعد ان عبرنا نهرين ووصلنا
الى السهول وجدنا أنفسنا في بلاد حارة لطيفة لا يوجد فيها تلج بالكلية . إلا
انا بعد ان درنا بقعة الى اليسار درنا من الجبال من جهة اخرى . ومع ان
منظر الجبال والأودية كان هائلاً جداً فطعننا مع ذلك الدليل الحادق
الذي كان قد سافر مراراً في تلك الشعاب واجتازناها في طرق معوجة ذات
تعاريج كثيرة من دون انزعاج ولا ارتباك من جهة الفلج . ومما كنا سافرين
اطلنا بقعة على اعمال تكوي يدوك وكسكوني البهجة المصوبة التي كانت خضراء
واضحة جداً وكانت لم تزل بيوتها عما وكانت الطريق الباقية التي بيننا وبينها
خشة وصعبة في الغاية

إلا اننا اضطررنا قليلاً بعد ما رأيناها نتلج بكثرة نهاراً وليلاً كاملين
من دون انقطاع حتى انه لم يكننا الممر . إلا ان الدليل قال لنا كونوا
مراعين البال . بمرور ذلك كله بعد قليل ثم وجدنا اننا ابتدأنا ان نتعذر
كل يوم وتقدم نحو الشمال أكثر من السابق ومكنا كما نسير متكلين على
دليلنا

الفصل التاسع والعشرون

مقابلة جمعة دبا وخروج الضباع على روبنص ورفاقه
وزواج روبنص بعد رجوعه الى بلاد
الانكلتر

وقبل المغرب بنحو ساعتين اذ كان دليلا قد سبنا قليلا حتى غاب عن
نظرنا خرج علينا بقعة من واد عميق متصل بحرش عاص ثلاثة ضباع كاسرة
ثم نهما دب منتبس وان اثنين من الضباع هبنا على الدليل واو كانت بهما
كبرا عما لكنا ابتلاء قبل وصولنا اليه فاصو . فاسلك احدهما فرسة
والآخر دمه دمه قوية مفاجئا اباه حتى لم تكن له فرصة ولا في غفلة معه
اكي يحس طبعه بل كان يصرخ باعلى صوته مستعجلا . وكان خادي جمعة
يجاني فامرته ان يركض بهربا ليكاشف عه ويرى ما باله . وحالما اشرف
جمعة على ذلك الرجل المسكين صاح باعلى صوته قائلا يا ماني يا ماني . الا انه
لم يقف ولا توقف بل ركض بهربا الى ان وصل اليه ورفع طبعه ورمى
بالرصاص الضبع الذي كان قابضا عليه فاصاب راسه

وكان من بعد ذلك الرجل المسكين ان الذي تقدم لجدتو كانت
خادي جمعة . لانه اذ كان متعبا على تلك الرحوش في بلاد لم يخف
من الضبع بل دنا منه وقلة كما تقدم . فلو تقدم لجدتو احد عنا غير جمعة

لكان رمى الضبع بالرصاص من مسافة ابعد ورعيا كان اخطأ الضبع او اصاب
الرجل

وان ما حدث كان كافيا لان برعب من كان اتبع مني ايضا . وبالحقيقة
انه وقع الرعب على كل زميرنا عند ما سمعنا عند اطلاق الطلجة دمدمة
الصباغ وعويلهم الهائل عن الجبابرة . واذ كانت الاصوات تضاعف بواسطة
صدى الجبال كما ظن انه يوجد منها عدد غدير . غير انها لم تكن قليلة
بحيث لا يكون عليها خطر منها ولا باب للاحتساب من هجومها ولكن لما قتل
جمعة ذلك الضبع فالضبع الآخر الذي كانت قابضا على الفرس افلتها حالاً
ولم يلحق بها اذى لانه كان لاجل التوفيق قد امسكها من راسها فملكت ودهات
الحمام في انبوا . واما الرجل فانه انضام وتالم كثيراً . لان ذلك الوحش الهائج
عضه عضتين عضه في ذراعه وعضه في فخذه ما يلي الركبة . ومع انه كان قد
دافع قليلاً كان قد كاد يسقط منها قاتلاً عن فرسه عند ما اقبل جمعة عليه ورمى
الضبع بالرصاص

وانما عند ما سمعنا صوت طلجة جمعة لكرنا خولنا واخذنا نحضر معرعين
بقدر ما كانت الطريق الخشنة الشاقة نسمع لما لكي نرى ماذا حدث وبعد
ما تجاوزنا الاشجار التي كانت تعمي ابصارنا رأينا واضحاً ما حصل وكيف كان
جمعة قد خلص الدليل المسكين الا اننا لم نعلم عند ذلك ما هو الوحش
الذي قتله

ولم يحصل قط قتال ظهرت فيه شجاعة ورشاقة مثل القتال الذي حصل
بعد ذلك بقليل بين جمعة والذئب . ومع اننا ارتبكنا وخجنا عليه في اول الامر
طرباً طرباً لا بوصف في ما بعد . ولا يعني ان الذئب ثيل وضخم الجثة ولا ركض
تظير الضبع الذي هو خفيف وسريع . وفي الذئب زمان خاصتان يوهما
في الغالب قاعدتان لا يملوا . الاولى انه لا يتعرض عادة للناس ما لم يتعرضوا
له اولاً او يكون جائعاً جداً . ورعيا كان كذلك حوثلي لان الارض كانت

مغطاه بالفلوج كما سبق . فاذا لم تعرض للدب فهو لا يتعرض لك . ولكن
يجب ان تجتهد في ان تعامله باللطف وتحمي من طريقه لانه خواجه لطيف
ظريف مقدر الا انه لا يجد خطوه من طريقه حتى ولا لاجل ملك . واذا
كنت خائفاً منه خفاً يجب ان تنس على طريق اخرى ولا تزال سائراً لانه
احياناً اذا وقعت جامداً واخذت تنفس فيه بحسب ذلك امانه لجلاله .
واذا هولت عليه او رميته بشيء وان يكن عوداً صغيراً بقدر اصبعك فاصابه
فانه يغضب ويترك كل عمل جانباً متفرغاً لاخذ ثاره ولا بد من ان يأخذ
ترصيه لرد شرفه . فهذه هي المزية الاولى . واما المزية الثانية فهي انه حدود
اذا أمين مرة لا يتركك ابداً لئلا ولا تهازأ بك بل يحفك الى ان يدركك
وبأخذ ثاره

وكان غلامي جمعة قد اشد دليلاً لما وصلنا اليه . وبينما كان يساعدني في
التحويل عن فرسه لانه كان قد نادى وخاف جداً اذا بدب قد خرج بغته
من الحرم وكان كبيراً هائلاً لم ار دنا نظيره في حياتي . فارتعينا جميعاً
قليلاً لما رأينا الأجمة فانه لما رآه كان يظهر جنباً على وجوه علامات الترح
والنجاحة وقال ثلاث مرات وهو يشير اليه متعجباً وي وي وي . يا معلمي
خلفي اصاغته وامر بن . اني يريدني تصهكم شوي

فتعجبت ما رأيت فيه من الفرح والسرور فقلت له يا جاهل انه يأكلك .
فقال مرون ناكلني ناكلني اني يأكلنا . اني تصهكم شوي . استوا اوفقوا موني
اني ايسطكن ثم جلس على الارض وخلق حذاءه في لحظة وليس حذاء غيره
كان في جيبه وسلم زمام حصانه لحادي الآخر واخذ يارودته يث وكان يمدو
بسرعة كهبوب الرمح

وكان الدب يشي رويداً رويداً لا يتعرض لاحد الى ان دنا جمعة منه
ودعاه قائلاً اسمع اسمع انا اكلتك كالك كان بهم ما يقول . وكنا نحن تبعه
عن بعد . واذا كنا حينئذ قد نزلنا الى جانب جبال جسكوني كما قد دخلنا

حرقاً طويلاً عريضاً حيث كانت البلاد منبسطة وكانت النجار غلثك المحرش
 كثيرة لأنها متفرقة . وإن جمعة الذي كان ساعياً في اثر اللدب ادركه
 مريماً وتناول حجراً كبيراً ورماه به فاصاب راسه الا انه كان كانه قد رمى به
 حائطاً فلم يحدث فيه اذى ألم . وقد حصل به على مرغوبه لانه اذا كان
 خائفاً من الخوف بالنكبة فعل ذلك لكي يجعل اللدب يرجع اليه ويطلبه ويضجكها .
 وإن اللدب حالما شعر بالضربة وراه رجوع على اعقابيه ولحقه . وكان يخطو
 خطوات طويلة وينطط ركباً وراء جمعة . واما جمعة فنقل راجعاً واخذ
 يعدو ركباً متبلاً نحونا كانه يستغيث بنا . ففررنا جميعاً ان نري اللدب
 بالرصاص ونخلص جمعة منه . وقد غضبت جداً منه لانه ارجع اللدب طلبنا
 مع انه كان قد تركنا وذهب في سبيله . وما زادني غداً مريه بعد ارجاعه
 اللدب . فتأدية قائلاً يا كلب املا اضحكك اياما ارجع واخذ حصانك ودعا
 نري الوحش بالرصاص فلما سمع صوتي قال لا ترموا لا ترموا اهدوا فتضجكوا
 كبير . واذ كانت قد سبق اللدب رجوعاً الي احد جانبينا فابصر شجرة
 بلوط فلطم مرغوبه فاشار اليها ان تتبعه واستدار بسرعة وصعد على تلك
 الشجرة . وذلك بعد ان وضع بارودته على الارض على مسافة سبع او ثمانى
 اذرع عن اصل الشجرة . واما اللدب فانه وصل بعد قليل الى الشجرة وكما نحن
 نبعثه عن بعد . واول شيء علمه هو انه وقف عند البارودة وشما الا انه لم
 يسمها ثم اخذ يصعد الى الشجرة مشفقاً بها فظاير هز وكان ثقبلاً وضجهاً جداً .
 وقد خجبت من حماقة خلاصي ولم ار في عملي شيئاً يستحق الضحك الى ان رأيت
 اللدب يصعد على البلوطه

ولما وصلنا الى الشجرة رأينا جمعة قد صعد الى طرف صغير من غصن
 كبير منها وكان اللدب قد وصل الى نصف طريقه اليه . وحالما وصل اللدب
 الى النسم الضعيف من الغصن ضحك جمعة وقال لنا انظروا الآن بدي علم
 اللدب برفص ثم اخذ ينفز ويحرك الغصن . فابداً اللدب يتأيل الا انه بقي في

مكتوب واخذ يلفت الى ورائه ليرى كيف يرجع الى الوراء. وعند ذلك ضحكا
من كل قلوبهما ثم دعاه كانه ظن انه يحسن انكسر باللسان الانكليزي وقال لهما
بالك لا تقدم ايضا تقدم الى ما قدام ايضاً بوليف وكف عن تحريك القوس
وكان الدب فهم ما قاله فتقدم قليلاً نحواً. وكان حينئذ وقت مناسب
اصروا على راسه فقلنا لجمعة ان يهدأ لكي يرمى الدب بالرصاص فصاح بجمرة
انرجاكم انرجاكم لا ترموا انا ارمي بعد وبعد يريد بعد فاهل. ولانجل
الاختصار نقول ان جمعة كان يفتقر ويتعطش كثيراً والدب ينفذ حفاً متغيراً
حتى اننا ضحكا كفاية. الا اننا لم تكن نعلم ماذا كان قصد جمعة ان يعمله بعد
ذلك. لاننا ظننا اولاً انه كان يريد ان ينفذ الدب ويرميه الى اسفل الا
ان الدب كان على حذر تام من ذلك لانه لم يتقدم كفاية ولا ارخى نفسه بل
كان مشككاً متشبكاً بمخالبه واقدامه المرفوعة حتى انه لم يخطر لنا ماذا تكون
النهاية وكيف تنتهي تلك اللعبة. الا انه لم يفض الا قليل حتى كشف لنا جمعة
ما مخض من اسرارها. فانه لما رأى الدب متشبكاً جيداً بالقوس ولم يقل ان
يتقدم الى ما قدام قال له تيب تيب است ما بقي الى قدام انا بقي است ما بقي
الى عدي انا بقي الى عندك. وعند ذلك نظرف الى اصفر طرف من
من القوس فاضحى من قلوبهم نارا لا يرفق عليه فلما قرب الى الارض ارخى
نفسه فجاء واقفاً على قدميه. ثم ركض الى بارودته وثناؤها ووقف مكانها.
فلما انما ارموا الآن بالرصاص فقال موش هلمت موش هلمت الى ما يفتقر
دارفت الى ما يضل الى يريد بضمهم بعد. وهكذا كان فان الدب لما رأى
عدوه قد هرب رجع بكل حذر زاحاً الى الوراء على ذلك القوس الى ان
وصل الى كربي الشجرة. وكان كلما زحف قليلاً ينظر الى ورائه. ثم زحف
بجزء الى اسفل وراية الى فوق اذ كان متشبكاً بمخالبه بفيل رجلاً واحدة كل
مرة طالباً الوصول الى الارض. وقبل ان لحقت رجلاه الارض تقدم جمعة
نحو موحكم بارودته نحو اذنه ورماء الرصاص في راسه فسنط الى الارض موتاً وعند

ذلك الخفت نحونا ليرى اذا كنا ضحك فلما ظهر له من منظرنا اننا مسرورون
ضحك باعلى صوته منهمكاً وقال كدي منك كل الدب في بلادنا . فقلت كيف
تظنونه هكذا وليس عندكم يواريد . فقال صحيح ما عندنا يواريد ولكن نربح
بالنوس والشباب بعيد كبير . وكان ذلك نزعنا لنا . الا اننا كنا لم نزل في
اليرة وكانت دلبنا في ضيم عظيم فلم نفعل ماذا فعل . وكانت زجيرة الضباع
تعب رامي كبيراً ولم اسع قط شيئاً لرعي فلما المنظر الا الدمعة التي سمعنا
مرة على شطوط افريقيا كما ذكرت قبلاً

فكانت الاصوات واقبال الليل نستكنا للتقدم في طريقنا ولولا ذلك
كما قبلنا رامي جمعة وقلنا ذلك الوحش الهائل لان جلده كان ينفق
التمب ولكن اذا كان باقياً علينا مسافة نحو ثلاثة فراع وكان دلبنا يستجلبنا
تركنا ذلك الدب واخذنا ايضاً في طريقنا

وكانت طريقنا مغطاة بالثلوج الا انها لم تكن سمكة وخضرة كما كانت
على الجبال . وكانت الوحوش الكاكرة كما يلحها في ما بعد قد نزلت من شدة
الجموع الى البلاد المنخفضة الكبيرة الاشجار طلياً للطعام . وكانت قد احدثت
اضراراً كبيرة في القرى وقتلت كثيراً من النعام والمواشي والناس ايضاً . وقد
اخبرنا دلبنا انه يوجد قدامنا مكان خطر يوجد فيه ضباع كبيرة وهو بقعة
صغيرة محاطة بالاحراش من كل جهة ومعبد ضيق طويل كان لا بد لنا من
ان نمر فبولكي نقطع الاحراش الى ان نصل الى القرية التي كنا نزمع ان
نبيت فيها تلك الليلة . فلما دخلنا الحرم الاول كان باقياً نحو نصف ساعة
للمغرب ووصلنا الى تلك البقعة بعد المغرب بقليل . فلم تصادف شيئاً في
الحرم الاول الا خمسة ضباع تخرج الطريق راكدة بعضها وراء بعض كأنها
تطارد شيئاً تراه قدامها . فلم تلتفت اليها وبعد دقائق قليلة تولت عن
اخبارنا . وبعد ذلك قال لنا دلبنا وكان جالساً كوناً على صدر لانه سبر
بنا ضباع غيرها . فكما سبرنا واحلنا معه ياربنا واعيننا منبهة الى ما حولنا

ولكننا لم نرضياتنا الا بعد ان اجتزنا ذلك المحرش وكانت نحو نصف فرسخ
 ووصلنا الى السهل . فلما دخلنا السهل كان لنا امكان لان نطلع الى ما
 حولنا . فاول شيء صادفناه كان حصانا ميتا كانت الضباع قد قتله وكان
 اكثر من اثني عشر منها حوله مذبذبة فيو . ولا ندر ان نقول انها كانت
 تاكل لحمة لانها كانت قد آكلت كل لحمه قبلا بل كانت نفس عظيمة . فلم
 نر نحن لرونا لازعاجها في الضخ في وليتها ولا التفت اليها . ولما جئنا فكان
 يريد ان يرميها بالرصاص الا اني لم اسمع له بذلك لاني رايت انه ربما يكون
 عدونا شغل في ما بعد اكثر مما ندر عاين . ولم نقطع نصف ذلك السهل حتى
 ايدينا نسمع زجاجة الضباع بنوع هائل في المحرش الذي عن يسارنا ثم رأينا
 نحو مئة مقيلة باستقامة نحونا وكانت جميعا معا واكثرها مصطفة صفا واحدا
 كجيش بدرجة فائده خير . ولم اعلم كيف تلكا . ووجدت ان الطريق
 الوحيد هو ان تصطف نحن ايضا جنمعت معا وهكذا فعلنا في دقيقة من
 الزمان . ولكي لا نقضي مئة طويقة بين الطلقات والطاق امرت ان كل ثاني رجل في
 الصف يطلق اولاً وان البقية يكونون مستمدين لان يظفروا البارود عليها
 طلقنا ناهيا حالاً اذا لميت تقدم نحونا وان الذين يطلقون اولاً لا يكون
 يواردهم ايضا بل ينفون مستمدين بطيخاتهم . لانه كان كل واحد منا متعلما
 ببارودة وطيفتين . وهكذا كنا قادرين ان نطلق مست طلائع على النظام
 المذكور . الا اننا لم نضطر الى ذلك حيث قد لانه عند الطلقات الاول وقتت
 تلك الضباع مرتبكة حارة لانها خافت من صوت البارود وازد . وقد
 اصاب بعض منها في رؤوسها فوقعت الى الارض ميتة وجرح بعضها فكس على
 اعناقهم ودمه يسيل كما رأينا النار ذلك على الفلوج . ولما رأيت انها وقتت ولم
 يهرب حالاً عرض لي ما كنت قد سمعته قبلاً وهو ان اشرس الوحوش
 يخاف جداً من صوت الانسان فاعزت الى زمرة ان يصرخوا جميعا باعلى
 اصواتهم . وهي حالاً سمعت الاصوات اخذت تنصرف راجعة عا . ثم امرت

باطلاق طلق آخر على صفوفها وعند ذلك اخذت تركض بكل قوتها ذاهبة
الى الاحراش

وفي تلك الاثناء دككا اسلحنا ونحن سائرون . ولم نكن من ذلك اسلحنا
حتى سمعنا عن بعد صوتا هائلا في الحرش نفصو عن يسارنا في الطريق التي كا
مزمعون ان نمر فيها . واذ كان الليل قد اقبل واخذ الضوء يغور اضطربنا
وساهنا ذلك جدا . واذ كانت الصوت يزيد لاح لنا انه صوت ضجج تلك
الوحوش الجهنمية . ثم رأينا بعثة ثلاثة فطمان من الضباع عن يسارنا وخلصنا
واماننا . فكنا كلنا عايطون بها من كل جهة . ولكن اذ كانت لم نهم عليها كما
تقدم في طريقنا بقدر ما يمكن خيلنا ان نسرع . واذ كانت الطريق صعبة
خشية كانت مشية الخيل نططة . ولم نزل كذلك الى ان اطلقنا على مدخل
الحرش الذي كنا مزمعون ان نجتاح فيو عند منقطع السهل الا اننا انزلنا جدا
لما رأينا عند ما قربنا من ذلك المدخل عددا كبيرا من الضباع واقفة هناك .
وسمعا في مدخل آخر من الحرش صوت بارودة . وحينما كنا ننظر نحو تلك
الجهة رأينا حسانا يخرج من الحرش وعلى ظهورهم سرج وفي راسو لجام وكان
يركض كهبوب الريح وسنة عشر او سبعة عشر ضعفا تركض وراءه بكل
سرعة . وكان الحصان سابقا اياها الا اننا عرفنا انه لا يستطيع ان يبقى راكضا على
ذلك الميعل ولهذا كان لابد من ان تدركه اخيرا وتقتله

وقد نظرنا هناك منظرا هائلا جدا . فاننا حالما وصلنا الى ذلك الميعر
الذي خرج منه الحصان رأينا هناك جنة حصان وجثتي رجلين قد اقتدرسها
الضباع الضاربة . وينبغي ان يكون واحد من ذينك الرجلين هو الذي
اطلق تلك البارودة التي سمعنا صوتها . لانه كان يجامو بارودة فارغة وكان
راسه قد اكل جمعة مع ما يليه من جمعو . فرأينا ذلك وملأنا رعبا ولم نعلم
كيف نتوجه . وفيما كنا في تلك الحالة المرتبكة اذا بالضباع قد هجمت علينا
فاصدة اقتدراسا . واظن ان عددها كان نحو ثلاثمائة ضبع . ولكن اتفق لاجل

التوفيق انه كان يهرب ذلك المعبر بعداً قليلاً عن مدخله بمض الشجار قد
قطعت في ايام الصيف السابق وربما كانت هناك برص الفل الى جهة اخرى
فانقذت جهتي الصغير الى وسط تلك الاشجار ثم اصطفنا وراء شجرة طويلة
منها اشرت على رفاقي ان يحولوا جميعاً عن خيلهم ويقتلوا وراء تلك الشجرة على
شكل مثلث واضعوا الخيل في الوسط متخذين الشجرة التي امامنا متراً لنا .
وقد احسنا في ما فعلنا . لانه لم تكن قط هجمة اشد من هجمة اولئك الوحوش
عليها في ذلك الموضع . فاشاءت وهي تصيح وتارت الى تلك الشجرة التي ذكرت
اننا انقلنا ما متراً لنا فاصدة ان تقتربنا . والظاهر انها زادت شراسة عند
ما رأت خيلنا . فامرت رجالي ان يطلقوا بواريدهم بالترتيب كما فعلوا قليلاً
محمكوماً تحكيمياً جيداً واطلقوا قنابل عدة من الصباغ في المطلق الاول . وكان
يلزمنا ان نشغل طابها النار الدائمة لانها هجمت علينا نظير قنود . وكان
المتأخر منها يراحم المتقدم ويدفعه نحونا

وبعد ان اطلقنا الطلقات الثاني من بواريدنا لاح لنا انها وقفت قليلاً فاملأنا
انها تنصرف راجعة عنا الآن ذلك لم يأت الاً دقيقة حتى تقدمت آخر منها
الى ما قدام فاطلأنا عليها طلقتين من طنجياتنا . واظن اننا في تلك الطلقات
الاربعة قتلنا منها سبعة عشر او ثمانية عشر وعطلنا ضعف ذلك تقريباً الا انها
لم تكف وكنت اكره ان نيلد في ما كان معنا من الرصاص والبارود
ونصرفه بسرعة . واذا كان غلامى مشغولاً في ذلك البواريد والطنجيات بكل
رشاقة وسرعة دعوت خادمي الآخر واعطيتهم فتكة بارود وامرته ان يفرغ
ذلك على الارض بجانب تلك الشجرة باذراً ايهاً على طولها . ففعل كذلك
وحالما ابعد قليلاً تقدمت الصباغ الى الشجرة ووثب بعضها عليها وعند ذلك
اطلقت طليخة مدكوكة بالقرب من البارود فالتهب مشتعلاً . فاحترق به ما
كان قد صعد على الشجرة من الصباغ ونار سعة او سبعة منها طافرة الى ما
جدا من قوة البارود وخوفاً منا قتلنا ما في لحظة من الزمان . واما البقية فامها حامت

جئنا من الدور الذي جملة الليل هائلا لان الظلام كان حينئذ شديدا
فكسفت قليلا راجعة الى الورا . وعند ذلك امرت باطلاق كل طبغماننا
طلقا واحدا ثم ضجنا بعد الطلاق ضجة هائلة . وعند ذلك نلت الضباع اذناها
مدبرة فوثينا حالاً على عشرين منها كما قد جرحناها وكانت ساقطة على
الارض تنمرغ في دماها فاخذنا نطعمها باسناننا فكانت تعوي وتصرخ صراخا
هائلا من شدة الألم وضمت رفاقها . معنى ذلك الصراخ فهرت جميعها
وكنت عينا

وكان كل من قتلناه منها من البداية الى النهاية نحو مئتين ضيما . ولو كان
ذلك نهرا كما قتلنا اكثر من ذلك . فلما نظرنا ساحة الحرب هكذا اخذنا
ايضا في طريقنا لانه كان باقيا علينا مسافة نحو فرسخ . وقد سمعنا مرارا ونحن
سائرون تلك الوحوش تضح وتزجر وكنا نظن اننا نرى البعض منها احيانا .
ولكن اذ بهرت اعيننا من اللوح لم نقدر ان نتفقد ذلك . ثم بعد نحو ساعة
من الزمان وصلنا الى الثرية التي كنا قاصدين الدؤل فيها . فوجدنا اهلها
جميعا مرتعنين جدا ومنطينين . لان الضباع والذهب كانت قد دخلت سرف
الثبة السابقة الى الثرية فراغهم جدا حتى التزموا ان يتخروا ليلا ونهارا
ولا سيما لئلا لاجل صيانة المواني والناس ايضا من تلك الوحوش الكاسرة

وفي غد ذلك اليوم صباحا اشتد مرض دليلنا وكان جسمه واروما جدا
بسبب جرحه حتى انه لم يستطيع ان يسافر ايضا . ولذلك التزمنا ان ننتأجر
هناك دليلا غميرا ونذهب الى ثولوس حيث وجدنا الهواء حارا والبلاد بهمة
محصنة ولم يكن هناك تلج ولا ضباع ولا ما يذبه ذلك . ولما اخبرنا اهالي ثولوس
بما اصابنا في الطريق قالوا ان ذلك كثير الوقوع في الحرش الكبير الذي
في سلخ الجبل ولا سيما عندما تكون الارض مغطاة بالثلوج . وسألونا كثيرا
عن الدليل الذي كان معنا وكف نجاس ان يأتي بنا في تلك الطريق في

مثل ذلك الفصل البارد جداً . وقالوا لنا ان نجانبنا من افواه تلك الصباع
كانت عجيبة . ولما اخبرناهم كيف اصطفتنا ووضعتنا خيلنا في الوسط لامونا
جداً وقالوا ان نسبة الخلاص في تلك الحالة الى عدو كسبة واحد الى
خمسين . لان منظر الخيل مع الصباع جداً لانها رأت فرصتها . وانها من
عادتها في اوقات اخر ان تخاف من صوت البارود الا انها اذ كانت حيث
جائعة جداً وهاتئة بسبب ذلك جعلتها رغبها في القتل بالخيل لاننا لم
الذي كانت فيه . واننا لو لم نعمل عليها النار الدائمة ونجعلها بواسطة البارود
كانت لا محالة مرفقة قطعاً . واننا لو بقينا على ظهور الخيل واطلقنا عليها
بالرصاصة ونحن راكبون لما حصدت الخيل فرصة لما ونحن على ظهورها كما
حصدتها عند ما كنا محمولين عنها . وقالوا لنا ايضاً اننا لو بقينا معاً وتركنا الخيل
لكانت المهمت بها وكما نحن انصرفنا بالامان وعلى الخصوص لان الحشنة كانت
بأيدنا وكان عددنا كثيراً . والي لم ار نفسي في خطر كما كنت حيث . لاني
اذ رأيت نحو ثلاثمائة ضلع حاجمة علينا ترمح فاجأنا لنبطلنا ولم يكن لنا ما
بظلمنا او بضرنا منها ولا مكان نهرب اليه من امامها حيث نسي هالكنا
لا محالة . واظن اني لا اريد ابداً ان افطع تلك الجبال مرة اخرى . واحسب
اني ان اسافر الف فرسخ بجرأ وان كنت متخففاً باني اصادف يوماً كل
اسرع من ان اسافر سراً كهلاً براً

ولم يحدث شيء غير اعتيادي في سفري في فرنسا الا ما اخبر به باني
المسافرين بطريق اكمل ما يمكن ان اخبر به . فصارفت من تولوس الى
باريس وبعد ان انت مدة غير طويلة هنا سافرت الى كالس ووصلت
بالسلامة الى دوفار في اليوم الرابع من شهر كانون الثاني بعد ان قاسيت
رداً شديداً في الطريق

فوصلت حيثي الى نهاية اسفاري وكانت كل اموالي عدي بالامان

والصانع التي احضرها هي من لسبون دفعت لي في اوقاتها من دون ادنى
عمل ولا ماطلة

وكانت الاملة الصالحة صديقتي القديمة مرشدة لي وكانت لاسراري . فاعيا
وفاء لي على تلك الدراهم التي ارسلها لها لم تستغل في مساعدتي بها كانت تكلمها
من التعب والافهام . وقد سلطها كل شيء لي وكنت مطمئنا مزاج البال من
جهة امرائي يدها . وقد سررت جدا من البدعة الى النهاية باستقامة تلك المرأة
الناضجة وامانتها التي لا لوم فيها

وعزمت حينئذ على بيع املاكي في البرازيل فكلمت بشأن ذلك الى
صديقتي القديمة في لسبون فعرضها على ورناء وكيلي في البرازيل فقبلوا ذلك
وارسلوا ثلاثة وثلاثين الف قطعة من النخالة الى احد وكلائهم في لعبون ليدفعها
لرئيس لحسابي فارسل لي الرئيس كميات يبلغ اثنين وثلاثين الفا وثمانمائة
من قطع النخالة فبدا الاملاك بعد تنزل ما عرفت له ولا بد من المعاش السنوي
كما علمت

ومع اني كنت املاكي في البرازيل لم اكن استطيع ان اخرج البلاد من
بالي ولا ان ادفع الميل الشديد الذي كانت لي الى روية جزيري . وكانت
الاملة صديقتي الصادقة ترشدني في السفر حتى انها تمنني مئة نحو سبع سنين
من السفر الى خارج فاخذت في تلك المدة اني اتي اخي الى بني . واذا كان لاكرها
فلمل من المال ربحه كواجبه واوصيت له بشيء من مالي زيادة على ما هو يستولي
عليه بعد موتي . ووضعت الآخر عند رئيس مركب . وبعد خمس سنين اذ
رأته شابا فريسا جسورا شيطانا وضعته في مركب جدد وارسلته الى البحر . وان
ذلك الكتاب جذبتني فبا بعد مع كبر سنني الى السفر بمرأا ايضا

وفي تلك الاثناء استوطنت قليلا . اك وتزوجت بامرأة ولم يكن ذلك
ضد خاطري ولا ضد صالحي ورزقت ثلاثة اولاد ذكركن وانثى واكن اذ
كانت امرأتي ورجع ابن اخي الى اسبانيا من سفره صادف فيها نجاحا عظيما

طلب علي المبل الى السفر ولجئته فوعده بالذهاب في مرجعي الى الهند
الشرقي فظهر فاجبر وكان ذلك سنة ١٦٦٤ وسأني بان ذلك مع ذكر بعض
حوادث غريبة حدثت في بعض اسفاري الجديفة علي مدة عشرين سنة في الجزء
الثاني من هذه الرحلة ان شاء الله تعالى

وان المثل الخارج العادة في البدن لا يبرها الا الكفن لم يصدق قط في
احد كما صدق في . فان كل من اطلع على قصتي يظن ان مهلي الطبيعي الى
الطوائف والجهولان لابد من ان يكون قد ضعف اوزال بالكلية بعد ان قاسيت
ما قاسيت من المصائب والمفاسد والمخاطر في السفر ويحسب اني بعد ان
صرت ابن احدي وسنين من صرت اميل قليلاً الى الاستبطان والاقامة في
البيت ولا اطلب ايضاً السفر ولا سبباً لاجل طالب الرزق الذي كانت قد
صار عدي مدة كتابة وزيادة عن احتياجاتي واحتياجات ذريتي بعدي .
الا ان ذلك جبهة لم يكن له تأثير في تكفي لدفع الميل القوي المنفوس في طبعي
نحو السفر الذي صار عدي مرضاً مزماً او كما يقال خامس طبيعة حتى اني
كثيراً ما كنت احلم بذلك في نومي وانكم عهدة دائمي مادمني ولم اقدر ان انكم عن
موضوع آخر غيره حتى ان عشراي كانوا ينجرون من حديتي وكنت انا نفسي
اشعر بذلك الا اني لم اكن استطيع ان اضبط نفسي عنه . ويزيد ذلك
وضوحاً بما يورد ذكره في الجزء الثاني من رحلي

ما يبلغ الاعداء من جاهل	ما يبلغ الجاهل من نفسه
والنج لا يترك اخلاقه	حتى يورى في نرى رمد
اذا ارعوى عاد الى جهله	كذي الضي عاد الى نكوه
وان من ادبه في الصبا	كالورد ينفى الماء في غرمه
حتى تراه مورقاً ناصراً	بعد الذي ابصر من يسه

يقول مترجمه عن اصله الانكليزي ومهذبه وتاظر طبعه القدير الجاني
 بطرس البستاني ثم الجزء الاول من الحنّة البستانية في الاسفار
 الكروية وسبقوه ان شاء الله تعالى الجزء الثاني وذلك في
 رجوع روينسن الى الجزيرة ثم سفرة الى الصين وامّاكن
 اخرى . وكان الفراغ من تبييضه في اليوم الخامس
 من شهر نيسان سنة ١٨٦١ في مدينة
 بيروت المحمدية والحمد لله
 اولاً واخراً

فهرس

١٠٣	الفصل الاول . عاتة روينصن ومفارقة والدي
١٠٨	الفصل الثاني . سفر روينصن الاول في البحر
١١٨	الفصل الثالث . امر روينصن في سبي
١٢٥	الفصل الرابع . سفر روينصن الثاني في البحر وغرقه
١٥٠	الفصل الخامس . وجود روينصن في جزيرة مفترقة
١٦٣	الفصل السادس . انتقال روينصن الى عيشته ووحشته
١٦٧	الفصل السابع . ما صادف روينصن من السموات لعدم الآلات
١٧٤ الى ١٧٧	الفصل الثامن والتاسع والعاشر . جرفال روينصن
١١٢	الفصل الحادي عشر . طواف روينصن في الجزيرة وعلة السلال
١١٨	الفصل الثاني عشر . رجوع روينصن الى منزله ونجاحه في امر الزراعة
١٢٦	الفصل الثالث عشر . اصطناع روينصن الحرف والآلات الخبز
١٢٢	الفصل الرابع عشر . استعداد روينصن كروزي لمفارقة الجزيرة
١٤٥	الفصل الخامس عشر . عل روينصن قارباً وما فاسده من الاخطار
١٥٦	الفصل السادس عشر . تربية روينصن المعري وكيفية عيشته ونجاحه
١٦٦	الفصل السابع عشر . احضاب روينصن من امر قدم رآه على الرمل
١٧٦	الفصل الثامن عشر . تظاير روينصن وتردد البربرة الى الجزيرة
١٨٧	الفصل التاسع عشر . وجود روينصن معاًة يمني فيها من البربرة
١٩٥	الفصل العشرون . محي البربرة ثانية الى الجزيرة
	الفصل الحادي والعشرون . اخراج روينصن اشياء كثيرة من المركب
٢٠٥	واهتمامه بمفارقة الجزيرة وحله

- الفصل الثاني والعشرون . تخلص رويصن اسيراً من البرابرة ونسبته
 اياه جمعة واتخاذ اياه خادماً ٢١٦
- الفصل الثالث والعشرون . اجتهاد رويصن في تهذيب خادمو جمعة ٢٢٦
- الفصل الرابع والعشرون . بناء رويصن وجمعة قارياً للذهاب الى بلاد
 جمعة ومجي برارة الى الجزيرة في تلك الاثناء ٢٢٦
- الفصل الخامس والعشرون . انقاذ رويصن رجلاً اسبانيولياً ووجدان
 جمعة اياه وقدم مركب انكليزي ٢٤٥
- الفصل السادس والعشرون . اظهار رويصن نعمة للرئيس الانكليزي
 ومساعدته اياه على مجريته ٢٦٤
- الفصل السابع والعشرون . ما جرى بين ويل انكس والرئيس وتخلص
 المركب وخروج رويصن من الجزيرة ٢٧٩
- الفصل الثامن والعشرون . ذهاب رويصن الى لصون ومقابلة الرئيس
 المبروق الي وذهابه من هناك الى انكلترا براً ٢٩٠
- الفصل التاسع والعشرون . منابلة جمعة دياً وخروج الضياع على
 رويصن ورفاقه وزواج رويصن بعد رجوعه الى بلاد الانكليز ٣٠٥

كتاب

التحفة البستانية في الاسفار الكروية

أو

رحلة روتنن كروزي

جزء ثانٍ

ترجمة ومُدبَّهة المفضولة المعلم بطرس البستاني

طبعة ثالثة

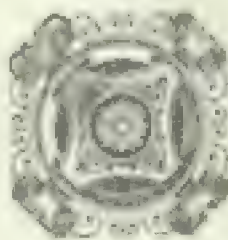
رخصة نظارة المعارف العمومية المجلدة ٢٤ تموز سنة ١٣٠٥

طبع في المطبعة الامبركالية في بيروت سنة ١٩٠٤

الطبعة الاولى و كانت الجزء الاول مخطوط

مقدمت^ة

كل من اطالع على الكتاب الاول من النسخة السفانية في الاسفار الكروية
الذي ترجمناه قديماً من اللغة الانكليزية يعلم اننا وعدنا فيه بترجمة الجزء الثاني
غير ان اموراً كثيرة حالت دون الير بالوعد بالسرعة. واما الآن
فقد مضت الفرصة بطاعه فطبعناه متكبين
على الله سبحانه وتعالى راجين ان
يسهل ذيل المعثرة على
القنوات



النصل الثلاثون

سفر روبن من كروزي الثاني في البحر

ان حرارة صوراني وشدة تأملاتي كانت تذهب في احرانا وانا في المنطقة الى جزيرتي وكان يترامى لي اني في قلعة القديسة مستظلل تحت تلك الاشجار الشائعة والرجل الاسبوي الشبح وابو جمعة والملاحون الاشقياء الذين تركهم فيها يتكلمون معي وانا متفرس في اوجهم . فادفعني تكرار حدوث ذلك في خوف لا مزيد عليه

فاصبحت صائرا كنت فيه جنة وجسمي فجعل كالذي بات في السم فاقوام افكار واشباح غائب ملآن فوادي بالخاوف والهمم ففي احدى الليلي حلمت ان الاسبوي وانا جمعة جالسان امامي بجزيرتي ان الملاحين وم الثلاثة القرصان كانوا قد حاولوا قتل جميع الاسبويين واحرقوا كل ما كانوا قد خزوه من الزاد ليميتوم جوعا . فاستغربت ذلك الحلم واندعشت منه كل الاندهاش لانه لم يطرق معامي غير كلما قطع على ان قوة الصور اندثت علي جفا حتى انني كدت اصدق صحة حلمي وليس فقط هذا بل كان بلوح ليمانه لما بلغت ذلك اخذت في المنطق الانقباض فثبت عليهم الذنب وامرت بشتمهم وسألني ذكر ذلك بالتفصيل ان شاء الله تعالى . وهكذا صرفت بعض سنوات وافكاري مملوءة من الصورات والقبيلات الباطلة وكانت كلها عن جزيرتي وساكنيها ولم يكن بلدي غير التأمل فيها وفيهم فلما رأيت ذلك امراني قالت لي ليلة ما انني اظن ان العناية قد غرست فبك ميلا شديدا الى الرجوع الى جزيرتك والذي يؤخر عن ذلك ماعا هو

أما وولدي . فاعلم اني أكره الاعتماد عليك ولكن لا ريب عندي انك سترجع اليها ان اراحت . في حلول الاجل لان الله سبحانه قد قدر لك الرجوع اليها . اما انا فلا أحب ان أكون عاقفا بعينك عن تنفيذ ما ريك . فان شئت ان تذهب فلا فارقتها عن الحكم وزاد لربنا كما شدة اصغاني لكلامها وعرضي في وجهها . وكانت دموعها تتلألأ في عينيها كالدر . فسالها عما منعها عن الكلام وقلت لها يا عزيزتي أتعين ان اذهب . فاجابت بحتي لا لا اني لا ارجب ذلك ابداً غير اني افضل الذهاب معك وتكدر الاخطار والمشاق على ان أكون ماقمة لك عن تنفيذ ما ريك واجراء ما يصبو اليه فقلت . هذا وانني اظن ان رجوعك الى هناك وقد بلغت من السن الشجوخة فضلاً عن موانع شتى هو ضرب من الجبن . ثم قالت ودموعها تدرف على خديها ان كن لابد من ذلك وقد قضى به القدر اري من ام واجباتي ان لا اسلم لك بالذهاب وحده بل امضي معك وان كان ذلك غير ممكن وكان لابد من ذهابك اطلب الى الله ان يمن علي بنزول الاجل فلا أكون سبياً بعينك عن تنفيذ ما يشتهي قلبك

فقلت وقد شئت جوباً ودمعاً على خديها الوردي كالدر بلع
وقد صالحت خناً صبوراً بها وثمت سواد الشعر كالدر بطلع
مهاجرني روي اذا ما هجرني ويوم وداعي النفس حزناً نودع
فأر في هذا كلام امرأت العنوة ونشائي من بحار تصوراتي الفارعة ورجع
بي الى حيز التعلل وطرد عني تلك التعللات والاهام الفارعة . فقلت في نفسي
ان سري الى الجزيرة وركوي تلك المشاق والمخاطر البحرية هو ضرب من
الجبن ولا يقاد اليه الا من ضابطة الناقة ولا يقدر على القيام بحقوق الآمن
شدت عزافة الصورة

فاخذت في التأمل في ما لنا عليه من الراحة وفي المصاعب التي كانت تحول
بيني وبين المنز . وكان لي حينئذ امرأة حامل وولد صغير السن . وقد كان

في كل ما تشتهي نفسي من لذات هذه الحياة وافراحها وراحها دون الاحتياج
الى شيء بلجيت الى ركوب المخاطر للحصول عاذا . وكنت أقول لنفسي اني قد
بلغت من الشجاعة ومالت شمس حياتي نحو مغربها وعن قريب سأتترك هذه
الدنيا وخيراتها واذهب الى عالم الارواح . فلدى الغافل بذلك برفه من
الزمان انتصرت على اميالي وهزمت من قلبي الميل الى السفر يراهم ارشد في
اليها لسان حالي . واعتدت على التعلق بشغال بضر في الامر الى ملازمها
ومكنا استأصلت من قلبي اصول اميالي المضرّة . وذلك لانه يرمي لي جلها
ان تلك الافكار والاهمال والتصورات الفارغة كانت تتراكم علي حيناً لا يكون
لي ما اشغل به نفسي . فضع في ائبل السائر راس الكملان مخزن الشيطان .
فاشتريت حقلاً في بلاد بادفور . وعزمت على الانتقال بعائلي الى البيت
الذي كان مبنياً فيه . اما قريب البيت فكان جدياً يريح ساكنه كل الراحة .
واما الحقل فكان مخصباً وقابلًا لاصلاحات كثيرة . ومن بعض محاسن بعده
عن مجتمع الملاحين الذين كانوا يوسوسون افكاري باحاديتهم البهجة عن بلدان
بعيدة وام وشعوب ومدن عظيمة . فذهبت بعائلي الى ذلك الحقل وتوطنت
في ذلك البيت واشتريت معاول ومجارف وخيلًا وبنراً ومركبات للشغل
ومجاريث وغنًا وماعزًا ومناجل وبالجمل كل ما يلزم لمن يتعامل صناعة
الحراثة واخذت في الشغل بجد ونشاط لا مزيد عليها . وبعد نصف سنة
رأيت اني ادركت درجة عليا من صناعة الفلاحة . وجمعت ثروة لم يجمع اكثر
منها اعظم الفلاحين اما لانا فكنت اهتم كل الاهتمام في امر ادارة القملة وحراثة
الارض وغرس الاشجار الجديدة . ومكنا كنت اصرف ايامي وابا رافع في حنة
السعادة والحبور والسرور . لاهم ولا غم ولا حزن ولا خوف . وكنت حاصلًا
على اسعد معيشة بصر قلب الانسان الى الحصول عليها وعلى الخصوص من
كانت قد حنكة المصائب نظيري وكنت مطلقاً انصرف في اغالي احث
اراضي واغرس فيها الاشجار واقطع اليابس منها واجمع الغلال دون معارض

ولامشارك . فبين لي حينئذ ان في المعيشة الوسطى للذة وراحة تفوق انة
وراحة معيشة الاعتناء . فذكرت حينئذ ما قاله لي اي في هذا الصدد . فاعتبرت
على الرضى بها وهجر تلك الافكار الفارغة

ونجوت من فم الحياة وشيها . وبلغت من طيب السرور الى
فيما كنت غائبا في بجان تنعمات وافراح هذه الحياة داهم بي ملك الموت
وفجعت بامرأتي . فارفعني فقدمها في قبر وحزن شديد . وساقى الي من
اليأس جيفا عمر مرما . وهج في تلك المواجه الباطلة التي كانت قد خدعت
بالوساطة التي كانت نفوسها علي من بحر معرفتها . ومن اغرب الامور ان
تلك الافكار رجعت الي بعنف وعزم شديد لما شمرت بضعفي وزوال
الواسطة التي نظرتها عني . فاعلمت في عواملها وانتصرت علي فانشيت عما
كنت علي وطامات راسي ضعفا وحزنا واخذت انوح علي فقدان تلك التي
يكن قلبي عن رصنها . والتي كانت مركزا لجميع اعمالتي وعمورا لكل اهتماماتي
والواسطة التي بحكمتها وحسن ادارتها وصلت الي ما وصلت اليه من الراحة
والسعادة . ونشلت من وسط زواج المناصد الباطلة التي كانت تتلاعب
بافكاري . ونجوت من صداماتها الشديدة . فانها كانت تقوم سيلي بارامها
الصائبة ونحفي كام حنونة . فان اب او ام يتدبران ان يتعا وبها ولدها
كحبها وه نعمتها لي . وكنت احب جدا ان اصفي الي توسلاتها وان اجيب طلبها .
فالذمت بعد مواعها الي ما حولي فرأيت نفسي كاني غريب عن الدنيا . وذكرت
وقت دخولي الي بلاد برازيل . ولولا الخدم الذين كانوا حولي لظننت نفسي في
جزيرتي منفردا فيها وحدي . وارتدت كل الارتباك في اعالي وآرائي واخذت
اسمع نظري في احوال هذا الدهر واملو المهلكات فيه . فرأيت فلا يكف
الحصول على ما تقوم به الحياة وذاك بعوض في بجان اللذات القادمة والافراح
الباطلة وما في ادنى حال لانها لم يتركها الكد والجهد بل ما كن يجد في طلب
شيء يهرب من امانه فلا يستطيع ان يدركه . وكان هذا يجمع من اللذات جبالا

عاقبتها الندم والحزن وذلك بكدي وبنفسي فوئته لحصول على ضروريات الحياة
وممكننا كنا بصرفان حياتها كأنها عاشا وكذا لم يحصل الموت ووجدنا ليكننا وبعثنا
كان الحصول عليه والكدهما غاية حياتها . فذكرني ذلك ايها المخلص الذي
كنت قد طويتهما وانا في الجزيرة مملكتي . لاني كنت لا احصد كل ما ازرع
ولا ابقي عندي كل ما يولد من المواشي لانه لم يكن لي احتياج اليه . اما الذهب
فبقي مطروحا في درجي مدة عشرين حولا دون ان يحظى مني بنظرة تخلو
الكدر الذي كان يعلو وجهه الوضاح

اما افكاري فكانت مضطربة جدا واعمالها كانت عديدة الانتظام . حتى
انني ملت عن الطريق التي كان يجب علي ان اسلكها . لانه كنت من الحرم
ان اطلب راحة الضيق والحر من غير اللذات البشرية والتمتعات الحيوانية
لان تلك ليست هي الغاية التي لاجلها اوجدنا واجب الوجود لانه يوجد غاية
اخرى واجبات مهمة تكمل ببل الراحة بعد ان نقطع المحيط المول العاصل
بين هذه الديار ودار الخلود . على ان ذلك كان بعدا عني لان الموت كان
قد فجع بهديتي الصالحة المحبة . وتركني وحدي تائها على وجه محيط هذا العالم
الاضطرب فاصبحت كالركب الذي قد اضاع ابرة النيلة فلا يعلم كيف يوجه
مسيرة ليأتي الى الميناء الامين . فلما رأيت نفسي على هذه الحال حزنت جدا
واخذت اغوص بافكاري في بحار تأملاتي السابقة واستندت في الميل الى السفر
الى بلان اجنية . فاطلاني ذلك عن الامقام بما اثني وحظي وحديتي ومواشي
وعن الافراح واللذات التي كنت امتع نفسي بها . ولم يكن لي لذة الا في الفوص
في بحار تلك التأملات فعمست على مباحة بيني وحظي والذهاب الى مدينة
لونسرا . فابتنها على اني لم احظ فيها بالراحة المطلوبة . حتى ولا كنت احب
ان امتع فيها بالملاهي المتنوعة الموجودة فيها . بل كنت اصرف ايامي وليلاتي
بالشجر من مكان الى آخر ولوانح الكمل والثقاءد بلوحان على وجهي . لانه لم
يكن لي عمل النبي . ففجرت من نفسي ورأيت ان وجودي كان مجرد

تقبل على الكرة الأرضية . لأنه لم يكن في غير لها ولا لغيري من أبناء جسي
الآدميين . وما كانت يزيدني نصيراً هو أنني كيفاً توجهت ومها فعلت كنت
أردد في فكري على غير قصد مني قول الشاعر

وكل امرء لا خير فيه لغيره فسان عدي فقة ووجوده

أما الكحل فهو غالة النباح ورأس المعاصي والقيام عليه هو صعب جداً
على من كان نظيري قد تعود النشاط والأقدام والعمل

أما أنت أخي الذي كنت قد علمته - فوالله - فوضت اليه امر ربانة
مركب كما تقدم فكان حشفي قد رجعت مركباً من يدي إلى مينا لوندرا فاني في
غرة سنة ١٦٦٢ وقال لي يا عمه أنت بعض النجار قد طلبوا إلي أن اخذ لم
ضائع في مركبي إلى جزائر الهند الشرقية ومن ثم إلى الصين ماراً على البرازيل
فلما ترغبت أن تذهب معي . أما أنا فاعذك بالمرور على جزيرتك

أما ما لأربب فيه وجود امرار طوعية وقوى غريبة واشتراك في الحاسبات
نصري بين الإنسان وغيره وبهم عنها اتفاق الآراء والأفكار إلى غير ذلك
ما يستفي عن بابو اللبيب الذي يلاحظ الحوادث والاتفاقات الغير المتصورة
التي يستفهمها البشر . وما ثبت ذلك ما حدث من توارد المخاطر بيني وبين
أخي لأنه لم يكن يعلم ما كان عدي من شدة الميل إلى العفر كما أنه لم يكن
معلوماً عدي امر منفر . ومع ذلك طرفني الأفكار التي ابتاعها لي صباح اليوم
الذي أتاني فيه . وكنت حينئذ مضطرب الأفكار مختاراً في أمري . على أنني
بعد أن امتعت النظر في كل أحوالي وشغلتات أعمالي عزمت على المسير إلى
لبسوت لاستشير قبطاني القديم بصلاحي السفر وعدو . فإذا أشار عليّ يو
أذهب لأشالة إلى جزيرتي لأتخذ أحوال تبني . وما كانت يزيدني رغبة في
ذلك هو أنني كنت أؤمل بالحصول على إرادة ملوكة تعطيني حق تلك
الجزيرة . وبعد ذلك أنقل إليها سكاناً من هنا . فيها كنت غائصاً في بحار هذه
الأفكار المضطربة وإذا أنت أخي داخل إليّ بعرض عليّ أن يذهب بي إليها

فتمكرت برمة في كلامي وأنا مفترس في وجهي ثم قلت له بصوت عال
من هو ذلك الشيطان الذي وسوس في اذنيك وارسلك اليّ مفوضاً اليك
امر هذه المأمورة المخوفة

فاجبت هذه الكلمات ولوقعت في الحيرة والارتباك غير انني اطلعت حالاً
على شدة ميلي الى اجابة طلبه فهذا عند ذلك روعة وسكن بلبالي . وقال
يا عبيدي ان المأمول ان العيس لا يتغامر ما اشترت عليك . واظن انك تحب
ان تذهب الى جزيرتك

فكان كلامه لي كالرم على الجرح لاني صيوت الى الذهاب الى الجزيرة
وكتبت كمن داخله وسواس من ذلك الثيل . فاجبت اني لا اتأخر مطلقاً عن
المهرمة اذ انتم الاتقاني بينه وبين القبار . غير انني لا اذهب الى غير جزيرتي .
فلما سمع مني ذلك لاحت على وجهه اوضاع الاندهاش وقال لي كيف هذا تريد
ان تبقى فيها بعد ان افرغت الجهد لتخرج منها فاجبت ان لا اتقدر ان اتركها
وانت راجع من الصين وترجع لي الى هنا . فاجابني ان الذين لم تكن المركب
لا يسمعون لي بذلك لانه يبعثني نحو شهر وربما شهرين او أكثر وذلك كما لا
يخفى عليك ما بأول الى حمارهم . وفضلاً عن ذلك ربما صادمت الارياح
المركب ودفعته عن الجزيرة . فخطر لي الامر الى الرجوع رأيت اني انكلمها .
فسمي مجنوناً في تلك الجزيرة

فلما تحذرت صعوبة الامر اخذت انا وابن اخي في القصر في طريقة القلص
من ذلك المذخور . فلدي التأمل برمة في ذلك صمنا على ان نأخذ معنا
كونراً مفككاً ونجارين وعند وصولنا الى الجزيرة تركبة بحيث يصير يصلح للسفر
اما انا فعزمت على السفر . ولم يكن حينئذ من بهمة امري غير صديقي
الارملة المسنة التي كانت تجهز جداً ان تنهر قصدي فأنلة لي يا رومنصن انك
قد بلغت من الشيخوخة . ولا اتقار لك على صادمة انصاب السفر وانباء البحر
وغاطر البر . فاليك عن هذا المقصد وعلى الخصوص لانه لا يوافق صالح

ولديك ان تركها وحدها لانه من اهم واعظم واجباتك ان لا تفارقها بل تبقى
معها معتنيا بامر تعليمها وتربيتها . لان امر راحتها في المستقبل يتوقف على
ذلك . وما ادراك ان سرك يكون سليم العواقب وانك ترجع الى بلادك
وتشاهد ولدك لكن كلاما لم تؤثر في البنة لان ميله الى السر كان شديدا
جدا . فاجبتا قائلا ان قلبي ميل لي الى السفر جدا . ويحني على الاقدام والنشاط
فان تأخرت عن اجابة طلبه اكون قد عارضت القدر فلا بد من تنفيذ الامر
ومهاجرة الاوطان والنجولان في الانصار والبلدان . فان قدر لي الله نجاحا
حظيت بالمطارب والا فهو حسي وم الوكيل . فلما رأته لا بد من سفره
اخذت عبيتي لي زادا . اما انا فسرعت في تدبير امر ولدي وتوفيت الى من
يشكل لي بالقيام باحتياجاتها حتى القيام وتعليمها وتهديتها الى غير ذلك
من حسن التربية والتأديب الى ان ارجع اليها او الى ان يلتمس من الرشد هنا
ان لم يقدّر الله تعالى لي رجوعا الى وطني . فاوصيت لها بكل مالي وعناري
واسمعتي واتمت عليها وصيا امينا غيوراً ممن اركان اليه حتى الاركان . اما امر
تعليمها وتهديتها فنوضته الى الاملة الصالحة فان حبها لما كان شديدا جدا .
وعملت لها معاشا نظرا لتعليمها

فبعد ان فرغت من ذلك واستحضرت الكوار المذكور مع اشياء اخر
كبيرة من زاد وملابس وعلم جراً وذلك لعدد احتياجات الجماعة التي كنت
قد تركها في الجزيرة معتمداً ان اهديهم اياها ان وجدتهم متعبين وعائشين
بالراحة والسلامة احدثت في احتضام بعض الشخص لاذهب بهم الى الجزيرة
للقيام بجراثة اراضيها مدة قياسي فيها وبعد آياتي فيها ان وافهم المكان . وآخرين
من ذوي الحرف لصنع ما يلزم لقاضي الجزيرة . اما اصحاب الحرف فهم نجاران
وحناد وصانع براميل وهذا كانت له معرفة بعمل بعض آلات ودواب
ومطاحن صغيرة واولي من نجار والاحمال كانت له معرفة في عمل كل ما
يصنع من الخشب والطين . فمبناه العامل العمومي . وخياط وكان قد طلب

من ابن اخي ان يأخذ معه الى جزائر الهند الشرقية فلما بلغني ذلك غيرت افكاره وطلبت منه ان يذهب الى الجزيرة للقيام باحتياجات اهاليها فاجاب طلبي . واما الاشياء التي اخذها لعل الملابس فهي كمه وافرة جداً من الكتان ومن الانسجة الانكليزية الرفيعة وهذه خصصتها بالاسياد ولبن الذين كنت قد تركهم في الجزيرة كما تقدم في الجزء الاول من هذا الكتاب . واما الملابس فهي كنفوف وبرابط واحدة وجوارب الى غير ذلك مما لا يستغنى عنه . وعلاوة على ذلك كلوا اخذت فرنًا واعطية واواني الماء والطبخ ومسابير ومجاريث ومعاول ومجارف وكل ما يحتاج اليه من قطن مكانًا كالجزيرة لا يوجد فيه شيء من ذلك فبلغ وزن هذه الاشياء جميعها نحو ثمانية اثة

اما ما اخذته من آلات المدافعة فهو نحو مائة من البنادق والمدفعات والفرابيات ومن الخردق كمه وافرة ونحو ثمانية فناطير من الرصاص ومدفعين صغيرين من نحاس وذلك علاوة على مدافع المركب . ونحو مائة برميل ملوثة من البارود وعدة سيوف وكل ما يلزم للصيد والمدافعة . وهذا جملة لا شيء لم اكن عارفاً حينئذ طول الزمان الذي اقيم في الجزيرة . وطلبت من ابن اخي ان يأخذ معه في المركب مدفعين صغيرين علاوة على مدافع المركب لكي ازلها الى الجزيرة ان وجدت لزوماً لذلك . لانه كان يلوح لي انه لابد من احكام تحصين الجزيرة وبناء قامة فيها للمدافعة عنها لدى الاقتضاء ان اثبت فيها .

فبعد ان ازلنا الى المركب هذه الاشياء جميعها ركبته انا وجمعة والذين اخذتهم معي من النملة واصحاب الحرف . وكان ذلك في غرة شهر كانون الثاني سنة ١٦٦٥ ورفع الملاحون المرساة وشرعوا الشراعات وحوالوا مقدم المركب نحو المنصد . فاحذت الارباع تضاد مسيرنا فدفعتم المركب الى جهة الشمال فاضطرونا الامر الى الاتقاء بها في ميناء كالوي من اعمال ايرلاندا فبقينا هناك نحو اثنين وعشرين يوماً دون ان نستطيع الخروج لشدة الارباع واللو . اما المأكولات في تلك المدينة فكانت انماها بخسة جداً . فقرودنا منها منقاراً منقاراً

واشتد بنا بفرين وعجلها لكي تأخذها معنا الى الجزيرة
ما كن ما ينبغي المرء بذركه فخرى الرياح ما لا ينبغي العفن

الفصل الحادي والثلاثون

سفر روينصن الثاني في البحر

نخرجنا من مينا كالوس في اليوم الثاني والعشرين من شهر كانون الثاني سنة ١٦٩٥ وكانت الريح تهب معنا فاسرع المركب في المسير وفي مساء اليوم السادس من شهر شباط الى الينا نائب القبطان وكا حينئذ عيتمين في قاعة المركب وقال اني قد نظرت عن بعد شهب نار وسمعت صوت اطلاق مدفع. ثم تبعه في من الملاحين وقال انت رئيس الحراس سمع ايضا صوت اطلاق مدفع ثان. فصعدنا اجمع على ظهر المركب على اننا لم نر شيئا ولا سمعنا صوتا. وبعد مدة يسيرة رأينا عن بعد نورا كبيرا جدا فبعد ان امننا النظر فيه رأينا ان مركبا يمتشق في وسط المياه وليس في البر لاننا كنا حينئذ بعيدين عنه مسافة نحو خمسمائة ميل. فظهر لنا انه قريب منا لان البعض كانوا قد سمعوا صوت اطلاق مدفعه وكان مركبنا يتقدم نحوه. ومع ان الملك كان مكبرا بصفاء كان النور يعظم بتقدمنا اليه فاصعد لنا ذلك الوصول الى بعد مدة يسيرة وبعد نحو نصف ساعة اخذ الملك بصفر ومنتظر المركب المنرق بجلي فاستبان لنا ان ما كنا قد نوسناه عنه كان صحيحا فبلا ذلك المنظر فلي حزنا وكابة واخذت فرانصي ترنعد واعضاه جمدي فضطرب حزنا على اولئك المكودي الحظ الذين كانوا راكبين ذلك المركب المنرق دون ان يكون في معرفة شئ به باحدم وذكرني ذلك الاضطراب مصابي السابعة

والصفة الشديدة التي كنت فيها قبل ان نشأ من ودة المحيط الشيطان
البرتوغالي ذو المروعة والغيرة المشهورة. وما طرق فكري هو انما كان لا
يوجد بالقرب منهم مركب لمقدم من الهلاك الذي كان حينئذ يهددهم.
قامرت الملاحين ان يظنوا حالاً المذاهب خمس دفعات متتابعة علامة لهم
بوجود مركب بالقرب منهم ليخلصهم من الموت فيحاولوا الاقتراب منه بقواربهم
وذلك لانني كنت اظن ان الظلام يحجب عنهم فلم يكونوا قادرين ان ينظروا.
اما نحن فلم تكن نرى الا اللهب الذي كان يندفع مركبهم

قدام بنا الحال على هذا المذوال برفة طويلة ونحن ننظر الصاج وكما قد
وجهنا مسيرنا نحو لمب النار. واذا اللهب قد نهال الى الجوف فبط الى اسفل
ولم يظهر لنا اثر بعد ذلك فخنقت قلوبنا وتراكت الاحزان عليها لانه انسان
لنا من ذلك ان النار اقصت بعض المركب واغرقت ما بقي منه غير اننا لم نعلم
ماذا اصاب ركابه المذكور في المحط لانهم اما يكونون قد هلكوا في وسط
اللهب واما فروا منه بقواربهم الى وسط البحر المضطرب. فعلينا مصابيح في كل
جهات المركب من اعلاه واطلنا المدافع الليل بطولها لنعلم من نجا من راكبه
اننا قريبون منهم ولكن ان كان الهلاك قد عمهم نكون قد فعلنا بعض ما
يجب علينا

فلما اصبحنا رأينا عن بعد بالظلمة المكبرة قاربين مقدمين نحونا مملوئين
رجالاً ونساءً واولاداً يكادان يفرقات من ثقل من فيها. اما الريح فكانت
ضدهم واخذ من فيها بشدهم اليها باشارات متنوعة

فرقمنا لم علامتين الواحدة اشارة لم بانسا قد رأيناها والاخرى اشارة
لبنقدموا اليها ثم نشرنا شراعات اخرى لیسرع مسير مركبنا ووجهنا نحوهم.
فبعد نحو نصف ساعة يادرتنا الى اصعادم الى مركبنا مع انهم لم يكونوا اقل
من ٦٠ نفساً رجالاً ونساءً واولاداً فانه كان في المركب مسافرون كثيرون.
ووجدنا ان مركبهم كان مركباً فرنسويّاً تجارياً مملوئاً ثلثاته طولوانة واجماً

من كوكب الى فرنسا من كندا . وقص علينا الرئيس خبر مضايقة مركبه
بالطويل وانتساب النار في وسطها بالمال الحارس وأنه صاح طالباً الاعاف
فيادر الركاب الى اطلالها وظنوا جميعاً انهم قد اخذوها كل الاتحاد . غير انهم
رأوا بعد ذلك ببرهة فمرة ان شرارات بلغت اماكن يصعب بلوغها في المركب
فلم يتمكنوا من اخراجها فاندثت الى ما بين اضلاع السفينة والجهات السفلى
منها وتعلبت على اجتهدات الجميع . ولم يروا بداً من انزال القوارب وركوبها
وكانت كبيرة كافية وهي قاربان كبيران وقارب صغير . قالوا غير لم ينفع الا
لوضع الزاد والماء بعد ان نجاوا من النار ولم يكونوا يؤملون النجاة من القوارب
فانهم كانوا يبعدون جداً عن البر . على انهم سرروا بالخلاص من الموت حرقاً
وعطروا املهم بمصادفة مركب ينقذهم . وكان معهم شراعات ومجاديف وارة قبلة
ومهاولاً ليحاولوا الذهاب الى نيو فونلاند . وكانت الريح موافقة لم طوبىها من
الجهة الجنوبية الشرقية . وكان معهم من الزاد والماء ما يكفيهم ١٢ يوماً اذا لم
ياكلوا وبدرجاً الا ما يصونهم من الموت جوعاً وعطشاً رثسهم امله ببلوغ
نيو فونلاند بالمثل المذكورة اذا لم يهب ريح مضادة او يحدث نوء وفضلاً عن
ذلك كان يؤمل بان يصطاد سمكاً يكفيهم من الغذاء في الجردون خطر الموت
جوعاً مدة اطول من المدة المذكورة على انهم حسبوا حساباً لاخطار النوء وانقلاب
القوارب في البرد والمطر والرياح المضادة التي تطيل زمان اقامتهم في البحر
فيؤمنون جوعاً . وبالجملة قال لنا كما علمنا ان النور بالنجاة ونحن على تلك
الحال من العجائب

وكانوا غاصين في بحر من الخوف والرعدة والحزن والبأس واذا بصوت
اطلاق مدفع قد طرق آذانهم ثم صوت اطلاق مدافع اخر . وكان الرئيس
يقص على هذه الاخبار والدموع تلالاً في عينيهم فرحاً بالنجاة وشعوراً بالجميل
وأثراً من المنة ايقنات التي وقعوا فيها . فهذه الظلمات هي التي امرت باطلاقها
عندما شاهدت النور . ففتحت قلوبهم واتعشت ابدانهم وتوطدت امانهم فقامهم

عرفوا بذلك ان بالقرب منهم مركبا قادرا ان يخلصهم . فعندما سمعوا خفصوا
الصواري ولفوا الشراعات فان الصوت جاءهم من جهة مبوب الريح فصعدوا
على ان ينفوا عن المسير الى الصباح . وعندما رأوا ان اطلاق المدافع انقطع
اطلقوا ٢ بندقيات الواحدة بعد الاخرى غير اننا لم نسمعها لاننا كنا منها في جهة
معاكسة لمبوب الريح . وبعد ذلك بمرهة قصيرة كادوا يطربون فرحا اذ انهم
رأوا انوارنا وسمعوا اطلاق المدافع التي كمت قد امرت ان تطلق بالتتابع الليل
بطوله . فاخذوا يجذفون بجاذبهم ليمنعوا القوارب عن ان تسير مع الريح
ليجاءوا اجتماعهم بنا . وبعد مرهة قصيرة تخفق اننا رأيناهم ففرحوا فرحا يجر الزلزم
فعلا عن وصفه

وبصعب علي ان اصف حق الوصف ما اظهر اولئك المساكنات من
الحركات الدالة على شكرهم الجزيل وفرحهم الشديد بالنجاة من الهلاك ومن
السهل وصف الحزن والخوف . فانه عبارة عن تهذبات ودموع وابين وحركات
قليلة يقوم بها الراس والايدي . ولكم اظهروا لشدة الفرح تأثيرات كثيرة
تختلفة فكان البعض يطوفون مزيجين يزفون ثيابهم كأنهم في اشد الحزن
والهمس كانوا يركضون في المركب بعنف والبعض كانوا يرقصون او يغنون
او يضعفون او يبكون فرحا . ومنهم من يلبس بالحرس فلم يكن يقدر ان ينوه بكلمة
ومنهم من كان قد فعل فيه الدور واخذ يتبأ . اما الذين غابوا عن الصواب
فكأبرون والذين كانوا يشكرون الله على النجاة بالصلاة كانوا قليلين . ولا ينبغي
ان اندد بهم فان كثيرين منهم شكروا الله بعد حين لان شدة الفرح جعلتهم غير
قادرين على ان يضبطوا حالهم حينئذ فاصبحوا في نهج واضطراب شديد
اما الذين فرحوا فرحا معتدلا فكانوا قليلين وكانوا من القلائد المشهورين
بشدة التأثير والانفعال . ولست من الحكماء لاقطع بسبب ذلك لكن اعلم اني
لم ار شيئا مثله ممااتي بطولنا . وكانت حركاتهم قريبة من حركات خادي جمعة
الامين عند ما رأى اباه . وكذلك اعمال الرئيس ورقيقه اللذين خالصتهم من

الملاحين الشريرين قربة من اعالم . على اني لم اشاهد شيئاً قدرة حياي
بطولها لاني خادني جمعة ولا في شخص آخر . وما يصدق الذكر ان تلك الحركات
الناشئة عن نهاية الفرح لم يكن يظهر نوع منها في شخص والاخر في غيره ولكنها
كلها او اكثر ما كانت تبدو في شخص واحد في مدة قصيرة فالذي كنت اراه
صائماً كأنه غائب عن الصواب كنت اراه بعد دقيقة برقص ويصيح ويضحك وبعد
دقيقة ينقطع شمرة او يرقق ثيابه ويدوسها برجليه ثم اراه يذرف دموعاً غزيرة
ثم يفعل فيه الدوار ويغيب عن الصواب ولولا المداخلة لما كنت في دقائق قليلة
ولم يكن ذلك شأن واحد او اثنين او عشرين منهم بل شأن اكثرهم واظن ان
الطبيب التزم ان ينفذ نحو ثلاثين منهم

وكان منهم كاهنان احدهما ممن والاخر مني . والمنعرب ان تأثيرات
الممن كانت اشد من تأثيرات الثاني . فانه عندما وضع رجلاه على مركبنا سقط
كأنه لم يظهر فيه علامة من علامات الحياة فعالجته الطبيب حالاً وتقرر
عند جميع من في المركب انه قد مات خلا الطبيب . وفي النهاية قصد في ذراعيه
بعد ان ذلك مكان الصد بعنف حتى تحن في ياديه الامر خرج الدم
فطرات ثم جرى طبعاً وبعد ربع ساعة تكلم وبعد برهة قليلة شفي . وبعد ان
ربطت الصادة اخذ ينشئ وقال لنا بعد ان شرب جرعة من الدواء انه قد
نال الشفاء التام . وبعد نحو ربع ساعة طلب الطبيب ركعاً وكان يقصد امرأة
غابت عن الصواب . فذهب الى الكاهن ولم يرض ان ينفذه وهو على الحال
التي وجدته عليها ولكنه ساء ما يجعله ينام ففعل فيه الدواء ونام الى الصباح
واستفاق صحيح الجسم والعقل

اما الكاهن الداب فتصرف تصرفاً جميلاً وكان قدوة بيبي ان ينفذ
بها فانه عندما صعد على المركب جئنا الى ركبتو شاكرين الله سبحانه وتعالى على
نجاته . ثم كبا على وجوههم مدداً الشكر فظننت انه قد اغيى عليه فدنوت منه
وناديت ففطر الي ونكلم بان وشكرني على اعطاني وقال اني اشكر الله سبحانه على

نجاني . وعزل الي ان اركب دقاتي قليلة لانه بعد تقديمه فرضة الشكره
خالقو يقسمها لي . فتكررت لاني اوقفت عن الصلاة مرة واحدة عنده ومنعت
المصباح عن ان يتدبر معه واسمى على تلك الحال نحو ثلاث دقائق او اكثر
قليلاً منه بعدت عنه . ثم نهض ودنا مني قائلاً بحمد وتاني وحسن الدمع في
عيني اني اشكر لك لانك بعد الله انت معطينا ومعطي كثيرين الحياة . فقلت اني
لا اري سبباً لان اطلب اليك ان تفكر الله على ذلك عوضاً عن ان تبث
الشكر لي فانك قد تمت بذلك الغرض على انهم افعلا ما تقتضيه الانسانية
وحقوق بعض الناس على البعض الاخر . ومن الواجب علينا ان نقدم الشكر
لخالق لانه باركنا بميلنا آله رحمة لتخلص هذه النفوس

وبعد ذلك اخذ الكامن الشاب بيده يديه وحملني في حمله على
ضبط حاسياتهم وفي ان لا يفعلوا ما هو خارج عن دائرة العقل ونجح عند
البعض على ان البعض الآخر كان لا يقدر ان يصبر لمشورتي ولا ان يضبط نفسه
هنا واي قد كتبت هذه الحوادث املاً بانها ربما كانت تفيد مطالعها
لانها ربما مكنتهم من ان يضبطوا انفسهم . فانما كانت شدة الفرح قد جعل
الناس على فعل اعمال كاذبة وصفاتها فاذا بانوى بنيل الصواب في الغضب
الشديد والفرط العنيف وهذا قد يثبت لي لزوم تليد عواطفنا وحاسياتنا
وافعالنا اذا كانت ناشئة عن فرح او كدر او حزن او غضب

فاذلة ضيقنا المخلصون اوقع خطاي في اعتظامنا اليوم الاول . ولكن بعد
ان عشت لم امكن للنوم مرعبة على قصر الامكان في مركب كركنا وناموا
طويلاً لانهم كانوا جميعاً قد حرروا النوم واضناهم الخوف تغيرت احوالهم في
الغد فكانوا كأنهم غير الذين دخلوا المركب في امس فانهم اظهروا من الشكر
واللطف والحنو والمحب ما يقصر القلم عن وصفه . فالامة الفرماوية تفوق جميع
الامم في ذلك . وجاءني في ذلك اليوم رئيس المركب واحد الكهنة حالدين ان
يكلمني ويكلمهم جميعاً . فاخذ الرئيس بشاوري في ما ينبغي ان يفعله وقال لي

باديء الامر اننا قد خلصنا جميعا من الهلاك فاذا اعطونا كل ما نلكونه
 يكونون متصرفين وقال الرئيس قد خلصنا غرقا وبعض اشياء ثمينة في القوارب
 باخراجها حريما من اللهب فاذا قبلها ما فقد قوضا بان يندماها كلها . ولم
 يكونوا يطلبون الا ان يصير توصيلهم الى البر حيث يندرون ان يجدوا ميلا
 الى العود الى فرنسا وكان نسمي برغب ان يقبل المال ثم ينظر في ما ينبغي ان
 يفعل بهم . غير اني سمعت لاني كنت عالما ما هو لازم للفرقاء في بلاد اجنية .
 ولو علمني الرئيس البرنوقاني الذي خلصني من الفرق هذه المعاملة لمست
 جوعا ولا سميت عبدا في برازيل وكنت في بلاد البربر

فقلت للرئيس الفرنسي اننا خلصناهم من ضيقهم وذلك من الواجب
 علينا ونحب ان نخلص اذا بنا في ضيق كضيقهم او في مضايقة اخرى وانما لم
 نعلمهم الا ما هو مقرر عندنا انهم يعلموننا باننا اذا امسينا في ما اسلوبنا وانما
 خلصناهم من الفرق ليس لسلب مالهم ومن الاعمال البربرية ان ننولي على
 القليل الذي خلصوه من النار وان نضعهم في بلاد غريبة فهذا عبارة عن نخلصهم
 من الموت غرقا وتركهم ليهوتوا جوعا وذلك لا اسمح بان يؤخذ منهم شيء . اما
 نقلهم الى البر فهو صعب علينا جدا لاننا ذاهبون الى الهند الغربية ومع اننا قد
 اجعدنا كثيرا عن طريقنا غربا لا نقدر ان نغير طريقنا عدلا لاجلهم . وربما كان
 الله سبحانه وتعالى قد وضعنا خارج عن الطريق لصادقهم ونخلصهم . ولا يندر
 نسمي الرئيس بحمل مسئولية ذلك بالنظر الى اصحاب الشن فانه قد عاهد
 رسميا ان يذهب بطريق البرازيل . وما اعلمه هو ان نسير في طريق المراكب
 الراجعة من جزائر الهند الغربية لئلا نركب مركب عائد الى انكلترا
 او فرنسا

فشكرونا كل الشكر على رفض النفود غير انهم خافوا جدا خاصة الركاب
 منهم من الذهاب الى جزائر الهند الغربية فنوسلوا الي ان اسمح بالذهاب بهم
 الى نيو فولاند لاني اجعدت كثيرا عن الطريق الى الجهة الغربية حيث ربما

صادفوا سفينة ترجعهم الى كائنا التي خرجوا منها. فرأيت ان عليهم عادل فلت
الى اجانبه ورأيت ان الذهب هم جميعا الى جزائر الهند الغربية ينقل عليهم
ويضربنا جدا بفروغ زادتنا وان التعرج هم عن الطريق لا يحسب نعدنا على
الشروط ولكه مراعاة لحادث غير متظرف قد حكمت نوايس الهاري وفواين
البشر علينا بان نلاقها. فارتضيت بان اذهب معها الى نيو فولا ندا اذا لم يمنع
الرياح والا فاذهب هم الى مارينيكو في جزائر الهند الغربية
وكل امرء لاخير فهو لغيره فسيان عندي ففداه ووجوده

الفصل الثاني والثلاثون

سفر روبنسن الثاني في البحر

وكانت الريح موافقة لهم من الجهة الشرقية. والفتيا براكب كبيرة
ذاهبة الى اوربا منها مركبان فرنسويان وكانت الريح ضدّها وهذا هو الذي
اخبرنا عن ارسال الفرنسيين فيها الى بلادهم لان قبطانها كانا يخشيان ان
يفرغ زادهما اذا زاد عدد الركاب فيها لان الريح كانت قد ضادتها منذ زمان
طويل. فتلووا المعبر مدة اسبوع بعد ان الفتيا بالركبت المذكورتين.
فوصلنا في نهايته الى نيو فولا ندا. ولا حاجة للذكر تفصيل حوادث سفرنا ولكن
نقول بالاختصار اننا استأجرنا مركبا لذهب بهم الى الشاطئ ومن ثم الى فرنسا
هنا اذا وجدوا من الزاد ما يكفيهم حتى وصولهم الى بلادهم. اما الخوري الشاب
فلما بلغه ان مقصد المركب المغر الى جزائر الهند طلب اليه ان يذهب به الى
هناك ومن ثم الى كورمانديل فاجبته بفرح لانه كان محبوبا وعليه سيات

الاحرام والاعتبار. وذهب معنا اربعة من ملاحي السفينة التي احرقها النار
وانخرطوا في سلك ملاحى مركبنا

وبعد ذلك مرنا نحو الجزائر القديمة، فكانت الريح تارة تهب معنا وطورا
تسكن فلبينا على هذه الحال نحو ٢٠ يوما واذا اشتراع سفينة قد لاح امامنا
فلدى القوس فهو ظهر انه شراع سفينة كبيرة متقدمة اليها على اننا لم نعلم لماذا
قصدها. ولما دنف معنا رأينا رأس صارمسا الاول مكشورا وكذلك صاري
متدنها. ثم اطلت مدفعا علامة للصبي وكاد الريح حينئذ تهب معنا فوصلنا
اليها سريعا ونادينا الرئيس فالتين ماذا تريد منا فاجاب اننا كنا ذاهبين من
بربادون الى وطننا برادون فدفعنا زوامة شديدة عن الطريق قبل ان نخرج
من ميناء برادون اما رئيسنا فكان حينئذ مع نائب الاول في المدينة فلم يقدرا
ان يدركا. واما انا فاني النائب الثاني، فلما قد اصبحنا بلا مدبر يدبر
السفينة ولا صوار نشعر عليها الشراعات وقد تعمروا وصولنا الى وطننا فان لنا
نحو سبعة اسابيع نيه في هذه البحار واصادم احواء شديدة ورياحا عاصفة ذهبت
بنا على غير قصد الى الجهة الغربية وعطلت ما كان قد سلم من صوار بها

وكنا نأمل الوصول الى جزائر بهايا ولكن الريح دفعتنا رغما عنا الى
الجهة الجنوبية منها وقد اصحبت سفينا دون صوار تسير بها خلا اسفل صاري
متدنها وصاري المؤخر والريح تهب جنوبا وقد حاولنا العبور معها نحو الكارتر
وقد فرغ زادنا منذ ١١ يوما واوشكنا موت جوعا وليس عندنا شيء سوى
قليل من الماء ورميل فهو قليل من الطحين وصيفة راسول من الرم (عرق افريقي)
اما الحلوى فقد اكلناها كلها

فبعد ذلك اتى النائب الثاني مركبنا وكان هو حينئذ رئيس السفينة وقال
ان معنا في السفينة خمسة ركاب في حالة يرثى لها لا بل اظنهم قد ماتوا جوعا ومنذ
اكثر من يومين لم اسمع عنهم شيئا ولم اكن اطيع ان اقابلهم على الهيئة المذكورة
لانه لم يكن لي اقتدار على مد احتياجاتهم، فلما بلغني ذلك ورأيت ان البحر كان

هادئاً نزلت في قاري وذهبت معه الى سفينة . فلدى الوصول اليها وجدنا
 ملاحيها في حالة يرثى لها من الضعف والجوع ولم يبق من اجسادهم غير الجلد
 والعظم فكانت مناظرهم محزنة جداً وكاد قلبي ينطرد ما حزناً عليهم . وكنت
 قد احضرت في القارب قليلاً من الزاد وذلك بارادة ابن اخي لاني عاينته
 وارشاداً الي كنت قد حملته على ان لا يتأخر مطلقاً عن مساعدة من يحتاج اليه
 ولو بخسارة نفسه اذا اضطر الى ذلك الى الهلاك فاعطيتهم الطباخ الدنية بضعه
 واخبرته ان لا يعطي ملاحيها في اول الادر شيئاً بغيراً من لانه لا يجني انه
 يحصل ضرر عظيم بان يملأ جوفه مد ان يكون مقطوعاً طويلاً عن الأكل . اما
 النائب الثاني فكانت حاله قد قاربت الانتهاء من شدة الجوع لانه لم يزد نفسه
 بشيء من باقي ملاحي السفينة . فبعد ان اكل شيئاً يسيراً شعر بالمد يد
 وضعت قواه فامتنع عن الأكل فتقدم اليه طبيب مركبنا واعطاه قليلاً من
 مرق اللحم مزوجاً بدواء قوي الجسم فافادته ذلك جداً وارتدت اليه قواه
 وزال عنه الالم . واما الملاحون فكانوا قد اجتمعوا حول المطبخ وأولم بهم
 نائب رئيس مركبنا بالقوة الجبرية لمعطوا الطعام من التدر قبل الانقواء .
 فتقدمت منهم وقلت لم لا يعني ان تأكلوا بشراة بل بالتدرج فترجع اليكم قواكم .
 واعطاهم الطبيب قبل ان تأكلوا الخبز واللحم فمساخاً لولاً . ثم امرت الطباخ
 ان يعطي كلأ منهم شيئاً قليلاً من اللحم والخبز فكانوا يأكلونه بشراة لا يريد عليها
 لان الجوع كان قد غلب عليهم فباتوا لا يقدررون ان يمسكوا انفسهم وبات
 البعض منهم في خطر الموت فأنر في هذا الخطر الموت تأثيراً مكرراً جداً وحركه
 في احاسات الشفقة والحنو وذكرني بالوقت الذي دخلت فيه جزيرتي للمرة
 الاولى دون شيء انذني ومع استطاع لعل الحصول على الطعام حال كون
 الخوف من ان ايت طعماً لا يغيري اخذ مني كل مأخذ . وكان النائب المذكور
 يجبرني عما لاقى من الضيق في السرور ومن المصائب التي املت به غير ان افكاري
 كانت مشغلة بالفلائه الركاب الذين كانوا في قاعة المركب الكبيرة فاستقرت

عن تفاصيل ما طرأ عليهم ، فقال لي ابن شدة : صائبنا انستنا مصائب غيرنا
ولذلك منذ يومين أو ثلاثة لم أرسل اليهم شيئا وإنه لما قل زادنا كنا نعطيهم شيئا
يسيرا جدا من الطعام ومنذ ٧ أيام لم يكن لهم شيء ، يقتانون به واظهم قد هلكوا
جوعا وهم امرأة ولدها وجاريتهما قد هبت حالة اليهم ومعني النائب والطبيب
ومرق وبعض ادوية وكان قد اخبرني ملاهو الدنية ان تلك المرأة كانت
ذات طباع لطيفة وجانب رقيق وخصال حسنة جدا وانها لم تأكل ما كان يعطى
لها من الثوب بل كانت تبيع لولدها فاضربها بالجوع كل الاصرار . فلما دخلنا
الغارة وجدناها جالسة بين كرسيين وقد التفت ظهرها على جانب السفينة وعنها
غارق بين كفها وكان . نظرها كنظر جنة مائة دون رأس اما حيائها فكانت
قد غارت الزوال . فاخذ نائب مركبنا يوفيا ونجسها وملأ ملعنة مرفقا وافرغها
في فيها فتفتحت شفتيها ورفعت يديها ولكن لم تقدر ان تكلم فانشارت اليها لا
امل لها بالنجاة من الموت لان وقت تحليصها قد مضى والجوع قد انشب فيها
محالة وان ينشل ولدها من الموت ويعتق . فلما رأى نائب مركبنا ذلك
تحركت عواطفه وجرى الدم باردا في عروقها واجتهد ان يخلصها من الهلاك
فافرغ ثلاث ملاحق من المرق في فيها ولكن لم يجدها ذلك نفعا بل قضت نحبها
في نفس تلك الليلة . اما ولدها التي حفظت حيائه والدنة الشديدة الحنو والشفقة
باهلاك حواشي فلم يفل في الجوع كما فعل فيها فوجدناه ملقى على فراشه
واعضاه جسد مدودة وادارات الحياء تكاد لا تلوح على وجهه وفي فوهة قطعة
من كعب قديم كان قد اكل بعضه فافرغ نائب مركبنا قليلا من المرق في فيه
فاستفاق ورجع الى نفسه لانه كان اقوى من والدته . وبعد ذلك سقاء ملعنتين
أو ثلاثا بتابع فلم يهضمها معدته لضعفها فتفوأها واخيرا تشددت عرائقه بالتتابع
وزال عنه خطر الموت

بعد ان فرغنا من الطبيب الذي تقدمنا من الجارية فوجدناها ملقاة على
ظهرها بجانب سوتها وكانت اعضاه جسدنا باسنة كن تازع في مرض الفالج

وقد قبضت على رجل كرمي يدها وضمتها بشدة ولم تقدر ان ترحلها على تركها بسهولة اما يدها الثانية التي كانت قد وضعها على راسها ورجلاها فكانت احدهما ملقاة على الاخرى موضوعتان على جانب السفينة

فاخبرنا ملاحو السفينة ان هذه البحارية المنكودة الحظ لم تكن غالم من شدة الجوع فقط ولكن عذابات سيدتها التي كانت تحبها جدا اثرت فيها تأثراً عجيباً لانها كانت قد شاهدتها تقالم على مرأى منها ثلاثة ايام

انه لا ينبغي ان من كان سائراً في مركب في وسط البحر قاصداً محلاً معلوماً لا يمكنه ان يتأخر كثيراً في الطريق لئلا يطرأ عليه ما يضر به من نوء او زوابع او بلايا اخرى كثيرة فلذلك لم يتأخر كثيراً لان المقصود انما هو مساعدة تلك السفينة فلما فرغنا من مساعدتها اردنا ان نتوجه في سبيلنا ولكن رئيس السفينة خافنا ثلاثة او اربعة ايام لانه طلب اليها ان نسمعه في اقامة صواير عوضاً عن التي كانت قد كسرنا الرباع . وبعد ذلك اعطيناه خمسة برايل ملوئة لحماً فذهبنا وبرميلاً من الكورك وصدوفتين من البقساط ولحمياً وانبياة اخرى كثيرة كما تقدر ان نستفي عنها واخذنا عوضاً عن ذلك ثلاثة برايل من السكر وقليلاً من الرم

وكان ذلك الذي على جانب عظيم من اللطف ورفقة الجانِب والادب قد بلغ السبع عشرة سنة . فقال لي ان اولئك النساء قد قتلت ابي فاشكرك على اخراجك اباي من بينهم . نعم انهم قتلوها لانهم او علموها بالشفقة لكانوا قاسموها على بنه زادم والنقوا الى سد بعض احتياجاتها ولكن الجوع ظالم فلا يرحم احداً ولا يعرف صديقاً ولا يرقي لحالة المتوجعين . وكانت حزيناً منكسرة القلب لانه فضلاً عن فقده والده حنونة قد فقد اياه في باربادور منذ مدة بحيرة وبعد ذلك سرنا في سبيلنا

وكان الذي قد دنا من الطبيب وقال له ايها الطبيب اني اتوسل اليك ان تغدلي من ايدي اولئك النساء القلوب الذين قد اهلكوا والدتي واذهب

في الى حيثما شئت لاني اعلم ان رئيس مركبكم (اي انا لانه ظن اني الرئيس لانه
لم يراين اخي) الذي اتشلتني من الموت لا يفعل شيئاً يضري بي واني مؤكدا ان
الجارية متى رجعت الى نفسها تفكركم على اخراجها من بين قوم لاني قلوبهم
الصخرية اصراخات للتضايقين . فاجابة الطبيب انا ذاهبون الى الجزائر الحديثة
وهي بعيدة جداً عن بلادكم وربما يصيبك هناك نفس ما قد اصابك في هذه
السفينة من الجوع والضيق وانت بعيد عن اهلك واصحابك ووطنك . فاجابة
لابأس لاني مؤكدا ان رئيسكم لا يفعل ما يضري فاضربني بذلك الطبيب
وتوصل الي ان لا ارده خائفاً وان استحيب نوسلات فتي منكسر القلب . فحن
قلي بكلماته المؤثرة واجت طلبة وانبت يوب الجارية الى مركبنا وكل ما كان
معها ما عدا عشرة براميل كبيرة جداً من السكر لانا لم نقدر ان ننفقها . وجعلت
رئيس المركب يتعهد كتابة بتسليمها الى تاجر في برمتول يدعى الخواجه روجرن
وكان من اقارب النفي وكنت له مكتوباً وارسلت ايضا جميع الامتعة الخاصة
بالمرأة الموقوفة واظن ان تلك السفينة لم تصل مطلقاً الى برمتول بل فقدت
في الطريق لانها كانت قد تعطلت من حلة محلات واخذ الماء يدخل اليها
والنوم الاول الذي بصادفها يكون كافياً لاغرافها

لانه لا حاجة الى ذكر تفصيل كل ما صادفنا من مضادة الريح وموافقتها
وامور اخرى كثيرة بعد ان فارقتا السفينة المذكورة مثقلين على القاري بامور
ثانوية حال كون بقية اخبارنا متعلقة بما همهم . ولما وصلنا درجة ١٩ ودقيقة
٢٣ كنا نرى جزائر كثيرة في البحر غير اني لم اعرف ايها جزيرتي لاني كنت قد
دخلتها وخرجت منها من جهتي الشرق والجنوب اما الآن فانتم من جهة
اخرى ولم يكن معي شواظنها رسم ولا علامة فلم اعرفها . فركبت فارباً من القوارب
التي نجى فيها الفرنسيون الذين ذكرتهم واخذت في التطواف من جزيرة الى
اخرى عند مصب النهر اوزونوكو العظيم فوجدت بعضها مأهولاً وبعضها مشراً
وفي احدها بعض اسبانوليون فظننتهم من سكان تلك الجزيرة فلدى السؤال

وجدتهم من جزيرة فرنداد وكانوا قد اتوا الى صنعوا ملحا ولينطوا صدف در
فوجدت اني قد اركبت الفلظ من وجهين الاول عند ما كنت في جزيرة
كنت اظن ان ما ارأته من اليابسة هو قارة . فبان لي الآن انه جزيرة كبيرة او
بالبحري عدة جزائر بعضها قريب من البعض الآخر من مصب النهر المذكور
والثاني ان البراسة اللذين كانوا يأتون جزيرة لم يكونوا من البراسة الذين
يعدمون كاريين بل كانوا من سكان الجزر المجاورة لما

بعد ان صرفت مدة في الجولات من جزيرة الى اخرى بلغت الجهة
الجنوبية من جزيرة فلما رأيتها عرفتها حالاً فانيت بالركب وانها مرساة في
المدخل مقابل مكسي القديم

سريت بارض قد ربيت بربعها كاسر مشققي بلقي الحبالير

التصل الثالث والثلاثون

وصول روبيص الى الجزيرة

وعند ما رأيت المكان دعوت جمعة الي وسأله هل تعلم اين انت . فنترس
برهة فيما يحوله ثم صفيق يدي وصاح قائلاً أأم نام هناك هناك . اي نعم نعم وأشار
يدي الى منزلة القديم في الجزيرة واخذ يرفص ويتبته كن اصوب يجوف
ولم منع عن ان يلقي بنفسه الى البحر لذهب ساجاً الى الجزيرة الا بعد عشاء عظيم .
ثم قلت له لقد احسنت يا جمعة هل نظرت لنا نرى احداً في ذلك المكان اولا
وهل نظرت انك ترى اباك قيو . فصمت منكناً برهة طويلة وعند ما ذكرت اباه
لاحت على وجهه لوائح الكدر واضطراب الخاطر ورأيت الدموع تدر من
عيون غزيرة فانه كان يحدا واداء فقلت يا جمعة ماذا اصابك يا نرى هل

اضطربت لانك مزعج ان ترى اباك فحرك رأسه وقال لا لا بعد لا اراها ابداً لا اراها بعد فقلت ماذا جعلك ان تكون على يقين من هذا القيل قال لا امان من طويته مانت انها شبح وكيرة فقلت يا جمعة اند اخطأت لانك لا تعلم الواقع وهل تظن اننا نرى غيره . وكانت عيناه اقدر على النظر من عيني فاشار الى اكل الواقع فوق مترلي القدم ونحن على بعد نصف فرسخ منه وقال نام نام نرى نرى نام نرى كثيرين رجال هناك وهناك وهناك . فنظرت ولم ار احداً حتى ينظاري واظن ان السبب عدم تمكيني من توجيهها الى المكان الذي كانوا فيه . اما جمعة فعلت في القدي انه اصاب فانه رأى في ذلك المكان خمسة او ستة رجال صعدوا اليه لينظروا المركب لانهم لم يكونوا يعلمون الداعي الى مجيئه الى ذلك المكان المفتر

وعند ما قال جمعة انه رأى رجالاً نشرت الراية الانكليزية واطلقت ثلاثة مفاع لتبين لم انا اصدفاه . وبعد ذلك بنحو سبع دقائق رأينا دخاناً صاعداً من جانب الوادي فامرت في الحال بانزال القارب وركبته انا وجمعة ونشرت فوه راية بيضاء اي راية صداقة وسرت رأساً الى الشاطئ وذهب معي الكاهن الشاب الذي تقدم ذكره . وكنت قد اخبرته بعيشي في تلك الجزيرة ووصفت له احوالها وجميع التفاصيل المتعلقة بي وبالذين كنت قد تركهم فيها فرغب جداً في ان يذهب اليها . وكان معنا في القارب فضلاً عن الكاهن وجمعة ١٦ رجلاً مفلقين سلاحاً كاملاً حذراً من ان نرى قوماً ينعون نزولنا الى البر فغير اننا لم نخرج الى سلاح

وبلغنا الشاطئ والمند يكاد يبلغ عظمة فدخلنا في القارب الى الشق والرجل الاول الذي رأيناه هو الاسبانوي الذي كنت قد خلصت حياته فعرفته حالاً من وجوهه اما ثيابه فسيأتني وصفاً فامرت ان لا يخرج احد الى البر في اول الامر فخرى على انه لم يكن من مهبل الى بناء جمعة في القارب لانه رأى اياه المحبوب عنده ونحن بعد بعيداً عن الاسبانوي مع انني لم أراه . واول ما سمع الملاحون له

بان يخرج الى البراطح نفسه في البحر وسار ساجداً. وعند ما وضع رجله على
 الشاطئ سار الى ابيو بسرعة كانه سهم صادر عن قوس. وما من احد يتقدر ان
 يرى ما رأينا من علامات سرور جمعة بالاجتماع باي دون ان يذرف دمعاً
 وان كان اشد الناس اقتداراً على ضبط نفسه فانه اعتقه وقوله تكرر ارجو
 ويبدو وحده بذراعيه واجلسه على نجرة ونام بالقرب منه ثم وقف وتفرس فيه
 كانه يتفرس في صورة غريبة ربيع ساعة ثم نام على الارض واخذ يلمس رجله
 ويقلبها ثم وقف وتفرس فيه. وكل من رآه ظن انه اصيب بالجنون من شدة
 الترح. وفي الغد تغيرت تأثيرات الترح فيه فخرج وذهب في الصباح الى
 الشاطئ معه ومعه يده واخذ يقضي معه ساعات وكان كل برهة يأتي القارب
 ليأخذ له شيئاً من بطمه اياه كالسكر والكمك وبعد برهة تغيرت احواله فانه
 فانه كان يجلس على الارض ويرقص حوله آتياً بمركات غريبة منسوجة جناً.
 وكان يقوم بذلك وهو يكله ويص على اخبار افكاره وماذا صادف. وبالحاجة
 تقول انه لو احب لولاد اهل الكتاب اياهم كما احب هذا البربري اياه لكانت
 اولاد النبي انه لا حاجة لم الى الوصية الخامسة من الوصايا العشر فانا وادلك
 فلنرجع الى ما كنا في صدره. فتقدم الى البحر الرجل المذكور ومعه رفيق حامل
 راية يضاء. ولما رأني لم يعرفني لانه لم يكن ظاناً اني ارجع اليهم. فقلت له في
 اللغة البورتنغالية يا سيور الانعرفني فلما سمع صوتي لم يتكلم بل لعطى اليدفة
 الى رفيقنا ودنا مني. ثم قال كيف اتى هذا الوجه الذي عدا مشاهدتي اياه في
 المرة الاولى ظننته ملاكاً فعدراً من السماء ليظفني. واخذ يجمل ويلاطفني
 بكلام ككلام ادياء الاسبانوليين. ثم اشار الى رفيقنا بان يذهب ويدعو ارفاقه
 وقال لي هل تذهب الى منزلك القديم غير انك لا تنظر فيه اصلاحات كثيرة
 فذهبت ولكني لم اعرف الطريق المؤدية اليه فكنت كهريب في الجحيرة لانهم
 كانوا قد غرسوا فيها اشجاراً كثيرة بعضها قريب من الوض حتى انها في دة
 العشر السنوات التي غبت فيها عنها كبرت جداً وسدت الطريق بحيث لا يتقدر

ان يسلكها الا من عرفها مع اعوجاجها ونواربها بين تلك الاشجار المثلثة ولم يكن
يعرفها غير من غرس الاشجار التي نعتزها فعلمنا اننا اذا حصصنا المنزل هذا للخصمين
فاجاب اننا وجدنا اربوا لذلك ونحذر من الفواصل متى اخبرناك عن
نار عرجواننا . لا تدخلوا هذه الجزيرة خاصة مدة غيابك . وحررت جدا عندما
بلغني انك قد سافرت في مركب جيد وحصلت على المرام وكان لي امل وطيد
ان اراك مرة ثانية في هذا العالم على التي فرحت واندهشت جدا عند ما رأيتك
راجعا اليها كما حزنت عندما رجعت ووجدت انك خرجت من الجزيرة

اما البرابرة الثلاثة (اي الثلاثة الاشرار الذين تركهم في الجزيرة قبلا)
فانهم لم يحسنوا التصرف وسأخبرك امورا كثيرة عن اعالم الشريرة ونحن
الاسمايوليين كما نفضل السكينة بين البرابرة على السكينة معهم ولو كانوا كثيرين
لاننا نكون منذ زمن طويل . على اني اظن انه يسرك ان تعلم ان الضرورة الجائئة
الي ان نخرجهم من الاسلحة ونفكهم فيهم وذلك لاجل عيانتنا لانهم لم يكتفوا
بان يكونوا سائدين علينا بل ارادوا ان يكونوا . فاجئت ان الذي اضل
امكاري . لا خرجت من الجزيرة حتى رجعت اليها هو نفس عدم تسليمي كل ما فيها
الحكم قبل خروجي منها وجاهكم سائدين على اولئك الاوباش الثلاثة لانني كنت
اعرف انهم من الناس الاشرار الذين لا يتأخرون مطلقا عن فعل
الشر والتبع

فعد ما فرغت من الكلام وصل اليها الرجل الذي كان قد ارسله اليها
لوفائه وسعة ١١ رجلا فخرجت عنى ثابهم معرفه جنسية كل منهم غير انه اخبرني
عن كل واحد منهم واخبرهم عنى بعد وصولهم اليها وقالت لي يا سيدي
هؤلاء هم عائلتك ثم التفت اليهم وقال لهم هوذا عائلتكم فتقدموا الي الواحد بعد
الاخر وسلموا علي فخلوص واظهار ولطف وورائة . ثم اخلوا بقميلون بمبارات
ادوية لطيفة حتى انني كنت اقصر عن الجواب . وبعد ذلك اخبرني احد
بمناصيل ما طرا عليهم الماء غياني ولا تكث القاري من الوقوف عليه اذ كره

يجهلون لاني وجدت في ذلك الخارج امورا وحادثات اذينة مفودة غريبة جدا
 تدل على ما صادفت في ايدي الامم والنواضع اري من اللزوم ان استأنف خبر
 خروجي من الجزيرة واصفا الحانة التي تركها عليها مع ذكر احاء الذين خلفوني
 فاقول . اني كنت قد ارسلت ابا جمعة والاسبانيولي الذي خلاصته من ايدي
 البرابرة في قارب من قواربهم الى المثل الذي كانا قد اسرافوا لكي يأتيا بارفاني
 الاسبانيولي الذي كان قد تركهم فيها . ولخلصهم من شدتهم واستعان على ايجاد
 طريقة للخروج من الجزيرة واشترك مع اهل العالم بلناتو ولم يكن لي حوتف
 اقل امل بالنجاة ولا لاح لي قط ان مركبا انكليزيا ياتوها ويذهب لي منها ولا
 ريب ان ابا جمعة والاسبانيولي اندهما جدا عند ما رجعا ووجدنا اني ذهبت
 عنهما وتركتهما فيها اولئك الاشرار الثلاثة الذين ناكل كل ما كان لي فيها ولو
 لم يكونا غائبين اسلمنا ذلك اجمع

فصالت الاسبانيولي عن تفاصيل ما طرأ عليه وعلى اي جمعة في سفرها الى
 الجزيرة الثانية ليأتيا بأولئك الاسبانيولين . فقال لي انما لم تصادف شيئا يستحق
 الذكر في الجزيرة لانه كان هادئا . اما ابناء وطني ففرحوا فرحا لا مزيد عليه عند
 ما رأوني راجعا اليها (الظاهر ان هذا كان كبير ارفانو وعندهم بعد ان مات
 رئيس المركب الذي اكسروهم) واندهم فرحهم يرجو ونعيمهم لعلمهم بفرجي
 في ايدي البرابرة اسيرا وظنوا انهم اكلوني كما اكلوا سائر احرارهم . فلما اخبرتهم
 بواسطة خلاصي من ايدهم اندهم عسا ونعيموا جدا ولم يكن اندهم اقل من
 اندهاش اخوة يوسف عند ما اظهر لهم نسمة واخبرهم بمظنة ومجده ولاحت على
 وجوههم لوانح الاضباب في خبري غير انهم رجوا الى انفسهم ونحفظوا صحة كلامي
 بمداينة الاسلحة والبارود والرحاص والزاد الذي كان معي لغات في في البحر
 فالتصول على قوارب تركها الي هنا خذنا اصحابنا البرابرة وطلبنا اليهم
 ان يهرونا قاربين كبيرين للفرار والصيد فاجابوا طلبنا وفي صباح اليوم الثاني
 ركبا واتينا هذه الجزيرة ولم يكن معنا ما يعيننا من ااثك وملابس وزاد لانه لم

يكن معنا غير ما علينا من الملابس وبعض ثمار الشجار تزودنا ما نحتاجها بها في
الجزيرة الصغرى ولم يكن يحتاج اليها لان الزاد الذي اعطينا اياه كان كافيا وكان
غيا بنا انا والى جمعة عن الجزيرة ١٢ اما بعد ففي غضون ذلك اتى المركب الانكليزي
الذي سافرت انت فيه (كما تقدم في الجزء الاول من هذا الكتاب) ناراكا
٢ من اشهر الرجال وارديم ولا ريب في ان ذلك كدر الاسبانوليين كل الكدر
وكنتم قد تركت عند اولئك الرجال الثلاثة مكتوبا للاسبانوليين
واوصيهم ان يعلموا اياه عند رجوعهم ففعلوا واعطوهم رادا وورقة طويلة
كسبت عليها تفاصيل صنع الخبز وتربية الجدايا وزرع القمح وصنع الرطب
والخضار الى غير ذلك فادخلوهم الى المنزل واعطوهم كل ما طلبوه منهم لانهم
كانوا في اول الامر متلفين جدا وذلك جمعة كنتم قد امرتهم بقيل خروجي
من الجزيرة . وكان الاسبانولي الكبير وابو جمعة يهتفون ويدعون كل شيء
لانهم فعلوا ذلك معي بمراقتي زمانا طويلا . اما الرجال الانكليزي فلم يفعلوا شيئا
بل كانوا يتهفون في الجزيرة من مكان الى آخر بصناديق الشهور ويلتفتون
السلحف وعند رجوعهم الى البيت في المساء كانوا يجدون طعاما قد هبأه
الاسبانوليون ولو نادىوا وارفضوا هذه الحال لما تذر الاسبانوليون ولكم لم
يسمروا عليها الا مدة يسيرة . وبعد ذلك اخذوا في اجراء ما بأول الى ضرر
المجموع فكانوا كالكلاب التي اذا اجتمعت على فريسة تشغل عن الأكل بالذراع
وصباني ذكر ما وقع منهم من الاشتاق والخبثات والشر

ولكن قبل تدوين ذلك اذكر ما قد سمعت ان اذكرة ما حصل عند ما
كان ملاحو المركب الانكليزي الذي خلصني من جزيرة برفيون المرحاة وهو
وقوع منازعة في المركب خشيت ان تكون عاقبتها ردية ونفسي بالملاحين الى
الحرب بالمركب ثانية ولم يبعد ناراها الرئيس حتى شدد عزائمه واستغاث بها جميعا
وفرقي المتنازعين بالقوة الجبرية ثم اتى القبط على اثنين من اشرف وطرحا في
البحر وقال لما انكأ كفا من الذين حركوا الفتنة الاولى وقد اجنبا العصبان

ثانية فمأذهب بكما الي انكثرا مفهدين بالسلاسل واسطحا الى الحكومة واطلب
اليها شفقنا لانكنا حاولنا الحرب بالركب رغما عني. فاقومت هذه الكلمات الرعية
في قلوب الملاحين فقال بعضهم في انفسهم ان الرئيس يعطينا الآن من طرف
لسان حلاوة ولكن متى وصل بنا الى انكثرا بسلنا الى الحكومة وبطلب تأديتنا
كهذين المفهدين. فبلغ ذلك النائب وعلمنا به ففر الفرار على ان اذهب الى
الملاحين واخاطبهم بما يطلب قلوبهم ويرجع افكارهم لانهم كانوا يظنون اني رجل
عظيم حاكم تلك الجزيرة وكانوا يفتنون بما اقوله لم. فتقدمت اليهم وقلت لم
اني اعدكم باحسن المعاملة والعفو ان احسنتم سيرتكم واقسم لكم بشر في انه لا يصيكم
اذى ولا يندركم احد اذا رجعت عن غيبيكم. ثم امرت باطلاق المسجونين من
السجن وحل قبودها وعنوت عن سجنها فآثر ذلك تأثرا حسنا في الملاحين
وسكن بلبا لم. فاخرنا النزاع عن السفر تلك الليلة فلما اصبح الصباح كانت الريح
ساكنة. فبعد برهة رأينا الرجلين اللذين كانا مفهدين قد اخذا بتدفين والحنة
اخرى وكية من البارود والرصاص وركبا قارب المركب وذهبا به الى ارفافهم
الاشقياء في الجزيرة فلما تأكدنا ذلك امرت اني عشر ملاحا والنائب ان
يتفلسوا الى السفينة ويركبوا القارب الثاني ويجدوا في طلب ذينك الشقيين الخاريين.
فلما وصلوا الى الشاطئ لم يجدوا احدا لانها كانا قد هربا الى الغابات داخل
الجزيرة مع الملاحين الثلاثة اللذين كنت قد تركتهم فيها. فاولئك النائب
ان يهرق مروعاتهم واناث بينهم دون ان يبق على شيء من مقتضيات المعيشة
لان ما فعلاه بمنوجب قصاص اشد من هذا غير انه امتنع عن ذلك لاني لم
أمره بان يفعل ورجع الى المركب وقد ارجع معه القارب الذي كانا قد هربا
منه. وهكذا بلغ عدد الرجال الممركين في الجزيرة الخمسة. غير ان الثلاثة
الاولين كانوا اشد شرا وقساوة وخيئا من الاثنين الآخرين لانهم بعد ان صرفوا
يومين او ثلاثة موية قاموا عليها وطردها من المنزل ولم يعطوها قوتا الا
بعد مدة طويلة. اما الاسبانولون فكان ذلك قبل رجوعهم الى الجزيرة

فلما انما الاسبيروا ان يملحوا احوالهم وطلبوا الى الثلاثة الاكل
ان يعيشوا مع النبي وطلبهم كماله واحدة بالحب والسلامة وانكم لم يجيبوا طلبهم
بل طردوها من بينهم . فاضطرها الامر الى الاجتماع في حرارة الارض وغرس
الاشجار لانها دون ذلك لم يقدر ان يحصلوا على وسائل المعيشة المريحة فغرسوا
خيامها في الجهة الشمالية الغربية للا يعرضوا انفسها لخطر هجمات البرابرة الذين
كثروا ما انزلوا الجهة الشرقية . وبني هناك كوخين الواحد لسكناء والاخر
لغرسا قصب زادهما . واخذوا بطارا من الاسبيروا وزرعوا فيه قطعة صغيرة من
الارض فصا وجوبا ما كنت قد تركت لم تحصدوا منها ما يكفيها وهكذا حصل
على ما بسد احتياجاتها من المأكولات . وكان احدها معاون طباطب المركب
فكان يطلع احيانا مرقا ويودها ومأكولات اخرى من الحليب والارز والقمح
وما شاكلها

على المرة ان يسمى يا فوي نعمة وليس عليه ان ثم المطالب

الفصل الرابع والثلاثون

التراع في الجزيرة

فبما كان الرجلان المذكوران مجتهدين في ترقية اسباب معيشتها
بالاجتهاد والكد واذا الثلاثة الرجال الاسبيروا الذين قد سبق ذكرهم قد اتوها
واخذوا يمدوها ويهدونها بكلمات غير لائقة دون داع . وقالوا لها ان حاكم
الجزيرة (اي انا) قد وهبنا اياها بيمينها فاذن هي ملكنا تصرف بها كيفما تشاء
وليس لاحد حق تملكها ولا التصرف بها . فلذلك لا نسبح لك ان نبني فيها بيوتا
ونحرق اراضيها ان لم تدفع لنا اجرة . فظنوا انها يازحونها فقالوا لم تعالوا واجلسوا

معنا وانظروا جمال اليقين اللذين قد بيناها واخبرونا عن المبلغ الذي يجب علينا ان ندفعه لكم. ثم قال احدها وهو يضحك. ان كنتم اصحاب الملك المأمول انكم تتعمون مدة نمتل فيها المحصولات دون ان نقاسمونا عليها حسب عادة اصحاب الاملاك اذ اننا جددنا فيها اغراسا كثيرة واصلحنا اراضيها فندرجو ان نحضروا معكم كاتبا يكتب لنا صكوك المسافاة. فاجابها احدهم وهو يشتمها ويلعنها وقد تولى امره الفضة الحق اقول لكم اننا لانمازحكما. ثم ذهب الى الجبهة التي كانا قد اشعلنا فيها نارا فغطينا عليها اكلها. واخذ عودا مشتعل من الحطب ورماه على حائط احد كوخها. فشتت النار في الكوخ. فوثب احدها ودفعه الى الوراء وداس النار برجاو حتى اطلقها. ولولا ذلك لاحترق الكوخ وكل ما فيه. فانتعل الفضة في صدر ذاك الشقي ووثب عليه وقد قبض على عود من الحطب وضربه به ولولم يجد المضروب ويدخل الكوخ لاسي قتلا. فلما رأى رفيقه الخطر الذي كان يتهدها تبعه الى الكوخ. ثم خرجا وقد تقلدا الحطب. فوثب المضروب على ضارب وضربه باسفل يده فثب وطرحه صريعا. فلما رأى ذلك رفيقا الضارب وثبا عليها ليشتمها منها. فوجه المضروب ورفيقه في يدها اليها. فقال لما احدها وقد ملأ الفضة فؤاده الخذر الخذر فن يجررك منك يا هذا او رجلا موت قتلا بالرصاص. ثم قال لما اشجعاه وهو يريد اطرحا الحطب على الارض وسلا فتسلما. فلما رأيا منه ذلك ارتعدت فرانصها ووللا الخوف فليها وتأكدت انه لانجاة لها الا بالتسليم. على انها لم تسلما اسلحتها بل وعدا بشرقيها انها لا يعارضنها في شيء ما بعد وان يذهب عنها برقيتها المجرع جرحا بليغا بذلك الدفعة الشديدة. ولا ريب انها ارتكبا الخط في تركها الاسلحة بيد اولئك الاشقياء الذين لم يكونوا يفعلون غير الشر والقباح بعد ان اصبحوا قادرين ان يجردوها منهم ثم يذهبوا ويخبروا ان الاسبانوليين بما فعلوه وانهم لا يمتاطون غير زرع النعاس.

انه لا لزوم لذكر تفاصيل ما فعله بعد ذلك اولئك الاشقياء الثلاثة من

نعتيل مزروعانها وقتلهم رميا بالرصاص ثلاثة جد بان وعزة كانا قد امسكاهما
ليحفظاهما عندهما وبضعا بلبها . وكانوا لا يفترون لايلا ولا نهارا عن فعل ما
يضر بها حتى آتيا من العلامة ما دام اولئك الاشرار في الجزيرة . فاعتقدا ان
بحار يام عند ما يصادفانهم . ففي احد الايام نهضا باكرا وذهبا الى المنزل
ونادياهم باسمهم فاجابها احد الاسبانوليون . قائلا تريد ان تكلم الثلاثة
الرجال الانكليز

وكان قد صادف في اس ذلك اليوم الاسبانوليان احد الانكليزيين
الذين ادعوا من الآن فصاعدا المافلين للقرى بينها وبين الثلاثة الاشرار .
فاخبراهما بتفاصيل ما فعلت بها اولئك الالة من تخريب مزروعانها ونعتيل
الشع الذي كانا قد زرعه بكدها واجتهادها وقتل الجدايا والعزة وان ذلك
هو جميع ما تزوداه لثانايو . وانها يموتان جوعا ان لم يساعدوا اصحابها
الاسبانوليون . ففي المساء رجع الاسبانوليان الى المنزل ومثلا كانا جالعين
يتناولان الطعام مع سائر رفاقها قال احدهما بلطف وادب للثلاثة الاشرار لماذا
تصدون على القريب وتضرون باخي وطعمكم الذين قد انفردا في عمل واخلا
بشغلان بالنكد لمحصل قوتها . ألم تعلموا ان ما عطفتموه من مزروعانها قد
بدلا في سبل ايجادهم انما با ومشاقي لا يزيد عليها

فاجاب احدهما بنفسب انهما قد دخلا الجزيرة دون اذن فاذا لا يبقى لما
ان يثاب فيها او يجرأ اراضيها فانها لا تقصها . فاجابه احد الاسبانوليون بلطف .
يا ايها المصدر الانكليزي انتركها يهلكان جوعا . حالما . فاجاب الانكليزي
بنفسب وفضاظة وكان مظرة جيتدر كمنظر وحش مقترس . فليموتا جوعا
وليل وروحها . انه لا يبقى لما انت بينها ويزرعها في الجزيرة فقال
الاسبانولي ماذا تريد ان تفعل . فاجاب الانكليزي الآخر ان يفعل ما يذهب
بها عما الى جهنم ويحرق . . . لانه يجب عليها ان يحد . اما كميدينا . فاجابه انك
لم تشترها بدرهمك فلا يبقى لك ان تستعدها . فقال الانكليزي ان الجزيرة

لنا لان حاكمها وهبنا اياها ولا يبقى لغربنا ان يتصرف فيها مطلقاً . ثم حلف بالله
انهم يذهبون ويحرقون كوخها لانه ليس لما حق ان يبنياها في ارضهم . فاجابه
الاسبانيولي بنفي ان تكون نحن ايضا عبيداً لكم . فاجابه ذلك الفاجر الذي وقد
مرج عباراته بعدة فتائم ولمسات ثم انكم ستكونون عبيداً لنا قريباً . فسمع
الاسبانيوليون عدد اصناف هذه الكلمات ولم يحسبوا بشيء . فاضرم هذا الكلام نار
الغضب في قلوب الاسرار وبمضوا وقال احد من رفيقوه انكزهم با حاك
تذهب وتنازعها فلا بد من قتل كل مواشيها وتعطيل مروجاتها لاني اقم
لك باننا لن نسمع لما ان يمتلك ارضاً في جزيرتنا . فعد ذلك قتل كل منهم
بنذبة وغارة وسيفاً وخرجوا من المنزل وهم يقولون انه لا بد من ان يخضعوا
لسطوهم الاسبانيولين ايضا متى سمعت لهم الفرصة . والظاهر ان الاسبانيولين
لم يذهبوا كل ما قالوه غير انهم فهدوا فقط انهم كانوا يلومونهم على منافعتهم عن
الرجلين العاقلين

فقال لي الاسبانيوليات اننا لا نعلم هل ذهبوا اليها ام لا ولا الى اي محل
مضوا . والظاهر انهم جالوا في الجزيرة بعض الليل فقلب عليهم النصب والشمع
فتناصوا . على انني فهمت منهم انهم كانوا قد عزموا على ان يهاجروا الرجاءين العاقلين
في نصف الليل وما فائتان وان يجرنا فيها كوخها فاذا استفاقا وارادا الخروج
فتلوهما ذبحاً وما خارجات من الباب والاهوتا حرقاً في الكوخ . ولكنهم لم
يتمكنوا من النوم في الوقت المعين . فها شجب كيف انهم غفلوا والمسد الذي
لا ينقطع يقاوم احداثهم ويضرم فيها نيران حبة الانعام . فلما انهم استفاقوا
وذهبوا الى الرجال العاقلين ولكنهم لم يجدوها فيولا كما تقدم كانا قد صما
على دفع ضررهم وكانا قد عزمنا على ان يهاجروا جهاراً وليس خفاءً ومذامبة .
ولذلك كانا قد خرجا من كوخها قبل ان وصل اليها اولئك الدمويون
فلما وصلا الى الكوخين صرخ انكز وكان قد سبق رفيقه ها هوذا
الوكر ولكن ال... بل ها المصنوران قد فرأنا . ثم اخذوا بنفكرين

في ما ألقاها إلى الخروج بأكراف قال بعضهم للبعض الآخر ان الاسبانوليين قد اخبروها بما اضرناه من الشر. فشقوا الاسبانوليين ونعاهدوا بهم على الانتقام منهم والاضرار بهم. فلما فرغوا من هذا العهد المني على شر المقاصد اخذوا يهدمون كوخها حتى انهم لم يبقوا منها الا اعمام فرقوا ما كان فيها من الملابس ورموا امتعتها إلى الخارج وبعد رجوعها وجدنا بعض امتعتها بعيدة عن منزلها مسافة نحو ميل. فلما فرغوا من ذلك شرعوا في استئصال الاشجار الصغيرة التي كان قد غرسها الرجلان العاقلان ثم هدموا حاجزاً بنوا له صونا بمواشعها وبالاختصار لم يتركوا حجراً على حجر ولا عوداً على عود ولا شجرة مفروسة ولا متاعاً محفوظاً ففانقوا بالتربيب والنهب التبايل الغازية. اما الرجلان العاقلان فكانا قد خرجا ليقبضوا عليهم لكي يجازيهم ولو صادفاهم لكان دون رب اريق دم لانها كانا من النجاسة والافتدال على جانب عظيم وكانا قد عزمنا على ان يجازيهم شراً على ما فعلوه من النج

غير ان العناية الالهية دبرت بحكمها الفاتنة ان لا نجيع التريتين الشارعين مع ان كلا منهما كان يطلب باجتهاد عدو. ولما أتى الثلاثة الاشرار إلى الكوخين كان العاقلان قد ذهبا إلى المنزل. وبعد ذلك حينما ذهب العاقلان إلى منزلهم في طلبهم كانوا قد رجعوا إلى المنزل. فلما وصلوا اليه كانت لوائح الغضب وشر المقاصد وانفط الطباع تلوح على وجوههم لان ما فعلوه من الذي حرك فيهم حب الشر فتقدموا إلى الاسبانوليين واخبروهم بما فعلوه وهم يظنون مدح فباعتهم ويخبرونهم. ثم تقدم احدهم إلى امام احد الاسبانوليين ورفع برنطلة عن رأسه وادارها يده ثم رمأ بها في وجهه وقال له واست يا - دور جاك الاسبانولي - صييك ما اصابهم ان لم تصلح نصرفك معنا (عنى به جمهور الاسبانوليين) وكان ذلك الاسبانولي رجلاً عاقلاً لطيفاً رزياً ذا شجاعة وقوة شديدة فتقدم برزاة اليد وضربة بقبضة يده ضربة القلة بها صريخاً. فلما رأى ذلك احد الاشرار رمى الاسبانولي برصاصة من غلارته لكنه اخطأ فمات الرصاص

من شعرو دون ان يؤذيه غير انه مس قليلاً احدى اذنيه فقال الدم . فلما
شعر الاسايولي بجريان الدم من اذنيه ظن انه قد اضره بكبيراً فنشدت
عزاقته وجرى الدم حاراً في عروقها وماجت فيه الحمية وعزم على القيام بحق
ناره فانحنى وتناول بندقة الذي صرعه ورفعا الى كتفه واوشك ان يطلقها
عليه . فعند ذلك صرخ سائر الاسايوليون من المفارة ونادوه لاتنفل . ثم
تقدموا وقبضوا على المتعدين وجردهم من اسلحتهم

فلما رأى الاشقاء انهم قد غرروا من اسلحتهم وانما طوا جميع الاسايوليون
واضي وطهم اخذوا بفعلهم بالكلام ويظهرون الرقة والرزانة وطلبوا اليهم ان
يردوا اسلحتهم . غير ان الاسايوليون رفضوا اجابة طمهم لانهم علموا انه اذا
سلحوا اسلحتهم يوقعون الانكاريين العاقلين تحت خطر الموت قتلاً لان العداوة
بينها وبينهم كانت شديدة جداً . فقالوا لهم انا لا نؤذيكم البتة ان احسنت بكم
وتصرفكم لا بل نعيش معكم بالسلامة ونمد لكم يد المساعدة كما كنا نفعل قبلاً .
على اننا نرى ان رد اسلحتكم هو ما لا يوافق الصالح العمومي ويؤول الى ضررنا
جميعاً لانكم قد اظهرتم بلاء شديداً الى الشر وفعلنا ما يجلب عليكم الحكم بالموت
خاصة لانكم تهددوننا بالاستعداد

فلما سمعوا هذه الكلمات صار الضياء في وجوههم ظلاماً وغابوا عن العوايب
وشوا من اسكتهم وفروا من بينهم وهم يشتمونهم وبلعنونهم ويهددونهم بالاذى .
اما الاسايوليون فلم يبالوا بهدياتهم بل قالوا لهم الحذر الحذر من فعل ما يؤذيها
من تعطيل مزروعنا وقتل مواشنا فاذا فعلتم ذلك تقتلكم رمياً بالرصاص
ابنا وجدناكم كما قتل الوحوش الضاربة وان اسكتناكم نشتمكم لا محالة . فلم
تؤثر فيهم هذه التهديدات بل زادت غضبهم وشرم ففروا وهم بلعنون ويشتمون
كانهم دياطين افلست من جهنم . فبعد ذلك اتى العاقلان مزلفا وشاهدا ما
فعله الاشقياء بكوخها ومزروعها . ولا ريب ان ذلك يحرك الغضب
ويجعل الانسان يطلب بحق ناره . فاحذوا بنصان على الاسايوليون ما حدث

لما هم ولا يطاقونها في الكلام ليخبروا بما حدث وما استحق الذكر ان ثلاثة
رجال خرجوا بسمعة عشر رجلاً وانعوموا واضروا بهم دون ان يردعهم احد
فصرخ العاقلان ان يجازياهم على ما فعلوا ويجبراهم على تعويض ما عطلوا
ولو القروا ان يذلوا من القصب والجند ما لا مزيد عليه غير ان الاسبابوليين
نمروا لما وقالوا اننا قد جردناهم من الاسلحة فلا يوافقونهم ان نسمع لك ان نجيب
السير وراءهم وانما مستطاع لنا قتلا احدهم ثم قال كبير الاسبابوليين ان
سلطنا اليها امرية هذا الامر لنستقدم الرسائل التي من شأنها اجبارهم على ان يعوضوا
اضراركم لانا لا نرتاب في انهم يرجعون اليها عن قريب بعد ان نخذ نار
غضبهم لانهم لا يقدرون ان يعيشوا دون مساعدتنا فبقينا اننا لانصالحهم قبلما
نحصل لك منهم الرضوخة الخاصة فبناء على ذلك المأمول انكم لانفعلان ما يجب
عليهم ضرراً ما لم ينفروا فوعنا بذلك رغبنا عنها فقال لما الاسبابوليون الحق
نقول لكم اننا لم نطالب اليك ذلك الا لنجيب الدم وتعويض الاضرار التي
تكدناها فابينا معنا هذه المدة فتمرض حوية بالاتحاد والاتفاق كاصحاب مخاضين
لان محلاتكم ويكنيها فاجابا طلبهم وبقيا عندهم برهة يتظران تسوية الامر
فبعد ان صرف الاضرار خمسة ايام وهم يذهبون في الغابات من مكان الى
آخر غلب عليهم التعب والجوع لانه لم يكن لما ما يبنون به غير يرض ايام
واصول الانهار فافترسوا من المنزل فصدفوا كبير الاسبابوليين والذين من
ارفاقهم يشعرون قرب الشاطئ فتقدموا اليهم بذل وخضوع لا مزيد عليها
ونوملوا اليهم ان يدخلوا الى المنزل ليعيشوا معهم كما كانوا قبلاً فعاملهم
الاسبابوليون باللطاف والرحمة وقالوا لهم ان تصرفكم بالظن اليها والى ابناء
وطنكم فجع جداً فلا تديران تدخلكم الى المنزل ما لم يمل بذلك الانكليزيان
وسائر ارفاقنا فان شتمتكم ونهضتم بذلك وبعد نحو نصف ساعة نأتكم
بالجواب فاجابوا كيف لا فان الجوع قد فعل فينا ونكاد نموت فنقول
لكم ان تحكموا برسائل ما نقات به عند وصولكم لانه لا طائفة لنا على الصبر

فبعد وصولهم الى المنزل ارسلوا اليهم ثخذ ما عزموا وشربا وبيئالا مسلوفا فاكلوها
بشراهة لا مزيد عليها

فبعد ان تفاور الاسبانوليون والانكلزيان نحو نصف ساعة في شأن
قبولهم بينهم نادوهم ان بانوا اليهم فاني . فبعد ان تكلموا برهة عن قبيح ما فعلوه
ادعى عليهم العاقلان انهم عطلوا كل ارضائهم وحاولوا قتلها . فلم ينكروا ذلك
لانهم كانوا قد اتفروا بوقبل . وكان الاسبانوليون يتوسطون بين انهاء تلك
الصعوبات الكاثنتين اللتين وكان انهم طلبوا الى العاقلين ان لا يفعلوا ما يضر
بالمؤمنين وهم يهودون من الاسلحة طلبوا الي الاشرار ان يبنوا الكوخين اللذين
هدموها وان يكون احدهما اكبر ما كان قبل الهدم والاخر على اصوله والحائط
الذي كان يحيط بحظيرة مواشيهم وان يفرسوا اشجارا عوضا عن التي اقتلعوها
وان يحرثوا الارض ويزرعوا بها قمحا عوضا عن الذي داسوه وبالحيلة ان
يردوا كل ما عطلوه وخربوه الى ما كان عليه قبلوا بكل ذلك وابتدأوا في العمل
وكانوا متفادين لا يفعلون ما يهين او يضر غيرهم لان الاسبانوليون كانوا يقدمون
لهم كل ما لزمهم من الزاد . وهكذا عاشوا حرة بالرغد والسرور غير ان
الاشرار لم يحبوا ان يجهدوا في ترقية احوال معيشتهم . فقال لهم الاسبانوليون ان
احسنتم تصرفكم وعشتم بالسلامة والمحبة وفعلتم ما يؤول الى خير الجمهور وليس
الى ضرره تقدم كل ما يلزمكم . اما انتم فاذا شئتم ان تنقذوا من مكان الى
آخر ولا تفعلوا شيئا فلا بأس عليكم . فلما رأى الاسبانوليون انهم قد احسنوا
التصرف مدة نحو شهرين ردوا عليهم اسلحتهم وأذنوا لهم بالذهاب الى الخارج
كالماضي . فبعد ذلك نحو اسبوع اخذوا بالرجوع الى ما كانوا عليه من سوء
التصرف غير انه حدث حينئذ ما لزمهم ان يملوا عن اعمال السيئة وينظروا
في امر تخليص انفسهم من الاخطار التي كانت تهددهم جميعا

ففي احدى الليالي فلق كبير الاسبانوليون الذي ادعوه من الآن وصاعدا
الوالي الذي خلصت حياته من الموت وشعر في ارتباك افكاره وكانت بلوح

امانة رجال بخارون وبنفالمون ولم يكن ذلك في الحلم بل كان في نقطة فاخذ
بنقلب من جهة الى اخرى حتى اضاء الشعب فعزم ان ينهض من فراشه
فنهض وليس نوبه ونظر الى الخارج فلم ير شيئاً غير السماء ونجومها لانه فضلاً
عن ظلام الليل كانت الاشجار المحيطة بالمنزل تنجب عنه منظر ما يجاوره ولم
يسمع صوتاً فرجع ونام في فراشه ولم يمت ولا يقدّر ان يميل افكاره عن تلك التخييلات
والصورات . فاستفاق احد النائمين بصوت قيامه وخروجه فسال من هو
المستيق منا يا ترى فقال له الياني انا ثم اخبره بكل ما حصل له فقال له انا من
واقع فلا ينبغي ان نعصف بصورات كهذه وعندي انه لا بد من اجراء اعمال
شريفة بالقرب منا . ثم سأله ان الرجال الانكسار . فقال لهم جميعاً في منازلهم
فلا خطر منهم فانه منذ اظهر الاضرار العصيان بنى الاسيابوليون لهم مساكن
منفرداً لا يمكنهم الوصول منه الى ما من المنازل وسكنوا هم المنزل القديم . فقال
الاسيابولي لا بد من وجود شيء غير اعتيادي بالقرب منا لان اخناري امور
كهذه يفودني الى هذا الظن . فاجاب في الطبيعة اسرار لا تعلم حقيقتها تجري
في الكون وكأنها تبه الانسان في بعض الاحوال الى امور لا يراها فلا ينبغي ان
نعصف بها . ولم اذا ذهب ونظر الى ما حولنا فان لم نجد ما يمتنع لك ذلك
اخبرك عن حادث يؤكد لك

فخرجوا ليعصدا على رأس النمل الذي كنت اصعد عليه ليشرفا منه على ساحل
الجزيرة والاماكن المجاورة للمنزل فينظرونها يتقدمان في الطريق دون خوف
واخشاش واذا نور قد لاح بالقرب منها وضحج اصوات كثيرة طرق اذانها
فجئلا ورجعا الى الوراء

لما كنت في الجزيرة اعتصمت جئاً بان لا اظهر نفسي للبرابرة الذين كانوا
بأنوتها ومع ذلك كانوا احباً بشاهدوني ولكني كنت اهدك بهم بالاسلحة النارية
التي كانت تحمليهم على الضل بان اهداهم من المعبودات فكان الخوف الشديد
ينولي عليهم حتى انهم عند وصولهم الى اوطانهم لم يكونوا يقدرون ان يهربوا

فأصلها بصفات أهلها . ولم ينج من الذين رأوا في غير الثلاثة البرابرة الذين
ركبوا قاربهم حالاً وذهبوا وذلك في الحارة الأخيرة التي انشبت نارها بيني
وبينهم . حتى انني كثيراً ما خشيت انهم يذهبون الى وطنهم ويرجعون يبحث
جرار وربما كان الذي حمل عدد غفير منهم على الاتيان هذه المرة وأنا غائب
عن الجزيرة هو الاعبار التي بلغهم ابائهم اولئك الثلاثة . على ان الاسبانوليين لم
يقنوا على حقيقة سبب مجيئهم فلا يبعد انهم اتوا لجرد أكل من أسر من اعطاهم
حسب عادتهم القبيحة . واواحسن التدبير الاسبانوليون حينئذ لكانوا استقروا
لكي لا يعلم البرابرة ان الجزيرة مأهولة ويحبوا عليهم وقطعوا الطريق بينهم
وبين الثوارب لكي لا يجتأحد منهم

فلما رأى الوالي ورؤية ذلك المخطر رجعا الى المنزل واخبروا ارفاقها بما
رأوا وبالمخطر الذي كان يهددهم فخرجوا جميعاً ليشاهدوه . ولم يندر الوالي ان
يتهم عن الخروج ويضطهم داخل المنزل . فلم ينظروا الاعناء لان الظلام
كان يحجبهم عن اعينهم فكانوا ينظرون اليهم بالنار التي كانوا يشيئون في ثلاثة
اماكن غير انهم لم يكونوا يعلمون ماذا كانوا يصنعون هناك ولا عرفوا بماذا
يفقدون انفسهم من المخطر لان الاعناء كانوا كثيرين متفرقين اقواماً اقواماً
فارتعدت فرائص الاسبانوليين خوفاً منهم خاصة عند ما رأوا انهم متفرقون
فكانوا يخشون هجوم بعضهم عليهم او على قطع الماعز الذي كانوا يفقدون بلية
ولحدو فبعد ان تداوروا برهة قرأ الراي على انهم يرسلون رجلين اسبانوليين
ورجلاً انكليزياً ليدهبوا بقطع الماعز الى يادي المغارة اذا انقضى الامر بدخولها
الى المغارة . ثم اخذوا يتصرفون في طريقة بقتلصون بها من المخطر فخرجوا ان
يرسلوا ابا جمعة جاسوساً اليهم ليحقق عددهم وسبب مجيئهم فاجاب طلبهم
وبعد ان جرد نفسه من الملابس كمادة أكثر البرابرة ذهب مسرعاً واو كان
البرابرة مجتمعين في مكان واحد وبعيد عن قواربهم لتجمعوا عليهم غير مبالين
بكثرة عددهم . فبعد نحو ساعة او ساعتين رجع ابو جمعة اليهم وقال لهم ان

اولئك البرابرة هم من شعبين مختلفين وقد وقعت حرب عظيمة بينهما في بلادها
وكان كل من الفريقين قد اسر رجالاً من الفريق الآخر وقد اتى بعضهم الى
هنا لئلا ياكلوا الاسرى فصادف محي بعض الشعبين الى محل واحد وقد وقع
النزاع بينهم ولا ريب في انهم منى طلع القمر يتقاتلون لان بعضهم قريب جداً
من البعض الآخر والظاهر انهم لا يعلمون ان هذه الجزيرة مأهولة فلم يتو ايو جمعة
من الكلام حتى سمعوا صوت غوغاء غير اعتيادي فاستنقبوا ما ان القتال قد ابتدأ
فتوسل ايو جمعة الى الاسبانوليين ان لا يظهروا انفسهم بل يخبئوا وقال
لم ان سلامتكم تتوقف على ذلك فاذا اخفتم ولم يعرف البرابرة بكم يتقاتلون
حتى ياتي فريق منها الآخر ومن ينجو منها يرجع الى وطنه غير ان الانكليز
لم يضبطوا انفسهم لان محبة الفارج على حرب بربرية غلبت على الخوف فكانوا
يخرجون من المنزل ويذهبون الى الغابات من حيث كانوا ينظرون الحرب
دون ان يراهم احد

وكانت الحرب شديدة جداً اما المتقاتلون فكانوا على جانب عظيم من
الشجاعة ومعرفة ادارة الحرب والقوة فنبئت نارها مضطربة نحو ساعتين قبلما
ظهرت اذارات الغلبة على احد الفريقين غير انه بعد برفة لاحت لوائح الضعف
على الفريق الذي كان في جبهة منزل الانكليزيين ثم فر بعضهم من جمعة
القتال فلما رأى ذلك الانكليزيون خافوا قليلاً باقوا احد الفارين الى منزلها
ليخفي هناك فيقف في اثره الغالبون فعزما على الرجوع الى منزلها وان يتفلسوا الالهة
واذا اتاها احد البرابرة يتفلسوا بالسيف او بحريبات يتدفقها وليس ربما
بالرصاص لئلا يسمع اليافون صوت اطلاق البنادق فبعد ذلك فر ثلاثة من
المعلمين وركضوا الى ناحية المنزلين ليأمنوا من هجمات العدو غير عالمين بما
يصادفون فلم يتفلسوا الغالبون الزم ولا رأى الجهة التي فرأ اليها فبلغ خبرهم
الوالي وكان ذا حواس وشفقة فارسل ثلاثة رجال لخدمة الانكليز وامرهم ان
لا يرموهم بالرصاص بل ان يكمنوا لم وراء الشل فن جارة يداهمة من وراء

ويلقون القبض عليهم فاجابوا طلبا ويسروهم

اما بقية المغلوبين فنزلت الي قواربها وسارت في البحر. واما الغالبون فاجتمعوا في مكان واحد وصاحوا صيحين عظيمين علامة للاندصار ثم في نفس ذلك اليوم بعد رايه توركوا قواربهم ايضا وذهبوا. وهكذا امل الجزيرة من الخطر الذي كان يهددهم وبقوا وحدهم فيها دون معارض ولا عدو فخرجوا من خيائهم وذهبوا الى ساحه الحرب فرأوا فيها نحو اثنين وثلاثين قتيلا بعضهم مقتول بسهام طويلة جدا منها كان باقيا في اجسادهم غير ان اكثرهم كانوا مقتولين بسيف من خشب كبيرة جدا منها في ساحه الحرب نحو ١٧ سيفا ونحوها من الاقواس وكثير من السهام. اما السيوف فكانت غريبة المنة ثقيلة جدا لا يقدر ان يضرب بها الا من كان قويا للغاية. اما فعلها في جسد الانسان فمن كسر العجبة وسائر الاعضاء. وذلك يظهر لنا شدة قتالهم وانذارهم. ومن عواقبهم ان بقي القاتل قرب الجرح من اعنائه حتى تغد روحه او ان يذهب به الى قومه فلذلك لم يروا عبرة من القتل فأتى ذلك المظفر تأثرا حسنا في الانكسار الاشياء وارتعدت منه فرائضهم خاصة عند ما يلوح لهم انهم ربما يقعون في ايدي اولئك الوحوش الذين ليس فقط يقتلونهم بل يأكلونهم كما ناكل نحن الحيوانات فقالوا ان مجرد الفكر بانهم ربما يقتلونهم كما نبتلع نحن لحم الدابة من الذي كان يرعبهم وهلا قلوبهم رعدة وخوفا فعملتهم هذه الافكار على الاعتناء بانفسهم وزرعوا فيهم فكانوا يحرثون الارض ويذرعون النخيل ويغرسون الاشجار كسائر ارفاقهم غير انهم لم يبقوا على هذه الحالة مدة طويلة

اما الثلاثة الاسراء الذين كان قد اتى القبض عليهم فكانوا اشياء فاضحة عيوبهم وعلوم الحراة وكل متعلقاتهم انجسوا جدا في ذلك غير انهم لم يملوهم ما من شأنه ان يذنبهم ويغرس في عقولهم المبادئ الادبية والدينية ولا اظهروا معهم باخراهم ايام انهم قد خلصوا من الموت ولم يسمح لهم ان يشتركوا معهم في مصادمة الاعداء كما كنت افعل انا مع جمعة وكان ذلك بهلة

الي كل الميل فكان ينبغي كما يجب نفسه لكن كانوا يشغلونهم ويفقدون لم قوتنا
 فبعد ذلك اخذوا ينصرون في احوالهم وصالحهم العمومية لان الخطر
 الذي كان يهددهم جميعاً كان قد اصلح داخلتهم حتى انه ارتفع من بينهم النزاع
 ومن ذلك لروم نقل محل سكهم الى جهة اخرى من الجزيرة فاصح لزرع
 مزروعاتهم لا يأتيا البرارة لينجوا من الخطر والوقوع في ايديهم. فبعد انصر
 في ذلك برهة فرأهم على انهم لا يفتلون محل سكهم لانه ربما ارسل حاكمهم (اي
 انا) من يذهب بهم من هناك او يحضر لم راداً ولبساً فان لم يجدهم الر حول
 في المحل الذي يشير اليه الحاكم ينبغي رجوعاً دون ان يبحث عنهم ظاناً ان البرارة
 قد اهلكهم ولم يبقوا على احد منهم. على انهم عزموا ان يفتلوا بعضاً من مواشيهم
 الى وادي المغارة وان يجرؤوا بعض الارض هناك حتى اذا قتل البرارة المواشي
 التي كانت موجودة بقرب المنزل نقي الموجودة في الوادي وكذلك اذا عطلوا
 مزروعاتهم الموجودة عند منزلهم. وانهم لا يعلمون بذلك عبيد البرارة ولا
 يعني ما بذلك من الحكمة اما برميلا البارود اللذان كنت اعطيهم اياها عند
 خروجي من الجزيرة فتناولوها الى المغارة التي لم يعلم بها ايضاً العبيد. وتأكد
 لم حينئذ انهم ليستأنسوا على حياتهم ينبغي ان لا يظفروا انفسهم البرارة بل ينجسوا
 عند ما يأتون الجزيرة فصمموا على ان يزيدوا حصون المنزل التي كانت بينهما
 بانشاء البنايات وغرس الاشجار فلذلك غرسوا تلك الاشجار الغضة التي سبق
 ذكرها حول المنزل الى مسافة بعيدة من الاشجار الصريمة التي تنمو الغضة التي
 تملو جداً ففي ٤ سنوات كبرت جداً وسدت المنزل ومرايض المواشي ومحل
 المرور حتى ان من نظر البنا من خارج لا يرى شيئاً داخلها ولو اراد احد
 ان يدخلها من لا يعلم مسالكها الضيقة المعوجة لا يقدر على ذلك ان لم يكن معه
 جمهور المعارين لقطع تلك الاشجار المتددة مسافة نحو ميل من كل الجهات ولا
 يعني ما سبق ذلك من الصعوبة فكذلك استأنسوا على انفسهم وعلى مفتحياتهم. اما
 مسلكهم من جهة الفل فكان يواظف على الذي كانوا يصعدون به عليهم وهي

رفعوه لا يقدر غير الطائر ان يصل الى منزله ولا ريب ان ما فعلوه موافق
جدا . وتبرهن لم ان حكمة العناية جعلت في الانسان ما يحمله على فعل ما
ينفع به ولذلك لا ينبغي ان يتأخروا عن اجراء ما ينفعهم لئلا يدركهم ضرر عظيم
وكن حكما بتدبير الامور فقد اعطاك ربك عقلا تستعين به

الفصل الخامس والثلاثون

خروج الثلاثة الاشقياء من الجزيرة

في احد الايام صباحا اتى الثلاثة الاشرار الى الاسبانوليين وطلبوا اليهم
بذل لا مزيد عليه ان يسعوا لهم ان يكاملهم فقالوا لم نكلموا . فقالوا انا قد
ملنا الحياة وسمننا عيشنا لاننا لا نعرف ان نفعل ما يؤول الى سعادتنا
وراحتنا وانا اذا بقينا دون اسعاف نموت جوعا لاحالة . فخرجوا ان تعطونا
سلاحا وبارودا ورصاصا واذنوا لنا ان نركب احد قوارب البرامزة التي
تركوها هنا فنذهب بها الى الجزائر المجاورة لعل الله ينفع علينا بما ينقذنا من هذه
الحالة النعيسة ويكمل لنا بنيام حياتنا

فسر الاسبانوليين خبر ذهابهم . على انهم قالوا لم انكم لا تعلمون ان في
هذا المقصد حياقة لانه ربما انفضى بكم الى الهلاك لانا تعلم بالاختيار ان من ينطلق
هناك من الشعوب المقتلة يموت جوعا لاحالة فينبغي ان تدبصروا في غوائل
هذا السفر قبلما ترمون انتمكم في خطر الموت جوعا فاجابوهم وقد اصرروا على
ذلك ان بقينا هنا نموت جوعا لانه لا طاقة لنا على الشغل والكد ولا ميل لنا اليه
فان قتلنا البرامزة نخلص من اتعاب هذه الحياة الزائلة فان اعطينونا الحية
ينافع بها عن انفسنا شكرناكم والا فنذهب دونها متكئين على النصب

فاجابهم الاسبانيلون بحتو وشقة اذا كانت لابد من ذلك فلا تترككم
تذهبون مجردين بدون شيء تدافعون به عن انفسكم لدى الاقتضاء . على انه
يصعب علينا ان نعطيكم الحقة لان ما عندنا منها يكاد لا يكفينا ومع ذلك نعطيكم
بندقين وغدرة وثلاثة قنوس وظن انها تكفيكم وتزودكم من الخبز والقمح
الثقيل والريش والماء ما يقوكم اكثر من شهر ونعطيكم علاوة على ذلك جمعوا
جدياً حياً . فبعد ان اخذوا هذه الاشياء انزلوها الى القارب وركبوه وساروا
في البحر فاصدين قطع مسافة تزيد على الاربعين ميلاً قبل ان يدركوا متصودم
ولا يخفى ما بذلك من الخطر والاهوال . وكان الاسبانيلون فاعلين الامل
من سلامتهم . ولولم تكن الريح موافقة لم لما امسكهم ان يدروا القارب لانه كان
كبيراً لا يقدر ان يركب اكثر من عشرين رجلاً ويلزم لادرائه اكثر من ثلاثة
ملاحين لان شراعائه كانت من جلود الماعز مرفوعة على عمود طويل عوضاً
عن الصاري . فبعد ان ذهبوا هذه قال الاسبانيلون لبعضهم وللانكليزيين
المحمد قد حصلنا على الراحة والمكينة منذ بعد عنا اولئك الاشرار ونظف
انهم لا يرجعون الى منا البتة على اننا نقتل عليهم جداً ربما قد هلكوا او وقعوا
في مصائب لا يخلصون منها

فبعد ذهابهم نحو اثنين وعشرين يوماً كان احد الانكليزيين يحرث
الارض بعيداً عن المنزل فرأى عند الشاطئ ثلاثة رجال حاملين بنادق
متقدمين اليه . فجال واستى راکفاً الى الوالي وهو يصرخ بالنداءة لقد ملكنا
فان رجلاً قد اتونا فلما سمع الوالي تأمل قليلاً ثم قال لكيف هذا ألا تعلم انهم
من البرابرة فاجابه الانكليزي كلاً كلاً انهم مكتسبون ومتقنون السلحة . فاجابه
الوالي اذا لماذا تخشاهم فاجابهم من المندرين فلا يؤذوننا . فبينما هم يتكلمون اذا
بالثلاثة الرجال الانكليزي قد اتوا الى خارج الغابة المزروعة حديثاً واندوهم . فلما
سموا اصواتهم عرفهم ورل عنهم الخوف . غير انهم اندهشوا من رجوعهم الى
الجزيرة واخذوا يتكلمون في السبب الذي ارجعهم اليهم . فقالوا لم نعالوا اليها

ثم سأولم قائلين اين كنتم وماذا فعلتم مدة غيابكم هنا فاجابوا انا بلغنا اليابسة
بعد سفرنا من هنا باقل من يومين فلما رأنا اهل ذلك المكان خافوا جدا
واخذوا يهيمون فسهم وسهامهم ليرمونا فلم تنزل اليهم لاننا خضنا سوء العاقبة بل
سرنا الى الجهة الشمالية مدة ست او سبع ساعات فرأينا عن بعد جزيرة في الجهة
الشمالية وجزائرا اخرى كثيرة في الجهة الغربية . وكما قد عزمنا على الذهاب الى
عمل من تلك المخلات فادرنا مقدم فارينا الى الجهة الغربية فوصلنا الى جزيرة
من تلك الجزر فترانا في الشاطئ دون تبصر في عواقب الامور . فاستقبلنا
اهالها بالترحاب واللفظ وكان الرجال والنساء يراحمون طلبا وقد
احضروا لنا على رؤوسهم من مسافة بعيدة اصول الخار وسكا والنبات اخرى
كثيرة . فاخذنا نعلم بالاشارات عن الشعوب التي سكنت الجزائر التي
احاطت بهم فقالوا لنا ان الذين يقطنونها هم من الامم الموحنة الذين ياكلون
بعضهم . اما نحن فلا نقدر رجلا ونساء الا انا نولم ياكل الذين أسرم في
الحرب فقط وجرت كل هذه المفاوضة بيننا بالاشارات . ثم سألناهم متى اولتم
واجبة كمن فادار احدكم الى التمر ثم رفع اصبعه اي منذ شهرين . ثم اشاروا ان
ملكهم العظيم قد اسرمتي اسير وم عندة الآن وهو يعلم جيدا اني يوم ياكلهم
في العيد القادم . فاشرنا اليهم انا نرغب جدا ان نراهم . فطلبوا انا نطلب منهم
بعضهم لأككل . فاشاروا الى المغرب ثم الى المشرق اي غذا عند شروق
الشمس بأنهم بعضهم . ففي الغد صباحا اتونا بخمس اماء واحد عشر رجلا
وسلمونا اياهم وشاروا اليها ان نمرودهم . فلما رأنا الاسرى كذا فذهب ما في
اجواننا وحرنا في امرنا لاننا ان رفضناهم يتناظرون جدا فلم نعلم ماذا ينبغي ان
نفعل هم . فلدى الشاور في هذا عزمنا ان نذل من اصحابنا البرابرة هذه
المدية القيسة . واعدناهم فبالها فاسا ومتاحا قديما وسكنا وست او سبع كرات
من الرصاص فنرحوا بكرات الرصاص اكثر من باقي الاشياء مع انهم لم يعلموا
كيف يستعملونها . فبعد ذلك تقدموا الى الاسرى ولوثوا ايديهم وراة ظهورهم

وجروهم الى القارب . فاضطربوا الامر الى الخروج من الجزيرة لاننا لو بقينا
هناك لانتظر منا اولئك الذين نكرموا علينا بذلك الهدية النفيسة ان نذبح اثنين
او ثلاثة منهم في صباح ذلك اليوم وربما ظنوا اننا ندعوم ليوثنا معنا . فودعناهم
بعد ان شكرناهم على قدر ما امكنا ان نشكرهم بالاشارات وركبنا قاربينا
ورجعنا فاصدين الجزيرة التي رأيناها في اول الامر فلقدى الوصول اليها
اطلنا ثمانية من اسرانا الرجال لانه لم يكن لنا حاجة بهم جميعا وعدنا فاصدين
من الجزيرة . فاشاء السفر حاولنا الشكك مع الاسرى ولكن لم نقدر ان نفهم
شيئا لانهم ظنوا ان كل ما قلناه او فعلناه انما هو متعلق بذبحهم في اول الامر
حالا وانهم فصرخوا صرخة اليأس ولاسيا النساء لانهم ظنوا ان ذلك هبة
لذبحهم وكن يبعون كمن يشر بالسكين من عتله . وكانوا يظنون اننا عندما
نعطيهم قوتا نعلمهم لئلا تضعف اجسادهم ولتزيد اذلة لحمهم واننا نظرنا الى
احدهم او بعضهم كانوا يظنون اننا نفرس فيهم لئلا نرى من هو اسمن لكي نذبحه
فلم ارفاقوا ولم يرالوا على ما حال حتى وصلنا الى هنا . فبعد ما انتهوا من قص
قصصهم قال لهم الاسبانوليون ابن الاسرى . فاجابوا قد اتيناكم لئلا نكم طعنا
لم . فاجابهم اننا نرغب جميعا ان نذهب ونخرج عليهم فوضوا واخذوا معهم
ابا حمة

فلما وصلوا الى الكوخ رأوا الاسرى جالسين عراة . وابديهم موقوف لان
الانكليز لدى وصولهم الى الجزيرة اوتفهم فلا يركبوا القارب ويحويانفسهم وهم
ثلاثة رجال وخمسة نساء . اما الرجال منهم فكان منظرهم جيدا واعضاءهم قوية
وسن كل منهم بين الثلاثين والخمسة والثلاثين سنة . اما النساء فهن اثنتان
قد بلغت من العمر ما بين الثلاثين والاربعةين سنة واثنان ما بين الاربع والعشرين
والخمس والعشرين اما الخامسة فكانت جارية طويلة القامة لطيفة المنظر قد
بلغت من السن ما بين الست عشرة والسبع عشرة سنة . وكان منظرهم جيورا
وقامباين معتدلة ولونهم مائل الى العواد واثنان منهن لو كانا من البيض

لكننا نعلم ان اجل النساء حتى في نفس لوندرا

فلما نظر الاسبانوليون ثلاثة رجال وخمس نساء عراة موهين مظهرين
ان يفادوا الى الذبح كما نفوذ الشاة والمجول تاروا جدا لانه لا ينبغي ان ذلك
ما يمتاز من الطمع ويفر من الذوق السليم . ولا بما من كان ذا خصال حميدة
وصفات اديبة كاولئك الاسبانوليين الذين طالما رهنوا بصرفاتهم انهم من
ذوي الاداب والحلم فبعد ان تروا فيهم قليلا قالوا يا ابا جمعة انعرف احدم
فقال لائم قالوا له كلهم . فلم يهم غير كلام احدي النساء فقالوا له قل لم بلسان
هذه المرأة ان الذين قد اسروهم من المندنين ويكرهون اكل البشر فلا خطر
عليهم من الذبح . فلما سمعوا هذه الكلمات فرحوا جدا واخذوا يظهرن المرور
باشارات مختلفة بكل القلم عن وصفها كل منهم على حسب عادة قومهم كانوا
من شعوب مختلفة . ثم قال الاسبانوليون لاني جمعة قل للترجمة ان نسألهم هل
يرعون ان يخدموا الرجال الذين اتوا بهم الى هنا ليلصوم من الموت فلما بانهم
ذلك اخذوا يرتصون فرحا ويحلمون على اكلهم كلها وجدوة بالقرب منهم
علامة تقوهم ما عرضة عليهم

فلما رأى الوالي ان وجود النساء بينهم ربما يجمع عنه اختلاف شديد وزاع
ربما يقضي الى ارافة النساء سأل الثلاثة رجال الذين اتوا بهم الى الجزيرة ماذا
تقصون ان تسلبوا بهاته النساء المستخدمون كميات او كروجات يمين
فيساء حاجاتكم . فاجاب احدم برفاحة لا يريد عليها النساء الحاجزين . فاجاب
الوالي اني لا املككم عن فعل ما تشهون لانكم احرار في اعمالكم الخصوصية . على
اني اظن الاوقى لدفع الذراع والشفاق ان تنقلوا على ان كلاً منكم ياخذ امرأة
من هذه النساء . فاجابوا لائم قال بعضهم ان لنا نساء في اسبانيا وقال اخرون
اننا لا نرغب في ان نتزوج نساء غير مسجيات . ولا ريب ان ذلك هو دليل
واضح على انه لم اسمع بظلم ما حياتي بطولها . فبعد ذلك اخذوا يبصرون في
طريقة يحكم بها ان يختار كل من الانكليز امرأة دون ان يحصل اختلاف

وتزاع فيما بينهم على من منهم بأخذ هذه ومن تلك وبالاخص لانهم امتازوا بالطبع
والدعاة وغير ذلك ما يجعلهم لا يقدرون ان يتفقوا مع افكارهم على امور طليقة
فكم بالحري يكون اختلافهم عظميا على اختيار نساء لم ثلاثة منهم يترن جدا
عن رفقتها بالحسن واعتدال القامة ورقة الجانب الى غير ذلك من محاسن
النساء . على انهم اتفقوا على طريقة الانتخاب حسنة جدا وهي انهم يجلسون النساء
في كوخ واحد من ويذهبون الى كوخ آخر وهناك يرمون القرعة فمن اصابته
بذهب ويختار من يشتهيها من قبل ارفاقها . فاصابت القرعة اولاً احد
الانكليزيين العاقلين فدخل عليهم وهم جلوسات واختار لنفسه اكبرهن سناً
واقلهن حسناً لانه ظنها اعلم من غيرها في ادارة منزلها وحفلها واكثر رزانه وغلاظ
فلما رأى رفقتها انها قد اخذها من بينهم ظن ان الله يفودها الى الذبح لياكلها
فايندأ ببولها واعنفها وودعها وداعاً ابدياً حتى ان كل من رآها على هذه
الحال من الهن وبكى حزناً عليها . ولم يقدر الانكليزي ان يفهم بالاشارات
انه لا يقصد ان يذبحها فاضطرت الامران يرسل رسولا لياقي باي جمعة ليخبرهم
بخطبة الامر . فاتي واخبرهم بذلك فسكن روعهم وآمنوا على انفسهم . فلما
خرج ذلك باقي اخذها لنفسه امرأة سخر به الانكليز وضحك الاسبانوليون
لانه لم يختار احلم . على انه عرف ما يوافقه اكثر منهم ثم دخل رفيقه واختار
امرأة انه المرأة التي كانت تشبه امرأة رفيقه في الهيئة وكانت اكبر سناً من رفيقها
ولا تعلم لماذا كان نصيب الرجلين العاقلين هاتين المرأتين الكبريتين وما اقل
تدبيراً ولطفاً من رفيقائهم واكثر سناً منها . واعطي كل من اوانك الاشرار
امرأة فنية لطيفة تحسن الادارة والتدبير فمن يعلم ما هو قصد الله تعالى في ذلك .
على انهم جميعاً كن حسان ذات طبايع وخصال حميدة يحسن الخدمة غير ان
الثلاثة النساء اللواتي تزوجن الاشرار فتن امرأتين العاقلتين بالعمل والمروءة
واللطف والنظافة

فيعد ان اختار كل منهم امرأة تقدم الاسبانوليون وعازونهم على بناء اكواخ

كل منهم لاث اكن اخم القدية كانت ملوثة زادا وآلات الزراعة واللاحة .
ففي برمة بسيرة تم بناء الكوخين للرجلين العاقلين لجهة الشمال القدم وثلاثة
اكواخ للاشرار ابعد عه منها وجميعها عند شاطئ الجزيرة الشمالي . وهكذا صار
بناء مدن في جزيرة في

وما ينفق الذكر ويحلب العار على الكسلان المتهامل والثناء على الجهد
هو اني عندما انبت الجزيرة واخذت في التفرج على الاصلاحات التي اوجدتها
والاراضي التي حرثوها وغرسوا فيها الاشجار فوجدت ان الرجلين العاقلين
فانما كثيرا في ذلك الثلاثة الاشرار مع ان كلا من الفريقين كان له ارض قدر
رفيته ليعملها ويزرعها غير ان نتيجة الكسل والاجتهاد ظهرت فيها فان بساين
الاشفاء وكرومهم كانت ملوثة شوكا وعليقا وما يحيطها من الحواجز الخشبية
مكسرا فكان يصح فيها ما قاله سليمان الحكيم . اما بساين العاقلين وكرومهم
فكانت منتجة جدا ومعمورة جيدا تروق العين بالنظر اليها وبصو الانسان الى
التفريس فيها فلا شوك ولا علق فيها مع ان الاشرار كانوا قد عطلوها مرة ثم
عطلها غيرهم مرة ثانية كما سماني ان شاء الله وليس فقط ذلك ولكن مواشها
كانت اكثر عددا من مواشي الاشرار وزادها اكثر جدا من زاده الى غير
ذلك من كل منتضيات الحياة فلا ريب ان ايدي الجهد تحيي ذهابا واما ايدي
الكسلان فتضي فاقة وحرثا ووجدت ايضا انها لا يستأمنان على امراتها واولادها
فكانوا قد وضعوا في غار في وسط الغابات المثلثة خروفا باديها

اما نساء الثلاثة الاشرار فكانت عذبات نظافات يجمعن ادارة البيت وكن
قد تعلمن ان يلبن حسب عادة الانكوز واثق الطبع الذي تعلمه من احد
الانكوزيين العاقلين الذي كان نائب طباط المراكب كما تقدم . فكان الرجل
الذكور يهيء الطعام اما الثلاثة الاشرار فكانوا ينفقون من مكان الى آخر لا
يتعلمون شيئا مما يؤول الى ترفه حاله معشرهم فكانوا ياتون ببعض البام
ويطادون السمك الى غير ذلك الا انهم لم يكونوا يتعلمون في حقولهم فكانت

معيشتهم بالثافة والافلال لئلا اجتهادهم . اما المجتهدان فماتوا جيذا براحة وهذا
هو حال اهل هذا العالم لان من كد وجد منهم بنال الراحة وبخلها لمن يأتي
بعده ومن تكاسل ونهاون يعيش بالذل والثافة وكذلك من بخله . وحدث
في الجزيرة بعد ذلك في احد الايام انه اناها خمسة اوسنة فوارب ولا ريب انهم
اتوا حسب عادتهم ليولوا باكل اسرام . فلم يخف منهم اهل الجزيرة لانهم عرفوا
بالاخبار انهم ان لم يظروا لم انفسهم يذهبون عنهم بعد انتهاء وانشاء لانهم لم
يكونوا يعلمون انها مأمونة . فاحصى بعضهم البعض الآخر ان لا يخرج من الاكواخ
الى ان يذهبوا عنهم وذلك بخلاف ما كنت افعل لانه لم يكن لي الاخبار الذي
كان لم . ففعلوا كذلك ووضعوا حارسا في مكان مشرف ليخبرهم بذهابهم .
فبعد ان اولوا ركوا فواربهم وذهبوا فاخبر الحارس اهل الجزيرة فخرج الجميع
من اكواخهم . فاراد بعض الاسبانوليون ان يذهبوا الى حيث كانوا يشاهدوا
آثارهم فلما وصلوا الى المكان رأوا ثلاثة رجال منهم نهاما على الارض فاجابهم
ذلك وقالوا لبعضهم نظن ان هؤلاء الرجال اما اكثرنا من اكل لحم البشر
فايطعمهم الطعام فاسموا ولم يشبهوا حين ذهب ارفاقهم واما ناهوا في غابات الجزيرة
ولم يرجعوا حتى ذهب الباقون . وكان التالي معهم فسألوه عن رأيه في ما يجب
ان يفعلوا . فقال اني لا اعلم لانه لا حاجة لنا الى العيد وعدنا منهم فوق
احتياجنا ولا اظن من الصواب والجسارة ان نقبلهم لانهم لم يؤذونا ولا رغبة لنا
في سفك دم زكي . ولا ريب ان ما اظن هؤلاء الاسبانوليون من الشفقة
والرحمة والطهارة والامانة والعلف هو ما لا نظير له . وقد شاعت اخبار كثيرة
عن الافعال الظلمة والشر المريع والفساد البربرية التي عامل بها الاسبانوليون
اهل مكسيكو ويرو عند ما دخلوها . ومع ذلك اقول ان هؤلاء الشيعة عشر
رجلا لم اصادف في كل سياحتي احدا يشابههم رقة الجانب وحسن التصرف
والشفقة والرافقة . وما احملوه من اولئك الفلانة البرامه هو كاف لما كره صحة
ما قلته عنهم . فبعد ان تشاوروا قليلا عزموا على ان يحنوا قليلا اعلمهم يتنبهون

وبذهبون عنهم وساروا نحو منازلهم فقال لهم الوالي ان ليس لم قوارب برجمون
 بها الى اوطانهم وان تركام فيعد قليل يستغيثون من الغلة وياخذون في
 الجولان في الجزيرة فيعلمون انها مأهولة فينضي بنا ذلك الى الهلاك . فاشنوا
 راجعين الى المكان الذي رأوا فيه البرابرة وكانوا لا يزالون نياماً فعزموا على ان
 يلتفتوا القبح عليهم وبأسروهم ففعلوا . فجعل البرابرة ولزعت فرائضهم خوفاً
 عند ما رأوا انهم قد اسروا ولوثقوا لانهم ظنوا انهم يذبحونهم وياكلونهم . فاولئك
 البرابرة ظنوا ان كل الناس مثلهم ياكلون لحمياً بشرباً فاختبرهم ابو حجة الذي
 كان قد ذهب معهم الى هناك انه لا خطر عليهم من هذا القليل فرأى خوفهم
 وسكن بلانهم فذهبوا بهم الى الغل الذي كانوا يضعون فيه مواشيهم وهو مركز
 اشغالهم . وبعد ذلك اخذوهم الى منزل العاقلين على انه اسمع اهل الجزيرة
 لم يروهم القلعة اعني مسكي القدم الذي كان قرب المل . فاشغلهم معهم في
 الحراثة هناك الا انه لم يكن عدم شغل كثير وشاق . وفي احد الايام فر احد
 الى العايات ولم يسمعوا بعد ذلك عنه خيراً فلا اعلم هل تمكن من الحرب باهلهم
 انما افضة عليهم لانهم ظنوا انه لا يقدر على الفرار من الجزيرة اولسب اخر فانت
 بعد ذلك بثلاثة او اربعة اشايح قوارب باراة حسب العادة . وبعد ان
 صرفوا يومين في الجزيرة رجعوا يخاف اهلها ان يكون قد رجع معهم لانهم علموا
 انه ان رجع الى قومهم لا محالة ان جزيرتهم مأهولة وان اهلها قليلون جداً
 على انه لم يعرف عددهم ولا مفارقتهم ولا عمل سكهم ولم يسمع قط صوت اطلاق
 بنادقهم وذلك ما اضعف خوفهم . والذي جعلهم يتأكدون انه رجع بسلامة
 الى قومهم هو انه بعد فراره نحو شبريت الى الجزيرة سنة قوارب من قوارب
 البرابرة في كل منها من السبعة الى العشرة رجال واقترعوا من الجهة الشمالية
 التي لم يأتوها قبلاً قط ونزل الرجال الى البر في مكان بعد نحو ميل فقط
 عن مسكن العاقلين

فقال لي الوالي لو كنا محاصرين حنظلة في عمل واحد لكنا صادمين

وأهلككم جميعاً ولكن لسوء الحظ لم يكن منا هناك وقتئذ غير الاثنين العاقلين
ولا يخفى أنها لا يقدران وحدها أن يصادما حتى ينرجلا. فلما رأيا أن البربري
الذي كان قد فر منهم قد اطم قومه بكل شيء عن الجزيرة وأعلمها وظهر لهم ذلك
من عجي البرابرة إلى نحو أكوخهم أو تقوا البربريين وصلوها إلى عبيد من
الثلاثة البرابرة الذين اتوا بهم مع السماء وكانوا اثنين جداً وأرسلهم مع نساءهم
إلى خبائهم في الغابات وأوصوهم أن يوثقوا أرجلهم عند وصولهم إلى ويحفظهم
هناك إلى أن يرجعوا إليهم. وأثناء ذلك كان البرابرة يتقدمون روبداً وروبداً
نحو كوخها. ثم اطلقنا من أسبها في الغابات لكي لا يظن البرابرة أنها لما بل أنها
وحشية على أن البربري الذي فر من بينهم كان قد أتى مع أرفاقه وعلم أن
تلك المواني هي لم. فلما فرغ من ذلك أرسلنا العبد الثالث الذي كان معهم
ليستجد الأسبانوليين ثم نقلنا أسبها وأخفا في الذهاب روبداً وروبداً إلى الخباء
في طريق كانا يتمكنان من أن يريا البرابرة منها عن بعد. فلم يمض كثيراً حتى
رأيا من تل مرتفع أن البرابرة وصلوا إلى أكوخها وبعد برهة نظرا للهب
يتدف منها فاحزنها ذلك جداً لأن خسارها كانت عظيمة. ثم رأياهم يجرأون
عند منزلها يعطلون ويحرقون كل ما وجدوه وينشرون على امتعنها ليهبوا
وعليها ليدجوها. فلما رأيا ذلك ظنا أن لامية في المكان الذي كانا قد وقفنا
فوق لامية ظنا أن بعضاً من البرابرة يدركهم فامعنا نحو نصف ميل وقالوا في
نفسها أنهم ربما يفرقون لينشروا علينا فنذكرهم بعد أن يكونوا قد فشتوا فنشك
بكن فريق وحده ومكنا لا ينجو منهم أحد

ومن عجب الدنيا تلعب حالها نبت على شيء ونصح في شيء

الفصل السادس والثلاثون

البرابرة في الجزيرة

ثم قدما قليلاً نحو الوادي فوصلا الى غابة ملتفة جداً حيث وجدنا جذر
شجرة جوفاً كبيراً جداً ، فوقنا ورائه وقد عزمنا ان يبقيا هناك ليريا ماذا يكون
من البرابرة . فبعد برهة يسيرة رأيا بربريين راكضين نحوهما كأنهما عرفنا موقفهما
وقدما لهما عليهما ثم رأيا ايضاً ورائهما ثلاثة آخريين تابعينها ووراءهم خمسة
يقفون الزم وغيرهم سبعة او ثمانية رجال يركضون الى جهة اخرى فكانوا يركضون
من محل الى آخر كما يركض الصياد في طلب الطريدة

فلما رأيا ذلك خافا جداً وتحمرا في امرها لانها لم يعرفاهل يصاد ما منهم
او يهربان من امامهم فكدى الشاور قليلاً قال لا ريب ان البرابرة يحولون
في كل الجزيرة وربما يدركون خيما منا ويهلكونا اجمع . فالأوفى لنا ان نصادهم
هنا وان تكاثروا علينا بحيث لا نقدر ان نصادهم نصعد على الشجرة ولا شك
اننا نقدر على منافعهم منها الى ان يفرغ بارودنا ورصاصنا ما لم يهرقوها بنا .
ثم قالوا الأوفى ان لا نري الاثنين الأولين بالرصاص ما لم يربانا بل نصير الى
ان يصل اليها الثلاثة الذين ورائهما ومكنا نفرق بينهم وبين الخمسة الذين
كانوا يسمعونهم فصاروا الى الشجرة كأنهم عرفوا اننا نقتربون هناك . فلما رأيا انهم
انوها عزموا على ان يرميهم وهم متقدمون اليها وان لا بطلنا بتدقيتها دفعة
واحدة بل الواحدة ثم الاخرى فوضع الذي عزم على ان يطلق بتدقيته اولاً
ثلاث رصاصات لم تكن من اصابة ثلاثة يطلق واحدة وحكم توجهها نحوهم من
تقب في الشجرة وانظر الى ان اقتربوا منه ولم يبق منهم غير غوارعين ضراخا

لكي لا يخطئ رصاصة . وكان البرامزة أثناء ذلك يتقدمون نحوها فلما اقتربوا
 منها رأيا البربري الذي كان قد هرب من الجزيرة فقالا لابد من قتلها فإذا
 أخطأ أحدهما برموه الثاني . فبدأ الثاني نسيه ليطلق بندقيته لدى الانقضاء . فلما
 اقترب الثلاثة البرامزة منها رماهم أحدها فأصاب رأس الأقرب اليها فسقط
 على الأرض مائماً وأصاب الثاني وهو البربري الذي كان قد هرب في جسده
 فنفذ منه الرصاص فسقط على الأرض ولكن لم يمض حالاً أما الثالث فجرحه
 جرحاً خفيفاً في كتفه وربما تم ذلك بالرصاصة التي نفذت من جسد رفيقو . فلما
 سمع صوت إطلاق البندقية وشعر بالهرج خاف خوفاً لا مزيد عليه وارتعدت
 فرائضه وطرح نسيه على الأرض وأخذ يصرخ صرخة شديدة جداً . فلما سمع
 الصوت الخمسة الذين كانوا وراءهم اندموا جداً وارتعدت فرائضهم ووقفوا
 دون أن يحركوا لأنهم خافوا الصوت أكثر من الخطر لأنهم لم يشعروا به خاصة
 لأن صده كان شديداً مرعباً والظهور أخذت تطاير من محل إلى آخر وهي
 تصرخ خوف الصوت الذي سمعته وائر فيها كما اتر صوت البندقية الأولى التي
 أطلقتها . في الجزيرة . وبعد برهة سكن الصوت والصراخ فنقدم البرامزة نحو
 أرفاقهم وهم لا يعلمون مصدر الخطر الذي يتهددهم حتى وصلوا إليهم ورأوا أنهم
 في حالة ردية جداً فاجتمعوا حول الرجل المرحوح وأخذوا يتكلمون معه . وأظن
 أنهم سأله ماذا الذي أضر به وجرحه . ولا ريب أن جوابه كان مكملاً أن
 لم يمس نار الخدر من معبوداتهم ثم رعد فأصاب رفيقو وقتلها . وما حملني على
 هذا الظن عدم مشاهدتهم أحداً بالقرب منهم حال كونهم لم يكونوا قد سمعوا
 صوت إطلاق بندقية قتيلاً ولو عرفوا سبب ذلك لما اجتمعوا حول جرحهم
 بل كانوا ينجسوا ذلك المكان لتلاصيحهم ما أصاب أرفاقهم ومجسوا عن الذي
 أطلق البندقية عليهم

أن الرجلين العاقلين الخبراني حيناً رجعت إلى الجزيرة أنها حزنا جداً على
 قتل أولئك البرامزة الذين لم يعلموا الخطر الذي كان يتهددهم . وكان الذي

قد اطلق بدقية قد حشاما ورأيا ان البرابرة مجتهدون بحيث بقدرت
ان يرميهم جميعا دفعة واحدة فعزما ان يطلقوا بدقيتهما معا فاشار كل منها الى
الذين قد وجه بدقية نحوهم لكي لا يوجهها الى جهة واحدة واطلقوها فجرحا
وقتلا اربعة منهم والخامس ارتجف وكاد يموت خوفا فمقط معهم على الارض
دون ان يصبه اذى . فلما رأياهم مجتهدين سوية ظنوا انهم قد قتلوا . فتقدموا
اليهم قبل ان ملأ بدقيتهما وهذا خطأ مبين . فاندمسا جدا عندما وجنا
اربعة منهم احياء والذين لم يمسهم ضرر فاضطرب الامر الى ان تفكوا بهم بحربات
بنادقهم فاراحوا من ذلك الهباء البربري الحار الذي جلب عليهم كل من
الحسرة والغيب والخطر قبل التجمع . ثم رجلا ثانيا مجروحا في ركبتهم رغبته .
اما الرجل الرابع فتقدم اليها وجثا على ركبتيه عند اقلامها ورفع يديه واخذ
بتضرع اليها بكلمات واشارات محزنة مؤثرة جدا ان يعفوا عن حياته . فلم يها
شيئا ما فالة فاشارا اليوان يجلس عند جذر الشجرة فجلس فتقدم اليوا احدها
واوثق يديه وراء ظهره بقضبة حبل كان في جهوه فتراكه هناك وامرعا في طلب
الاثنين الاولين اللذين كانوا قد تقدموا الى امامها لانيها خشيا انها لو بعض ارفاقها
يمدون خباها في الحرس حيث كانت النساء وكل ما في من امنعتها . فبعد
ان ركضا برفقة يسيرة رأياها بعيدا جدا ذاهبت الى جهة الشاطئ وليس
الى جهة خباها فزال خوفها من ذلك التبول ورجعا الى الشجرة التي تركا بالقرب
منها الاسير الموثق . فلما وصلا اليها رأيا انه قد ذهب ووثاقه مطروح عند
جذر الشجرة فلما ان ارفاقه قد خلصت فاحسنا في امرها ولم يعلما اين المذود
ولا عدد رجاله . فصيا ان يذهبا الى الهباء ليرا ماذا طرأ على زوجتيهما اللتين
وان كانتا من البرابرة كانا تخافان جدا الوقوع في ايديهم لانيها عرفنا ماذا
يصيبها . فلما وصلا اليوا وجنا ان البرابرة كانوا قد اتوا الغاية قرب الهباء ولكنهم
لم يجدوه لان الاشجار كانت مغطاة بومن كل جانب حتى ان من لا يعرف
طريقه لا يقدر ان يجده . اما امرأتهما فكانتا في خوف شديد . وبعد برفة اتي

فجدها سبعة من الاسبانوليين. اما الباقون منهم وحشهم وابوجعة فذهبوا لحياة
مزروعاتهم ومواشيهم ولكن البرابرة لم يصلوا اليها واتى مع الاسبانوليين احد
الثلاثة الاسرى والبربري الذي كان الانكليزيان قد اوثقاه عند الشجرة فانهم
مروا بذلك المكان ورأوا منقطة البرابرة وحطوا وثاقات البربري واتوا به الى
الحياة حيث اوثقوا ثالثة ووضعوه مع البربريين رفقي الحارب. فبعد ذلك
اخذوا يشاورون في امر قتل الاسرى لانهم انعموا جدا وكانوا يخافون ان
يهربوا ويرجعوا بجيش من قومهم فيهلكونهم جميعا. غير ان الوالي لم يقبل بذلك
بل امر اثنين من الاسبانوليين ان يذهبا بهم الى مفارقي في الوادي ويهرسا
وبقوتهم وبينهم موتى البدين والرجلين الليل بطولو. فلما رأى الانكليزيان
ان الاسبانوليين قد المجدوها تشطا جدا ولم يرضيا ان يبقيا هناك بل اخذا معها
خمس اسبانوليين واربع يادق وغداة وذهبا في طلب البرابرة مارين بالبحرة
المعروفة فرأوا جنتي قبيلتين محجورين مسافة الى جهة الشاطئ فعلموا من ذلك
ان البرابرة كانوا قد اتوها وحاولوا ان ياخذوا معهم جنث قتلام والظواهر انهم
عدلوا عن اخذها معهم فتركوها وذهبوا. ثم تقدموا الى الثل الذي كانت
الانكليزيان قد رأيا منه خراب اكواخها ومزروعاتها فرأوا ان الدخان لم يزل
يتصاعد منها ولكنهم لم يروا احدا من البرابرة فصعدوا على ارف
المزروعات التي عطلوها فيها في الطريق رأوا عن بعد البرابرة عند الشاطئ
وقد اخذوا في ركوب قواربهم فاصدفت الرجوع الى اوطانهم فغهم ذعابهم
دون ان يشكوا بهم على انهم سرروا بالقتل منهم

فمن في المرة الثانية التي تعطلت فيها مزروعات الانكليزيين وخرمت
مساكبها فانضى بها ذلك الى حالة الفناء. فاجتمع الاسبانوليين والثلاثة
الاشرار الذين لم يفعلوا قولا شيئا يؤول الى اسعاف ارفانهم حتى ولا نفع انفسهم
ولم يكونوا عالمين بما حدث من عجز البرابرة وتعطل مزروعات رفيقهم لانها
كانا ساكنين بعيدا عنها واخذوا يسمعون العافلين في تصليح ما غرب وبناه

أكلوا خبزا وفي زمن قصير نعوذت كل اضرارها
فبعد نحو يومين رأى اهل الجزيرة فارين من قوارب البرابرة تدفعها
الامواج والرياح الى الشاطئ وبالقرب منها حتى يبرر بين فصرم ذلك جدا
لانهم استنجوا منه ان نوا صادف البرابرة الذين نجوا من الجزيرة واغرقهم لان
الرياح كانت تهب بعنف لا مزيد عليه في ليل اليوم الذي ذهبوا فيه على انهم لم
يتأكدوا ذلك ولا يبعد ان بعضهم نجوا واخبر قومه بما فعلوا وصادفوه وربما
انهمضوا عنهم لمهاجمة الجزيرة ثانية . غير انهم لم يعلموا شيئا عن احوالها وساكنيها
لانهم لما انروا لم يروا احدا منها والاسير الذي كان قد احبهم عنهم كان قد
قتل كما ذكرت آنفا ولم يبق من يعرف بحقيقة حالهم وربما قلب ذلك جراءتهم
على مهاجمتهم ثانية . فضى نحو خمسة او ستة اشهر دون ان يأتهم احد من
البرابرة . فظنوا انهم ربما نسوا ما اتوا فيها او آسوا من الهياج في الشك باهاليها .
ولكن في احد الايام رأوا في البحر نحو اثنين وعشرين قارباً من قوارب البرابرة
وفىها عدد صغير من الرجال متسلح بفتي وسهام واعمد وحبوب خشب الى
غير ذلك من اسلحتهم . فلما ذلك المنظر فلوب اهل الجزيرة خوفا ورعدة وحيرة
لا مزيد عليها فتراوا في المساء في شاطئ الجزيرة الشرقي . اما اهاليها فاخذوا في
ذلك الليل يتشاورون في ما ينبغي ان يفعلوا لاهل انفسهم وعيالهم ومزروعاتهم
ومواشيهم فقالوا ان نجائنا نتوقف على عدم اظهارنا انفسنا لم فلا بد من ان
نهدم الاكواخ التي بيننا ما للانكليزيين ونرسل مواشيها الى المغارة القديمة لان
البرابرة يأتون لاحالة ذلك العمل ليفعلوا ما فعلوا قديماً . فارسلوا الى المغارة
كل مواشي الاسبانوليين التي كانت في قصري القديم وكانوا ساكنين فيه ولم
يتروا الا بديل على وجوده في الجزيرة ما يمكنهم ان يحرقوه . وفي الصباح
اجتمعوا عند محل مزروعات الانكليزيين وانظروا قدوم جيش البرابرة .
اما البرابرة فتركوا قواربهم عند الشاطئ الشرقي واحرقوا نحو المكان المذكور
وكان عددهم نحو مائتين وخمسين رجلاً . اما جيش الجزيرة فكان مؤلفاً من

سبعة عشر اسبانيوليا وخمسة من الانكاز واي جمعة والثلاثة العبيد الذين اتوا
 مع السماء وقد اظهروا امانة وصداقة لا يريد عليها والثلاثة العبيد الذين
 كانوا عند الاسبانيوليت . اما الحفم فكانت احدى عشرة بندقية وخمس
 عشاريات وثماني بنادق صغيرة منها خمس كنت قد اخذتها من الملاحين العصاة
 وسببان وثلاث حراة واثنان وعشرون فأسا . اما العبيد فتفقد كل منهم
 عمودا طويلا في رأسه حربة وفأس وانت معهم اثنان من السماء اصرنا على
 المحاربة معهم وكانا متسكنين قوسين وسما كان قد اخذنا الاسبانيوليتون من
 ميلان الحرب التي جرت بين البرامرة عند الشاطئ وكان معها فاسان . اما
 القائد فكان الوالي وول انكاز الذي كان على جانب عظيم من الشجاعة كان
 كفائته تحت يده فتقدم البرامرة اليهم وهم يزأرون كالاسود . وكان مركز جيش
 الجزيرة رديا جدا على ان وول انكاز الذي برهن بانه ذو أهمية وجودة معهم
 وسنة رجال معه كانوا جالسين امام الجمع وراه لفوف غصن جدا من الاشجار .
 وكان قد امره الوالي بانه عندما يصل اليه البرامرة لا يرهم بالرصاص بل
 يترك حملة منهم يهرون بهم ثم يطلقون البنادق في وسطهم وبعد ذلك يذهبون
 من وراء غابة دون ان يظهروا انفسهم للاعلاء الى ان يصلوا الى وراء الاسبانيوليت
 فيجلسون هناك وراء غابة غضة تحميهم من نبال العدو . فبعد برهة وصل
 اليهم البرامرة اقواما اقواما يتقدمون بسرعة دون انتظام وترتيب فرمحو خمسين
 منهم على انكاز وارفاقه ونهم جمهور غدير فاسر ثلاثة من رجاله انت يرمونهم
 ففعلوا وكانوا قد وضعوا في كل بندقية ست او سبع رصاصات من رصاص
 الفشاريات . فلما سمع البرامرة صوت اطلاق البنادق الخفيف ورأوا رجالهم يهبطون
 على الارض قتلي وجرحي دون ان يروا مصدر ذلك تغيروا وارعدت فرائضهم
 وملا الخوف قلوبهم . ثم اطلق انكاز وارفاقه بنادقهم على جمهور غدير منهم ثم
 بعد لحظة ملا الثلاثة الاولون بنادقهم واطلقوها دفعة ثانية واو ذهب انكاز
 وارفاقه الى وراء الاسبانيوليت كما امره الوالي ان يفعل او لو رماهم الاسبانيوليتون

ومن معهم بطلقات متتابعة لكانوا هموم مزنة بهولة لان الذي زاد خوفهم من
انهم قتلوا ان المعبودات تقطنهم برق ورعد دون ان يروا . ولكن بقي وول
في مكانه ليملا بصادقه فرآهم بعض الاعضاء فجمعوا عليهم من وراء . ومع ان انكسر
وارفاقه رموم مرتين او ثلاث مرات وقتلوا منهم اكثر من عشرين رجلاً وم
بجاولون الذهاب الى وراء الاسبانوليون لم يرتدوا بل هاجموا وجرحوا بسهامهم
وقتلوا احد ارفاقه الانكليز وهو الذي ضرب العبد المسكين بالناس وجرحه .
ثم حاول ان يقتل الاسبانولي وبعد ذلك قتلوا اسبانولياً وعبداً من الذين
اتي بهم مع النساء وهذا كان ذا شجاعة واقسام واقتدار عجيب فانه صادم العدو
بهم لا يفتروا ولا يخذلوا فقتل منهم خمسة بناسو لانه لم يكن معه من الاسلحة غيرها
ولم يزلوا يهاجمون انكسر وارفاقه حتى ضاقوا . فلما رأى انه قد جرح
وان اثنين من رجاله قد قتلوا رجع وقومه الى تل في الغابة . اما الاسبانوليون
فبعد ان اطلقوا ثلاث طلقات رجعوا ايضا الى الورا لان عدد البرابرة كان
كثيراً وجرحهم شديدة فلم يقدروا ان يصادموا ومع ان اثنين خمسين من رجالهم
سقطوا على الارض قتلوا اكثر من ذلك جرحى لم يرجعوا الى الورا بل هجموا
كالاسود الضاربة عليهم وكادوا بالقوت القبض على بعضهم ونهالهم قد حجت
نور اليدر من كثرتها اما الجرحى الذين لم يبالوا كثيراً فهاجوا وهاجوا كالذئاب
الكارسة وكانوا قد اصابوا بالجنون . فلما رجع جيش الجزيرة الى الورا
ترك جنتي الانكليزي والاسبانولي وراءه فلما صادفها البرابرة قتلوها مرة
ثانية اي اخذوا في تكبير اعضاء جسد بها ورأسها بسوفهم واعدهم . فلما
نظروا ان جيش الجزيرة قد تهاوى لم يفتروا اثره بل اجتمعوا على هيئة دائرة
وصرخوا كما دهم صرخين عظيمين علامة للانصار ولكم حزناً جدياً عند ما
شاهدوا بعد ذلك ان مجارهم كانوا يقعون على الارض موقى من خسارة الدم
وبعد ذلك جمع الوالي جيشه حولاً على راية وقال لم انكسر فلو انهم
عليهم جميعاً وتملكهم فلا يبق على احد منهم . فاجابه الوالي يا مسر انكسر

انك رأيت عزم من جرح منهم وشعر بالآلم وكف انهم هجرون عليها غير مبالين
 بخطر الموت وما ذلك الا لانهم قد حملهم على القيام بحق النار والاعتقاد
 لانفسهم فالأوفى ان نصير الى القدر وحسنه تبرد جراحهم وبقل دمه فلا
 بقدرون ان يهاجمونا بيزم شديد وبقل عدد رجالهم فاجابه أنكر وهو يسر
 احسنت ولذلك ارجب ان لا انفي القتال للقدر بل ان اهاجمهم قبل ان يرد
 جرحي وبقل دي . فقال له حقاً انك قد فعلت ما طلبك اليوم يا معزنا أنكر
 واظهرت شجاعة وبسالة لا مزيد عليها فطوبى لك . فان لم تستطع ان تخارب
 معنا في القدر تخارب عنك نحن فالأوفى ان لا يهاجمهم اليوم . وكان الدير بغير
 تلك الأماكن فرأى الاسبانولون جيش الاعناء في ارباك عظيم وعدم انتظام
 بسبب ما قتل منهم واوجاع مجاربهم . وقد علا منهم ضجيج وعويل فزموا على
 ان يذاهمهم ليلاً وبطلوا بنادقهم منهم مرة واحدة على الأقل قبل ان يعلموا
 حقيقة عدم خاصة عدد ما رأوه في اختلال بكمهم من القتل هم دون ان
 بقدروا ان يذاهموا عن انفسهم . فذهب بهم احد الانكليزيين وهو الذي ابتدأ
 القتال في حقله الى الغابة ثم مال بهم الى الجنوب فواصلهم الى القرب من جمهور
 غدير منهم دون ان يشعر باقترابهم منه واطلق ثلثي بنادقهم في وسطهم وقتلوا
 وجرحوا كثيرين . ثم بعد لحظة اطلق غيرهم بنادقهم ايضاً في وسطهم فاذا قوم
 كالسات الحمام وجرحوا عدداً كثيراً جداً قبل ان رآهم البرابرة او عرفوا من
 اين انهم الموت او الى اين يفرّون منه . ثم ملأوا بنادقهم بمرعة وقسموا جيشهم
 الى ثلاثة اقسام كل قسم ثمانية رجال فكان عدد الجيش اجمع اثنين وعشرين
 رجلاً وامرأتين فانطلقا الشجاعة وجسارة كابطال الرجال . وقسموا الاطعمة بينهم
 وطلبوا الى الاندرايين ان يرجعوا الى الخفاء فقالوا لا يرجع بل نوت في الحرب مع
 رجلها . ثم ذهب كل فريق من جهة وهاجموا العدو من ثلاث جهات وهم
 يصرخون ويصيحون بأصوات شديدة جداً . فاجتمع جيش البرابرة ووقفوا
 متحيرين لا يعرفون ماذا يفعلون لانهم سمعوا اصوات اعنائهم من جهات مختلفة

في وقت واحد دون ان يروم ولورواهم لروم بالبال . وعند ما اقتربوا منهم
ورأوا بعضهم روم بسهامهم وجرحوا ابا جمعة جرحا خطيرا . على ان جيش
الجزيرة لم ياكلهم من الفرصة الكافية ليدافعوا عن انفسهم بل هجم عليهم ورومهم
بالرصاص من ثلاث جهات ودنا منهم واخذ يفتك بهم بحربات الينادي
والصوفى والحرايب والثؤوس حتى كلت من الرجال الابدي والبرابرة يصرخون
ويولولون ويتحجرون ويثرون طالبين النجاة بانفسهم . وكان عدد الذين قتلوا
في الموقفين نحو مائة وثمانين رجلا . واما الباقيون فانضموا اليهم الخوف الى اعمال
كاعمال الخائفين وفروا كأنهم راكبون ارجحة الرباج الى الغابات والجبال
والأودية على انهم لم يفتقروا لثمن فاجتمعوا بعد برهة عند الشاطئ حيث كانوا قد
تركوا قواربهم وارادوا الذهاب ولكن كانت الريح عاصفة جدا والنوء شديدا فلم
يقدروا ان يذهبوا . واخذ النوء يزداد الليل بطوله وفي وقت المد رفعت به
قواربهم الى البر فباتوا لا يقدرون ان ينزلوها الى البحر الا بالغاب عظيمة جدا
وتكسر بعضها بالصخور وبعضها بالشاطئ فتعاطمت مصيبتهم واشتدت احزانهم
وصار الضياء في اوجهم ظلاما واصبحوا متحزين لا يعلمون ماذا يصنعون لينجوا
من البلاء الذي وقعوا فيه

فسر اهل الجزيرة بالنصر وملا الفرح قلوبهم . وبعد ان ارناحوا قليلا
فصدوا ان يذهبوا الى المكان الذي فر اليه البرابرة ليشاهدوا ماذا يكون منهم
فروا في وسط المكان الذي جرت فيه الحرب فوجدوا كثيرين من عمارج
البرابرة في حالة النزاع ولم يبق امل في شفائهم . فارتفع فيهم ذلك المنظر المحزن
جدا لانه لا يخفى ان صاحب القلب السليم والشفقة والاحساس يشهد من مناظر
كذلك وان يكن قد اضطره الامر بحسب اصول الحرب الى ان يهلك عدوه
فلا يفرح بصائبه . فكان يدنو من هؤلاء المنكوبين الحظ عيدهم البرابرة
ويضربونهم بنؤوسهم فيموتون ارواحهم الى عالم الارواح دون ان يأمر احد
لانه لا يخفى ان ما تعود الانسان من الفعل فيجاء كان او حشا لتعوده الى فعله

العادة رثما عن الله . فبعد برهة اشرفوا على المكان الذي كانت بنايا جيش
البرابرة جالسة فيه . فرأوا نحو مائة رجل أكثرهم جالسون منقطون اوجهم وقد
التوا رؤوسهم على ركايتهم . فلما دنوا منهم مسافة رمية رصاص اسر الوالي ان
تطلق بندقيتان مائة ثان بارودا فقط ليجنهم بصوتها وذلك ليرى كل م
مستعدون للصادمة او لم يبق لم اقتدار على الحاربة . فلما سمعوا الطلق الاول لم
رأوا شئ . الثاني واول على ارجلهم وفرائسهم ترتعد وقلوبهم تنقبض . فتقدم اليهم
جيش الجزيرة بسرعة ففروا هاربين صارخين صراخات عظيمة لم يسمعوا مثلها
وذهبوا قاصدين الوديان والجبال

فقال اهل الجزيرة بعضهم لبعض الاخر يا حلا لو كانت الجبر هادئا
وذهبوا عما . على انه لم يبق لهم حيث يقيمون اذا مضوا الى اوطانهم ربما يهضون
حيثما عزموا ويهجمون عليهم فيهلكونهم ويحرقون مساكنهم ويعطلون مزارعهم
فقال لهم ول انكسر الذي كان يقاتل معهم مع انه كان مجروحاً من الصواب ان
تفعل قواربهم فتمهم عن العود الى اوطانهم . وهذا هو الصواب . فاضلوا
يشاورون مدة طويلة بهذا الشأن . فقال بعضهم اذا عطلنا قواربهم يفضي بنا
البأس الى الفرار الى الغابات ويهاجمونا حيناً بعد حين ويعطلون مزارعنا
وكرومنا ويهون مواشنا ويقتلون من يجدهم وحده ما فلتعلم ان لا تخرج
غير اقوام وان تصطادهم كالوحوش السارية وهكذا تكسر الغابات وتطول فيها
وعظايا . فاجابهم ول انكسر ان تخارب مائة شخص اسهل من ان تخارب مائة
شعب فاذا عطلنا قواربهم يهون علينا اخضاعهم لاضنا او اهلاكهم وربما اضي
بهم الجوع الى الطاعة او الهلاك فاذا لا بد من تكسير القوارب . وهكذا برهن
على انهم ذلك فوافقوه وشرعوا في جمع حطب بابس لاجرافها . ووضعوا في
القوارب واشعلوه فلم يميل فيها لانها كانت رطبة جداً على انها احترقت اغلبها
وعظمتها فكانت لا تمنع للمفر فلما رأى البرابرة دخان قواربهم بصاعد الى
بعضهم راكضين الى اهل الجزيرة وجثوا على ركايتهم عند اقدامهم وصرخوا قائلين

بلغتهم وارا وارا موكبا وكلمات اخرى لم يفهموها واعداوا يشهدون بحزن
ويصرخون صرخات غريبة ففهموا من لسان حاملهم انهم يتوسلون اليهم ان لا
يعطلوا قواربهم بل يسبحوا لم بالذهاب وانهم لا يأتونهم ايضا. فانشأ اهل الجزيرة
انهم لا يندرون ان يرحمهم لانهم كانوا قد تأكدوا ان سلامتهم وسلامة عيالهم
واموالهم توقف على عدم تمكن احد البرابرة من الرجوع الى وطنهم ليجبر قومه
با صادفوا فلما يأتون جيشا جرارا لا يندرون ان يصادموا وحكما اسرعوا
بتكسر القوارب التي لم تكسر ما الامواج. فلما رأى ذلك البرابرة صرخوا صرخة
هائلة واخذوا يركضون في الجزيرة من مكان الى آخر كمن قد اصابه جنون.
فتحير اهل الجزيرة بما ينبغي ان يفعلوا بهم وانفقوا على اقامة حراس يمسكون
كرومهم ومزروعاتهم من تعد يأتهم فان اليأس ومحبة الانتقام حلام على تعطيل
كل المزروعات والكروم التي قاربت ان تنضج وتخرب كل حواجزها. على
انهم لم يجدوا المواني لانها كانت في خيأ لم يعرفوه ولم يعطلوا كل المحلات
المزروعة فعما والمفروسة فيها الكروم بل عطلوا الحقل الذي كثر الذي كثر قد
غرسه قبل خروجي من الجزيرة ومع ذلك كانت خسارتهم جسيمة جدا اما
البرابرة فلم يعدم ذلك نفعا

ولم ينفقوا اثرم ليهلكوم لانهم لم يكونوا يستطيعون ان يدركوم عندما كانوا
يرونهم افرادا لانهم كانوا يركضون ركضا سريعا جدا. ومن ذلك الوقت لم
يخاف اهل الجزيرة ان يخرجوا الا معا لانهم خافوا ان يدركهم البرابرة افرادا
فيحيطون بهم يدركونهم ويهلكون. على انه لم يبق معهم الحيلة لان سهامهم
كانت قد فرغت واما الاعداء والسوف فرمواهم هاربون لانها كانت تنفل
عليهم

فاصبح اولئك البرابرة في حالة يرثى لها اوشكت تنقض بهم الى الهلاك.
وكذلك اهل الجزيرة لانهم عطلوا كل مزروعاتهم ومفروساتهم وبعض منازلهم
ولم يبق سائما غير القلعة والاخية والمواني وقليل من القمح المزروع عند الاخية

فاحتاروا في الحرم ولم يفعلوا ماذا ينبغي ان يصنعوا . اما مزروعات ول انكثرت
ورقيقته الثمر من فطرها واخرى بها جميعا وقتلوا احدهم ببيلة اصابته في
صدغه فطرحه على الارض قتيلاً وهو نفس ذلك الفاسي الذي كان قد جرح
العبد المسكين وحاول قتل الاسبانوي في اعدالة وحكمة مدير الانفس وحافظها
فلا شك ان الحالة التي وقع فيها من ارداء الاحوال التي اوصلني اليها نحسب
بعد ان زرعت قمحا وارزاً ورست الماعز لانهم فضلاً عن التعطيل الذي
طرا عليهم كان في الجزيرة مائة رجل كالذئاب الكاسرة يجرعون وينهبون كل
ما كانوا يصادقونه اما الوصول اليهم فكان صعباً جداً

فلدى البصر في حالتهم عزموا على ان يطردوهم الى الجهة الجنوبية الشرقية
من الجزيرة فاذا اتى غيرهم من البرابرة لا يمكنهم الوصول اليهم وعلى اقتفاء اثرهم
الى ان يهلكوا اكثرهم فان تمكنوا بعد ذلك من اخضاع الباقين لسلطتهم
بفرزون لم حقولاً ويعطونهم قمحا وارزاً ليزرعوه فيها ما يلزمهم لقيام حياتهم
بالشغل في الارض فشرعوا في ذلك . وفي زمان قصير تمكنوا من ايقاع الرعب
في قلوبهم حتى اتهم من مجرد اسماع صوت اطلاق بنادقهم كانوا يستطرون على
الارض دون ان يصيبهم اذى واخذوا في الانبعاد عنهم . واستمروا على ذلك
مئة وكل يوم يقتلون او يجرعون واحداً منهم حتى اسكوتهم الاوجار والمخامر
فاسوا في حالة يرثى لها من الجوع بل مات كثير من منهم جوعاً في الغابات
فانظر ذلك في عواظهم جداً ولا انت قلوبهم وتحركت فيهم الشفقة خاصة
الوالي المتصف بالرأفة والخوف قال ينبغي ان نحاول الفناء القبيح على واحد منهم
لنخبره باننا نحب ان نصالحهم ونسلمهم من ضيقهم الذي ينبغي هم دون ريب
الى الهلاك فتعاهدتم على الاقلاع عما يؤول الى ضررنا وضررهم . فبعد بركة
ليست بقصيرة القوا القبض على بربري ثلاثة لم يستطع الركض من شدة الجوع .
ففي اول الامر كان صامتا ولم يأكل ولم يشرب الا انه عندما رأى انهم يلاطفونه
وبعاطفة بالشفقة والرحمة دون اهانته وانهم قدموا له طعاماً رجع الى نفسه

وآس الهم وأكل حتى أكثى. فاحضروا ابا جمعة ليكلمه فنقدم اليه وقال له
اذهب الى ارفاكك وقل لم ان اهل الجزيرة لا يرغبون في ان يضروهم ولا ان
ينعلوا ما ينضي بهم الى الهلاك بل ان يعطوهم طعاماً يثباتون به في الحاضر
ويترزون لم قسماً من الجزيرة ليسكنوه ويحرقوا اراضيهم ويذروا البذر ويحرقوا
لهم قناتل بلحها ولبنها. فلما اذا وعدوا بان لا يتجاوزوا حداً يهتونه لم ولا يفعلون
ما يوذبهم. فذهب الهم واخبرهم بذلك فلم يسمعوا عن القول لان الجوع كان
يكاد ينضي بهم الى الهلاك. وتوسلوا الهم ان يعطوهم ما يثباتون به. فعند
ذلك نسلخ اثنا عشر اسبانياً وانكليزيان وابو جمعة وثلاثة عبيد وذهبوا الى
المكان الذي كان يقيم فيه البرابرة. اما الثلاثة العبيد فاخذوا معهم كمية وافرة
من الخبز والارز المملوق الذي كانوا يصنعونه ويخبثونه كعكاً في الشمس وثلاثة
من الماعز. فلما وصلوا الهم حملوا لهم الطعام الى جانب النمل فجلسوا هناك
واكلوه ثم همضوا وشكروهم واقاموا بحق وعدم ولم يتجاوزوا الحد الذي عينوه
لم الا عند ما كانوا ياتونهم طالين زائداً او معلومات تخص بالزراعة والفلاحة.
ولما انتهت الجزيرة وجدتهم هناك فذهبت الهم ورأيتهن. وعلوم الحراثة والزراعة
وعمل الخبز وترية الماعز وحلبها فكانت الاراضي المخصصة في الجهة الجنوبية
الشرقية من الجزيرة تعرف على البحر ووراءها صحور عالية وكانت مخصصة جداً
وطولها نحو اربعة اميال وعرضها ميلان ونصف ميل. وعلومها ايضا على الجوارف
المخشبة كالتي كنت اصنعها. واعطوهم اثني عشرة فلماً الى غير ذلك من
الآلات ومكلاً عاشوا طائعين لا يفعلون شراً ولا خيراً

ولم يحصل بعد ذلك ما يكدر امانا في الجزيرة ويوقعهم في خطر الهلاك من
هجمات البرابرة حتى انتهت بعد تلك الحوادث بقوسنتين. على انه كانت باقى
احياناً البرابرة الى الجزيرة لهولوا بأكل امرارهم ولكن كانوا من شعوب واماً كن
مختلفة فربما لم يسمعوا قط بالذين اتوها قبلاً فلم يمشوا عن البرابرة الذين كانوا
فيها ولو يمشوا عنهم لما وجدوهم الا بعد انما ب كثيرة ولوفات طويلة لان محلم

كان في الجبهة الثانية من الجزيرة التي لم يمكن البرابرة ان يأتوها
وعلمهم صناعة عمل السلال من القصب فبرعوا فيها وفاقوا معلمهم
فكانوا يصنعون منها اشياء كثيرة غير السلال منها القناص والكراسي والاسرة .
وكانوا حاذقين باشغال كهنه ومدنوم قدينا حسنا جدا وكانوا يزورونهم الآ
انهم لم يكونوا يسمحون لهم ان يزورهم لئلا يعرفوا منازلهم ومقدار عددهم فوضعوا
قانونا وموان من تجاوز الحدود المهيئة من البرابرة يموت قتلا
فلما ما جرى في جزيرتي مدة غياني اني ما استغنى الذكر من الحوادث
واظن اني لم اكن منها شيئا مع اني لم ادون حوادثها في اوراقها بل كان اعنادي
على الذاكرة

ان يجيئني الى الجزيرة وفي راحة اعلمها وسعادتهم لاني انهم بما يسهل اعالمهم
بسكاكين ومنصات ومجارف ومعاول وفؤوس الى غير ذلك من الآلات
الشديدة اللزوم لمن كان في حالهم . فشرع البرابرة بعمل اشياء كثيرة بها
فانما منازل جيدة جدا من القصب مثل صنع السلال وكان منظرها من
خارج مضحكا على انها كانت مريجة جدا . فلما رأها الانكليزيون طلبوا اليهم
ان يصنعوا لهم مثلها لانها اعجبهم جدا . ولما زرت منازل الانكليز ظننتها عن
بعد بيوت نحل . اما اول انكليز فصع لنصو بمساعدة البرابرة بيتا كبيرا جميلا
جدا . فكان محيطه من خارج مائة وعشرين ذراعا وارتفاعه سبع اقدام وكان
مقسوما خارجا الى عشر غرف وداخلا الى ست ولم يكن عنده اسباب اتقان
الصناعة ومع ذلك اخترع يحكمه ما احكم عملة وحسن كثيرا فكان يحسب من
المتراعات المتودة

اما الدين فكان مهلا جدا حتى انهم لم يسموا شيئا من فروضه . وكانت
تذكرهم الخالق كالمادة الجارية بين الملايين بالخلف باسم الكرم . وكذلك
النساء فانهم لم يعلموهن شيئا من الفروض الدينية لان معرفتهم كانت قليلة جدا
من هذا القبيل حتى انهم لم يقدروا ان يقدروا شيئا على انهم علموهن التكلم

باللغة الانكليزية فبرعن بذلك الا ان لفظهن كان غير صحيح وكذلك اولادهم
فانهم علوم اياها منذ الطفولة فكان لفظهم في بداية الامر غير صحيح ايضا . اما
عدد دم فكان عشرين واكبرهم سنا كان عمره ست سنوات عند ما اتت الجزيرة .
لانه لم يكن لهم اكثر من سبع سنوات قد اتوها . على ان ارجاهن كانت ممترة جدا
فامرأة الطباخ ولدت له ستة اولاد ولما اتت كانت حاملا . اما النساء فكان
عافلات بعضهن بحسب البعض الآخر وبسعة مطبوعات لازواجهن على انه لا
يسوغ ان ادعوم ازواجهن لانهم اقتربوا من دون مراعاة الفروض الدينية
بين النساء فتاوت لكما خير النساء ودودة وولوده

الفصل السابع والثلاثون

تاريخ ما حدث للاسبانيولين

قد ذكرت كل ما طرأ على الانكليزيين المتقيين في الجزيرة . فيلزم ان اذكر
ما حدث للاسبانيولين الذين كانوا اكثر منهم عددا لانه يستحق الذكر ويصحب
الى معرفته كل من طالع هذا الكتاب المملوء من الحوادث الغريبة والوقائع
اللطيفة فسالهم في اول الامر عما صادفوا وهم بين البرابرة في الجزيرة التي اتى
هم منها الاسبانيولي الذي كثر قد خلصت هو وابو حمة . فقالوا اننا كنا هناك
في حالة نعمة جدا مكموري الحاطر . منتظرين الموت جوعا يوما فيوما فلم نعمل
شيئا يستحق الذكر لان مصيبتنا العظيمة كانت قد اقضت بنا الى اليأس حتى انه
لم يبق لنا امل بالحياة ولا بنجس حاله معيشتنا . لاننا كنا قليلا العدد ممنهين
لا يثبت اليأس انسان

فقلت له ان بين الخائفين يوما عظيما لان امواج المحيط قد حكمت على شاطئ

جزيرة البرامرة دون شيء ما يلزم المعيشة بل دون ما نقفون به ونفأ الى ان
نجدوا طريقة للحصول على الثوت. اما انا فانت العناية الالهية مكنتني من
الحصول على بعض الزاد من المركب المكسور فصنت حاشي جداً وقويت
وشرعت ازرع الى غير ذلك من الاعمال التي آلت نتائجها الى تحسين الحال
وترقية معيشتي. ولا ريب ان كل من كانت له الوسائل التي كانت لي حينئذ
لا يتأخر عن فعل ما فعلت. فاجاب مودي لو كنا نحن جمهور الاسيانيولين
في الحالة التي كنت فيها لما خطر ببالنا ان نصنع طوقاً لطوف به نحن الى البر
ونخرج له ما يسير به دون شراعت او مجاذيف. فلما اذا كنا جملة. ولو بان
واحد منا في مايت فيه لكان مات في بقايا المركب المكسور دون ان يعرف
ماذا يصنع لينجو بنفسه. فقلت له دعنا من هذا العمل وانقص علينا فضلك.
فقال ليم الخمس. ترلنا في جزيرة فيها سكان دون زاد مع ان البعض اخبرونا
انه بالقرب من جزيرة فيها زاد وليس فيها سكان لان الاسيانيولين اهالي
تريباد كانوا يأتونها وينكون ماعراً واكثراً فيها فكانت جداً وملائت الجزيرة
وان فيها كثيراً من بيض البام والطيور المختلفة الاجناس فلما اتيناها لكنا وجدنا
لحمنا كافياً. فلم نجد في الجزيرة غير اصول الانجار وبعض اعشاب كانت
بعطينا اياما اهل الجزيرة. ولم يكن لنا شيء آخر ثقات به غير لحم البام وذلك
من الخمر ما كولات اهل تلك الجزيرة. وهو كالابن مكره جداً لدينا

فبعد دخولنا الجزيرة مدة يسيرة اخذنا بالاجتماع في تعليم البرامرة الذين
كان معهم عوائد الشعوب المتمدنة من جهة الاكل ولكنهم لم يفعلوها. فاستمعنا
عن ذلك قائلين في انفسنا لا ينبغي ان نكون معطين لمن يقدم لنا احتياجاتنا
البرية. لانه كما لا ينبغي ان مواظ من لا يحتاج الى المعطين تكون اشد تأثراً
وتعاقاً من مواظ الذي يحتاج اليهم فكنا نظوي اياماً دون ان تناول طعاماً.
ولا ريب ان بد العناية كانت تدرك كل هذه الامور فلا تقدر ان تنكر ذلك ابداً
وكيف تنكره حال كوننا عاقلين انه لو انقصت بنا الحاجة الى الخروج من تلك

الجزيرة والبحث عن غيرها لما كنا فزنا بالحجارة التي فزنا بها بانقاذك ايانا والانيان
بنا الى جزيمنك

وكنا نذهب معهم الى حروبهم ولكن في اثناء القتال لم تكن تقدر ان تفعل
شيئا لانه لم يكن معنا بارود ورصاص اسلحي بناقنا بها ولو كانت معنا ذلك
لشفعنا اصحابنا ولوقمنا الرعية والخوف في قلوبهم وفارب اعدائهم . ولم تكن تقدر
ان تمنع عن الذهاب معهم فكنا نلق في وسط المعركة والسهام تساقط حولنا
وكانت نخرجنا احيانا دون ان تقدر ان تفعل شيئا لانه لم يكن لنا معرفة في رمي
النبال فكانت حالتنا اسوأ من حالتهم . على اننا كنا نملك بالعدو فكننا شديدا
بالحراب التي كانت معنا وذلك عند ما مهاجمهم ونقترب منهم وكثيرا ما فزنا
جيشا كاملا بها وبالحراب الجارحة التي كنا نضعها في افواه بناقنا على ان جماهير
الاعداء كانت احيانا تحيط بنا وثرمنا بالنبال فكنا ننع احيانا في خطر الموت
بل كثيرا ما قطعنا الامل من السلامة والنجاة وكنا في نهاية الامر اخبرنا دروعا
صنعناها من خشب وغطيناها بجلود وحوش ما عرفنا اجناسها فكانت نجينا
من نبالهم ومع ذلك كنا احيانا ننع في خطر الموت . ففي احدى الوقائع ضرب
الاعداء باعدتهم خمسة ما دفعة واحدة والقوم على الارض . واسروا ذات
احدنا وهو الاسبانولي الذي نجيا باقدامك ورحمتك من الموت وجسده من
الاكل . فظننا انه قتل ولكن بلغنا بعد ذلك انه بات اسيرا فلما هذا الخبر فلو بما
حرنا ونجا وكنا اجمع نحب ان نغادر بجواننا لانقاذ من الاسر . فلما رأى
الباقون انهم قد طرحوا خمسة منهم على الارض قدما اليهم واحاطوا بالمطر وحين
ودافعوا عنهم بشجاعة لا مزيد عليها فقمضنا واخذنا في مساعدتهم على مصادمة
الاعداء . الا ان الاسبانولي بقي مطروحا على الارض . فظننا انه قد مات قتلا
فتركاه مجذلا وقومنا السحفا الخشبية واجتمعنا ثم اصطفنا صفا واحدا وجهنا
على جيش بلغ عدده الافا فزفناه ومررنا في وسطه . وكنا نقتل كل من
حارضا ومكلا انصرفنا عنهم على ان سرورنا لم يكن يعادل كدرنا وذلك

لحصارة احد ارفانا والظاهر ان البربرة رأوة حيا فاسروه وساروا به . ولا
تقدر ان تقوم بحق وصف فرحنا وسرورنا وحيورنا النائي عن رجوع صاحبنا
ورقبنا وشربنا في المصائب بعد ان كنا متيقنين انه امسى فريسة لاولئك
الاقولم المتوحشين . وبكل اللسان عن وصف فرحنا باستماع وجود رجل مسيحي
متمدن في جزيرة مجاورة لنا قادر على انقاذنا من تلك الحالة القبيحة التي اوقعت
فيها سوء الحظ . وخاصة عند ما راينا الزاد الذي تكرمت به علينا فان منظر
الخبر الذي لم نره منذ اينما المكان التذر انفس قلوبنا فاخذنا نباركه مرة بعد
مرة فكان كانه مرسل اليها من السماء . ولما اكلمناه ومن سائر الزاد تقربنا
وشعرنا بفرح عظيم عند ما ابصرنا القارب وملاحيه الذين اتوا من لندن ذلك
الذي كان مصدرا لجميع هذه النعم والخيرات . ان اللسان يقصر عن تادية
فريسة الشكر وعن وصف علامات الفرح التي كانت تظهر في كل منا عندما
تأكدنا ان وقت نجاتنا قد دنا . فبعضنا بات راقصا وبعضنا بات باكيا ومنا
من غنى وقد اغنى على البعض

فانثرت في هذه الاخبار تأثيرا شديدا وذكرني بفرح جمعة عند ما قابل
اباه وتأثيرات الحيور التي ظهرت في اولئك المنكودي الحظ الذين انقذهم من
وسط اللهب . وسرور نائب القبطان الذي نال الخلاص حينما ترقب الملاك
وفرحي بالحصول على مركب ينقضي من الاسر في الجزيرة ويذهب به الى
بلادي بعد ان بقيت مسجوناً فيها مدة ثلثي وعشرين سنة . وآلت اخبار تلك
المصائب الى تكوين علائق الحب والمودة والخلوص بيني وبين اولئك الاسيائوليين
وزاد اهتمامي بهم وبما من شأنه ان يؤول الى ترقية اسباب راحتهم وسعادتهم
فهنا ما اخبرني به اهل الجزيرة ما طرأ عليهم في تلك الجزيرة وفي جزيرتي
من المصائب والمماتات والحروب الى غير ذلك ما قد تقدم ذكره . فلم
يبقى الا ذكر ما فعلته لاجل ترقية اسباب راحتهم . وكانت بلوح لي ولهم انه لا
خوف عليهم من هجمات البربرة لانهم اصبحوا قادرين على اهلاكهم جميعا اذا

انهم ولو كان عددهم ضعف العدد الذي ما جمعوا فاصبحوا في راحة بال وطانية
ثم اخذت في التكلم مع الوالي على سمعهم جميعاً بشأن سكنتهم في الجزيرة . فقلت
له اني لست بات لاخرج بعضكم من الجزيرة اذ ليس من العدالة اخراج البعض
منها وترك البعض الآخر فيها الذين ربما كانوا لا يرغبون ان ينفوا وحدهم بعد
ان تضعف قوتهم بسبب قلة عددهم بل اتيت لارصيكم على الدكي هذا فقد اتيتكم
بانبياء كثيرة من احتياجات الحياة وقد بذلت مالا كثيراً لانبياءها لاجل
راحتكم والمدافعة عن انفسكم واموالكم ولم اكفر بذلك ولكي قد اتيت بانخاص
لازداد عددهم فتتمكنوا من التغلب على اعدائكم فضلاً عن ذلك ويساعدونكم
على عمل ما تحتاجون اليه لانهم من ارباب الصنائع واعطي كلّا منكم ما اتيت
بوجه . على اني قبل ذلك اسأل كلّا منكم هل هو مستعد ان ينفرا لخير ولا يهزوا
ويضيكل ما قد تعدي به عليه وبصالح كل منكم ارفاقه وبما قدم على الصداقة
والحبة والتعاون في الاعمال وتكونون كلكم اعضاء عائلة واحدة لا يداخلكم
الحسد ولا يتخامر حيائكم الاختلاف والبغض

فاجاب ول انكز بسلامة ضمير ولطف ان ما الم بنا من المصائب هي
كافية ليستاصل منا الشر وما صادفناه من مهاجمة الاعداء هو كافٍ ليتمكن
علائق المحبة بيننا . اما انا فاني اعيش واموت معهم دون ان بلوح في فكري
الاضرار بالاسبانيوليين لانهم لم يعاملوني الا بما استحقته اعالي الشريرة . ول
كنت انا هم وهم انا فعلت بهم مثلاً فعلوا بي بل اكثر كثيراً فان شئت اطلب
منهم ان ينفروا زلاتي ويهفوا عن تلك الاعمال والاقوال الشيطانية ونهاية ما
انباهة الاتفاق والاتحاد معهم . اما الذهاب الى انكز فلاميل اليه

فقال الاسبانيوليون حقاً ان تصرفات ول انكز ورغبة القبيحة الزمنا ان
نجردهم من الاسلحة كما عرضنا لك قبلاً . على ان ما اظهره مستر انكز في
المحاربة العظيمة مع البرابرة من الشجاعة وحسن التدبير والمروءة والافتقار بخير
الجمهور والامانة انما اكل اعماله السابقة فحق من الآن فصاعداً نحقق الامركان

الو والى ابي وطو كما نحن الاركان الى انفسنا . والدليل القاطع على ذلك
فيمنا ول انكثرتائب الوالي ولقد انتهزنا هذه الفرصة لظهار افكارنا وحاسباتنا
من هذا القيل . ولان نين اننا لا نريد فتريق الصوايح ولكنا نرغب في ان
نفي واحدة

فلما سمعت تلك العبارات النافذة عن محبة وخلص دعوتهم اجمع لتناول
الطعام موبة في ظهر العذ فانيت بطبايح المركب ومعاونو لطيفنا طدام الولية
وساعدها معاونو الطبايح الذي كان في الجزيرة . فاننا من المركب لم نمر
ونحن مقدد ومندروبات مختلفة من الروم والبرما والبراندي وغيرها من التي لم
يلحقها الاسبانوليون منذ سبقت عديدة . فمشروها وارسلنا الى ملاحي المركب
لما جدينا لولينا باكل لحم طري من الجزيرة كما اولنا نحن باكل لحم قديد من
المركب فسرنا جميعا

فبعد ان انتهينا من تناول الطعام اتيت بالاشياء التي كنت احضرها معي .
لجانبه وقوع نزاع عند قسمها اربهم ان عندي اشياء كافية لجمعهم وقلت لم
انني اقسم بكم الملبوسات بالاسوة . وهكذا اعطيت كلاً منهم كناناً كافياً لصنع
ارب قصان . فساءل الاسبانوليون الزيادة للجمع فردعها فمضوا اي لكل
منهم ستة قصان فسرنا جميعاً بها . اما الانسجة الانكليزية التي سبق ذكرها فاعطيت
منها كلاً منهم ما يكفي لعمل ثوب صنع للوقاية من حرارة الشمس في فصل
الصيف . وقلت لم عند ما تقي اصنعوا غيرها وعندي اقشة تكفيكم زمناً طويلاً
وهكذا فرقت عليهم باقي الملبوسات من احذية وجرابات وبرايط وملجراً
انني عاجز عن وصف انواع السرور والشكر التي كانت تلوح على اوجه
الرجال المنكودي الحظ عند ما كانوا يماينون فاقع اعتراني هم وتقدي لم كل
ما يحتاجون اليه . فقالوا لي حيا انت ايونا ونخص منلك في افصى انظار العالم
كان ليلينا وبنينا باننا لسا بنقطعين عن باقي الدر فوعدك اننا لا نترك هذه
الجزيرة دون ارادتك

فبعد ذلك احضرت الذين اتيت بهم وكانوا لا يزالون في المركب ومنهم رجل سمعته معلم كل الصنائع وخياط وحديد ونجار. اما الخياط فليظهر مرونته واعتماده بهم شرع ياذي يصنع قميصاً لكل منهم. اما النجاران فكانا عتيقين جداً في الجزيرة فاخلا في اصلاح كل ما كنت قد صنعت من الكرسي والموائد وغيرها لانها كانت غير مثقنة واتقنا صنعها وصنعوا اسرة وخزان ومغالي ورفوفاً وكل ما يحتاجون اليه من صنعة التجارة فاحضنوها الى منزل انكتر النصي لاريها الحداثة الطليمية التي اظهرها في صناعتهم. فلما رأيتهم قالوا حقاً اننا لم نر قط شيئاً نظير هذا المنزل. ثم قال احدهما بعد ان تفرس برهة في البيت الحقن اقول لك ان صاحب هذا البيت لا يحتاج قط اليك لانك ان اعطيتك الآت يصنع ما يريد ان يصنعه

وبعد ان فرقت عليهم الاذنة اخذت في تفريش الآلات فاعطيت كلاً منهم مرآ ومجرفة ومعولاً لانه لم يكن لهم محاريث فكانوا يستخدمون هذه الآلات عوضاً عنها. ثم اعطيت كل قوم منهم فأساً وقدماً ومشاراً وقلت لهم ان احتياج احدكم الى هذه الآلات او تعطلت عنده فابستمع ما في الخزن العمومي دون ان يختلفوا على ذلك واعطيتهم ايضاً كثيراً من المسامير والبروز والخالع والمطارق والمساكين والمنصات والجملة كل ما يحتاجون اليه. واعطيت الحثاد اربعة قناطير من الحديد غير المصنوع

فلما رأوا الاسلحة والبارود والرصاص التي اتيت بها فرحوا جداً لانها كانت كثيرة كافية ولو نزلت كل منهم بدقيتين كما كنت افعل انا فيمكنون من مصادمة الف من البرابرة ان كان موقفهم جيداً

وانزلت الى الجزيرة التي الذي ماتت امة جوعاً والتجارة التي كانت ذات طماع حميدة ولطف وذات معارف اعتيادية شأنها المحافظة على ديانتها وكان الجميع يتدبرونها وكانت عيشتها معاً في المركب صعبة جداً لانه لم يكن معاً انثى غيرها ولكم كانت تعصم بالصبر الجميل فلما رأت ان امور اهل الجزيرة

ومعيشهم حصة وهبة مقترنة بالسعد والتوفيق وأنه لم يكن لها غرض يجعلها على
الذهاب الى الجزائر الهندية البعيدة ومقاساة مشاق البحر ومخاطرة انت التي مع
التي وطلبنا الي ان اسبح لها بالسكنى في جزيرتي وبان يقرطاً في سلك عائلي
وكان اهل الجزيرة ينسبون الى قاجيت طلبها دون تردد وعينت لها قطعة
من الارض ملكاً لها وبعث لها ثلاثة ميوت واحفظها بحائط من نصب نظير
حائط انكتر لكل منها بيت للثوم وبيت مشترك لوضع المونة والاكل وكانت
ذلك المنزل بقرب منزل انكتر. اما الانكليزيان العاقلان ففلا منزلها الى
جانب منزل انكتر. وهكذا اصبح في جزيرتي ثلاث مدن فالاسبانيون
وابو جمعة والعبد الثلاثة الذين اسروهم في اول الامر كانوا يسكنون في قلعتي
القديمة وهي عاصمة الملكة. وكانوا قد وسعوا دائرة انفعالهم جداً وحرقوا كل
الاراضي المجاورة لم فكلت مبيتهم بالراحة والاكتفاء دون ان يقدر احد ان
يرى منزلهم او اراضيهم من خارج. ولا ريب انه لم تبق فط مدينة عظيمة مثلها
محيطة في وسط الغابات لانه لو اتي الف من البرابرة وجالوا في الجزيرة لما قدروا
ان يجدوا معالم ولو عرفوا بها ومجئوا عنها لما وجدوها لان الانجار المكننة احاطت
بها من كل جانب وكان يلزم من اراد ان يدخلها من سيل غير السيلين
المذكورين ان يقطع الانجار ليضع سبلالة. وكانت معرفة الطريقين المذكورين
صعبة جداً لانهما كانا كدائر جهات الغابة. اما المدينة الثانية فكانت منزل
انكتر وبالقرب منه مسكن اربع عائلات انكليزية اي الثلاثة الانكليز الذي
كنت قد تركتهم هناك وثلاثة عبيد وارملة الانكليزي الذي قتل في الحرب
وابولادها والتي والجارية اللتان انتفعتا من الموت جوعاً والجباران والحياط
والخداد الذي نفهم محبة الى الجزيرة خاصة فصليح الاسلحة وحفظها والرجل الذي
دعوتهم معلم جميع الصنائع كان نافعاً جداً وبشوقاً

فلذكر الكلام الذي جرى بيني وبين المخوري الشاب الذي كما سبق
الذكر انذته من قارب المركب الذي احترق. ولابد من تكرار ذكر صفات

واعماله المحسنة لانه كان رزينا صالحا عاقلا نقيا جدا ذا خصال حميدة واعمال
مفيدة ونفع اهل الجزيرة

وبعد ان عزم على الذهاب معي الى الجزائر الهندية حدثني بما يتعلق
بالاديان بلطف فقال يا سيدي انك بعد الله خلصت حياتي وسحت لي ان
اسافر في مركبك وقد ادخلني كما يقال في سلك عائلك واذنت لي ان اتكلم بما
اراه موافقا ولا ريب انك بالنظر الى هيئة ثيابي تفكر ان تعلم ما هو عملي وانا
بمعرفة جسدك اعرف مذهبك . وعندي انه من اعظم فروضي ان اجتهد في
كل حال في اكتساب كل من اصادفه وان احاول ادخاله في حظيرة خراف
الكنيسة الكاثوليكية . ولكني الان تحت ادارتك وفي عائلك فاري نفسي مجبرا
نظرا لحبوك وفروض حسن السلوك ان اكون خاضعا لاوامرك فلا انعرض
لذكر شي من المبادئ الدينية التي تختلفارونها عليها دون اذنك

فاجبت ان لطافة عبارتك وحشمتك تحملاني على القول اننا من المذهب
المدين بدین غیر دینکم غیر انک لست الاول الذي صادفته من الكاثوليكين
دون ان يقضي بنا الكلام الى الجدل . وانت كونك كاثوليكيا ذاراي يختلف
عن رأيي لا يقلل مطلقا اعتبارك في عملي ولا يصحني وحسن معاملتي فان القضي
المحدث بنا الى الغضب يكون ذلك منك وليس مني لانه لا يمكن الانسان ان
ييدي فكرة دون ان ينازع من بغاوضه . فاجابني اظن اننا نفكر ان نبتعد عن
اسباب الجدل لانه ليس من فروضي ان اجادل كل من رأيت اذا خالني
بالرأي والثناء واحب ان تكلمي ك شخص مجرد عن الرتبة الدينية . وان سمحت
لي ان اكلك عن امور دينية فلا اتأخر ولا ريب انك تسع ان ادافع عن
ارأيي وافكاري على قدر امكاني ومعرفتي . على اني كما سبق الكلام لا انعرض
لذلك دون اذنك كما اني لا افتر عن اجراء ما نقرضه على اصول ديانتي
ككاهن وكرجل من اهل الصلاة لاجل حماية المركب ومن فيه من الخطر . ومع
انه ربما تردون ان تشتركوا معي في تلك الصلاة لا افتر ان اشترك معكم في

صلواتكم والمأمول ان صلاتي تكون مقبولة عن نفسي وعن أممكم . وجرى بنا
الحديث مدة فوجدته على جانب عظيم من الرقة والعلم ومعرفة التصرف الحسن
ثم اخذ يجبرني بتفاصيل ما طرأ علي من الحوادث الغريبة والمصائب الكثيرة
التي ألمت بي وهو سابع مدة ثلاث سنوات في العالم خاصة بما صادف في هذه
السياحة فقال اني في هذه السياحة قد غمرت مركبي خمس مرات ولم يصل بي
مركب واحد منها الى مقصدي فان الاول كانت قاصداً ماريناكو . غير انه
صادفنا ربح ذهبت بنا رقباً عنا الى ليمبون ونعطل المركب هناك لانها دفعت
الى البر عند مصب نهر ناكسوس فوجدت في ليمبون مركباً برتوغالياً ذاهباً الى
ماديرا فقلت اني ربما اجد مركباً ذاهباً الى ماريناكو فركبت على انت قبطانة
اضاع طريقة فذهب بي الى قابيل حيث باع ثحنه التي كانت من القمح بسعر
جيد . فعدل عن الذهاب الى ماديرا وعزم ان يلحق المركب ملحاً من جزيرة
ماي وان يذهب من هناك الى نيوفونلند فالتفت ان اذهب معه فذهبت
حتى وصل في المركب الى الكيس (هذا اسم محل بصطادون فيو السمك)
فصادفت هناك مركباً فرنسواً ذاهباً الى كويمك ومن هناك الى ماريناكو
ليتنازع زائناً فركبت ولما وصل الى كويمك مات قبطانه وتأخر المركب عن السير
ثم ركبت المركب الذي احترق بنا قاصداً فرلما . فجرى ما جرى لنا فركبت
مركبك قاصداً الجزائر الهندية . فلترجع الى صدد ما كنت في صددو عن
احوال الجزيرة لانه كما لا يخفى لا يخفى التعرض لذكر ما اصاب غير الذين لم
تعلق معي بالمصائب والانعاب

ما مضى فات والمأمول غيب . ولك الساعة التي انت فيها

الفصل الثامن والثلاثون

اعمال روبنصن في الجزيرة

ففي صباح احد الايام اناني المخوري الشاب الذي كان ينم في الجزيرة
معنا اثناء المدة التي كنا فيها عند استعدادي للذهاب الى منزل الانكليزيين في
الجهة الاخرى من الجزيرة وقال لي ولوائح الامم نلوح على وجهي اني منذ
يومين او ثلاثة اترقب فرصة لا املك عما من شأنه ترفية صواح اعمالي جزيرتك
ويؤول الى نجاحهم وحلول بركة الله عليهم والمأمول ان يكون ذلك ما ترغب
فيه ولا ريب انه يوافق مقاصدك الخيرية

فلما سمعت هذه الكلمات نظرت اليه نظرة منهشة وقلت له يا سيدي
كيف تقول ما بأول الى حلول بركة الله عليهم هل نرتاب في حلولها منذ
زمن طويل بعد ما اخبرتك ما اخبرتك بعن الاناذات الغربية والمساعدات
التي حصلت عليها بناية الله سبحانه تعالى منذ انبثا هذه الجزيرة . فاجابني
بتشروع ولطف وسرعة يا سيدي لو سمعت ما ارجب في انت اعرضه تفصيلاً
وتسبراً لما قلت لما اثرت فيك ملاحظاتي . فحاشا ان اقول بعد ان وقعت على
تفاصيل حوادث هذه الجزيرة ان بركة الله لم تحمل على اعمالها . ولا ريب انك
قد حصلت عليها منذ زمن طويل لان مقاصدك في حنة وخالة من كل غش
وشر . على اني اظن ان منهم من لا يملك سبيل الله . ولا يخفك ان غضب الله
حل على بني اسرائيل وقتل منهم ستة وثلاثين رجلاً لان واحداً منهم خالف نواياهم
فجلب غضب الله على نفسه وعلى الآخرين من الذين كانوا يساكرون ويعاملون
فانثرت في تأنيراً حسناً هذه الكلمات وقلت له ان ما ذكرته مر صحيح

ومفاسدك في جليلة خربة نوافي روح الدبابة كل الموافقة فارحوا المخذرة على
معارضتي اباك وانوسل اليك ان تكل خطاك . ولكن لما كان ذلك لا ينبغي
في لحظة ارجوك ان ترافني الى منزل الانكليزيين فتحدث في الطريق فيما
يؤول الى حيرنا اجمعين . قال لي ان ذلك ما يسر في جداً ويوافي مقصدي
لان ما اريد ان اكلك . يتعلق بالانكليزيين . فذهبنا وطلبت اليو ان يتكلم
بجربة عما يلوح له واظن انه يؤول الى خبر اعالي الجزيرة

فقال لي يا سيدي ان هذه هي ارادتك فارحوا ان نسمع لي انت اخبرك
بامور تكون ارباكاً لما ابدى اكي لا يختلف في المبادئ الاصلية وان اختلفنا في
بعض خصوصيات . فاقول اولاً انا لسوء الحظ نختلف في بعض مبادئ دينية
خاصة فيها ارجو ان اكلك . ولكن الاصول العمومية متفق عليها . فيها
الاقرار بوجود الله . وان ذلك الاله قد سن نوايس عمومية لا ينبغي ان نختلف
عنداً ولا باعمال اجزاء ما بأمرنا . وقد اجمع الناس على ان الله سبحانه وتعالى لا
يسع ركنه على من خالف نوايسه . فكل من نكس بحبال القوي منه جداً
ان لا يدع من كان مسلماً الى ادارته بمشرف نوايسه ويحالفها . لا اقول هذا
لان من اشرت اليهم من التابعين مذهباً يختلف في بعض احواله عن مذهبي
لان ذلك لا ينبغي عن الاعتماد بما من شأنه ان ينفذ عنهم ثقل غضب خالفهم
وغيرهم من خاصة ان سمحت لي ان اتخذ الوسائل التي تمكنني من احوال المقصود
فلم اهتم قصده . فقلت له اني اقبل كل ما قلته واشكره على اهتمامك بنا
وعلى العبرة التي ابديتها وارحوك ان توضح كلامك لانهم غابك وانني اقول كما
قال يسوع انه ينبغي ان نستأصل من بيتنا ما وقعت عليه لعة الله

فاجاب اقول ان ثلاثة اشياء تعوق حلول بركة الله على اعمالك واجتهادك
في ترقية صوامع اعالي هذه الجزيرة والتي اسر جداً اكراماً لك ولم عند ما ارى
هذه الموانع في خبر كان . ولا ريب انك لدى الوقوف على حقيقتها نسلم معي في
صحة ما عرضت لك عنه خاصة عند ما نرى ان القلص منها هو سهل جداً

ويحصل على تمام مصادقك . وهي أولاً ان خمسة رجال انكليزيين قد ذهبوا
واتوا لانفسهم بنساء بربريات وقد ولدن لهم اولاداً وذلك دون ان يعتقد
الزواج حسب سنة الله وقوانين البشر . فاذا هذا الزواج زنى فربما قلت انهم
عند ما تزوجوهن لم يكن لهم كامن لهم الفروض حتى ولا حبر ولا ورق لكتابة
صك الزواج (ان كتابة صك محض من الفريقين المتزوجين هو من منقضيات
قوانين الافرنج وهو من قبل عند الزواج عند العرب) وقد بلغني ما اخبرك
به الوالي وهو ان الزواج تم بالرضى وان من تزوج واحدة لا تكون له الاخرى
وهذا ليس هو تمام الفروض ولا يتم الاتفاق الذي ينبغي ان يكون بين الحارة
والغائب قبل ان يتزوجا . وكذا اتفاق مختصر في الرجال لمنع وقوع النزاع
بينهم . لانه لا ينبغي طوك ان فروض الرعية لانتم الا يقول الفريقين المتزوجين
بالتعاهد الاصولي الذي يلزم كل منها في جميع الظروف والاحيان ان يكرس
للثاني وان لا يرتبط الرجل الا مع المرأة التي تعاهد معها ما دامها حية وان يقدم
لها واولادها ما يقوم باحتياجاتها وكذلك النساء . اما الواقع فهو بخلاف ما
قرر لانه ما من شيء يمنع الرجال عن ترك نسائهم واولادهم الى رحمة الطبيعة
والندرج بنهرهم ومن في قيد الحياة فهذا يفظ الله ويترك عليهم غصبة ويحب
حلول بركاته . فان كانت مصادك خيرية ونوابك حسنة فبناه من م تحت
سلطتك المطلقة في حالة الزنا كان لحراب كل ما نبهه ولسقوط كل ما نفهده
فانرت كتابته في كل القابض والعجبني فصاحة عبارات وقوة براهين لانه غني
عن البيان انه لم يكن لهم كامن لهم الفروض حسب اللزوم ومع ذلك كان
ضمن دامة امكانهم ان يشهدوا على انفسهم قبل التزوج بتعدد بناتهم قد
تزوجوا رعية شرعية لا يطلها شيء وكذلك النساء وهذا كاف في حالة كمالهم
ولا ريب انهم اعملوا الواجب عليهم . فلأبرر نفسي عند الخوري قلت انه ما جرى
قد جرى اثناء غيابي عن الجزيرة فلمست مسئولاً ولا حيلة في رد ما فات
فقال يا سيدي ارجوك المذرة في ما اهديو بعد ان اقول انك لست

يستول عما جرى من مخالفة الناموس الماء غيايبك أفلا تكون مسئولاً إذا لم
تفعل ما يصلح الحل بإجراء ما ينهي هذا الحال. فإذا وقعت مسؤولية المستقبل
تقع عليك وحدك لأنك قادر على الإصلاح

فلما سمعت كلمة خال لي أن مقصوداً أنه من فروضي أن أفصل الرجال
عن السامع الزباء. فاجتهد وقد لاحظت على وجهي لوائح التنبه أنه لا أفقد لي
على فصل الرجال عن نسائهم لأن ذلك يؤول إلى خراب الجزيرة. فلما سمع
كلامي اندمست جداً وقال لا أليس هذا هو المقصود ولكنه أنت تأمر بتفريق
فروض الزواج. وربما كانوا لا يقبلون أن ازدوجهم لنا حسب فروض مذهبي
مع أن ذلك ما يعلم بحسنه. ثم فلا يأتون عن قبول تفريق الفروض عن
بدك. وذلك بكناية صكوك بين كل رجل منهم وزوجه بحضور شهود وهو
ما نعلم بوسنة الله وقوانين كل ممالك أوروبا

فأذهلني تنوّه الشديدة وغيرته وعدم تعصوه ونسكته بفروض مذهبي
واعتاده بأنقاذ الوسائل التي تجعل أولئك الرجال الذين لم يعرفهم قط يرتدون
إلى سبل الحق والنفوس. وقال أنه سمع عقد الزواج يصك بمضوء كل من
المتزوجين فقلت له أنني أسلم بحسنه كل ما قلته وإنكر غيرتك وعنتك وعتاك
التي لا تريد عليها. فقد وصوينا إليهم أحدهم بهذا ولا ريب أنهم يتقبلون به لأن
ما نعلم من هذا القليل يكون قانوناً في أكثرها كالوضع أحد قسوسنا. وسأني
ذكر ما حصل بهذا الشأن إن شاء الله بالتفصيل

بعد ذلك التفت عليّ أن يخبرني بالشئ الثاني مظهرًا امتداني الشديد
لتسوية افكاري إلى أصلح الأول. فقال أنني بسطت لذلك الأمر الأول بحرية
تامة فابسط الثاني دون تردد ولا ريب أنك تصادق عليّ كما صادقت على
الأول. وهو أن مولاة الرجال الإنكليز قد عاشوا مدة سبع سنوات مع
نسائهم وقد علموا من الحكم باللغة الإنكليزية حتى القراءة. وقد ظهر لي أنهم
ذوات فهم وإدراك وإن تلمسهم سهل ومع ذلك لم يحصلوا إلى الآن على

ارشادات دينية مسجبة حتى انهم لم يجبروه من بوجود الو خالق او ديانة ولا
 علوم من العباداة وطاعة الله ولا ان عبادتهم للاصنام باطلة لا تجدي نفعاً. فمما
 تعامل بحسبهم علو الله لا محالة وربما انزل بهم ما يضرهم تأديباً لنفوسهم. فينضي
 بهم ذلك الى القناعة والمغوان. ولو كان هؤلاء الرجال في بلاد البرابرة التي
 اتوا بنفائهم منها لكان قد اعنى البرابرة باسراعتهم عبادة الاوثان اكثر مما
 اعتنواهم بتعليم نفائهم الديانة المسيحية فيها قد اوضحت لك يا سيدي افكاري من
 هذا القبل وكل منا لا يفر بوجه مذهب القائل ومع ذلك نسر جداً ان نرى
 عالمت الاوثان السالكات سبل الشيطان يتعلمن مبادئ الديانة المسيحية
 واصولها لكي يعرفن وجود الله والمخلص والقيامة اذا تعمق نفائهم اكثر من ذلك
 وقد اجمع على هذا الامر كل المسيحيين فنهز يوم من من الديانة الصحيحة فينطقن
 عن عبادة الاصنام وممارسة اعمال ابليس

فلما سمعت منه ذلك تحركت في حاسبات الفيرة والهمة فتهضف ونجست
 عليه واعتنفته قائلاً اني كنت بعيداً عن معرفة ام فروض من تدعى بدين
 المسيح. وهي الفيرة على الديانة وحب تخلص انفس الآخرين. حذا اني لم اكن
 اعرف فروض الرجل المسيحي. فقال يا سيدي لانه مثل هذا الكلام لانك لا
 تلام على ذلك فاجبت اني اليوم نفسي عن التعاضى عن امرهم وعدم الاهتمام به
 قبل الآن فقال لم نبت الفرصة فلا نسرع بلوم نفسك. فاجبت انك تعلم اني
 راحل عن الجزيرة فاذا اقتدر ان افعل وانا بعيد عنها. فقال اسمح لي ان ابصر
 هؤلاء المذكودي الحظ بذلك. فاجبت كيف لا وسأمرهم بان يصغوا الى ما نقول.
 فاجاب ان هذا ليس ما غدر عليه الا ان رحمة المخلص تنفع اذائهم لاستماع كلامه
 وفلهم لحلول روحه. على انه من الواجب عليك ان تخرصهم على التعليم
 والفتوى وعندي انه مع برصته الله فرد الانفس الصالحة الى حظيرة المخلص
 والمأمول ان يتم ذلك قبل ذهابك. فقلت لقد اذعك بان تفعل ما نداء من
 هذا القليل واشكرك سلفاً. وسأني ان شاء الله ذكر ما جرى

ثم طابت اليوان بخبرني بالشيء الثالث الذي تلام على العاقل عنه .
فقال الحق اقول لك انه بعبه ما ذكرت جداً وبعد الاستئذان منك اخبرك
بتفصيل . فيا سيدي ان من اعظم مبادئ الديانة المسيحية نشر بشارتها في كل
انقطار العالم في كل حال بالوسائل الممكنة فكيف لنا قد ارسلت النصوص الى
بلاد الهند والصين وكهشنا حتى الذين هم من اعلى درجة يذمون بطلان
الارادة الى اماكن بعيدة يسكنون فيها بين البرابرة والمشركين وعبدة الاوثان
معرضين انفسهم لخطر الموت في كل حين مرتكبين خطايا ومشاقي بكل اللسان
عن وصفها لبشرها بينهم معرفة الله ويردوم الى حضن الايمان فقد سحقت لك
الفرصة لرد نحو ستة وثلاثين رجلاً عن الضلال والديانة الوثنية الماطلة وتهدبهم
بوجود الله خالق الجميع ومخلص فداهم اجمع . والعجب من انك تغافل عن
انقسام فرصة كهذه ينشأ عنها خلاص انفس كثيرة من الذين يسيرون اليك وهذا
لا يؤثر في شيء من الاعمال الخيرية

فلما سمعت كلام هذا الرجل المرموق بالغيرة المسيحية والتموى اندمشت
وحزت في امري وحزنت على نفسي لانه لم يحضر لمر كهلما بيالي ولولاه لم انه اليوان
قط . فاني اعتبرت اولئك البرابرة كمسيد لو وجدنا . المستقدمهم ولا يستقدمهم .
لا محالة . وكذا نحب جداً ان نقاوس منهم بارسالهم الى مكان آخر لان جل اعداءنا
كان بايجاد طريقة للقاص من انقالم دون ان يتمكنوا من الرجوع الى بلادهم .
فانتم لي كلاماً جداً فصحت

فلما رآني على هذه الحال نفرت في مرة ثم قال لي يا سيدي تذكرت لاني
انقضيتك بملاحظاتي . فاجبت لا لانه لم اغضب بها ولكنني غصبت من نفسي ومن
في نخل لان هذه الامور لم تحط بيالي قط قبل الآن على انك تعلم انني مرتبك
جداً لاني انيت هذا المكان في مركب ملحون بضاعة القبار وتاجهرة ما لا
يوافق ولا يكون من العدل لاسيما ان ملاحيو ياكلون ويأخذون اجرة من مال
صاحبهم الذي انقمت منه ان ينظر لي هنا ١٣ يوماً واذا زاد انتظاري عن المدة

المذكورة ادفع له كل يوم ٢ ليرات انكليزية . فلا أقدر ان أمكك أكثر من
لماية ايام فوق المئة المية وقد صرفنا ١٢ يوماً . فلا يمكن ان اشدق تلك
الاصلاحات ما لم اتق ما بعد ان يذهب المركب الذي ربما عاقه امر عن
الرجوع من هنا فاني سمعنا في هذه الجزيرة كما كنت قبلاً . فاجاب لاربي في
ذلك ولكن ألا تظن ان القواب الذي ناله على رد ٢٧ نفساً عن الضلال
وحازي كل ما لك في هذه الدنيا التي اترك الحكم في ذلك لضميرك . فلم اشعر بان
ذلك مريض علي كما شعر هو . فاجبت لاربي في ذلك وأكن انت من
الجزيرة من لافعال كهذه فاطن ان هذا الامر هو من فروضك أكثر ما هو من فروضي
فلما سمع هذه الكلمات وقف جنة في الطريق وتقدم الي واحي رأسه علامة
الشكر وقال الشكر لله ثم لك يا سيدي على اتصال الاعنام التي عمل مشارك كلها
فان كنت تعتذر عن تقيم هذا العمل ونسلك التي اتخرد له بكل فرح وسرور
واعتبر ذلك جائرة نفيسة تزيد عن المفاق والمساب التي صادفتها في هذه
الفترة المشهورة

وكانت بنكم وادافع المرور تلوح على وجهه الذي علاه الاحرار ثم
الاصرار لم الاحرار . وكانت عناية لانتين كانها نعتان شيئاً نارية فاصح منها لا
فرحاً جداً لانه فار الاعنام بسبل جليل كلها . فابكي وادمشني منظره ولم اعلم
بماذا اجبت لاني عجبت جداً من شدة غيرون وروثو وصحنو لغروه وفعل الخير .
وقد فاق ذلك كل الدرسات كانوا من اعلم رثنو او من غير ما ثم سأله
هل صبت على ذلك وهل ترضى ان نجس نفسك في هذه الجزيرة الفرة
بجرد تبيد اولئك القوم الذين ربما كانوا لا يشفعون بشيئك

وضر الي وقال هل تعلم ما الذي جعلني على الدواب معك الى الجزائر
المندبة . قلت لا ولكني اظن نيشور الهنود . قال نعم وليس امراً آخر . او لا
تظن اني اذا قدرت ان ارد سبعة وثلاثين رجلاً عن ضلالم واكون الواحدة
لخلاصهم يكون ذلك شيئاً كافياً مستحقاً ان افرغ له جهدي وكل حثاني واني

في هذه الجزيرة وإن كنت على يقين أنني لا أموز بالخروج منها . أو لا ظن أن
تخلص نفس جمهور كهذا من الهلاك بصدق بذل حياة مثل حوالي بل أقول
بذل حياة ٢٠ كامناً مثلي . وإلى يا سيدي أشكر القادي كل أيامي على جعلني
أحضر واسطة لنجاة نفس هؤلاء المتكردى الخط وإن حرمني الرجوع إلى وطني .
وقد فوجئت أنني هذا الأمر المهم الذي لأجله أصلي لأجلك حوالي طريقها . فأنوسل
إليك أن نحب - وإلى . فقلت ماذا عسى أن يكون . قال هو أن نسمع لحادتك
جمعة أن يبقى معي هنا ليمضي بي ذلك ويخرج بي ويخبر لاني لا أجدك أنه لا
اقتدار لي على ذلك دون ترجمان

فكدر في هذا الطلب لاني لم يكن لي اقتدار على متابعة جمعة لاني كان رفيقاً
لي في كل أسفاري وأحياناً في أعماله مما لي بحية لا مزيد عليها وكنت قد عرست
على أن أهم عليه بالنعامات عظيمة أن في حياً بعد موتي فضلاً عن ذلك علمت
أن تعلمه ديانته غير أنني كنت قد علمت أياها بفضي به إلى الأبد أنك إذا لم لا
يكن أن يصدق أن معلمه القديم من أهل الهلاك الأبدى وربما أفضى به ذلك
إلى الرجوع إلى عبادة الأوثان فيهلك لا محالة . فتغيرت رفة ثم لاح لي أمر
مكثي من اكتشاف حذر فقلت له صعب علي متابعة جمعة وإن كانت هذه الخدمة
تكسب ثواباً أبدياً الثمن وانفع جداً مني وأظن أنه لا يرعى أن يبارقني . فلا أقدر
أن أقصيه مع مراعاة روح العدالة والحق وقد وعدته أن لا أطرده من خدمتي
مطلقاً ووعدني هو أيضاً بأنه لا يتركني دون أن أطرده من خدمتي . فارتبك
جداً لاني لم يكن قادراً أن يكلمهم دون ترجمان . فقلت له تسهلاً للعل أنت
أيا جمعة قد تعلم اللغة الإسبانية وأنت تقدر أن تتكلم فيها فيكون نعم الترجمان .
فسره ذلك جداً واجتهدت أن أتيه عن قصده فلا يبيت مسجوراً لكنه لم يقبل
بل أصر على البقاء ليشرح التورم بشاره الخلاص

فلما وصلنا إلى سارل ألتا وكثر جمعهم حولي وأخذت أقول لهم أنني قد
أنهت لكما بكل ما يحتاجون إليه من لوازم الحياة وقد وزعتها على جميعكم بالأسوة .

فشكروني جداً من صميم قلوبهم ثم قلت لهم ان معيشتكم في غير صالحكم . ثم
اخبرتهم بملاحظات الخوري وسألتهم انتم متزوجون ام لا . فقال اثنان منهم
اننا متزوجان في بلادنا ثم ترملنا وقال الباقيون اننا لم نتزوج قط فقلت لهم ان الله لا
يخفي عليكم ان اقتدائكم منهم دون عند زواج ناموسي محرم . فلا تحسبن زوجات
لكم واولادهم اولاداً شرعيين الا بعقد موافق لاصول الديانة ومبادئ الآداب
فاجابوني ان الله لم يكن لنا من تزوجنا زيجة شرعية على اننا نهدنا بحضور
الوالي ان لا نتركهن بل نقيمهن عندنا ونقوم بحاجتهن ونظن ان ذلك كاف في
حالتنا الحاضرة وهو قانوني كما لو تزوجنا في انكلترا حسب القانون

فقلت لهم لاشك انكم متزوجون ناموسياً ومترمون بحسب الضمير ان
لا تشارفوهن لكن قوانين البشر لا تكفي بذلك فبهكم ان تهرهون واولادكم
معي شتم وليس لهم من يعرفهم فاذا تركتهم يوتون جوعاً . فاذا لم تثبتوا ان
نواياكم حسنة من هذا القول لا اسمعكم بشيء بل كل المساعدة تكون للنساء
والاولاد دون الاطفال الذكور . وما لم تثبتوا ان زيجتكم قانونية لا يوافق ان تعيشوا
معهن كما يعيش الرجل مع زوجته لان ذلك عثرة للغير وذيلة في عيني الله
الذي لا يسهى عليهم بركاته

فاجابني ول انك تكثر بالاصالة عن نفسك وبالكالة عن ارفاقك . اننا نحسب
نساءنا كما لو كن من بنات وطننا ولا تفرقهن البتة . ولا ريب انهن افضل منا
واكثر تهذيباً وبنوعن جهدهن في الاعتناء بنا واولادنا فما جرى لاننا فرغنا .
اما انا فان انائي من عرض علي الذهاب الى انكلترا مع ربابتي مركب حربي
من اعظم المراكب لا اذهب معه ان لم يذهب بي وامراتي واولادي وان كان
في المركب كاهن فلا مانع من تقيم الفروض الآن وهذا هو غاية ما اطلب
اما الكاهن فلم يكن واقفاً بجايي حيث لم يكن يهدأ عني مسافة قصيرة
فلا تخش ول قلت له هوذا الخوري فان شئت يقوم بعقد الزواج غداً فتأمل
في ذلك واخبر به الباقيين . فاجاب اما انا فلا حاجة عندي الى زيادة التأمل

في ذلك فاني معهم عليا اما الباقون فلا اظن انهم يرفضونه . ثم قلت له ان
صاحبي الخوري هو فرسوي ولا يتكلم اللغة الانكليزية على اني اترجم بينكم وبينه .
فلم يسألني هل الخوري كاثوليكي او بروتستانتي . وهذا كالا يخطي ما شغل فكري
فذهب ول ليجر بذلك ارفاقه اما انا فنفدت من الخوري راخبرته بما حدث
وطلبت اليه ان لا يقول لم شيئا حتى تنتهي العملية

فبعد ذلك برهة اتوني جميعا وقالوا انا بالفعل با فله قر الرأي ان
نظهر لك شكرا على ما ابدينا من الاهتمام وسرورنا بوجودك كاهن مملك لاننا
نرغب ان نخضع لادبارك ونتم فروض الرعية الشرعية لاننا نترك لساننا وعد
ما اختار كل منا واحدة منهم لم يندر ان يعمل ما لا نعلم به العنة الشرعية .
فاجبتهم اني اطلب اليكم ان تستعدوا لما ياتي غدا صباحا وان تعبروا فسادكم
بعند الرعية وان ذلك ليس لجهد مع الاختلافات ولكنه قيد يلزمهم بان لا
يتكوهن مطلقا لانه عنة كانت

اما السماء ففهمنا حالا المقصود من تنهيم فروض الرعية وسرورنا جدا
ففي الصباح اتينا جميعهم الى منزلي . فخرجت اليهم والخوري ولم يكن معه القوب
الكاثوليكي حسب عادة التسوس الانكليز ولا عادة الكهنة في فرنسا ولم يكن
منظرة يبرأ عن منظر الكهنة لانه ليس صدرية سوداء ووضع بطرشيكا حول
عنه فاخذت اترجم بينه وبينهم . فاعتبره الجميع جدا خاصة عند ما رأوا ما
اياه من المرواة والسبع عن ترويحهم لان السماء لم يكن قد تصدق ولا عرفنا
شيئا من اصول الديانة . على انني علمت ان المواع التي اعلماها من هذا القبيل
تؤخره عن ترويحهم فاجتهدت ان افنته بدم فروع ذلك فرفض وداعة ان
يتم فروض الرعية قبلما يكلمهم بهذا الشأن فتأخرت في اول الامر عن اجابة
طلبه على اني عند ما رأيت سلامة بنو وحسن مقصده وافنته على رأو

فلما دنا منهم قال لم ان صاحب الجيرة (اي انا) اخبرني عن جميع
احوالكم واعبادكم على تنهيم فروض الرعية . اني اسر جدا بالقيام بهذا النوع من

فروسي . ولكن قيل ذلك اقول لكم انه حسب سنة الله وفواين البشر تزوجكم
يهولاء السماء زنا ولا سبل الى القلص من ذلك ما لم يتم تلك الفروض الان
او فصل كل رجل عن امرأته . اما نعيم فروض الزيجة فتصعب لان النساء
غير مسيحات وتزوج مسيحي بوثية قيل ان نعيم هو ما لا نسلم به السنة على اي
لا اري وثنا كافيا لتعلمن المبادئ المسيحية وتردمن عن عبادتهم الباطلة
ونعبدن . اما انتم فاطن انكم من المحدثين غير السالكين بحسب اصول ديانكم
ومعرفكم بدين الله ووساياه في قلوبكم جدا فلم تخذوا الوسائل اللازمة لرد نساكنكم
الى حظيرة الكنيسة فلا اري نعي متقدرا على نعيم فروض الزيجة ما لم تعدوا
وعدا صحيحا بان ترغبوا جهدكم في رد نساكنكم عن ضلالهم وان تعلمون الايمان
بالله وبالمسيح الذي قد فداكم . لان سنة الكنيسة لا تسمح بان ازوج مسيحيين
بغير مسيحات

فكانوا يصغون الى كلامه كان على رؤوسهم الطير اما انا فكنت اترها
دون زيادة ولا نقصان . على انني كنت ازيد احواتا بعض كلمات من عندي
نظيما لما كان بقوله واظهارا لصحة وموافقة وكنت ادبت لم انها مخي وليس من
غفالى انت ما قال الخوري يواقي الواقع دائما لاننا لم ننبه فقط الى فروضنا
الدينية كما اننا لم نذكر شيئا منها لنساكننا . ثم قال ول انك تبا سيدي كيف
تعلمن اصول الديانة ونحن لا نعرف شيئا منها وقد لا عن ذلك لو اعبرنا ان
بوجود الله وبالمسيح والسماء وجهن اما اننا عن ايماننا فان قلنا لمن اننا نؤمن ما
اخبرنا ان يوان الصالحون بالون الثياب والطالحون العقاب اسألتنا الى اين
نذهب نحن ان نذهب وقد نرغبنا يا وحوال الخطية والشر

فقلت له يا ول اقول يحزن لا مزيد طوبى انت ما قلنا هو لسوء الخط
صحيح . ولكن هل تخبر امرأتك ان ايمانها بميودانها باطل والله يوجد الله وديانة
بنوقان جدا معبوداتها الباطلة وديانها الوثنية وان معبوداتها لا تسمع ولا تتكلم
والله يوجد . كاني عظيم جدا خلق جميع ما نراه وما لا نراه وهو قادر ان يجعله في

عدم بكلمة واحدة وبجاري الصالحين خيراً والطالحين شراً كلاً بحسب اعماله
وهو الدان العظيم واظن انك لم تتعجل فتعلم هذه الامور جميعها لان الطبع
يبدل عليها ولا ريب انك تعرفها وتؤمن بها . فاجاب ولحقاً يا سيدي ولكن
لا اقتدار لي ان اخبر اسرأتي بكل هذه الامور لانه لا ريب انما لا تصدقي . قلت
كيف هذا يا ول . قال نعم يا سيدي لا ريب انما نعمي ان لا تصدق لما اقولك لما
عن الها ولا تصدق ان لا اقتدار على الثواب والعقاب ولا انه عادل لانه لم
يعاقبني وبهلكي لانها تعلم اني لم اسلك سبيلاً مستقيماً في معاملتها لم نعمت
الشر وفعلت الانم وما ينافي كلامي وما اظهره كفروض علينا لارضاء ذلك الاله
القادر الحكيم . قلت له وقد ادهشتني كذا يا ول عدي ان لا ريب فيها قلت .
ثم ترجمت كلاماً للهوري الذي كان قد فرغ صبره لمعرفة معنى كلامي . فقال
الهوري ارجوك ان تقول له عليه بالقوة والرجوع عن طريق الضلال وذلك
يرمى لان يكون واعظاً لاسرائيل ويردها عن ضلالها ويجعلها باله عادل حكيم
شافي قادر بجاري كلاً بحسب اعماله بحسب خلاص الخاطئ وان يوب عن
طريق الخطية ويعيش بالبر وقد كثيراً ما يؤجل مكافاة البار وقد اص الخاطئ
الى بعد الموت فيمكنه من الزمان الكافي للتوبة والرجوع عن سبيل المعوجة
وسلك السبل المستقيم المؤدي الى الخلاص . وان ذلك هو اكبر برهان على
خلود النفس والابدية والقيامة والحشر بعد هذه الحياة وكلها يعلمها عالم الديانة
ومتعلقانها . ولربما كانت توفه واسطة لقوة زوجه وخلاصها

فترجمت كل هذه العبارات وافهمتها لانك قد وكنت لواضع الرزاق والاصفاء
والخامل تلوح على وجهه وظهر لي انها اشرت فيه تأثيراً لا يزيد عليه حتى انه
فاطع جدني وقال بحرارة وحزن شديد يا سيدي اني عالم بذلك اجمع بل
باكثر منه . على اني لا اتعاسر ان اكلم و زوجني والله وصبري وامرأتي يشهدون
باني ملت عن طريق الحق وتعدت براميس الرب وخالفت وصاياه وسلكت
سبل الشر والغفاه كانه لا اعلم بوجود الخاطئ ولا بالخلاص والثواب والعقاب

ثم قال وقد نفس الصعداء وادمعة تلالاً في عينيها ما التوبة فوا اسفاه وباحسرافه
قد مضى زمانها وقد فاتني اوانها فقلت كيف هذا كيف فاعلمك يا نكندر. نعم
يا مولائي قد مضت عني ولا امل لي بنواها

فترجمت كلامه للخوري صاحب الغيرة الشديدة والمحبة المفرطة الذي لا
رب انهم كثيراً بخلوا انفس البشر فكيف لا يهتم بامر خلاص نفسه.
وكانت الدعوة تساقط على وجته وهو يكاد يفسح عن الصواب. فبعد برهة
رجع الى نفسه وقال لي سلة سواي واحداً فقط وهو هل يسر بقوات زمان
التوبة او هو في كدر منة ويشتهي ان ينالها من كل قلوب. فترجمت هذا السؤال
فاجاب على الفور كيف لاهل بسر احد بان يعلم ان ما هو عليه ينضم به الى
الهلاك الابدي. فلا راحة في هذه الدنيا لاني لمؤكد ان الرأس يسوقني الى
الهلاك. فقلت له ما هذا الكلام يا ول قال لا ريب انني اساق الى قتل نفسي
لا خلاص من خوف العذاب

فلاحت لواثق الاعنام والامال على وجه الخوري وقال بسرعة فل له ان
زمان التوبة لم يمت وان المسح بها له لانه لا يخلص احداً الا به وطلب النعمة
بجرارة يتكفل بمحاولها وبالحصول على رحمة الله التي لا تقوت احداً قبل يقن
ان خطاياه تقوت حدود رحمة الله. لا على انه قد يحجب الله رحمة عنا ان
نوغلنا بالخطايا والاثام وبالتعدي على وصاياه وبسد اذنيه عن استماع طوائفنا.
ولكن زمان طلب الرحمة لن يقوت ونحن المشرين برحمة القادي قد امرنا ان
نشر بها في كل حال جميع الذين يتوبون توبة حقيقية

فترجمت هذه الكلمات فكان بصفي كل الاصفاء ولكنه قطع الحديث بقوله
انني ذاعب لاحد زوجتي فخرج. ثم اخذنا نكلم الباقيين عن امور كثر.
فظهر لنا انهم على جانب عظيم من الجهول والعبارة من جهة الامور الدينية.
فكانت حالهم كحالتي عندما فارقت والدي تائها في هذا العالم الخفيف. على انهم
كانوا يصغرون لما قلناه بسرور ووعداً جميعاً انهم يكلمون نساءهم بهذه الامور

وبلغون الجهد في امر افنائهم بصحة الديانة

فلما اخبرت الخوري يا قالوا تسم وهو رآه وقال نحن نعلم المسيح نعلم
ونحرك في المبراهيميات الدينية ولا نقدر ان نفعل اكثر من ذلك . فان
اذبحوا لا قوالا وشعروا بخطاياهم وانصت ما قلناه لم ركن الهم وبقى هم . ثم قال
باسيدي الحق اقول لك انني اظن ان الرجل الذي تدعوه ول اكثر قد
رجع عن خطايه التي كانت كالبحال واظن انه يكون اشد هم انشأها الى الفروض
الدينية ولست في بأس من جهة نجاة الآخرين وأكفي ارى انه قد ادم جدا
وناب عن خطايه وشرويه . وبالتكلم مع امرأته بالديانة وشغلها ما بقيت
فيها وبكها في قلوه لان من يعلم شيئا لا بد ان تزداد معرفته فهو . اني اعرف
رجلا اتيار بالفن والصلاح وكان قد ارتكب المعاصي والشور . فاصح نفسه
وسيرته باجتهاده في تصير يهودي فان اخذ ونكح في تبشير زوجته احم انه
يشترسه ويتوب راجعا الى الله . وما ادراك ماذا بهم عن ذلك

ثم قنا عند زواج الرجلين والمرأتين لانها وعنا ان يدرا الجهد في افناء
امرأتها ان تنصرا . اما ول وزوجته فكانا لا يزالان غائبين فيعد مرة بمرة
قال لي الخوري احب ان اعرف الى اين ذهب انكسر . فاقول اليك ان
نسخ لي بالخروج من هنا لدرى ماذا يكون منه على انني اظن اننا نجده محليا
مع امرأته بكلها باجتهاد بالامور الدينية فاجتهدت وخرجنا وذهبت في طريق
لم يعرفها احد بخوري بن الاشجار الفاضحة الغضة التي تحجب النظر عما حولها وعما
فيها لان سالكها لا ينظر الا ما هو امامه . فلما وصلنا الى طرف الغابة نظرت
امامي واذا ول جالس وامرأته في ظل شجرة فحدثان باجتهاد لا مزيد عليهما
فوقفت في مكاني حتى ادركني الخوري الذي كنت متاخرا . فاشترت اليها
ووقفنا نفرس فيها مدة طويلة فرأيناها محبونا جدا بشير احبانا الى الشمس
والجلد ثم الى الارض والبحر ثم الى ق . ووالها والى العايات والاشجار . فلما رأى
ذلك الخوري قال لقد صدق قلبي فانه يشيرها ويقول لها ان الله قد خلقة

وخلتها وخلق كل شيء. فاجبت نعم واذا ول قد وثب من مكانه وجنا على ركبه
ورفع يديه ولم تسع كلامه لبعد المسافة فبقي على تلك الحال نحو نصف دقيقة ثم
نهض وجلس بالقرب منها واخذ يكلمها وكانت تصغي جداً غير اننا لم نعلم هل
كانت تسمعه ام لا. وكان ول جاثياً على ركبه وادمع الخوري عظماء على
وجوهه فكثرت اكي مثله وانفسنا جداً لاننا لم نكن بالقرب لتسمع حديثها وكان
احياناً يذمها وهو يمد يدها بحجة شديدة وكرر ذلك ثلاث مرات ثم استمد يداً
ومسح بهما ثم قبلها وبعض من مكانه واخذ يذمها وارفعها وتقدمنا قليلاً ثم
جلينا على ركبتها نحو دقيقتين

فلما رأى ذلك منها الخوري لم يقدر ان يضبط نفسه بل صرخ قائلاً
يا قدس بولس يا قدس بولس هوذا هو بصلي. فتولت اليه ان يضبط نفسه
وبصت برهة ثلثاً برهاناً فيها خيراً عن الصلاة فصر هذا المظهر الذي سررت به
جداً فضبط نفسه برهة وأكثرت يقدر ان يضبط عن احاطة فيكي بكاء شديداً لان
تصير امرأة وثية اربع فلبه حيوياً. ثم رفع يديه نحو السماء واخذ يقول كلاماً
لم افهمه شكراً لله الذي جعل العجايب يصيب اعمالنا المتعلقة باولئك القوم فكان
ينكم نارة بصوت مفضل وطوراً بصوت غير مسموع تارة باللغة اللاتينية واخرى
باللغة الفرنسية على ان البكاء كان يظلم على احياناً فبسته عن الكلام فتولت
اليه ثانية ان يضبط نفسه لتري ماذا يكون منها فصمت برهة. اما زوجة ول
انكثرت فكانت لم تزل تصغي لما كان يقول وفيها من بعض اشاراتها انه كان
لكلامه تأثير عظيم فيها. فبعد نحو سبع دقائق ذهبا فقلت للخوري ان ما رأيت
قد سري جداً مع اني قليل الركون الى تغييرات سريعة كهذه واظن ان ول
وامرأته قد تغيرا من جهة الامور الدينية تغيراً كاملاً وان كانا يجهلانها. ونسأل
الله ان يجعل ذلك الخير من في الجزيرة. قال بل الخير اجمع فاذا اعتقنا
الديانة المسيحية لا يتران الا بعد ان يهدبا الجميع الى السهل المستقيم الموادي
الى الحياة الابدية. لان من كان ذا ديانة خفية وانما صح لا يتقدم عن التغيير

حتى يرد كل صال الى الله ان الديانة الثانية لا نحمد نارها في صاحبها بل
تنتشر من كل ما حوله . فقلت ان ذلك من اعظم المبادئ المسيحية وهي
تصدر منك عن غيرة شديدة وقلب طاهر . ولكن يا صاح اصغ لهذا الاثر
وهو ان مذهبك الكاثوليكي لا يسلّم بخلص من لا يعتنق والذين هم مثلي يمجسون
عندكم من الضالين فحكمكم حكم الوثنيين فكيف نسر ان ترام قد اعتنقوا مذهبنا
فقال يا سيدي اني كاثوليكي وكاهن من كهنة القديس باندكت واومن
كل ما تؤمن به الكهنة الكاثوليكية ولكني اقول دون تحمل وتلق عدي
بانكم اتم الدين نحنون انكم اصلحتم مبادئكم الدينية لعنم مبدعين عن الحق .
ولا اقول انكم تهلكون اسمع لاد رحمة القادي عظيمة قادرة على تخلصكم بطريق
لا تعلمها . هذا رأيي اصلي يوماً فيوماً متوسلاً الى الله ان يردكم الى حظيرة الراعي
الحقيقي بالطريقة التي تفضلها حكمته غير الشهامة ولا ريب ان الفرق عظيم
بين رومناتي ووثني . لان البروتستانت يعتقد بالمسيح وان كان اعتقاد
مذهبهم ليس هو الاعتقاد العام . واما الوثني فلا يعرف الله ولا المسيح
القادي وانهم لعنم من اهل هذا المذهب المستقيم وانكم اقرب الى الوصول اليه
من الذين لا يعرفون شيئاً من الديانة المسيحية . فامر عند ما اري ان الرجل
الذي اعبرني انه عاش في حالة الكفر وكاد يقتل رفيقه يجنو على ركبي
ويعلي الى المسيح وانني اومن ان الله مصدر جميع هذه الامور فيرده الى المذهب
الحقيقي متى شاء وان مكة تعالى من رد امرأتين عن ضلالهما لا ريب ان بعض من
الملاك . فهذا يجعلني افرح عند ما اري البعض يؤمنون بالمسيح وان كان ذلك
ليس بمذهب المذهب الكاثوليكي والقادي هو الذي يفرهم منه . فافرح ان
رأيت كل الوثنيين يصلون الى الله مثل تلك المرأة وان كانت صلاتهم بمذهب
المذهب البروتستانت ومن المؤكد ان الذي فقام بسكب عليهم من روحه
وبأني هم متى شاء الى حظيرة الخاصة
لاخير في الدنيا غير ديانة فاعلم وثني بالله فهو الاعظم

الفصل التاسع والثلاثون

حديث ول انكسر وامرأته

فانجيني غيرة ذلك الكاهن الكاثوليكي وحمته ورافته وابكتني فصاحه
 عباراته وقوة برامته وصحة افكاره حتى لاح لي انه لو كانت افكار الجميع كافكاره
 لكنا جميعاً معجرون حفيين مع قطع النظر عن الكنية التي تقرط في سلك
 اعضائها . وهكذا تصح جميعاً . لكن السبل المستقيمة حاصلين على ما يقوي
 علاقات الاتحاد . وقد اقتصرنا على هذا القدر من الكلام لانا كما نحب الجدل
 لعدم خلوه من الضرر فعوضاً عن ان يقترب الانسان من اراء مجادلو يبعد
 عنها ويثبت في اراءه متصراً لما قاطعاً النظر عن صحتها وعدتها . وبعد ذلك
 امسكت يده وقلت له يا حبيبا لو كان جميع الكهنة مثلك من جهة حرية الافكار
 والبعد عن التعصب للاراء المخصوصة . وانني اسلم حتى التسليم يا ابدية على اني
 متوكل ان لو فهمت بملك العبارات في ابطالها او اسبابها لتكدر بعض رومانك
 منك . ولا ريب ان الاعتدال عن التعصب ليس بكسر

ثم رجعنا الى البيت لان ول انكسر وامرأته كانا قد ذهبا اليه . ولما وصلنا
 الى المنزل وجدناهما مشغولين من بدعوها الى الدخول . فصالت الخوري هل
 يوافقنا ان نخبرهما اننا قد رأيناها وهما يتحدثان عند اللبف . قال لا فالارفق
 ان نخدته قبل ان نسمع ماذا يقول . فادخلناه ولم يكن احد غيرونا هناك . ثم
 سأله قائلاً

يا ول انكسر ماذا فعلت في حديثك وماذا كانت هذه اهلك
 ول . يا سيدي كان قسيساً . اني لا اقدر ان ادرك درجة صلاحه

روى عن . ماذا عليك

ول . اجهد كثيراً في امر علمي ولكن احثرت العلم والآداب والتضائل
فكنت كالبهايم

روى عن . حقاً قال سليمان الحكيم من احذر الاصلاح اشبه بالحيوان

ول . نعم يا مولاي اني حقاً اشبهت الحيوان اني فعلت والذي . اتوسل
اليك يا سيدي ان لا تكلمني بهذا الامر . نعم اني فعلت اشفاقي وتماسني اني
الممكن المحنون

المخوري . ذاك يا فاني

وكنت اترجم كلماتي حرفاً بحرف قصد ما سمع منك العبارات المضطرب وعلا
وحية الاصرار . فالظاهر لك ظن ان ول كان قد غفل اياه فعلاً . فقلت له
انك لم تفهم قصدي فقلت لا تكلم . فل هل فعلت االك فعلاً يدريك

ول . لا يا سيدي اني لم اذبحه . ولكني لست راحته وسعادته وفصرت
ايام حياتي وكمرت قلبي بالمال الشريرة وافعالتي القبيحة فاني صكاهم حسنة
ورافقة بالنساء والشر

روى عن . ان لم يكن قصدي ان ترجم جميع هذه الانبياء وانني اسأل الله
المغفرة لك على ذلك وعلى جميع خطاياك . على اني سأملك عند ما رأيت ان
معرفة في الامور الدينية ليست فليمة وان تكن غير نامة والظاهر انك عرفت
من الدين اكثر مما تدل عليه افعالك

ول . ان لم سأنتهي الاقرار قصيري بحملتي على ذلك رفقاً عني لانه عند
الفاصل نقف لننظر في خطايانا الماضية فيمكننا صبرنا على ما فعلناه من الشر
لضادة والدينا اشد نكبت

روى عن . يا ول ان كلامك يومئذ في جداً فلا اختار لي على اسفاهي
ول . يا مولاي اظن انك لا تعرف خطاياك هذه . فلا اظن ان ذكرها
يكدرك

روبنصن . لي لي يا أنكر . ان كل واد و جبل بل كل شجرة في هذه
الجزيرة تشهد بخطايي ومخالفتي ابا حنوناً وروفاً فيه صفاته صفات ابيك .
فها انتي قد فعلت ابي كما فعلت انت اباك اما توبني فلا تعادل توبك
ثم اقتضرت عن الحديث لانني لم افدر ان اضبط نفسي واخذت افكر
ان توبة ذلك الرجل هي افضل من توبتي فكدت اقر خارجاً من ذلك المكان
لان ما قاله ادهشي جداً ورأيت انه عوضاً عن ان اكون واعظاً له صار واعظاً لي
فاخبرت الخوري بمجمع هذه الامور . فتأثر جداً وقال اما قلت لك
يا سيدي ان هذا الرجل يعطينا اجمع بعد ان يتوب عن خطايه . الحق اقول
لك ان تاب هذا الرجل التوبة الحقيقية يستغني بعني وبصر جميع امالي
الجزيرة فبعد ذلك رجعت الى نفسي واخذت في الحديث فقلت يا ول ماذا
حرك فيك هذه الاحساسات الحرة الآن

ول . ان الامر المهم الذي ساعدني اياه قد رماني بهم اصاب قلبي . لانني
بما كنت اخبر امرأتي بوجود الله والديانة لكي انصرها وعظمتي وعظمتها لا انساها
حياتي بطرفها

روبنصن . لا لاني ليس امرأتك بعظمة لك بل ضميرك لان ما قلته لها من
هذا القليل كان صالحاً لك ويعود منها اليك

ول . نعم كان يرجع الي بنوة لاطافة لي على مصادمتها
روبنصن . يا ول ارجوك ان تخبرني شيئاً ما حدثت يا امرأتك
ول . يا مولاي لا افدر ان اخبرك بتفصيل ما تكلمنا به لان لساني عاجز
ولا اقتدار لي على ضبط نفسي فانا لانا واذلك على اني اقول انني قد عرست على
اصلاح حياتي والرجوع عن الشرور والخطايا

روبنصن . اخبرنا ببعض كلامك وكيف فقت الحديث لان ذلك
من خوارق العادة وتأثيراتها تظهر انها حقيقة وقد لمشدتك ارشاداً تاماً
ول . نعم الكلام باظهار فروض الرحمة عندنا التي لا يفدر احد من

المتزوجين ان يمتدحا والله لولا ذلك لكان كثيرون يتركون نساءهم ويقتربون
بغيرهن . وهكذا يفسد النسل والنظام واصول الارث الى غير ذلك ما يستغنى
عن ذكره .

رويت عن . انك تكلمت معها كفاض . فقلت فبست معنى النظام والارث
اظن ان ذلك اشكل عليها فقلت لانه قد بلغني انه ما من اصول ورابط كونه
عند البرارة ولكنهم يتزوجون من شاءوا دون التفات الى قرب النسب والنظام
المعالي فيزوج الاخ اخته حتى الاب ابنته والابن والدته فانهم كالحبوانات
ول . يا مولاي اظن ان ذلك ليس من عاداتهم لان امرأتي أكدت لي
انهم لا يحافظون من كان قريبا منهم ويكرهون ذلك جدا على انهم لا يحافظون
على اصول كاصولنا من جهة التزوج من ليس قريبا منهم

رويت عن . ماذا قالت هل فعلت عادتنا على عادات قومها
ول . قالت انها تحب فروضا جدا

رويت عن . هل اخبرتها بفاد الزيجة القانونية ومعناها
ول . نعم نعم هذا الذي جعل حد بينا طويلا . لاني عند ما سألتها هل
تتزوجن حسب فروضا قالت ما هي فروضكم . قلت ان الله قد عين
الزيجة . فلما سمعت ذلك اخذت بالقلم بما يدعش العقول
ان ما يأتي هو الغاورة التي حدثت بين ول وامراتي وقد نختها عن قرطاس
دونها فيه عند ما فرغ انكسر من قصتها وهي كما يأتي
المرأة . كيف هذا الله عين الزيجة واعلمها هل الله في بلادكم

ول . يا مني نعم ان الله في كل مكان
المرأة . لا الحكم في بلادكم . بلادي الهيا يانا بوي الله القدوس العظيم
ول . يا عزيزي ان لساني يقصر عن وصف الاله لاني شفي . ان الله هو
في السماء وقد خلقها وخلق الارض والبحار وكل ما فيها
المرأة . لم تأمل الارض . لا الحكم تأمل كها الارض . لم تأمل بلادكم

فتبسم ول لما قالت ان الله سبحانه وتعالى لم يخلق بلادها
المرأة . لا تضحك . ليس تضهكي . هذا لا يضحك (اي لا تضحك)
لاريس انه استحق هذا التوبيخ . لانها في اول الامر ذكرت الخالق باعتبار
يزيد عن اعتبار وعند ما ذكره

ول يا مهيني لا تضحك . فاني قد اخطأت بالاسهزاء بامرهم كهنا
المرأة . كيف هذا . قلت ان اله اتم خلقت الكل
ول . نعم ان الهنا قد خلق العالم بامرهم وخلقك وخلفني وسائر الاشياء
وهو الاله الخفي واحد احد لا سواه سرمدى لا ابتداء له ولا انتهاء سبحانه وتعالى
المرأة . ليس ما قلت لي بهذا من زمان كبير
ول . لانني كنت رجلاً شريراً اثماً فاهملت اخبارك ووعشت كمن لا اله له
المرأة . كيف اله عظيمه في بلاد انت ولا تأرفها . ما كنت تقول لها وا
(اي نصلي له) وما تأمل شي طيب منشأه انا لا اصدق
ول . حقا قلت . ومع ذلك جميعو كنت عائداً كمن لا اله له في السماء
وكن له اله لاسطة له على الارض

المرأة . ليس الله بتكليك ناملي همك . ليس ما تأملك تعيش طيب
ول . ان الذنب ذنب
المرأة . كيف لك ان تقول لي هو كبير كبير قوي كبير . لما تريد
بموت ليس هو ما تأملكي نموت لما لا تفكر فيها فيه ولا تقول لها وتكون
رجال طيبين كبير

ول . لاريس في ذلك ولا يبعد انه يهني يوماً ما ومن الواجب علي ان
انتظر عتاباً لانني قد تعديت شرائعه وخالفته وصاياه . على انه رحوم شفيق
لا يبداء موت الخاطيء ولكنه يرغب في ان يتوب عن خطاياه ويرجع اليه . فهو
لا يعاملنا كاستغناقتنا

المرأة . وانت ما تقول لي كثير خيرك منشأه هذا كله

ول . واحسرتاه اني لم اشكره فط على رحمنه ورافقه ولا حسنت اخفى
ظوته وعناقه

المرأة . لكان اللهم من الله انا ما يتفكر هو قويت وعظيمة كثير حيث ما
يمثلك وانت بنعمها هالقد جكران

ول . بالنعاسي وشقاء حالتي هل تعرض انامي وخطايامي دونك ودون
الايام ونوعرك عن اعتناق الديانة الخفية والافناء لاريد ان اعمال المسيحيين
الشريرة تعيق الوثنيين عن الدخول في حظيرة الله الخفية

المرأة . كيف انا يتفكر في الحكم الهني جدا اظية فوق موتك (لشهد اني
العام) وانتم تأملون لا شيء طيب لا أمل شيء طيب بأرف . هنا لا يؤلم ماذا اسم
تأملون

ول . لي لي الله يعرف كل شيء ويظهر جميع اعمالنا وبجميع كلامنا وبجميع
افكارنا وضايرنا

المرأة . كيف هو لا يملك شيء ويملني وتقول لاني الكبر

ول . لي لي الله يسمع ذلك

المرأة . اين اذا قوته كبره كبير

ول . هو رحوم ورؤوف جدا ما يثبت لنا الله الاله القدير العظيم وانه اله
رحم عمده وبهم ولذلك لا يعاملنا حسب اعمالنا

فقال لنا ول الله اعتراف في اسمه وارنك جدا وحررنا لا مزيد عليه
لانه التزم ان يقول لاسرائيل ان الله يرى ويعرف كل ما نقوله ونفوه حال كونه
نجاسر ان يرتكب الشرور والآثام

المرأة . وهو ماذا تأني بهذا

ول . هو الهنا السامي وخالفنا فهدى علينا وبهفو عن زلاتنا

المرأة . اذا هو لا يقتل ابدا ولا يصير جكران لما انت حامل مشطوب اذا
هو من طيب ما ما قوي كبير

ول . لي لي يا هيجي انه لسان في الجوده والاعتبار واجهانا انظارا لعداوتو
 وشدة انقامو من الخطاة يسكب كأس غضبو على الشرار ليوذيب هم غمرهم
 فيهمهم في خطاياهم قبل ان يجي ظهروهم طول الزمان
 المرأة . لكنها لم يفتلك بعد . بمكت في يقول لك انها ما يفتلك وميك
 انت ما هو فزان انك تامل اشيا مشطوب وهو ما يصير زلان منك يصير
 جكران من كير ناسات

ول . لا لا ان خطايي وطول انانو يشهدان بشدة حلو ورائبو وجودتو
 ولو امانتي كغري لكان حاملي بالعدل
 المرأة طيب وما هيدا لا يفتلك شو تقوله مشان هيداك ما يقول لك كير
 خبرك كير كير

ول . اني اتم نجس ملو من الخبائث والرجس
 المرأة . ليس ما ياملك كير احسن انت تقول هو ياملك هيك
 ول . انا خلقتي كا خلق غمري من البشر ولكني نجست نفسي وعديت
 وصايا حتى صرت شقيفا نجسا
 المرأة . يا رب انت تامل الله يارقي انا ما يامل جكران انا ما يامل شي
 مشطوب

فقال ول انه لما سمع هذه الكلمات منها كاد قلبه يفتقر حزنا لانه راي
 اماما مخلوقه جاهله الامور الدينية نطلب الى رجل شفي اتم جاهل الامور الدينية
 ان يعرفها بخالق السماوات والارض فارنك جانا واكنه كلاما لانه راي انه
 بكلامو واعمالو السابقة ابعدها عن معرفة الحق وكانت قد قالت له انها لا تقدر
 ان تؤمن بالله سبحانه وتعالى لانه لم يهلك رجلا شريرا نظيرة

ول . يا مهي قصدت ان نقول لك ترغيب ان اعطيك كيف تفكرين
 ان تعرفي الله وليس ان اعرف الله بك لانه يعرفك وقد اطلع ولا يزال يطلع
 على كل افكارك وسرائر ضامرك

المرأة . اذا هو يبارك شو آمال تقول انا لك هلق . وبارك ابي بريد
ان الرفعة كيف يبارك انا من الهلي

ول . يا مهني هو بملك وليس انا لانا لا افتدري على ذلك . على ابي
اصلي له ان يسكب عليك من نعمو ويظهر لك نفسه وان يغفر لي لاني لا اسحق
ان اكون معطاك في امور كنه

فتأول جدًا من كلامها عند ما طلبت منها ان يعرفها بالله . فجاء على
ركبها امامها وصلى الى الله ان يبر عفلها بمعرفة يسوع المسيح وان يغفر لخطاياها
ويؤمها لان يكون الواسطة لارجاع تلك الوثنية عن الضلال . فبعد ان انتهى
من الصلاة جلس بجانبها واخذ بعد ثان ثانية

المرأة . ليش انت بمركا . ولبس بنهض ابدك . شوقك . ما مبيت
هكيت . ليش كل هل امل

ول . يا سبي ابي جوت على ركني خضوعًا لمن خلطني وقلت له وا . كا
تقولون في بلادكم عند ما يجتو شيوخكم امام صنهم باناموكي . ابي صليت له
المرأة . ليش تنفها وا

ول . توسلت اليو ان يفتح عينك ويبر عفلك لتعرفو معرفة توهلك
لان تكوني مقبولة عند

المرأة . هو بتقدر تامل هيك

ول . نعم انه قادر على كل شيء

المرأة . أمرك تطلعي . امتون أمرك . كيف أمرك . شواست بشارها بتحي

ول . نحن لانسمع بكلم ولكنه قد اظهر لنا ارادته بطرق مختلفة

فارتبك ول جدًا هنا ولم يعلم كيف بينهما ان الله اظهر لنا ارادته بكتابه
ولكن بعد برهة قال لها

ول . ان الله منذ زمن طويل كلم بعض الصالحين من السماء مظهرًا لهم
ارادته ووصاياهم وغيرهم قد سكب عليهم من روحه وانهم ان يكتسبوا نواصيحه

فكتبوها جميعا في كتاب

المرأة . انا ما ينهم شو . وين كتابه

ول . واسفاه ان ذلك الكتاب ليس عندي . على ان المأمول الحصول
عليه يوما ما فاعطيك اياه واعطيك قرانه

فبعد هذا قبلها والبحرن قد ملأ فواده لانه لم يكن له نوره
المرأة . كيف ينامي اصدق ان الله ينامهم يكتبوا ههناك الكتاب

ول . مثلا علتك انا نعرف الاله الحقيقي

المرأة . كيف . كيف ينام في الاله الحقيقي

ول . لانه لم يعلمنا غير ما يجعلنا على فعل الصالحات ونحسب الطالحات
ويؤول الى راحتنا وسعادتنا وان نبتعد عن الشر وما ينجم عنه

المرأة . انا تريد انهم هذا كله . هو ينام كل شي عليه . ويملك كل شي
طيب . ويحاطي كل شي . ويتحاطي لما يقوله . مثل ما انت تامل الحق . وتاملني
طيب ان يريد تكون طيب . في ما يتفكر ان ما املت عليه . انت تتولي
في يامل هذا كله . وما هذا هو الله كبير . انا يريد ينامن هو الله كبير وينوله
يا ماك يا ازبني

فلما سمع هذه الكلمات منها لم يقدر ان يضبط نفسه بل وثب من مكانه
واقامها معه واركها بجانبه وصلى الى الله بصوت ان يسكب عليها من روحه
لتدرك سر صفاته وانوارها وانت يرسل اليه عنايته نوره لتعلم منها وصاياه
وعلو مجده ورحمته . وقد سبق ذكر هذا لانه جرى عند ما كنت مع الخوري
راقبها

وجرى بينها محاورات كثيرة في هذا المعنى بعد ذلك لا محل لذكرها
بالفصل هنا . فبذلك بعد ما انه يرجع عن طريقه الرديه وبذلك سئل الله
المؤدي الى الحياه الابديه ونحسب فعل ما بنفسه انلا يهلك نفسه في وحدها
دون احد يعلمها صفات ذاك الاله القدير

فأثرتنا جداً من هذه المحاور خاصة الخوري فانه غدير جداً وأندهر وحر
 حزناً لا يزيد عليه لانه لم يقدر ان يكلمها باللغة الانكليزية بحيث تفهم كلامه ولا
 ان يفهم كلامها لانها لم تفهم جداً بل غمرت اساليب الجمل وصيغ الكلمات
 وانصدت لللفظ. فالتفت الي وقال ان مجرد تزوج هذه المرأة حسب الاصول
 غير كاف. فلم افهم المقصود من هذه العبارة فطلبت الانصاح فقال يجب علينا
 ان نبعدها فاجبت طلبه وقلت له ما بنا نفعل ذلك. فقال لا بل يلزم قبل
 ذلك ان نرى هل نكن ول من جعلها تعتقد بوجود الاله العادل وصحة
 ديانته فترضى بالاخيار التام ان تعتق مذهبه وتسلط بحسب ناموسه ووصاياه
 وتؤمن بقدرته ورحمته وكله وعنايته وبالناس والخلاص الخطاة وتوال
 الشراب وبالروح القدس والقيامة والجنم والحياة بعد الموت

فناديت ول وسأله عن ذلك جميعه. فاجاب والدموع تساقط من
 عينيه قد اخبرتها بجميع هذه الحقائق. غير ان فراضي كانت ترعد خوفاً وقلبي
 كاد ينقطع حزناً عند ما رأيت ان انامي وخطايي ومعاصي التي اطلعت عليها
 جميعها امراني تضعف ايمانها بكل تلك الامور وتجعلها تستحق بالديانة الحقيقية
 وتكرها على انه لا ريب انها في غاية الاستعداد لان تؤمن بها اجمع وان تكلمت
 معها بهذا الشأن ترى صدق مقالتي وحسن عقلي وادراكها وان الكلام لا يذهب
 مني بل يؤثر فيها تأثيراً حسناً جداً

فبناء على ذلك ادخلتها واخذت اترجم بينها وبين الخوري وهو يكرر
 عليها بشاره الخلاص بطريقة حسنة جداً. فقلت له ان غيبتك وتوكل
 ادمشتاني. فاقمها بقوة برامته وصحة اقواله فاعتضت الديانة المسيحية بالفرح
 والامان وليس بالخوف والتعجب كما في اول استماعها عن الله والديانة الى غير
 ذلك وادركت جيداً حقائق الديانة واسرارها حتى انها طلبت الي من تلتزم
 نفسها ان تعتقد قسماً

فما كان الخوري يبيّن له لان بعد ما تولى الي ان يفعل ذلك ان

امكنة بحيث لا يظهر لزوجها انه من مذهب غير مذهبنا فلا يفهم عن اخلاقنا
في المذهب ضرر لاولئك الذين كانوا منهم الحفائض الدينية . فقال ليس عندنا
كيسة مدسنة ولا الاشياء اللازمة لتنظيم الفروض الكاثائية فانعل ذلك بحيث
لا يعلم الي كاثوليكي حتى انت لو لم تكن عالما به . وهكذا لانه فاه ببعض كلمات
لاتينية بصوت مخفض فلم انهمها وسكب ماء على راسها وقال يا مريم (وهو الاسم
الذي طلب زوجها ان اسمها يو لاني كنت عرابها) اعدك باسم الآب والابن
والروح القدس . فبعد ذلك باركها باللغة الفرنسية . اما ول فلم يعلم انه
كاثوليكي لانه لم يفهم كلماته . وبعد ذلك عندنا عند الزواج ثم قال الخوري
لؤل ان لا يرجع الي ما كان عليه من الشر والاثم بل يسلك السبل المرضية
للخائف عز وجل واما ان كيف ان الله قد اختاره لان يكون واسطة لرد امرأته
عن ضلالها المين . فعليه بالمحافظة على وصاياه فان لم يفعل ذلك نصح امرأته
انني من افضل في كل الامور وهكذا نرى ان الواحدة المسيحية تطرح الي
الخارج اما الوثنية فتبلغ المراد وقال اشياء كثيرة ما يؤول الي اصلاح حالتها
واعمالها ثم باركها ثانية وانصرفا وكنت اترجم لما قل ما قاله وكان ذلك اليوم
استعد كل ايام حياتي

اما الخوري فلم يمكن بلية ولم يرق له بال لانه كان دائم التفكير في رد
اولئك السبعة والثلاثين رجلاً وكان يجب ان يبق في الجزيرة فتم ذلك المقصد
الجليل . ولكنني افهمته بان لا يبق لانه لا سبل الي ذلك بواسطة واحد اباه ان
اقوم بما يتكفل بذلك ونحن غائبون عن الجزيرة . وسأني ذكر هذه الامور ان
شاء الله

فبعد ان فرغت من ترتيب مهام الملكة واحكام اصولها وحكومتها وداخلتها
وخارجيتها اخذت في الاستعداد لركوب المركب . واذا الفتي الذي كنت قد
اخرجته من المركب الذي امات والدته فهو الجوع فادم الي فعد وصوله
ونسلمه علي قال لي بلقي وجودك امان معك في الجزيرة واني قد زوجت

الرجال الانكليز بالنساء البربريات فارغب ان اعقد عند زواج اثنين مسيحيين
قبل ذهابك بالسلامة والمأمول ان ذلك يجوز بركاك

فعرفت ان المقصود هو التجارة التي كانت معك في المركب المذكور
فاخذت اقول له انه لا يلزم ان يفعل ما كان لا يفعل لو كان في بلاده لانه ربما
ارحمته القنادير الى وطنه وورثته واصحابه وربما رجعت مع الخادمة. فالتزوج
بها لا يوافق حائقة مطلقاً لانه فضلاً عن انها فقيرة في اكبر منة سناً فانها قد
بلغت من السبعة والعشرين. واما هو فلم يجاوز الثاني عشرة سنة. وقلت له
اني سأمد يد المساعدة لارجاعه الى بلاده فني وصل اليها بدم جداً على ما
فعل وربما افضي ذلك الى ثقاتها. فاجاب وهو يسم وقد اوقفني عن الحديث
يا سيدي انك لم تصب في ظنك لانه ليس لي ميل الى ذلك واني اشكر على
فصدك ان ترجعنا الى وطننا فان الذي اخبرني عن الذهاب معك الى الجزائر
المعدة هو مخاطر السفر ومشقاته والبعث الذي يوصلني عن بلادي واهلي وقوي
فاطلب اليك ان تفرز لي قطعة ارض حيث اسكن الآن وان تعطيني خادماً
او خادمتين وبعض اشياء ما يحتاج اليها الانسان لقيام الحياة وهذا كاف. اما
انا فاني هنا منتظراً حلول ذلك الوقت السعيد الذي يخرجنا من هنا بعد
وصولك الى انكليترا الذي ان شاء الله يكون مفروناً بالسلامة والتوفيق واني
اعطيك رسالتين لاصحابي هناك محبراً اياهم بها عن شدة حنوك ومعرفة وفك وعن
احوالي واعمالهم ومثري. واني قد راجعت الى وطني سأترك لك ملكاً
الارض التي وهبني اباها الآن مع جميع الاصلاحات والزبادات

فسرني كلامه وحسن السوي ورفقة جانيو خاصة لانه كان صغير السن
واكد لي انه لم يصد ان يتزوج التجارة. فاجبتة قائلاً ان وصلت بالسلامة الى
انكليترا اسلم رسالتك الى اصحابها واثم اشغالك على احسن منوال. واني اؤكد
لك اني لا اسالك مطلقاً بل افعل ما من شأنه ان يكفل ترجيعك الى وطنك.
ففرغ اضطباري ورغبت في معرفة الذي يريد ان يتزوج التجارة فساقت

فقال هو معلم جميع الصنائع فادعني وسرني جدا هذا الخبر لاني علمت انه موافق جدا خاصة لان التجارة كانت ذات امانة ووداعة ورزاقه وصلاح وكانت على جانب عظيم من الرقة والعقل والنصاحة والحشمة والالطف لا يتداخل فيها لا بعينها ولا تفسد عن اجراء ما يطلب اجراؤه منها وتحسن ادارة البيت حتى انها استغنت ان ترقى الى درجة عالية بحيث تصبح حاكمة الجزيرة. اما الرجل فقد سبق الكلام عن اوصافه

ففي ذلك اليوم عندنا عند زواجها اما انا فنبت عن والدتها ومائة واعطينا اشياء كصدقاتها عن زوجها وافرزت لما فطنة ارض واسعة فعملني ذلك مع طلب التي قطعة ارض على قسم الاراضي بين اهالي الجزيرة لجانية وقوع النزاع بينهم

ففوضت امر تقسيم الاراضي الى ول انكدر الذي كانت قد هجر المعاصي والشر ونسرت بالرازنة والتقوى. فاحسن التقسيم جدا واحكم التفرير ولم يحصل احدا على رغبته بل عامل الجميع بالعدالة والحق فسروا بذلك وشكروه جدا. ثم طلبوا الي حجة عمومية في تلك الاقسام فكتبنا لم محدثا ما هو لكل منهم من اربع جهات وذكرت فيها التي قد وهبت كلاً منهم فسهة شرعية فاطعة ماضية وملكتهم اياها ملكا شرعيا. اما بقية الاراضي فحفظتها ملكا لي وفرضت اجورا على كل قسم يعطى لي او لمن يأتي الجزيرة من ورنائي او وكلائي وافرزت صورة مثبتة من تلك الحجة ليعد مرور احدي عشرة سنة

اما حكمهم وقوانينهم فلم اغيها بل قلت لم انه لا اقتدار لي على فرض قوانين اوفق من التي بقدر ان يفرضوها على انفسهم ولا اعدل منها على اني جعلت كلاً منهم بعد بالسلوك الحسن وحب قريبو كلهم

فبعد ان فرغت من جميع هذه الامور والتعديلات المتقدمة قلت في نفسي ان لمن الضرر والمخالفة لاصول الهيئة الاجتماعية والانسانية ان اترك سبعة والاثني مائة يمشون في قطعة الارض وحدهم بالاستقلال التام والتمكيد وعدم

الاشتراك مع باقي اهل الجزيرة في الاعمال والاشغال . فقلت للوالي اطلب اليك ان تذهب اليهم مع ابي جملة وتعرض عليهم الانتقال من ذلك الموضع الى مكان آخر من الجزيرة بحرثه وبعثون من محمولات او ان تأتوا بهم الى هنا ونقدموا بعضهم في كل عائلة من عيالكم ليس كسيد بل كحرار . لا ابي رفضت التسليم باستعدادهم لانهم كما لا يخفى عند ما عقدوا الصلح تعاقدوا مع اهل الجزيرة الاصليين بان لا يتدخلوا في اشغالهم بل يتركهم يعيشون وحدهم واعتبرت هذا التعاقد صحيحا ومن ثمة يتعدى اصول الصلح بعد الحرب والتسليم فذهبا اليهم واخبرهم بذلك فسروا جدا واتوا معهم فافترسا الارض من ارض البحر وها وبعثوا منها اما الباقون ففضلوا الدخول في خدمتهم فكانت تقسم ملكي مكل . الاسابوليون سكنوا مسكني القديم وكان يدعى قصبة الملكة وحرثوا كل الاراضي المجاورة حتى الساقية التي قد تقدم ذكرها تكرارا . اما الانكليز فسكنوا في الجهة الشمالية الشرقية حيث كان ول انكز ورفقاء قد بنوا منازلهم وحرثوا الاراضي في الجهة الجنوبية الغربية وكانت لهم ارض واسعة ليجرئوها عند الانقضاء لحاجة الشارع على الحدود . اما الجهة الشرقية فكانت خالية لا ينطها احد فاذا الى البرارة ليولوا كما دهم لا يلون بوجود سكان في الجزيرة . وبلغني انهم اتوها جملة مرات وذهبوا عنها دون ان تقع حرب بينهم وبين اهلها

وبعد ذلك تذكرت ما قلت لغوري وهو انه يكفى ان نجد واسطة تكفل برد البرارة عن صلاحهم دون ان يبق في الجزيرة فقلت له ان البرارة قد افترسوا من المسيحيين وخالطوهم فعلى كل منهم ان يجتهد في ارجاعهم عن الضلال ويروح لي ان ذلك لا بد من ان يتكفل بالحاج

قال نعم ان اجتهد كل من المسيحيين في ذلك ينبغي ان نجعلهم يجتهدون بالاجتهاد . فاجبت بلزم ان نجعلهم وتوض ذلك اليهم او يذهب كل منا الى بعضهم ويطلب الى كل منهم على افراد القيام بهذا الامر المهم . فوقع من هذا

الراي الاخير موقع القول والاشخصان . قدس هو ليعلم بذلك الاسابوليين
 لانهم كانوا من ابناء مذهبه . واما الانكليز فذهبوا اليهم لانهم من مذهبي
 فاتح كل منا على فريقه بالاعتناء في ذلك فوجدنا وعدا شافيا وبانيها لا يتعرض
 كل منها في ارشادهم لذكر الفرق الكائن بين اليابانيين والمونشنات في
 الامور المذهبية بل يعلمونهم قلبيا عموميا معرفة الاله الحفي والنادي . ولما انت
 منزل ول الغريب الذي سبق ذكره وحدث التجارة المذكورة جالسة
 مع امرأة انكتر وقد وقع حب كل منها في قلب الاخرى واكثرت ما ابتدأ به
 ول بارشادها واعطتها الفروض الدينية ففي اربعة او خمسة ايام بعد ان عمدنا ما
 فهمت الاصول الدينية ونمكت بها حتى بلغت درجة فصوى من التقوى
 بواسطة تلك التجارة الددبنة التقوى والعمرة

وكان قد لاح لي قبل الذهاب اليهم اني اعطيهم كل ما يلزمهم خلا
 التوراة والانجيل فحملت من هذا القفاقل لان صديقي الاملة كانت اكثر اهتماما
 مني في الامر لانها عند ما ارسلت الي الانسة من لصوت ارسلت معها ثلاث
 نسخ من التوراة والانجيل فمضت نمتا كثيرا يزيد عن انتظارها . وكنت قد
 وضعت في جبي نورة وانجيلا فعند ما وصلت الى منزل ول رأيت امرأة
 والتجارة يحدنان في امور دينية فدخلت البيت فقال انكتر بامولاي انه عند
 ما يشاء الله ان يرد خاطئا عن ضلاله وباتي الى العيل المستقيم بخلاف
 الاسباب الموصلة الى المقصود فقد ارسل سبحانه ونمالي لامرأى مرشدة لم نخطر لها
 سال . لانني عرفت انه لا اقتدر لي على ارشادها حتى الارشاد فلا ريب ان
 العناية الالهية في التي قدرت انبائها اليها . وهذه المرشدة في على جانب عظيم من
 التقوى والمعرفة ولها اقتدار باذن الله على ارشاد امالي الجزيرة كهم . فلما سمعت
 التجارة هذه الكلمات صبح بالخص وجهها الاحمرار ونمضت لذهب . فقلت لما
 لانه مني لان ما فعلت من الخير يكمل بنوال الدواب فاسأل الله ان يبارك
 عليك ويسع عليه نعمته . فتحدثنا برهة بهذا الشأن فمضت انه ليس لم كتاب

فاخرجت الثوراة والانجيل من جبي وفلت لا تكتر انظر قد انكم بهيت لا
وجود له عندكم. فلما رآها الدهش واكبة الفرح وبعد مره تقدم الي واخذها
من يدي يديو والتمست الي امرأتو وقال النظري يا مهيي ألم امل لك ان الله
سبحانه يسمع طلبنا وهو في الاعالي. هوذا الكتاب الذي طلبت اليو ارسله اليها
بالصلاة فقد اجاب الطلب وارسله. فحركت عواطفه بانكم وملاً العرويه فله
فبكى وهو يحبرها ويؤتيه الشكر الى الله

فان حدثت جدأ امرأتو وصدف ان الله انزل ذلك الكتاب بوع عجب
من السماء اجابة لطلب بعلمها. وهذا هو الواقع ولكنه لم يتم كما توهمت سمعته. ولو
قلنا لما ان الكتاب هو من السماء لصدقت ولكن حاشا ان اسبح بخداها في
ايامها. فقلت لجارية اننا لا نرضى بايها غير الواقع فاطلب اليك ان نصري
لما كيفة ارسل الله هذا الكتاب اجابة لطلب زوجها لانه يجيب مسئولنا دون
ان يفعل شيئاً خارق الماده وقد اجاب الناس انكتر باستخدامو اباي واسطة
للانسان بما طيلة الموعر وجل فلا سبل الى انتظار اجابة طلبنا منه بطرق
عجبه فانه قادر على كل شيء دون خرق القوانين التي منها لجميع الامور والتي
يحفظها بهيو ويحبرها بحسب قوانينها ونظامها

فاخبرتها بذلك بعد ان ذهبا وفست لما كل ما يلزم تفسيره ولم يبق
في فكرها ريب ولا شك. اما فرح ول من هذه العناية فهو صعب وصفه.
واظن انه لم يشكر انسان ربه لحصوله على ثوراة وانجيل اكثر ما شكره ذلك
الرجل مع انه كان من اشهر البشر واردام وكانت لواضع الفوى والفكر ظاهرة
في وجهه ظهوراً بكل القلم عن وصو وهذا من اكبر البراهين واحسنها على انسان
الثرية قبل خشوة اظفاره. فلا ينبغي ان يهل الوالدون ثرية اولادهم منذ
الصغر ولان ينظروا الامل من بلوغ المقصود من الثرية المحسنة. فاذا كان
الاولاد غير مبالين بارشاد انهم ومعلمين لا امرهم في بذية الامر لا بد من حصول
فائدة عظيمة لم منها حتى بعد زمن طويل عند ما يهدون الى الانتصار فحين.

فان التربية لابد من ان تستفيق وتؤدي الواجب عليها ولو بقيت مدة طويلة
في حالة الغفلة . فان ول كان جاهلاً بامور الديانة فوجد شخصاً اجهل منه
يفتقر الى معرفة القليل الذي يعرفه . وهكذا وجد ان اقل المعلومات الدينية
التي كان قد اكتسبها من ابيه كانت ترجع اليه وتنفذ في ذلك العمل الجليل .
وقال انه كان يذكر كلمات ابيه الذي كان يقول له في الانجيل فانه لا يخص
ولا توصف وبركة اللام والعيال والاشخاص لا تدرك . على انه لم يدرك حقيقة
هذا الحال حتى حل زمان ارشاده الوثنيين وراى نفسه منفراً جداً الى معاونة
ذلك الكتاب الطاهر

اما الجارية فموتت جداً بالكتاب لانها كانت في غاية الاحياج اليه وكان
عندهما انجيل واحد عند الذي سيدهما غير انه كان في المركب مع ثيابه
قد سبق وصف الصيغة التي بلغت تلك الجارية وموت سيدها في المركب
الذي صادفناه في البحر بعد ان فرغ زاد راكبيه وذكرنا تعاقب ملاحي المركب
في بداية الامر عن تقديم كل ما يسد احتياجاتها واحياجات سيدها وسيدهما
التي اخبراً تركوه ولم يفكروا بهم البتة . ففي احد الابام كتبت اكرم الجارية عن
المضيق والوجاع التي تكبدوها فسالها ان نصف ما حل بها من جري شه
الجوع وفعلوا فيها . فقالت يا سيدي انه في بداية الامر لم يكن لنا شيء يسير
جداً نفقاته . ففلسنا اوجاعاً لا توصف من جرى الجوع ولكن في نهاية الامر
لم يبق لنا شيء نفقاته غير السكر وقليل من الخمر والماء في اليوم الاول
الذي لم اذق فيه طيباً ما شعرت في مساء في خلوجي ووجع معدتي وبعد ما
جن الظلام غلب علي النعاس واكثر من النعاس فشربت كأس خمر والبيت
جنني على فراش في ارض المركب فمضت نحو ثلاث ساعات . فلما استيقظت
وجدت نفسي متعبة قليلاً فبعد ان صرفت نحو ثلاث ساعات دون نوم
وكان قد اصبح الصبح شعرت ثانية بعظم ألم في المعدة فانكأ ثانية ولكن
لم يفيض جنني النوم وقد ضعفت قواي وكاد يغشي علي فبقيت على تلك الحال

كل ذلك اليوم اشعر نارةً بالجوع وطوراً باعتراق المعدة وكثير على الشغل
حتى جن الليل الثاني فسمعت دون ان ادرك قوتاً على التي شربت جرعة ماء عذب
فخلعت التي في بار بادوز والرزاد قد نكثت في اسواقها والتي اشترت من سيدتي
واكلت حتى امتلأت . فكان يخل لي في الحلم اني شبعتم . غير انه عند ما
اصبحت حزنت جداً لاني وجدت اني قد بلغت حد الموت جوعاً . فبعد ذلك
احضروا كأس خمر وهو نهاية ما اعطيت لنا من المتونات فوضعت فيه قطراً من
السكر لانه كما لا يخفى من المتذبات وشربة فاسكرني جداً حتى انه طرحني على
الفرش مدة دون اربع وقد فقدت النفوس والتميز والاحساس لان معدتي
كانت فارغة فتصاعد منها بخار الى راسي وفعل في ذلك الفعل الغريب . ففي
صباح اليوم الثالث بعد ان صرفت ليلاً مكثراً بالاحلام العربية والمريضة
والخضلة دون ان استغرق في النوم استيقظت وقد افضى لي الجوع الى تجاوز
حدود البعرة فجمت وكدت اجن حتى انه لو كان لي ولد صغير هناك لادفع
جوعي حياته في خطر الموت قتلاً لمد جوعي وقطع اوجاعي التي بكل الانسان
عن وصفا . فبينت على تلك الحال نحو ثلاث ساعات وانا اشبه واصرخ كمن
قد اصابه ضرب من الجنون وقد وصف حالتي سيدي الصغير وهو بقدر ان
يصفها الآن

وبما كنت نائمة سقطت على الارض وصدمت وجعلت نائمة فاني في
سبدي فانهجر الدم من انفي فاحضر لي طعناً فاذا رفعت فيه مقداراً عظيماً من الدم
فرجعت الى نفسي ورددت حرارة الحمى التي كانت قد تولت امري وصكن ألم
الجوع الذي كان يقطع احشائي بعض المكون ثم تدمرت بألم شديد في معدتي
وكثير على التي ولم اقدر ان اخرج شيئاً من جوفي لانه كان فارغاً . فبعد ان
سال الدم من انفي مدة اعطني علي فظن من معي اني قد توفيت . فبينت على هذا
الحال مدة ثم رجعت الى نفسي وشعرت بألم شديد جداً بكل عن وصول لساني
وكاد يقطع احشائي واشتدت علي جداً فالبته الاكل فاخذت اصر باستاني .

ولما جن الليل زال النور واشتد عليّ ألم قابلية الأكل فكنت اتوجع كالمرأة في مخاضها. فخرجت جرعة ماء مزوج بمكر فلم يمضها معدني بل تقيأتها فشربت جرعة ماء بسيط فبقي في بطني فالتفت نفسي على الفراش وتوسلت الى الله بجملة ان ينيي ويريجني من تلك العذابات الشديدة. فاراح فكري امل الموت فمضت برهة ثم استنظت وكانت الاميرة تصاعد من بطني الخالي الى راسي فقبل لي انفي في حالة الترع فسلمت امرى الى الله وثبتت ان اعرج في البحر لاخلص من تلك الآلام الشديدة

وكانت سديتي في كل تلك البرهة نائمة بالقرب مني وكنت اظنها في حالة الترع وكان صبرها اعظم من صبري واعطت قطعة صغيرة من الخبز كانت معها الى ولدها فلم يرض ان ياخذها منها ولكم الزينة بان ياكلها وكانت علة نجاتي من الموت جوعاً

فلما اصبح الصباح كنت برهة وعندما استنظت فلبس عليّ البكاء فبكيت بكاء شديداً. وبعد ذلك تحركت في قابلية الأكل فبغت وبغت وبلغت درجة من العاسة والألم تكل الافلام من وصفا وكنت احب سديتي جداً شديداً ومع ذلك او مانت لاأكلت قطعة من جدها دون ان تشكر نفسي او ابالي بكرامة الطعام. وهممت تكراراً ان اغض زندي لأكل من قطعة. فبعد برهة لاحت مني الشفاعة نحو العظم الذي كان قد سال فيودوم من دي فوديت اليه وشربت ما فيودوم من الدم بجملة وشرافة كان منازعاً بنازعي اياه او اخشى ان يخطئ احد من يدي. فلما فرغت من شرب ما فيودا اضطربت اعمال من تذكرى كرامة مشروني على ان ذلك اوقف او جاع الجوع قليلاً فدرت قليلاً من الماء فانتعشت ورجعت الى نفسي. فبعد نحو ثلاث ساعات طرأ عليّ ما كان قد طرأ قبلاً بتتابع وشدة لا مزيد عليها فكنت اشعر بألم ثم بهاس ثم يجوع شديد ثم لي هم الشيطان ثم اجن ثم ابكي ثم اضحك الى غير ذلك حتى ضعفت قواي جداً. فلما جن الليل الرابع اقيمت نفسي على الفراش وامل الموت بعزني

عن اوجاعي الشديدة

فلم يغمض لي جنن الليل بطوله وسبب لي الجوع مرضاً فاخذت في تقى
هوائي لانه لم يكن في جوفي طعام لا ثياباً وبقيت على تلك الحال حتى الصباح
واذا سيدي بيكي وينوح ويقول لي ان امي قد ماتت . فمضت رأسي قليلاً
لارها لانه لم يكن لي اقتدار على الجلوس فوجدت انها حية ولكنها في حالة الذرع
فبعد ذلك اشتد الجوع علي ثانية وكثرت اوجاعي وعلا باني التي فاقمت عذابات
الموت واذا صوت ظهر من المركب قد طرق الذي وسمعت شخصاً يقول هوذا
شراع ثم اخذ الملاحون بفقرور ومرتضون من مكان الى آخر كما انهم
يجنون فلم تقدر ان تخرج لدرى سبب تلك الحركة لان قواها اجمع كانت قد
خارت . اما ملاحو المركب فكان قد مضى عليهم اكثر من يومين دون ان
يأتينا احد لم لانهم كانوا قد اخبرونا انه قد فرغ قوتهم واخبرونا بعد ذلك انهم
علوا انا قضينا نحسب

فهذه في الحالة التي وجدناها عليها عند ما ارسلكم بد العناية للتخلصنا وما
جرى بعد ذلك انت يا سيدي تعرفه كما اعرفه انا

فادعيني جداً هذا الخبر وعندي انه صحيح والى اخبرني بما هو قريب من
خير البحارية . ولولم تصادفهم في ذلك الوقت لما اتوا جميعاً بعد يومين لانه لم يكن
لم شيء ياتونهم ليعيشوا به ما لم يأكل بعضهم البعض الآخر

فلنرجع الآن الى ما كنا في صدده عما فعلناه في الجزيرة فانقول اني لم
اؤمن ان اخبرنا بها باني قد احضرت معي مركباً صغيراً لاني خشيت ان
يقول ذلك الى تكثير الانشقاق والاختلاف اللذين كانا واقعين بينهم لان
مركباً كهلاً رها حملهم على ركوبه والذهاب به الى مكان آخر او ان يصيروا
لصوص بحر ومكنا نصير الجزيرة ملجأ للصوم عوضاً عن ان تكون سكن رجال
بمطون الزراعة وبعثون بالحب والسلاية كما هو القصد من تقويتهم وتزكيتهم
هناك . ولم اعظم مدافع لئلا يهاجموا قبائل البرابرة بل اعطيتهم من الاسلحة ما

يلزم للدافعة عن انفسهم لدى الافتضاء

وهكذا فرغت من اعمالها واصلاحاتها في الجزيرة وتركها في حالة الحاجة والاتفاق في اليوم السادس من شهر ايار (مايس) بعد ان صرفت فيها خمسة وعشرين يوماً وودعهم بارسال بعض اشياء لم يحتاجون اليها من البرازيل ان امكن خاصة بعض حيوانات . وقالوا انهم يرغبون ان يسكنوها الى ان انهم ينصد اخراجهم منها

الغرب الفرحي والبعد احزني وصحة الدهر تفرج وتخزين

الفصل الاربعون

خروج روبنصن من الجزيرة

في الهند نشرنا شراعات مركبنا بعد ان ودعنا اهل الجزيرة باطلاق خمسة مدافع وشرنا قاصدين خليج الهندسين في البرازيل فباعناه بعد نحو اثنين وعشرين يوماً دون ان تصادف ما يتحقق الذكر ولكن سفرنا بعد نحو ثلاثة ايام كان هادئاً والى ان نبحر الى الجهة الشرقية الشمالية نحو خليج في البر فخرجنا قليلاً عن طريقنا فرأى الملاحون عن بعد اليابسة في الجهة الشرقية ولم نعلم هل في قارة او جزائر في المحيط . ففي اليوم الثالث عند المساء كان البحر ساكناً قرأنا كان البحر في جهة اليابسة مغطى بنبىء حالك السواد . فلم نعلم ما هو . فبعد برفة صعد نائب القبطان على صاير ونظر اليوبطارة وصاح مردا جيش عرمرم . فلم انهم كلامه واظهرت علامات الغضب ووجعته . فقال يا سيدي لا تعصب فاني ارى جيشاً في نحو الف فارب من قوارب الدرامه فالطار اليهم فانهم مشتمون نحونا

فاندعشت جداً وكذلك ابن أخي الرئيس وأرعدت فرائضه لأن ما سمعنا
عن أعالم الوحشية في الجزيرة آل إلى تراكم الخوف عليهم من هجماتهم . فكان
يقول أنهم سيقبلوننا أجمع . أما أنا فعند ما رأيت أن الريح لا تهب وعجى المياه
ضدنا يذهب بنا على غير إرادتنا إلى الشاطئ خلفنا من سوء العاقبة على أنني
تفجعت وقلت للملاح المركب لا تفر عن بل أرموا المرساة عند ما نتمكن من أن
لا بد من مصادمتهم

وبعد برفة يسيرة رأيت أن البحر لم يزل هادئاً والجيش يتقدم نحونا فامرت
الملاحين أن يلقوا المرساة ويلقوا الصفارات وقلت لهم لا تخشعوا وكونوا على حذر
فلا يفرقوا المركب بنا فينبغي أن نترأى إلى البحر فاربين من قواربنا ونضعوا
واحداً عند المقدمة والآخر عند المؤخر ويكون فيها رجال منتقلون الأسلحة
وبأيديهم أية لسك الماء لاطفاء النار إن أوقدها البرامزة في خارج المركب .
ففعّلنا وأخذنا ننظر وصولهم اليّا ونحن على تلك الحال حتى دنوا من مركبنا
فأرعدت فرائضنا منهم . أما عدد القوارب فكان أقل ما تختة نائب الرئيس وأخطه
نحو مائة وستة وعشرين قارباً مملوءة رجالاً في بعضها نحو مائة عشر رجلاً وبعضها
أقل أو أكثر . فلما رأونا اندمضوا جداً لأنهم لم يروا قط مركباً كبيراً نظير مركبنا
ولا على هيئة . ومع ذلك تقدموا إلى المركب بحساسة لا مزيد عليها وحاولوا أن
يهبطوا . فامرنا الرجال الذين في القاربين أن لا يمكنهم من أن يدنوا منهم
كثيراً وكان ذلك سبباً لاصلاء نار الحرب بيننا . لأنه تقدم أحد القاربين نحو
خمس أو ستة قوارب من أكبر قواربهم فاندأر إليهم رجالنا بأن يرجعوا عنهم إلى
الوراء فرجعوا ولكنهم وهم راجعون رمونا بنحو خمسين سهماً فخرجوا رجلاً من
الذين في القارب جرحاً بارعاً جداً . ومع ذلك قلت لرجالنا أن لا يطلقوا
بنادقهم وأعطينا الذين في القاربين أخشاباً يستندون بها من نياهم . أما البحار
فصنع حاجزاً من أخشاب طعنها من سهام العدو . وبعد نحو نصف ساعة
تقدموا بقواربهم اليّا فوجدنا أنهم من البرامزة كالذين كانوا بأنون الجزيرة على

انما لم نعلم ما هي الغاية من الاقتراب منا ثم بعد برهة رجعوا قليلاً وارفقوا قواربهم
ثم هجموا علينا هجمة واحدة واقتربوا جداً حتى كادوا يسمعون كلامنا . فامرت
جميع الملاحون ان لا يظهروا انفسهم شيئاً بمرموم بالدهام وميات المنافع والبيادق
للقتال . ثم قلت لجمعية لقد اقتربوا فتندر ان تكلمهم فاصعد على ظهر المركب
واسألم بلقهم لماذا يتقدمون منا . فصعد وفعل . فلما سمع كلامي منه
قريبون منا اداروا لنا ادبارهم وغير ذلك من الاشارات الشبيهة الرذيلة وربما
كان المراد من ذلك احتفارنا . ثم صاح جماعة قائلاً انهم على فة من ذي البال .
فرمينا نحو ثلاثمائة رجل منهم بنينا لم فاصابت ثلاث نبال جمعة فوقع على الارض
قتيلاً . فشق عليّ موته جداً وملاً قلبي حزناً وكآبة . ولم يصيبوا غيره لانه اظهر
لم نفسه

فهاج الدم في عروقي وملاً الغضب قلبي بمشاهدة خادمي القديم الاميت
ورقبي مطروحاً على ظهر المركب . فامرت على القوارب ان تلاحم مدافع
برصاص وقطع حديد واربعه بكال وان يطلنوها عليهم فتتلك بهم فتكاً لم يروا
نظيرة فاطلنوها وهم يهدون عنا مسافة نحو عشرين ذراعاً وقد احكم ملاحونا
توجيهها فكسروا ثلاثة او اربعة من قواربهم

اما ما اظهروه قبل ان ربهناهم بالرصاص والكلل من الاشارات الشبيهة لم
يجرك فيها الغضب ومحبة الانتقام لاننا لانبالي بافعال كنه . وكنت قد عزمت
قبل قتلوا على ان اطلق اربعة او خمسة مدافع ليس فيها غير بارود لكي تقع في
قلوبهم الخوف والرعب . ولكن عندما رأيت انهم قد رمونا بنينا لم وقتلوا خادمي
جمعة المحبوب وجدت نفسي مضطراً الى المداخلة عن المركب وعرفت ان مشاورة
ناجح الكفاح لا تقع عليّ بل عليهم والله لا يجاسني على اراقة الدم . ولهذا رغبت
في ان اكسر كل قواربهم وان اغرق كل الذين فيها

انني لا اعرف عدد الذين قتلوا وجرحوا بالطلقات المذكورة . ولكننا
رأينا ثلاثة او اربعة عشر قارباً مكسراً ومن فيها ساجداً . اما الباقون فارتعدت

فرائصهم ونهبوا ولم يعلوا الى ابن بفرون من الموت فعملت فتيانهم وتصادمت
قواربهم ورجعوا بسرعة الى الورا دون ان يهتموا بن اصبح دون قارب منهم
فاظن ان الذين ملكوا كثيرون . فوجد ملاحونا رجلاً منهم يجمع على وجه المياه
بعد ذهابهم بنحو نصف ساعة فانوا به الى المركب . وبعد نحو ثلاث ساعات
غابوا عن نظرنا الا ثلاثة اولربعة قوارب من التي نعطت ولم تحسن السير
بسرعة ولم تر غيرهم بعد ذلك . وفي مساء ذلك اليوم هبت ريح جوية فرفعنا
المرساة وسرنا قاصدين البرازيل اخذت معنا ذلك الاسير البربري الذي
كان قد تولى امره الخوف حتى انه لم يتكلم ولا اراد ان يأكل طعاماً فظننا انه
ربما مات جوعاً . واخيراً وجدت طريقة لالزامه بان يتكلم وهي جعل بعض
الملاحون ينزلون الى قارب ويهتفون ان قصدتم ان تطرحوه في البحر من حيث
انزلوا ما لم يتكلم . فلم يجد ذلك نفعاً فرموه في البحر وتركوه وحده فاجلجس
وراهم كانه سمكة ويناديهم بساوا فلم يفهموا كلامه وانكسر اخروجه ووضعوه
في القارب فرجع الى نفسه وأمس اليهم . ولم اكن قاصداً ان اذله غرقاً

فخرجت جداً من جرى موت خادمي الامين لاني كنت في غاية الاحتياج
اليه وكنت ارجو في الرجوع الى الجزيرة لاخذ من اعليها من يقوم مقامه في هذه
الساعة على ان ذلك كان غير ممكن . اما الاسير المذكور فلم يفهم لغتنا ولا فهمنا
لغته وبعد مدة طويلة تعلم بعض كلمات وحمل من لغتنا فسالناه عن بلاده .
ولكننا لم ناهم جوابه لان العاطة كانت تخرج من الحلق فكان كمن ليس له شفتان
ولسان واسنان . فكان صوته كصوت خارج من بوق فارغ وبعد مدة تعلم
بعض الكلام فقال انهم كانوا ذاصين مع بعض ملوكهم لحرب عظيمة . فلما قال
مع ملوكنا سألناه كم عددهم قال فما خشي انه قاصدة انه اثنين . فلم تقدر ان
تفهم الجمع والثنوية . فقلنا له ماذا حملكم على الاقتراب منا . قال لكي تفعل شي
عجيب من كبارنا . فكان يذكر الموت وبالعكس . والظاهر ان ذلك من
الاعمال التي لا تقدر ان تفهم عليها اكثر الام الغريبة ولو صرفوا منه طويلاً

بيننا . وكذلك جمعة الذي كثيراً ما كنت اصنع غلطة من هذا القول ومع ذلك
كان كثيراً ما يقع فيه

لا ينبغي ان اغفل عن ذكر دفن جمعة المسكوت وبعد ان اودعته بهذا
الفصل انقطع عن ذكره . فدفنناه بعظلة واحترام لا مزيد عليها فاننا بعد
ان وضعنا جثته في تابوت رمينا في البحر واطلقنا احد عشر مدفعاً احتراماً له .
وهكذا انتهت حياة ذلك الخادم الذي فاق جميع الناس امانة وحباً وحقاً
وكانت الرجحان مبروراً موافقاً لنا وتذهب بنا نحو البرازيل . فبعد نحو
اثني عشر يوماً وصلنا الى البر واخذنا نصير بالقرب من الشاطئ فبقينا على
نلك الحال اربعة ايام الى ان بلغنا راس سان اغوستين . وبعد ثلاثة ايام دخلنا
خليج جميع القديسين فالتقينا المرساة هناك وهو محل مصدر نجاتي وشفاي ومع انه
كانت لي اشغال كثيرة في ذلك المثل لم نسمح لنا بحكومة ان ندخله ولا ان
نحار الامالي حتى شريك الذي كان لم يزل في قيد الحياة وكان من اعيان
البلد ولا وكلي مع اني كنت من المشهورين بفراسة ما حدث لي من المصائب
والمساعدة الربانية التي نلتني منها . فتذكر شريك اني كنت قد وهبت دبر
الاغنياء مبلغ خمسمائة ريال وقررت على القراء مائتين واثنين وسبعين ريالاً
فذهب الى رئيس الدبر وطلب اليه ان يطلب لي اذناً من الوالي لادخل الى
والرئيس وثمانية ملاحين لا تخبر ففعل . فاذن لنا الوالي بشرط ان لا يزل من
المركب ارساقاً ولا ان نأخذ احداً من الامالي معنا دون رخصة . فدفنوا جثاً
بذلك حتى انه بصقورة كلية ادخلت الى البلد ثلاث حزم من البضائع الانكليزية
من قطن رفيع منسوج وكناف وغيرها وذلك هدية لشريك المذكور الذي
كان كريماً محباً للذهب وكان مثلي قد استغنى بعد الفقر . فارتل لي هدية
من الزاد الفاخر والمخلوقات والخمر والنيغ وثلاث او اربع قطع من النود
القدسية تساوي قيمتها نحو ثلاثين ريالاً وذلك قبل ان عرف مرادي ان اهدية
الاشياء المذكورة . اما هديتي له فكانت قيمتها نحو مائة ليرة انكليزية . وطلبت

هو ان يركب المركب الذي كنت قد انتهت به قطعاً كما تقدم الكلام لكي ارسل
 به زائناً وبعض احتياجات الى جزيرتي . فاستأجر فعلة واكمل العمل في ايام
 قليلة . ووصفت لرئيس المركب الجزيرة بدقة ووضوح بحيث لا يشكك طوبى
 وجودها . وبلغني بعد ذلك انه وصل اليها دون صعوبة . فشجته بما يلزم فطلب
 اليه احد الملاحين الذين كانوا معي في الجزيرة ان يذهب في المركب اليها
 ليرى ما بها ويتعامل اشغال الفلاحة وان اعطيه امرأ أو اليها ان يفرز له قطعة ارض
 ليعملها . فاجبت سؤاله واعطيته بعض اشياء وآلات زراعة . فقال انه يعرف
 من الزراعة حتى المعرفة لانه كان فلاحاً في ماريلند فقويت عزيمته على الذهاب
 باعطائهم كل ما طلب ووجهه الاسير البربري الذي كنا قد اسرناه في الحاربة
 الاخيرة ليكون خادماً له . فلما رأى ذلك شريكى قال عندنا رجل امين جداً
 يحب للسلامة والكثير من فلاحي برازيل وقد وقع تحت غضب الكيسة ولا اعلم
 السبب على اني اظن انه مرتوي . ولذلك قد اضطره الامر الى ان ياتي لئلا يقع في
 يد الناحدين الكائنين فلا ريب انه يسر ان يجد فرصة للنجاة بنفسه وبامراته
 وبابنته . فان سمحت لهم بالذهاب الى الجزيرة وافرزت لهم قطعة ارض ليعملوها
 ساعدهم بقليل من الدراهم لياخذوا في الشغل بها . فان مأموري الحص قد
 ضبطوا كل ارزاقهم واموالهم خلا كوخ صغير وعدس . اني اعطيتهم مع كرفي
 لماداتهم وافكارهم لاسكنهم من اثاثهم بنفسي . فاجبت سؤاله وابنته وبامراته
 وبابنته وعنديهم واخبرتهم في مركبنا حتى نشتريهم من المركب الصغير الذي كان
 مسافراً الى الجزيرة فوضعناهم فيه مع كل امتعتهم . فسر الانكليزي برهنته جداً
 اما آلات الزراعة التي اخذوها فكانت جيدة لا يعوزها شيء . واخذوا بعض
 آلات لزراعة قصب السكر الذي اخذوا منه مقداراً ليس بقليل . وارسلت اشياء
 الى الجزيرة لمنفعة شركائي منها ثلاث بقرات وخمسة عجول وخمسة عشر خنزيراً
 وثلاث خنازير حوامل وفرسين وحصاناً . وارسلت ايضاً ثلاث بنات
 مرتوءات اليهذهن الى الجزيرة قياماً بحجتي وعدي للاسبانيولين واصيبتهم ان

بنزوحهم ويرضون بسلوكهم . وكان لي افتداف على ايجاد بنات غيرهم
ولكنني قلت في نفسي ان الرجل المحكين المضطهد له ابتنان وليس في الجزيرة
من الاسياهوليين غير خمسة رجال عذب واما الباقون فان لم نصاد في بلادهم
وبلغني ان ذلك المركب وكل من فيه وصلوا بالسلامة الى الجزيرة . ولا
ريب ان اهلها يقوم بالترحاب والسرور . وكان قد بلغ عددم مع هؤلاء
الآخرين ما بين السبعين والستين شخصاً عنا الاولاد . ولما رجعت الى لوندرا
وجدت رسالات من بعضهم وردت الى هناك عن طريق اميون وسباني ذكرها
ان شاء الله

انني قد فرغت من الكلام عن الجزيرة ومن يتصلح بنية كتابي بتفصي الى ان
يحل افكاره عنها ويتبع اخبار رجل شيخ احق لم تله مصائب ولا مصائب غيره
ان يتجنب الوقوع في الرزايا والمخاطر . ولا ضمنت عنه باربعين سنة صرفها
بالمشاق والمهالك . ولا اقلع الحاج الذي لم ينتظره . انه لم يكن لي غرض البتة
في الجزائر الهندية وذهاني الى هناك كان كدهاب رجل حر لا ذنب عليه من
تلقاء نفسه الى الصين . فكان من الواجب علي نظراً لعمي وغاي ورغبي في
ترقية صالح الجزيرة ومن فيها ان اذهب الى انكلترا واخذ مركباً صغيراً واذهب
يو مقوماً سجلي الى الجزيرة اخذاً معي المهام اللازمة للفلاحة والزراعة والمدافعة
والليس كما فعلت في المرة الاولى . واطلب امراً من دولة الانكليز بان الجزيرة
تخصني حال كونها تحت حماية الدولة الانكليزية وهكذا احصتها واقومها باسم
انكلترا واريد اهلها او ان اني في الجزيرة واجلب اليها ما يلزم بالمركب الذي
كنت قد اتيت به . ولكنني لم اتبه الى ذلك لان افكاري كانت تلب في افاضي
الارض . وسلي نحو السمر والجولان يشند في بكير سني . واكتفيت بان اكون
مدبراً للذين اسكنهم الجزيرة منذ ما كل احتياجا منهم من مالي

اما الاخبار التي وردت علي من اهلها فكانت رسالات ارسلوها بواسطة
شريك الذي ارسل اليهم مركباً ثانياً فلم تبلغني الا بعد حين عديدة لاني كنت

غائبا عن لوندرا . فاخبروني ان احوالهم كانت غير جيدة وقد سمعوا من القدام
في الجزيرة مدة طويلة . وان ول انكتر كان قد توفي وان خمسة من الاسبانوليين
خرجوا من الجزيرة ورجعوا الى اوطانهم . وان البرابرة لم يضايقوم غير لغة
وقعت بعض مناوشات وفضلاً عن ذلك بطلهون التي ان اقيم يعني وعدي
باخراجهم منها ليروا اوطانهم قبل الموت

فلم اقدر ان اوجب طلبهم لانني كنت غائبا عن لوندرا عند ورود
رسالاتهم تاتيها في الارض فمن شاء ان ينف على حقيقة اخباري فليشر اذ ياله
ويقتو اثر في مطالعة اخبار حداثي وبأمل في المصاعب التي اوقعني فيها بد
العدل تأدياً من جرى طمعي فليشر باقتدار العدل الا لمي لانه بقوي اميالا الى
بعض الامور ويحمل اعظم مشغباتنا واسطة اقصاصنا واظهار عدله فينا . فاليها
ولذلك لان ما يمننا هو ما طرأ علي والواقع انني عزم على السفر

اما المخوري فعزم على الذهاب الى لسبون في مركب كانت هناك على قمة
السفر . فاستاذني وقال اني ارجع الى حيث خرجت لانه قد قدر علي ان لا
البلغ مقصدي فلو ذهبت معه لم سعي ولكن هل من دافع للندروا كنت لي
رائفة لحرمن طالع اخباري الا في مطالعة اخبار سفر روبنصن الثاني . فذهبتنا
من البرازيل فاطعن الانلا تملك اليان وصلنا الى راس الرجاء الصالح . فكان
سفرنا مقرونا بالراحة والتوفيق الا ان الرياح ضادتنا دون ان تقع في بلاء
فان الظاهر ان مصائب البحار قد انتهت وان بدأت بلايا اليابسة وهذا دليل على
ان في اليابسة اخطاراً كما في البحار

وكان مركبنا مشحوناً اوراقاً لبعض القهار وكان فيه وكيل من قبلهم لكون
المركب خاضعاً لوامره بعد الوصول الى راس الرجاء الصالح من جهة
الذهاب الى بعض بلدان ليعريف البضائع وقد عبت منذ ذلك فلم اتناخل
في هذه الامور لانها كانت من تعلقات الوكيل المذكور وان اخي رئيس المركب
فلا تحسون الدهر يني على الصفا و فلها يوم وللنوس ايام

النصل الحادي والاربعون

مقالة

فلم نطل الاقامة في راس الرجاء الصالح وشرنا قاصدين كوروماندل
بعد ان اخذنا ما نحتاج اليه من الماء العذب . فبلغنا ان مركبا فرنسويا حريا
كان قد ذهب الى الجزائر المندية فخطبناه لان دولتنا الانكليزية كانت تحارب
الفرنسويين حينئذ . ولكم لحسن الحظ لم يصادفنا

لا لزوم للتفصيل على من يطالع اخباري بوصف جميع الاماكن التي رأيناها
ولا يذكر تفاصيل كلها صادفناه فاكفي بذكر اسماء المحلات التي اتيناها مع ما طرأ
عليها في خلال السفر من الامور المهمة . فدخل الاول الذي اتيناه جزيرة
مادا سكرك فاعطينا اهلها بالترحاب وكانوا يقتلدون من الاسلحة النارية والنبال
والرماح ولم راحة لا توصف في استقامتها فاعطيناها اسماء قليلة من سكانها
ومنصات وغير ذلك فاعطونا احد عشر تورا مسما فاعطيناها واسمها بعضها
لذجة في السفر واما الباقي فتدنا لحية . واسمعت الحمال على هذا السؤال مدة
فلم نذهب بعد ان فرغنا من التزود بل التزمنا ان نصرف برهة هناك .

وكان لي ميل شديد الى التفرج على كل ما حولي فذهبت الى الجزيرة مرات
عديدة . فني احدي الليالي ذهبت الى الجهة الشرقية منها فاجتمع اليها اهلها لانهم
كانوا كثيري العدد ووقفوا عن بعد يفرسون فيها فلم تغش سوء العاقبة لانا
كما قد ناطقنا الاقبال معهم دون ان يحصل ما يكبرنا او يكدرهم . وكما قد
قطعنا ثلاثة الحصان من شجرة وغرسناها في الارض امانا . وعندما انت هذا
علامة السلام . ومن عادتهم انهم اذا قبلوا بالسلم يقولون تلك الاشارة بقلبي اي

ينقطعون ثلاثة اغصان ويغرسونها امامهم ومن شروط هذا العمل ان لا يتجاوز
 احد الفريقين اغصان الفريق الثاني وان شاء احد الفريقين ان يكلم احد
 الذين في الجهة المناهضة بمجرد نفسه من سلاحه ويوضع عند اغصان قومو ويتقدم
 مجرداً الى الصحفة الواقعة بين اغصان الفريقين وكذلك يفعل الفريق الثاني .
 وان وقع اثناء ذلك نزاع او نقض عهد يرجعون الى وراء اغصانهم ويتفقدون
 اسلحتهم ويهاجمون الفريق المعندي . وهكذا تنتهي المسألة وتبدي الحرب
 في ذات الايام ذهبا الى الشاطئ فاجتمع حولنا من اهالي الجزيرة جمهور
 يزيد عدده عن العدد الاعتيادي وكانوا يأتوننا بزيادة مختلف وكما نعطيهم
 العبا وآلات افرنجية وكذلك النساء فكُنْ ياتونَ اليها حاملات اللبن واصول
 الخيل . فكان التبادل يجري بيننا وهم يظهرون علامات الترحاب والسرور .
 فاستأننا وصنعنا لانفسنا مظلة من اغصان الاشجار وبنينا تلك الليلة في الشاطئ .
 اما انا فرفضت ان اتي في الجزيرة مع ارفاقي ولا اعلم سبب ذلك فناديت احد
 الملاحين الذين كان في قاربنا على بعد مسافة رمية حجر عن البر ان يتقدم
 بالقارب . فاتي فقطعت بعض اغصان ووضعتها في القارب لكي استظل بها من
 رطوبة الهواء ونمت فيه . فعند الفجر سمعت صوت احد ارفاقي الذين كانوا في
 البر بصرخة مائلاً نحو شواطئنا وتقدموا بالقارب واذهبوا بنا والآنموت فقللاً . ثم سمعت
 صوت اطلاق خمس بنادق ثلاث مرات متتالية . والظاهر ان اهالي هذه
 الجزيرة لم يكونوا يخشون الاسلحة النارية مثل البرابرة في امركا . فتجبرت في
 امرتي ولم اعلم ماذا ينبغي ان اصنع فوثقت وتقدمت بالقارب الى الشاطئ وعزمت
 على نجد ارفاقي واسعافهم في القتال بثلاث بنادق كانت معي في القارب . فلما
 وصلنا الى الشاطئ نهق اليها ارفاقي الذين كانوا في البر غاضبين في المياه لان
 القارب كان لا يزال بعيداً مسافة يسيرة عن اليابسة وكان نحو ثلاثمائة او اربعمائة
 رجل يحيطون السير وراءهم ليقاوموا وكان عدد رجالنا تسعة . خمسة منهم كانوا
 متفادين بنادق والباقون غلارات وسيفاً ولكنهم لم نجد لهم نفعا

فاصعدنا منهم سبعة الى القارب بصوبة كلية لانه كانت قد اصابنا النيران
او ثلاثة منهم السهام وجرحهم جراحات بليغة جدا فضلا عن ذلك كما
نصعدم الى القارب ونحن في خطر من نبال الاعداء كما كانوا هم في البر لانهم
كانوا يرموننا بنبال تساقط حولنا بكثرة لا توصف فصرنا القارب من جهتهم
يلوحين او ثلاثة الواح وجدت بالتصادف في القارب وملا من أكبر الشقوقات.
ولو وقع المخصام في النهار لقتلونا جميعا لانهم كانوا يحسبون رمي النبال وكانوا
يصيرون الاغراض برميها. اما نحن فكانا نرى بعضهم بنور القمر وهم واقفون
عند الشاطئ يرموننا بالنبال والاختشاب. فلانا بنادقنا واحكنا توجهنا نحوهم
واطلقناها عليهم فعلا منهم ضحج وعويل فعرفنا بذلك اننا قد اصبنا كثيرين
منهم. ومع ذلك لم يذهبوا بل اتوا واقفين عند الشاطئ وهم مستعدون للقتال
حتى اصبح الصباح. فعرفنا ان قصدم ان يرمونا بالنبال وهم ناظرون البنا
لنقتلوا صحة فعل ليالم

فبقينا على تلك الحال ونحن لا نقدر ان نرفع المرساة ونشر الشراعات.
لان ذلك لا يتم الا بالوقوف في القارب وان وقفنا نمرض انفسنا لبال العدو
التي تصيب من نرى عليه الاحمال. فاطهرنا اشارات الصيفة لمركبا فعرف منها
ابن اخي ومن اطلاق البنادق نحو البر اننا في ضيق وكان بعدا عما نحو ميل.
فرفع مرساة مركبو وتقدم بسرعة نحو الشاطئ على قدر امكان وارسل قاربنا ثانيا
فيه عشرة ملاحين ليقبضوا. فنادى بهم ان لا يقتربوا من الشاطئ لان خطر الموت
يهددنا فتوقفوا انفسهم في خطر الهلاك. فوقفوا بقاربهم بالقرب منا. ثم امسك
احد طرف حبل وخطم ثيابه ونزل في البحر واخذ يسبح حتى وصل الى قاربنا
الذي كان يستتره عن اعين الاعداء لانه حال بيننا وبينهم فربطه بالحبل فاطلنا
المرساة فاربنا بعد ان رطلنا به علامة لكي لا يضيع فمرونا بالحبل اليهم
فعدنا عن الشاطئ بحيث لا نذكر كما بهام الاعداء وكما في غضون ذلك مستترين
بالاواح المار ذكرها

فبعد ان خرجنا بفارنا من المكان الواقع بين المركب وبين الشاطئ وجه
جانب المركب نحو الاعلام اطلقت المنافع الملوثة حديدًا ورصاصًا عليهم فقتل
وجرح منهم كثيرون

فبعد ذلك تقدمنا الى مركبنا وصعدنا اليه وهكذا ابتعدنا عن خطر القتل
بالنبال فاحذنا نقص عن سبب ما جرى بين ملاحينا واهالي الجزيرة . فقال
لني وكل الشحن الذي كان في المركب وكانت له اخبار في عوائد اهالي تلك
الانظار لانه كان قد اتانا قبيلاً ان اهل الجزيرة لا يبتعدون على احد بعد ان
ينبلوا السام دون سبب كاف لخرق اليهود . فاصاب ظنوا لان سبب ذلك
جمود هو ان امرأة مسنة انت داخل اغصانها لتبيع ارفاقنا لينا وانت معها فتاة
حاملة بعض اصول اشجار واشباب (ولان لم هل هي ام الفتاة او تسينها) فيها
كانت المرأة المسنة مشتتة في بيع اللين تقدم احد رجالنا الى الفتاة ونحو حدود
الادب في الاشارات معها . فلما رأت ذلك المرأة المسنة اخذت تصرخ وندت بعيت
بقومها ولم تمنع ذلك الرجل عن بيع فعلوا لانه كره ان يخسر تلك الفرصة . بل
ذهب بالفتاة من امام عين المرأة ودخل بها الى بين لوف من الاشجار ونال
منها مائة . وكان الظلام قد غشى وجه الارض حيثئذ فرجعت المرأة وحدها
وقد تركت الفتاة . ولاربع انها اخبرت قومها فاجتمع منهم جيش عرمرم في
ربعة ثلاث او اربع ساعات ولولا مساعدة العنابة فلما اجمع

ففي اول مهمة رموا احدنا بحرية وهو خارج من المظلة التي صنعوها من
اغصان الاشجار فوقع قتيلاً . اما الباقيون فلقوا بانفسهم ما عدا الرجل الذي
فعل التسع وهو سبب جميع هذا الشرفاء وقع في ايديهم ولاربع ان حب معلنو
(كانت قول العامة) السوداء نشاءة مودة . وضت مدة طويلة دون ان تنف
على حليقة خبره فيها تنظرة في المركب مدة يومين ونحن نرفع له اشارات
ليأتي الينا مع ان الريح كانت تهب معنا . ثم ارسلنا فارنا الى قرب الشاطئ
فسار من جهة الى اخرى املاً بان يراه فهاتي اليه ولكن لم يجر ذلك نقماً

فقطعنا الامل من رجوعه واجمع ظنا على انه قد هلك . ويا حبذا لو كان ذلك
بهاية البلايا

فلم أرغب في الذهاب من هناك دون ان انزل الى البر لكي اقف على
حقيقة خبره ولدي نتائج المخاربة وعدد القتلى منهم فذهبت الى البر في الليل ثلثا
برانا اعالي الجزيرة فيها جونا وبضايقونا كما فعلوا المرة الاولى على انه كان من
المتقضى ان اخضع الرجال الذين اخذتهم معي من المركب الى سلطتي لتلايدو
منهم ما لا يوافق . وكان عددهم نحو عشرين رجلا خلا وكيل الشن وكانوا
من اقوى رجال المركب واشجعهم . فوصلنا قبل نصف الليل الى المحل الذي
كان اعداؤنا واقفين فيه الليلة الماضية واثبت ذلك المكان لاري هل رجعوا
الى محلاتهم او لم يزلوا يائسين هناك . وكان قصدي ان اتبص على اثنين منهم ان
امكن فلا نسلها الى قومها حتى يسلونا رجالنا

فوصلنا الى البر دون ان نملونا فحمة وفسنا رجالنا فسمين وللمسح فبادة
احدها الى وكيل الشن وتوليت انا قيادة الثاني وتقدمنا الى داخل الجزيرة على
اننا لم نرا احدا ولا سمعا صوتا . فبعد برهة غير احدا المتقدمين بحمة قبل ووقع
على الارض فوقف واضطر قدومي لانه عرف اننا قد وصلنا الى حيث كانت
اعداؤنا واقفين . فلما وصلت اليهم عزمنا ان نبقى هناك حتى طلوع القمر لاري
بنور القمل الذي قلوا في الحرب . وبعد برهة قصيرة ارسل البدر نورا
ونظرنا به ان عدد المتوليين من اعدائنا هو اثنان وثلاثون رجلا وكان اثنان منهم
لا يزالون في قيد الحياة . فبعضهم كانوا دون يد وآخرون دون ارجل الى غير
ذلك ما يظهر برائة رجالنا في اطلاق المنافع والبنادق . اما بقية الخارج فاطن
انهم اخذوا منهم الى منازلهم . فبعد ان فرغنا من البحث عن عدد قتلى اعدائنا
عزمنا على ان ارجع بالرجال الى المركب . فمارضني رئيس القارب وجماعة
فانلونا اننا قد عزمنا على التقدم حتى ندرك هؤلاء المسود الكلاب . فان ادركناهم
لا ريب اننا نأتي بالغنائم وربما وجدنا نوم جنري او هو الرجل المنقود) فطلب

الهلك ان تذهب معنا . فلو طلبوا اليّ ان آذنت لهم بالذهاب لكنت رفضت
اجابة طلبهم وامرهم ان يرجعوا حالاً الى المركب لانه ليس من خصائص من
سلط اليهم ادارة مركب فيؤمن ان يتركوه وبذهاب قاصدين شن الغارات
واغتنام الغنائم فاذا فقد بعضهم يقع ضرر عظيم على المركب لا يقتاروه الى رجال
خاصة وهو في وسط البحر . فرفضت ان اذهب معهم ووثبت من مكاني قاصداً
الذهاب الى القارب فشرح احد الرجالين اللذين كانا معي ان يفوض بي وبنيض
فتي لكي اساهم على اجراء مقصودهم . ولكنه بعد ما رأى انه لا فائدة من ذلك
اخذ يندمر وقال اننا لسنا بمخاضيين لاوامرك ثم التفت الى رفيقو وقال هلم
يا جاك تذهب . فاجابة صابراً ثم تبعه آخر ثم غيره وبالاختصار لم يبق غير رجل
واحد حملته على الاشباع عن الذهاب معهم فرجعت معه ومع وكمل النحن
الى القارب الذي كان فيه والد بجرته قد خلتا وبنيض فيؤنظر رجوعهم لاننا
وعندنا ان لا نذهب بالقارب حتى يرجع اليها من بيني سائلاً منهم لاني ظننت
انهم سيذوقون كأس الحمام التي ذاقها رفيقهم نوم جفري

وكنت قد اخبرتهم قبل ذهابهم بذلك . فاجابوني كمادة الملاحين من
عدم التبصر في عواقب الامور انهم يرجعون بعد برهة يسيرة لا محالة . والله لا
خطر عليهم الى غير ذلك ما يبلي في انفسهم الجهلة عند ما يرغبون مهاجمة
صعوبة او ارتكاب مخاطر . فقلت لم اتوكل اليكم ان لا يبرح من اليكم انكم لستم
لانتمكم بل للمركب لانه قد سلط اليكم ادارته وان اصابكم ضرر لاسمح الله ربما
اصاب المركب داعية تفضي به الى العرق لاقتناره اليكم . فباذا تمحسون الدباب
معي سألكم عن ذلك . على اني لو كنت صاري المركب لامر فيؤ كلامي اكثر
منهم لان الميل الى الشر كان قد غلب عليهم وتولى امرهم . ولكم لم يفوضوا بما
يفضي بل طلبوا اليّ ان لا اغضب عليهم لانهم لا يشكون في انهم يرجعون بعد
نحو ساعة لان مدينة المنود لا تبعد عن الشاطئ اكثر من نصف ميل والحقيقة
كانت بعيدة عن نحو ميلين

ومع ان اخطاراً عظيمة تكررة كانت تهددهم لم يبالوا بها بل تقدموا اليها
كانهم متقدمون الى واحة فيجى لم الشكر على شجاعتهم التي لا مزيد عليها واليوم
لا لاه لا يفتخ ما انقصوه من ثوبن جصن العفل والفيز. وكانت احفهم كاملة
جودة جداً فكان كل منهم مثلاً بندقية وحرية وغنارة ومنهم من كان معه
فؤوس وبعضهم سيف الى غير ذلك من الاسلحة. ولا ريب ان العالم لم ير
قط رجالاً اتد منهم بالسا وشجاعة متقدمين الى فعل الشر

وكان متقدروا اغتنام العالم وظلوا انهم ربما وجدوا في البلدة ذهباً.
ولكنهم صادفوا ما لم يكونوا يتوقعون فلا قلوبهم غرظاً وانما ج الدم في عروقهم
وحركتهم الشر فاصح كل منهم كانه عثرون اليها قد اطلقوا من حلقهم فلما
بلغوا بيتاً من بيوت اليهود وهي التي رأوها عن بعد وظنوا انها البلدة خاب امامهم.
لانها كانت قليلة وليس سواها في تلك الجهة. وكانت نحو ١٥ بيتاً. فقال
بعضهم للبعض الآخر اما نظن ان هذه البيوت الصغيرة ليست بالبلدة التي خرج
منها جميع الجيش الذي هاجمنا. فلا نعرف موقعها ولا عدد سكانها فاحذوا
بتشاورون في ما ينبغي ان يفعلوا ففعلوا في امرهم جداً وقالوا ان هاجمنا ساكني
هذه البيوت القليلة نبلغ منهم الى لا محالة ونذهبهم اجمع لاننا اكثر منهم عدداً.
على انه ربما نجح واحد منهم وسار مستنجداً اهلها فيخرجون اليها الوقت. وان
ذهبنا فاصدق المديونة دون ان نوقع هؤلاء الويل لا تعلم الى اية جهة يجب ان
نذهب على انهم استمعوا الراي الاخير وهو ان يذهبوا دون ان يسيروا من في
تلك المنازل القليلة ويجهدوا في البحث عن البلدة على قدر الامكان. فلما
تقدموا قليلاً وجدوا بركة مريضة بشجرة. فعزموا على ان يخلوا رباطها ويصلوا
سبلها فالتفتين لا ريب انها لبعض اهل البلدة فان ذهبت الى جهة غير البيوت
التي رأيناها فلو انهم لانها نذهب الى البلدة فنقطعوا رباطها وكان ذلك من
الاراء المصيبة. فاخذت بالمسير امامهم ففعلوها حتى وصلوا الى البلدة التي قالوا
انها مخبوء على نحو ما اني رمت فلما اقتربوا منها لم يسموا صوتاً ان اهلها كانوا

جميعاً راقدين . فعندوا ديوان مشورة في ما ينبغي ان يفعلوا . واشتبهوا انهم
عزموا على ان ينقسموا جمهورهم الى ثلاث فرق . كل فرقة مهاجم البادية من جهة
وان يذهبوا على كل من خرج نحوهم ويوقوه . فان منهم احد يقتلوه . ثم
يذرعون في البحث في سائر البيوت عن الغنائم التي فيها . على انهم عزموا ان
يسموا قبل مهاجمتها يدو في وسطها مستكشفين . فان وجدوها كبيرة وان
ساكنها كثير والعديد بحيث لا يمكنهم التغلب عليهم يرجعوا عنها

ففعلاً وصمموا على مهاجمتها غير مهالين بسوء العاقبة ونتائج تلك الحاربة .
فيما كان بعضهم يمرض اليمض الآخر على الاقدام واليات صرخ ثلاثة منهم
كانوا قد تقدموا قليلاً هوذا نوم جنري . فاسرعوا اليهم فعد ما وصلوا رأوا
جهة ذلك المنكود الحظ معلقة بشجرة يدو الجردة وهو مذبح . وبالقرب منه
مثل فيه نحو ستة عشر رجلاً من اعيان الهنود الذين حاربهم قبلاً ومنهم
ثلاثة رجال جرحى برصاص بنادقنا ومناقبنا . وكانوا في بقعة يتكلمون وم
داخل البيت

فأرغمهم جنأ منظر رفقهم المقتول . وهاج الدم في عروقهم وملاً الغضب
انفد منهم ونحلقوا باله لا يد من الاقدام منهم وانهم لا يرحمون من وقع منهم في
ايدهم بل يذيقونه مرارة الموت . وهكذا شرعوا في جمع مواد سريعة الاشتعال
لحرقوا بها البلية . فبعد البحث عن ذلك برهة قال بعضهم لليمض الآخر لا
حاجة الى ذلك لان البيوت من اخشاب وشمع فدية وأوراق اشجار يابسة
فيمكننا ان نحرقها حالاً . فاحذوا قليلاً من الدارود ورطوبة الليل من الماء في
ايدهم وجبلوه وهذه الجبله تدعوها العامة فيع الشيطان . واحرقوه وواحرقوا
برهة وجيزة اربعة او خمسة بيوت في انظار مختلفة من البادية منها البيت الذي
وجدوا فيه الرجال المار ذكرهم

فلما شبت النار بادر الذين في البيوت الى الخروج ليحرقوا بانفسهم من
الموت حرقاً . وكانت قرانصهم ترعد وقد علا منهم عويل وصيح . فكان رجال

الركب واقفين خارجها يفتلون كل من خرج منها. اما الذين كانوا في البيت المذكور آنفا فعند ما شعروا باللهيب خرجوا فصد بهم رئيس الفارب وقتل اثنين منهم فرجع الباقون الى الوراء ودخلوا البيت. فاخذ قبلة (وهي كفة مجوفة داخلها بارود ورصاص وقطع حديد) ورماها في وسطهم فلما رأوها فزعوا جداً. فبعد برهة التهرت واضرت جميع من في البيت خلا قليلين جداً. فخرجوا صرخة هائلة وضجوا ضجة مريعة. فقتل وجرح منهم كثيرون خلا ثلاثة حاولوا الخروج من الباب فقتلهم الرئيس وهم خارجون طعناً بجرده. فلما ما جرى خارج ناك الدار

وجرى ذلك دون ان يطلق الملاحون بدقية لانهم لم يريدوا ان يوقظوا اهل البلدة في وقت واحد لئلا يتكاثروا عليهم. اما النار فكانت تمتد من مكان الى آخر فيستيق من في البيوت التي تدركها النار فيقتلهم الملاحون وهم خارجون منها لينجوا بانفسهم لانهم كانوا يتوقعون اثر النار. على انهم لم يفرقوا كثيراً ولكنهم اجتمعوا في اربعة او خمسة جماعات. وكان كلما خرج احدهم من بيت برام خارجة فيقتلونه طعناً او ضرباً. وكان في غضون ذلك كل فريق منهم ينادي الآخر قائلاً لا تنس نوم جندي. ثم اخذوا سيف اطلاق البنادق لان اعداءهم كانوا قد تكاثروا

فلما رأيت النار وسمعت اطلاق البنادق ارتبكت جداً وتغيرت في اسري وملاً الخوف قلبي لاني لم اعلم السبب ولا ماذا اصاب رجالنا. اما ابن اخي الرئيس فابتهل ملاحو المركب عند ما رأى الليب فصعد على ظهره. فلما رآه يتنفذ وصوت اطلاق البنادق متصل ارتعدت فرائصه خوفاً لانه لم يعلم ماذا حل بنا من الويل خاصة لانه لم يعلم هل انا واكل النخ من الاحياء او الانوات ولم يكن يقدر ان يأتي بجميع الملاحين ليجدهم لانه ظن اننا في ضيقة شديدة فلما وصل اليانا نحن الذين بقينا في الفارب اندمش جداً عند ما رأى واكل النخ والولد الحارس ورجلاً آخر. فسرنا سلاتنا على انه الحق في مطلب

الدو ضيع عما كان جارياً في البادية . لأن اللهيب كان يزداد واصوات اطلاق
البنادق تكاثرت والصخب يشتد . فلما ركب ان كل من نظر ما هو كذلك بشناق
جدا الى الوقوف على حقيقة المجاري وتأكد سلامة الرجال . فقال لي الرئيس
اني ذاهب لبحر رجالي مع قطع النظر عما يخيم عن ذلك من الشر او الخير .
فقلت له لانس ان سلامة المركب والشحن ومن فيه ثوق عليك فلا تخاطر
بنفسك وتغلب الضرر والادى على اصحاب الشحن . فابق انت ها واذهب اما
وهذان الرجلان ومحاوّل الوقوف على حقيقة احوالهم دون ان تشرك معهم في
عالمهم ورجع اليك بالخير . فلم يوتر فيه كلامي باكثر مما اتر في ملاحيو . فقال
لا بد من الذهاب وبالي اني ابيت بجميع ملاحي المركب لخدمتهم . لانه جانا ان
اترك رجالي يهلكون لعدم اسعائي اليهم فاني افضل ان اضرب المركب وما فيه
بل ان اهلك على ذلك . ثم ذهب . فلما رأته قد ذهب لم افكر ان اضبط
نفسي عن ان اتبعه ففتوت ابره حتى ادركته . وكان قد امر اثنين من الملاحين
ان يرجعوا بالفارب الذي الى فيه الى المركب وبأقوا بالني عشر رجلاً . اما
الفارب الذي اتبعنا فيه نحن فالتينا مرساة وتركناه وقال لما مشى رجعنا بالرجال
انما ستة منهم في الفارين لغير سواها . واما الستة الباقون فلخرجوا لخدمتنا . وهكذا
لم يبق في المركب من كل الرجال غير ستة عشر رجلاً . فكان جميع من فيه
نحو خمسة وستين رجلاً فخدمهم اثنان في الحارة الاولى التي جلبت كل هذا الشر
فبعد ان ادركه الرئوس ومن معه اخذنا في المركب كروب الرمح فاصدين
الحل الذي كانت ينفذ منه اللهيب . فكما كلما تقدمنا يشتد صوت الصخب
والعويل والصراخ وكان يفوق صوتهما صوت اطلاق البنادق وملاً فلو بنا
خوفاً ورعدة خاصة قاي لاني لم ارفعلاً محاصرة مدية وفجها . على اني كنت
قد قرأت كثيراً عما فعله تيمورلك العاقي الظالم عد ما فتح مدينة دمشق وقتل
كبارها وحاربها وغي برحاً من مائة الف جبهة . ولكن الساع والراء ليسا
كشاهدة حنيفة الدلاء والويل والتمسار والظلم التي تقع في مواقع كك وهي ما

بقصر القلم بل اللسان عن وصفه . فصرنا الى ان وصلنا الى البلدة . على اننا لم
 نقدرا ان نسير في اوقتها لان النسيم كان قد اكتنفها . فالتفتي الاول الذي
 نظرناه من آثار اعمال رجالنا الوحيدة كان بنا مهدوما وامامة على الارض جثت
 اربعة رجال وثلاث نساء شاعداها بتور النسيم . واظن اننا رأينا جثتين غيرها
 مطروحتين في وسط النسيم . وتلك المناظر بشعر منها البدن ونكرها الانسانية
 وتدل على ان فاعليها ليسوا من البشر بل من الحيوانات بل من الابل . فلم
 اصدق ان رجالنا هم الذين ارتكبوا تلك الفياض والشرور . فتحكنا ان كلاً منهم
 يفتنى ان يقتل معذبا فاصاً على قبيح فعلا . ثم تقدمنا قليلاً وكانت الدار
 تزداد والنسيم يشتد والعويل يزداد كند السماء فارزكا ونحمرنا جداً . ونحن
 على تلك الحال واذا ثلاث نساء عربيات خارجات تلو منهن اصوات مربعة
 راكضات طالبات النجاة من الموت وفي اثرهن ثلاثة من رجالنا الوحوش بل
 الابل . يماولون ادراكهن وذبحهن . فلما رأوا انه لا أمل لهم بالقائه التفتض عليهم
 اطلقوا بنادقهم عليهم فاصابوا احدهم فمقطعت على الارض مقتولة غيبط بدنها
 ولما رأنا المنود غلبوا اننا بطاردوم فصرخوا صرخة هائلة خاصة السماء وسقط
 على الارض اثنان منهم من شدة الخوف . فلما رأيت تلك المناظر المزعجة وسمعت
 ذلك الصراخ المزعج خنق قلبي وجري الدم بارداً في عروفي وهاجت في
 القوة والروية حتى انه لو بقي اولئك الثلاثة الانكليز بطاردون ذلك الجحور
 المنكود المظلم لجمعت رجالي برؤوسهم بالرماس . فاظهرنا للظن ودين اشارات
 بها يعلمون اننا لا نوقع بهم ضرراً ولا اذى . فدنوا على النور منا وجثوا على
 ركايم عند اقدامنا رافعين ايديهم نحو السماء وطلبوا اليها باصوات موزنة
 ان ننقذهم من الهلاك الذي كان يهددهم . فاشيرنا اليهم اننا نجيب نوملائهم
 فنهضوا واجتمعوا وراء ظهورنا وهم يرجنون خوفاً ويتوجعون حرناً ولوعة .
 فلو صيت رجالي ان لا يؤذوا احداً بل ان يبنوا مجتمعين في مكانهم حتى ارجع
 اليهم وذهبت فاصداً تخييد نار تلك الدقة والرفوف على ما حملهم على اصلاء

فأراها . وإن أخبرهم أنهم إن بقوا إلى الصباح هناك ربما يذبحهم مائة ألف رجل
يجمعون من أقاصي الجزيرة لينصروا قومهم . فتقدمت إلى وسط الجمعية مستحضراً
مع اثنين من رجالي فرأيت ما بكل قلبي عن وصفه من المصائب التي نزلت
بأولئك الأقوام . فكنت أرى هذا يصرخ من ألم جرح وذلك قد أحرقت
رجله وتلك يدها وهناك ظهرها . ومنهم من يدوس النار طالاً للفرار . ورأيت
امراً كانت قد سقطت في وسط اللهب فاحترق جسدها فكالت نوح خوفاً
والدماً . ورجلاً أصابه رصاص في ظهره فنفذ من صدره فسقط على الأرض
ومات على مرأى مني

فرغبت في أن أقف على حافة أسباب هذه الأعمال وأكفي لم أفهم ما كانوا
يقولونه على أنني رأيت من بعض أشرائهم أنهم لم يعلموا سبباً لذلك . فأت ظفري
على إصبعي لأنه لم يكن لي طاقة على مشاهدة أعمال فظيعة وحشية كهذه . وانتهيت
راجعاً إلى رجالي وقد عرست على أن أذهب بهم إلى محل الكناج بل محل
المدججة خائفاً في وسط اللهب المتدفق لكن أردد المعتدين عن شرم غير مبال
بسوء العواقب . فلما انتهت رجالي أخبرتهم بعزمي وأمرتهم أن يقتلوا الثري وإذا
أربعة من رجالنا وفي مقدمتهم رئيس القارب قد تقسوا إلينا داتسين جئت
الذي الذين جندلهم بعد سيوفهم والدم والرساد قد البهم ثوباً فوق ثيابهم وهم
يزرون كالأسود الضاربة . قالوا عنا وذهبوا قاصدين الفتك في أولئك
الأقوام . فإدام رجلاً بصوت عال إن بأنوا إليهم فلم يسبحهم . ثم ناداهم أحدهم
بصوت مرق احتشاه السماء فسمعوه وأنابوا . فلما رأنا رئيس القارب ضح فرحاً لأنه
ظن أننا أتينا لمساعدته على قبح عملوه . فتقدم إلينا وقيل إن كلمناه قال لي إيهما
الرئيس اسم بك أنني لمسروور من حضورك لأننا إلى الآن لم نعلم نصف العمل .
تألم من الخلال أنني لا أفطن منهم قدر شعور راس يوم المحكمت ولا متاصلن هذه
الأمه . ثم ركض بسرعة قاصداً نعيم الشر دون أن أكلمه
فحركت في كلماته عواطف الغضب وناديت بصوت مرتفع أيها المصائب

البحر ماذا فعل . ان اضر احدكم احد اعالي هذه الجزيرة موت قتلاً بعد
 حاصري . فنف هنا ولا تترك والافلا تحسب نفسك من الانبياء فقال يا سيدي
 ما هذا هل تعلم ماذا تقول وماذا فعل هؤلاء الوحوش اعالي هذه البادية . فان
 كنت نرغب ان ننظر ماذا جعلني على فعل هذه الافعال انهم . فنبهته قليلاً
 فاشار الى شجرة واذا نوم المكود المحظ معلق في احد اغصانها وهو مذبح . فلما
 رأيت انشعالت في نار الغضب ولو لم يكونوا قد تجاوزوا حدود الاعتدال في
 فعلهم بهم لكنت حاولت القيام بحق ثارهم . وتذكرت كلام يعقوب لولديو سمعان
 ولاوي وهو ملعون هو غضبها لانه كان شديداً وحدها لانه كان شريراً . فلما
 رأي من معي من الرجال رفعتهم على تلك الحال فاجروا وطلبوا الانقام فاخذت
 اخذ نار غضبهم وتكبدت العناء توارى اعالي مع الباقين لرد عنهم عن قبح فعلهم .
 وابت اخي هاج واخذ في مساعدتهم عند ما رأي راس المقدول . وقال على
 سمع منهم اني لا احشي غير تكاثر الانبياء عابوا . اما اعالي هذه البادية فعدي
 انه يجوز فعلهم اجمع لانهم قد اشتركوا في فعل ذلك المكود المحظ . فلما سمع هذه
 الكلمات رجالي ذهب منهم ثمانية مع جماعة رئيس القارب ليمسوا ما ابتدأوا به
 من قبح فعلهم . فلما رأيت انه لا اقتدار لي على رد عنهم اثبتت راجعاً بهم ولوعة .
 لانه لم يكن لي طاقة على الفرس . في تلك المظاير المربعة خاصة استماع صراخ
 اولئك الذين يوقعهم فحسهم في ايدي رجال المركب

فلم رجع معي غير وكل الثمن ورجلين آخرين . فسرنا فاصدق القارب .
 فكان من الواجب علي ان لا ارجع وحدي مع ارفاني الثلاثة بل ننظر رجوع
 الباقين لان الصباح كان قد اصبح وخبر ما حصل ملا الجزيرة . وكانت عند
 البيوت الثلاثة المذكورة نحو اربعين رجلاً متفادين قسماً وسهاماً ورماحاً . على
 اني بالصادف بليت عنهم وذهبت من طريق اخرى حتى وصلت الى الشاطئ
 وكانت الشمس قد طلعت . فتزلت مع من معي في القارب وذهبت فاصداً
 المركب . ثم ارجعنا ليأتي بالباقيين

فلما وصلت الى القارب لاحت في الفتنة نحو البلدة فرأيت ان اللهب قد خمد والمصراخ قد قل . على انه بعد ان وصلت الى المركب نحو نصف ساعة سمعت صوت اطلاق بنادق ورأيت دخانا كثيفا يتصاعد . فاخبروني بعد رجوعهم انهم رموا بالرجال الذين كانوا واقفين عند البيوت القليلة المذكورة آنفا . فقتلوا منهم ستة عشر او سبعة عشر رجلا واحرقوا جميع البيوت الا انهم لم يوقدوا النساء والاولاد

فلما وصل القارب الذي اتيت به من المركب الى الشاطئ اخذ رجالنا بالرجوع فلم يرجعوا جملة بل كل واحد او اثنين موية حتى انهم لو ادركهم جمهور قليل من الاعداء لكان اهلكهم اجمع ولكم ازلوا الرعدة والخوف من قلوب اهلنا تلك البلاد حتى لو صادف مائة منهم خمسة من رجالنا لغروا هاربين وللقاه طالعين . اما اهلنا بالبلدة فلم يدافعوا اقل المدافعة عن انفسهم لانهم دائمون ليلا وهم غير متيقنين خطرا وزادت حيرتهم وخوفهم عدما وجدوا انفسهم في وسط اللهب والموت يحل بهم خرج منهم وكان الظلام قد حجب اعداءهم عن ابصارهم فلم يعرفوا عددهم . فكانوا لا يعلمون الى اين يهربون لانهم كانوا اذا ذهبوا من جهة ادركهم فريق وفلك بهم وان مالوا الى اخرى ادركهم آخر وابل بهم الوبال اما رجالنا فلم يصعب ضرر . غير ان واحدا منهم صدع رجلا وآخر احرق احدي يديه

فاستنطقت غضبا عليهم خاصة على ان اخي الرئيس لانه لم يصرف كرسيه مركب عليه مسؤولية النعم . فعوضا عن ان يحمي نار الفتنة اضربها وقوى رجاله على فعل قبيح . فلما اخبرته بذلك اجاب بوقار فائلا عند ما رأيت جثة ذلك الملاح المسكين الذي مات قتلا بايدي اوثك البرابرة هاج الدم في عروني فغيت عن الصواب ولم اقدر ان اضبط نفسي . على انه كان من فروضي ان اردعهم عن التمدي واكتفي بشر ذو طبيعة ضعيفة مائة الى الشر . اما الملاحون فانهم غير خاضعين له اطلاق فلم يبالوا بغضبي

ففي اليوم الثاني نشرنا شراعات المركب واخذنا في المدير فلم نسمع شيئاً عن
الجزيرة بعد ذلك . اما عدد القتلى الذين قتلوا من الفتود في المعركة فلم يكن
معروفاً لان كل واحد من الرجال خالف رفيقه بالكبر . على ان المظنون ان
عدد من نحو مائة وخمسين نفساً رجلاً واولاداً . اما نوم جفري فلم يأتني بخبر
الى المركب بل دفنوه في الجزيرة

فقلت للملاحين لا ريب ان الله سبحانه ونعمالي يتغمم منكم على هذا الشر
وبئس بنا وبلا وهو اننا . لان نوم جفري كان المعندي يخرق اليهود واقتراوه
تلك الفتاة التي انكم متناهمة على نفسها وعرضها بناء على المعاهدة التجارية بينكم
وبين قومها

فاجابني رئيس القارب مدافعاً عن نعمتي ان من نظر الى ظاهري ما قد
جرى يظهر له اننا قد تعد بنا اليهود ولكن ذلك ليس هو معياراً للصواب لان
اعمال الجزيرة فروعاً يخرق التسالم وينقضوا بالحرب منذ يومين لانهم همونا بسهامهم
وقتلوا احدنا دون سب كافٍ لنقض المعاهدة . ولا كما قد وجدنا انفسنا
قادرين على القيام بحق القارب يعني لنا ان تقوم يوم حسب الحال . نعم ان نوم
المكرد المحظ تعدى على تلك الفتاة لكنه لا يستغنى قتلاً وحشياً . فوالحالة هذه
لم نعمل الا ما نعلم لنا به من الله وقوانين البشر

من اطاع على تفاصيل ما جرى في جزيرة ماداكسكرا يظن انه من المستبعد
ذهابنا مرة ثانية الى بلاد البرابرة . ولكن لا يخفى ان الانسان قلما يتعلم من
مصيبه واحدة فيجيب الحوائب وكان القصد الذهاب الى خليج النجم ومن ثم الى
ساحل قورومانديل مارين سوراني . اما وكل النعم فارتاد المرور به قالوا .
فان نسير فلك يلزم ان يذهب الى الصين ويبرهنه المواجه وهو راجع
الى انكفنا

فلما دخلنا خليج النجم ذهب خمسة من ملاحي المركب فاصدفت شاطئ
بلاد العرب . فلما اتوا احاط بهم البدو ولا يعلم ماذا فعلوا بهم فلا بد من ان

يكونوا قتلوم او استبدوم. اما ارفاقهم في المركب فلم يذكروا من الفرصة اللازمة
لجذبهم. فمن اول مصيبة دهشنا. فاخذت اقول للملاحين ان ذلك هو نتيجة
الشرور التي اركبتموها في الجزيرة ولا بد ان العدل الالهي يأخذ حقه منكم.
فاجابني رئيس القارب اراك تحكم علينا باكثر ما يسمح لك الكتاب فانه قد قيل
في ان الذين سقط عليهم مرج سلوام لم يكونوا اشد شراً من الجبابرة. فانصتني
خاصة لان الذين اسروا لم يكونوا من الذين اشتركوا في ذبح اهل الجزيرة
واحراق بيوتها

فلم تؤثر فيهم توبيخاتي البتة على انه فجع عنها شر لم يخطر لي بهال. ففي احد
الايام تقدم الي رئيس القارب الذي كان متفاداً ذاك الشر وقال بحساسة لا مزيد
عليها لك كثيراً ما ونحن على ما فعلناه في الجزيرة واكثر من الظمن
واللوم الشديد فاعتظت بذلك الملاحون ولاننا انا غاعلم انك راكب في المركب
وليس لك اقل سلطة في ولا امر على ملاحيه فلا طاعة لنا على احتمال ذلك.
وما ادرانا ان مقاصدك هي ساية من غورنا لانا ربما جعلك جهلك على الشكي
تخبرنا ما فعلناه في الجزيرة عدد رجوعنا الى انكنا. فان رجعت عن غيرك
ووعدت بحسن التصرف نعماً والا فاني لا تركن المركب لانه يلوح لي ان لائمية
لنا بعد الوصول الى بلادنا واست معنا

فلما فرغ من الكلام اجبتة نعماً في قد ونحنك توبخاً شديداً على ما ابدتوه
من الشر في الجزيرة وايدبت افكاري من ذلك القيل بوضوح وحرية على انني
لم املك اكثر من غيرك. اما من جهة عدم سلطتي في المركب فاسلم لك بذلك
على انه يحق لي ان ابدى افكاري في ما بهما جميعاً خاصة لان قسماً كبيراً من
المركب ينحصر في ذلك اري ان الملاحظة من جنوبي دون ان يعارضني فيها احد.
وكان الغضب قد ملا فاني وجرى الدم بجملة في عروفي. فلم يحني على ذلك
فظننت ان هذه المسألة قد انتهت. وكنا حينئذ سائرين نحو بنغالها. فمعد ما
وصلنا اليها ذهبنا الى الشاطئ مع وكل نحن قاصداً النهر والفرج. فمعد

المعاد اخذت امي غسي للرجوع الى المركب واذا ملاح قد تقدم الي وقال
ارجوك ان لا تترجم فعمك بالتزول الى القارب لاننا قد امرنا بان لا نرجع اليك
الو فتعبرت جدا وملا القبط قلبي من هذه الكلمات المهيبة . فسألت الملاح من
امرك . فقال نائب رئيس القارب . فلم اجد على التي امرت ان يخرجهم انه قد
اخبرني بما امرت واني لم اجد بشي

فتوجهت على الفور واخبرت وكيل الشئون بذلك وقلت له انني اظن انه
يقع عصيان في المركب فانومل اليك انت نساخر فاريا من الحدود وتذهب
الى المركب وتغير رئيسه بذلك . ولم يكن لروم تلك الافادة لانه قيل ان اخبرته
بوضع العصيان في المركب على الصورة الآتية . ان رئيس القارب وناظر الموانع
والتجار وسائر مأموري المركب تقدموا الى الرئيس وقالوا له بعد ان اخبره
رئيس القارب بما جرى بينه وبين من الكلام ان روم قد ذهب بسلام الى
الشاطئ . واولم يذهب من ثلثاء نسمو لاكمناه على الخروج من المركب وان
يكن ذلك ما ينبغي علينا . فعرض لجنابك الكريمة . وقد دخلنا في حمة
المركب لنضع لوامرك ولا تأخر عن ذلك ولكن بشرط ان تخرج روم من
منه فان لم تخرجه فترك المركب ونبتع عن المنزعة . فلما قال جيمنا ذلك
الى جهة صاري المقدم حيث كان جميع الملاحين مجتمعين فقالوا جميعا جيمنا
والظاهر ان كلمة جميع كانت الاشارة بينهم

وكان ان اخي فاطم لبن . ومع ان تلك الكلمات ادعيت جدا قال لم
يهدوا اني سامع في هذا الامر ولا افقد ان اجري شيئا من هذا القيل حتى اكمل
عن بداؤي . ثم اخذ يحاول اقتناعهم بان طلبهم غير عادل . ولم يجد ذلك فعمك
فانهم اخذوا بضائهم يحضروا على انهم يخرجون المركب ما لم يتعهد لم بان لا
يجمع لي بالرجوع اليه

فارتبك جدا خاصة لاني كنت قد غرته بانني الى منذ صبروني . فاخذ
بكلهم بجملة فاذل ان عني صاحب قسم عظيم من المركب فلا اقتدار لي على

اخراجهم من ملكهم فان اصرروا على ذلك بلطفكم الويل والموتان مني وصلتم الى
 انكسار . واني افضل ان يفرق بنا المركب في لجة البحر على ان اطرد منه .
 فافعلوا ما بدا لكم . على اني اذهب الى الشاطئ واخذ معي رئيس الفارب وهناك
 نكلم بهذا الشأن وربما اصبحت الامر . فرفضوا قبول ذلك فاثبتت ان اني
 روئيت المركب نخرج جميعنا منه ونذهب الى الشاطئ . فاجابهم الرئيس بان
 كان لابد من ذلك اذهب الى الشاطئ واكاه . فاني الشاطئ ووصل الي بعد
 ان اخبرني نائب رئيس المركب بما امر به هذه الجزيرة

فلا يخفى اني فرحت جدا بما ابدوا . لاني خشيت ان الملاحون يتركوني في
 البر ثم يقضون علي وبجبرتي وبفروني بالمركب . وهكذا اصبح غريبا نائما
 غربا في بلاد بعيدة عن وطني دون مسعف ولا مجير . فامسي في سوء حال
 كما كنت في الجزيرة . ولكنهم لم يتصلوا الى ذلك . فلما اخبرني ابن اخي بجميع
 ما قالوا وفعلوا قلت له لا تطرب فاني اني ما . على اني ارجوك ان ترسل
 لي كل احتياجااتي واسمعي وسلفا كالحيا من النفود فانه لا يصعب علي وجود
 طريقة للعود الى انكسرا

فمرن جدا وتكدر كثيرا بهعب على القلم وصلة . ولكني لم يقدري على التخلص
 من هذا المشكل بطريقة اخرى . فرجع الى المركب واخبرهم بان عمه قد خضع
 لارادتهم وارسل يطلب ائمة . وهكذا ارضى الملاحون وسروا جدا واخذ كل
 منهم في تقديم فروضه . اما انا فاخذت في التفكير في ماذا ينبغي ان افعل لكي
 ارجع الى وطني

الفصل الثاني والاربعون

رويهن في ماداككر

وهكذا أصبحت مترددا في انهي اتقاضي الارض لان المسافة بيني وبين اهل
انكلترا كانت نحو ثلاثة آلاف فرسخ اطول من المسافة التي كانت بيني وبينها
عند ما كنت في جبروتي. على انه كان يمكنني الوصول اليها من هنا. وذلك
بان انقطع بلاد المارغوليين حتى المبحر سوراته. ومن هناك اذهب بجرا الى البصرة
ثم اذهب مع القافلة فاطما صحراء العرب الى حلب ومنها الى اسكندرون ومن
ثم بجرا الى ايطاليا وفرنسا وهكذا اكون قد درت حول الارض. او ان انتظر
قدوم مركب انكليزي من الصين الى بنغاليا مارا بجزيرة سوماطره ومن ثم الى
انكلترا. على انه كان يلزم للحصول على ذلك اجارة من الشركة الانكليزية
التي تخصها تلك المراكب واما من مديري معاملها واما ان يسمع لي بذلك احد
روساء مراكبها من تلقاء نفسه جودا ونكرما. وكنت ارى صعوبة في ذلك لاني
لم اكن اعرف احدا منهم

وانما غوصي في مجرمت من الافكار ففكر مركبنا شرعا في ورفع مرسانه
وسافر نازكا ابدا في تلك البلاد البعيدة. فخرت جدا لاني لا اظن ان احدا
صادف ما صادفت من سوء الماملة خلا الذين بعضهم ملاحوم فيتركهم في
مكان فقر وينزلون بالمركب. على ان جودة ان احي لم تغردني من الاسعافات
والاحتياجات الضرورية لانه ترك لي خادمين يجمع ان ادعوا احداهما رفيقا
وتدبنا. فلهذا كان كائنا في المركب والآخر كان خادما المخصوصي فانه اجرت
مركبا في بيت احدى النساء الانكليزيات الموطات هناك وكانت قد اعدت

منزل لمن يرغب ان يستأجر منها محلات السكنى. وكان فيو حجة تجار فرنسويين
وابطالباريان من الالراطين وانكليزي. فحصلت في المل اماركور على جميع
احتياجات الحماة وصرفت فيو نعمة اشهر انبصر في ما ينبغي ان افعل لئلا تزل
في القدم اذا انقضت العشر قبل الثمن. وكان معي بضاعة انكليزية ثمينة جداً
ومبلغ واقر من النفود فان ابن اخي اعطاني قبل ذهابه الف قطعة من النفود
ثم كل منها ثمانية غروش وحك حواله باكثر من ذلك لاقبولة لدى الاقتضاء
لئلا تفرغ مع النفود فاصبح في سوء حال

فبعتها جميعها باثمان جيدة جداً واشتريت جوامر ثمينة جداً لانني كنت في
بلاد غريبة بعيدة عن وطني فالجوامر يمكن وضعها كلها في ثيابي دون ان يعلم
بها احد

فبعد ان عرفت من طويلة الفتح باب الرجوع الى انكلترا ولكنني لم اتوجه
لعدم موافقة الطريق ثم اناني في صباح احد الايام التاجر الانكليزي الذي كان
في البيت الذي كنت فيه. وكانت قد تمكنت بنفسي وبه علاقات الحية
والصداقة وقال لي يا ابن واطي اصغ لما اقولك واظن انه يوافيك لانه قد وافقني
وهو ان التقادير قد اوجدتك وارجدني في هذه البلاد البعيدة عن وطننا.
وهي من الاماكن التي يندر من موثقا قد اخبر الامور التجارية ان يجمع ثروة
عظيمة. فان شئت يدفع كل منا الف لبرا راس مال ونترقب ورود مركب
يوافقنا فنتسرو. اما انت فتكون رئيساً له وانا اكون التاجر فذهب الى الصين
آخذين معنا ما نروج سوفه فيها

فرقست معي كلماته مؤثماً حسناً جداً خاصة لانه نفق بها وارفقني على
حقيقة افكاره بخلاص ووضوح لا مزيد عليها. فقلت في نفسي اني غور عازم
على ان افعل شيئاً مخصوصاً الآن فاطن من المواقف ان اجيب طلب هذا المستر.
واولاً ذلك لما كان في استعداد لمعاظنة الاذغال خاصة لان التجارة لم تكن من
اعماله. على انه يسوغ ان يقال ان التجارة ليست من اعماله ولكن الجولان والنية

في الدنيا وانفج على بلدان غريبة كانت من اعظم مفاصدي. ومضت برهة
طويلة قبل ان وجدنا مركبا من انفا. على اننا وجدناه اخيرا فاشكل علينا وجود
ملاحين لتكثير لوفوموا باعمال المركب وإدارته مع من تستأجر من ملاحي تلك
البلاد. فيعد القمص المدقق وجدنا نائب قبطان ورئيس قارب ومدبر مطاع
من الانكليز ونجارا وثلاثة ملاحين من الهولنديين. فمولا مع من استأجرناهم
من ملاحي تلك البلاد كانوا كافون لإدارة المركب وتسييره فنشرنا شرائعنا
فاصدى الصين ومن ثم صيام ثم سوسكان. ولا حاجة الى التفصيل على التبارى
باخبار تفاصيل ما حدث لنا في مدة السفر وما رأناه من البلدان والشعوب
لانه كثيرا ما نعرض لذلك السياج الذين يجوبون تلك الاقطار. فلما
وصلنا الى صيام بد لنا بعض ما كان معنا من البضائع بالافيون والعرق. اما
الافيون فكانت سوقه في رواج دائم في الصين وصدوف وصولنا اليها حيثما كان
قد فرغ منها هذا النوع فبعناه بالثمان جرة جدا. ومن ثم توجهنا الى سوسكان
ثم رجعا الى بغالبا بعد ما صرفنا ثمانية اشهر في السفر والتجارة. فمرنا جدا
التوفيق الذي صادفناه في جميع تلك المدة. وكثيرا ما نجيب التجار الانكليز
من حصول من ترسله الشركة الشرقية او من يذهب من التجار الى تلك
الاقطار على ثروة عظيمة في رهة وجيزة. فمنهم من يرجع الى بلاده وقد كسب
مليون او سبعين الف ليرة. على انني اقول انه لا غرامة في ذلك لوجود الوسائل
الممكنة كما يقع من ذكرى الأماكن والمخلات المفتوحة كي يعامل بها من رغب
منهم في التجارة خاصة لان الطلب في جميعها كثير على البضائع ومحصلات
البلدان الاجنبية

ان المكاسب التي اكتسبنا ايها هذه السفر والتوفيق الذي فرمت به وما
رأيناه من سهولة الحصول على ثروة عظيمة جدا حركت في الميل الى التوطن
هناك ومعاونة التجارة. ولو كنت اصغر عشرين سنة ما كنت حزين لبيت هناك
لا محالة ولكن ماذا يقع زيادة التي رجلا غنيا مثلي قد جاوز حد السنين حمله

على السفر والجولان في العالم مدة الميل الى التفرج لا الى اكتساب الاموال .
ولا ريب ان ميلي الى مجرد الجولان في الدنيا هو عدم القيام في عمل واحد وهو
الذي حملني على ارتكاب تلك الاخطار والمشاقي لاني عند ما كنت في وطني
رغبت جداً في الاعتماد على . وعند ما ابتعدت اشتد في الميل الى الرجوع اليه .
هنا ولم تكن لي رغبة شديدة في الحصول على ثروة فوق ثروتي . على ان مقصدي
انما هو التفرج على قسم من العالم كثيراً ما سمعت عنه ورغبت في التفرج عليه
ولم انتفع بغير هذا النفع لانه لم يفرجني من وطني بل ارجعني الى حيث اوصاني
حظي المكود

فكانت ايهامي بخلاف جداً عن اميال شريك المذكور . لا اقول هذا
تكنيكاً عليه وانصاراً لنفسي لاني افر ان امياله شديدة الموافقة لمن هو نظيره غايته
اكتساب الاموال والحصول على الثروة والغنى . ولذلك كان قد تغرب عن
وطه وجاء بلاداً تبعد عنه جداً . فكنت برغب في اعادة سفره فقلت كمثل
جواد البريد الذي يذهب حياته بطولها الى المكان الذي يرجع منه . اما انا
فكنت كن اصابه جنون ولا طاعة لي على القيام في عمل واحد فكنت اميل دائماً
الى السفر والجولان واكره ان ارى محلاً غير مرة واحدة . وليس ذلك فقط
ولكنني رغبت جداً في الرجوع الى وطني . على اني كنت محطراً في امري لا اعلم
من اي طريق اذهب اليه . فبينما كنت غائصاً في تلك الافكار تقدم الي شريك
الذي كان بهم في ايجاد وسائل لاكتساب الاموال وقال لي فلم تذهب الى
جزائر البهارات فتأتي من المبالا شحنة كبش قرنفل . وكانت تلك الجزائر تخص
ملك اسبانيا . اما الجرمانيون فكانوا كثيراً ما يأتونها لمطاطة التجارة . فنبهت
مرة عن اجابة طليو . على اني عند ما رأيت انه ما من شيء يشغاني عن ذلك
وان المكاسب هي باذلة وانني لنفسي بها اكثر من القيام في عمل واحد وذلك هو
ما اتمناه اجبت طليو واخذنا بهي . انفسنا للسفرة وبعد مدة يسيرة سافرنا الى
المكان المنصود ورجعنا بعد نحو خمسة اشهر مارين بحزمة بورنو ومخلات اخرى

كثيرة قد نسيته اسماءها . وكانت هذه السفرة مزروعة بالتماج والتوفيق الزائد .
فبعثنا البهارات التي اتينا بها من هناك الى تجار فارس الذين ذهبوا بها الى خليج
البحر فكان مكسبنا كثيراً فان القرش كسب خيرة فروس

فلما فرغنا من حساب مكسبنا التفت الي شريكى وهو يسر وقال . كيف
تقول ليس هذا افضل من التجار في هذا المكان كمن لا شغل له تحضر جرافات
الوثنيين وعادتهم . فاجبت كيف لا يا صديقي فاني ارى نفسي الآن تميل الى
الاعمال التجارية . على انك لا تعلم عواندي فينبغي ان اخبرك بها وفي اني مع
كل ما تراه في من النفاذ الآن ان قد مت الى السفر بل شديد اقطع بك
الدنيا من مشرقها الى مغربها دون كون ولا تدور حتى نسأم من الحياة مع ان
الايام قد صبغت سواد شعري باليباض

فبعد برهة قصيرة الى ميثا يتغاليا مركب جرمانى من بانانها محمولة نحو
مائي طن . فبلغنا ان رغبة برغب ان يبعثوا لان ملاحو زعموا ان لا اختار لم
على القيام بادارتهم مرضوا ولذلك التزم الرخص ان يشرعوا اعلانات بانة
برغب في بيع . فبلغني ذلك قبل شريكى فرغيت في اتياعه فذهبت اليه واخبرته
به . فتأمل برهة لانه لم يكن عجولاً في اعماله ثم قال ان هذا المركب كبير . وينبغي
احتياجنا ومع ذلك لا بأس من اتياعه . فاشتريناه ودفعنا ثمنه ونصرفنا و .
وبعد ذلك عزمنا على ان تنق مع ملاحو ان لا يتركوا بل يبقوا في خدمتنا
فانهم مع قلة ملاحينا يتدبرون ان يقوموا بجنى امارتو . على اننا يجتنبنا عنهم ولكن
لم نجد احداً منهم فبلغنا انهم حقا قبضوا معاشاتهم وحبس كل منهم من ثمنه توجهوا
الى مكان مجهول عند الناس . وبلغنا لدى الحصص المتفق انهم ذهبوا جرماء
الى اكرا فصبه ملكة المغوليين فاصدين ان يذهبوا من هناك الى سوريات ومن
ثم جبراً الى خليج البحر

فلما بلغني ذلك قلت في نفسي يا لئيم توجهت معهم فاحتملوا برغبتهم على
نفسى من اخطار الطريق وارى ما اشبهى ان اراه من العالم واقرب من وطني .

ولكني فرحت جداً لاني لم اذهب معهم عند ما بلغني بعد ايام انهم لصوص وما
يأتي هو من اخبارهم. ان الرجل الذي باعنا المركب لم يكن رئيسه بل المدفوع.
فبينما كان رئيسه في حجرة صاحبة المليون وقتلوه مع ثلاثة من رجاله. فبعد ان
قتل الرئيس فر بالمركب ملاحوه وم احدى عشر رجلاً بعد ان تركوا نائب
رئيسه وخمسة من ملاحوه هناك وانابوا الى بنغاليا. وسأني ذكر تفاصيل ذلك
في مكانه

فالنا ولذلك لاننا لم ندرق المركب بل اشتريناه بالنا. على انه كان من
الواجب علينا ان ندقق الفحص لاننا لو سألنا كلاً منهم على حدوتنا فقامت
اخبارهم وقاربهم. فستخرج من ذلك انهم قد ارتكبوا المحرم فنتنع عن اتباعه.
اما الذي باعنا اياه وادعى انه رئيسه وصاحبه ارانا صك رجل يدعى عانوتيل
كلوناشوفن وقال انه هو ذلك الرجل غير انني اظن ان الصك المذكور
مزور ولكن لم يبلغنا ما يجعلنا نرتاب في صدق كلامه فاخذناه على محل
الصدق واشترينا المركب دون ان نفحص تفاصيل اخباره

فاستأجرنا حملة ملاحين انكليز وجرمانيين لادارتهم وعزمنا ان نذهب مرة
اخرى الى الجزائر لطلب اليه ارات ولا حاجة للاسباب باخبار اسفاري هنا ونجاري
بل يقتضي ان نندم الى ذكر ما هو اهم. ولكن اقول انني صرفت ست سنوات
في هذه البلاد في الذهاب من مكان الى آخر في طلب الارباح التجارية فنجحت
جداً. ففي السنة الاخيرة من تشاركي مع شريكى المذكور ركبت المركب فاصدين
الذهاب الى الصين مارين بصيام شخص منها ارضا

فصادفنا رباح كثيرة مضادة فصرفنا مدة طويلة نصادمها في مضيق
ملقا وبين الجزائر فلما خرجنا من بينها بعد مشاق كثيرة وجدنا ان الماء يدخل
المركب دون ان نرى محل دخوله. فاضطرنا الامر ان نذهب الى فرضة لتصلبه
فقال شريكى الذي كان يعرف تلك المحلات انه ينبغي ان نذهب الى نهر كامبوديا
وكت فتسلطت ادارة المركب الى النائب الانكليزي الذي يدعى تومسون

لاني لم ارض ان اتقي على عاتق مسؤولية ادارته . اما النهر المذكور فكان مصبه
شمالا في الخليج الذي يدخل في اراضي صيام . فذهبنا اليه . وكنت اذهب الى
الشاطئ لقضاء بعض الحاجات . ففي احد الايام تقدم الي رجل انكليزي ظهر
لي من منظره انه مدني في احد مراكب الهند الشرقية الانكليزية الذي كان
رأساً حشدر في نفس الخليج الذي كنا فيه بالقرب من مدينة كامبوديا . ولا اعلم
ماذا اتى الي . فبعد ان حيائي قال لي باللغة الانكليزية يا سيدي انت لا تعرفني
وكذلك انا لا اعرفك على انني ارجب ان املكك بما يهلك جداً

فترسدت فهو برهة ولاح لي انني اعرفه ولكنني اخطأت في ظني . فاجبت ان
كان ذلك يعني جداً ولا يهلك فانذا يملكك على ان تخبرني به . قال ان
الذي يحرركم الرو هو الخطر الذي اراه يهددك والذي يلوح لي انك لا تدري
به فاجبت اني لا اعلم بخطر يهددني غير ان الماء يدخل مركبي ولا اعلم من اي
مكان وقد عزمت على ان اصعد الى البرغدا . قال انه لا يخفى عليك ان مدينة
كامبوديا لا تبعد من هنا اكثر من مسافة خمسة واربعين ميلاً حيث يوجد
مركبان كبيران انكليزيان وثلاثة مراكب المانية . فاجبت ماذا عسى ان يكون
منها فانه لا غرض لي بها . فقال يا سيدي اظن انه لا يخفى عليك انه من المفروض
على من كان في بلاد غربية بعيدة عن بلاده ان يبحث قبل الدخول
الى ميناء عن المراكب الموجودة فيها . وهل يتدر ان يصادمها اولاً . واظن انه
لا يلوح لك انك قادر على مصادمة تلك المراكب . فاضحكني غرابة احاديثه
على انها لم تدهشني لاني لم افهم المقصود منها . فقلت له ارجوك انت تفهم
المقصود . لاني لا اعلم شيئاً يعملي ان اخشى مراكب الشركة الانكليزية ولا
مراكب الهولنديين لاني لست بلص ولا قاطع طريق . فلاححت على وجود
لواحق القصب والانهاج في وقت واحد وقال وهو يسم ان كنت لا تخشى احداً
فاقتل ما يدلك غير اني اكون قد بررت نفسي بما جعل بك وانني لمزمت
جداً ان ارى القدر قد سد اذنيك عن الاصغاء لراي مصيب . واعلم انك ان

لم نفر هارباً بركبك من هنا على النور نهاجك خمس سنين ملوثة رجالاً قاتلك
مع المذ الآتي فان ادركتك برجالها يلقون القبض عليك ويستوثقونك كلص بحر
وبعد ذلك يمشون عن حفيظة الامر . وكنت اتربس منك مقابلة احسن من هذه
مقابلة لهذا الخبير الذي يخيلك من الملاك . فاجبتة حاشا ان انكر فضل من
يحسن الي على اني لا انهم مرادك ولا ادرك الاسباب التي تحمل اصحاب تلك
المراكب على مهاجتي . ومع ذلك حيث انك قد قلت اني لا يجب ان تضع
الفرصة لئلا يدركنا الموان فاننا ذاهب الى المركب على النور لا قرى الى وسط
البحار ان اقبلنا دخول الماء اليوم لم نبطله . ولكن هل يسوغ ان اذهب وافعل
ذلك دون ان اعلم شيئاً يلحقني اليوم . ألا تقدر ان تخبرني شيئاً عن ذلك .
فاجاب يا سيدي اني اخبرك بعض الامر ومعي ملاح جرمان في اظنة يخبرك بهيمة .
على ان الفرصة لا تكفي لهذا الجمع . اما بعض الخبر فهو هذا واظن انك تعرف
اساسه . انك كنت في هذا المركب في سوط طره وفيها قتل المليون رئيس المركب
وثلاثة من رجاله . ثم انت او البعض من ارفاقك مروحاً بالمركب واستفكوك
وصاروا اصوص بحر هذا هو الامر . فان وقعتم في ايدي مطارديكم يشنفونكم لا
محالة لانه لا يخفى عليك ان اصحاب المراكب التجارية لا يرحمون اصوص البحر ولا
يعاملونهم بحسب القوانين متى التوا عليهم القبض . فقلت له لقد فهمت مرادك
فاشكر معروفك . على انه لا علم لي انني فعلت ما نوهت عنه بل اعلم اننا قد
اشترينا المركب بطريقة قانونية وسافرنا به بقصد التجارة كما يفعل الجميع .
واكن لما كان الخطر يهددنا وكنت ارى لواحق الصديق تلوح على وجهك لا بد
من ان اكون على حذر من الوقوع في ايديهم . فقال ان ذلك لا يكفي بل يجب
ان نهرب من الخطر هذا ان اردت ان نجو بنفسك وبملاحك فان ذهبت
الآن نعدك كثيراً قبل ان يأتى الى هنا فانهم بطاردونك حتى المذ . فان صادفك
بعد يحصل نوء فلا يجاسرون ان يتوغلوا في البحر . فشكرته وقلت له ياذا
تردد ان اكافي معروفك . فاجاب يا سيدي ربما لا ترغب ان تكافيني لانك

ربما لا تصدقني ومع ذلك اقول انه قد استحق لي اجرة تسعة عشر شهرا من احد
 المراكب . اما الجرماني الذي معي فقد استحق له اجرة شهرة اثني عشر شهرا فان تكلمت
 لنا بدفع هذه الاجرة ندخل في عهدك . فان تحقق لديك اننا انقذناك وملاحيك
 من الموت تكرمنا بما يشاء خاطرك والا فلا تعطينا شيئا . فاجبت عليهم وذهبت
 حالا الى المركب مستحضرا اياها معي . فلما دنوت منه صعد شريكه الى ظهره
 وناداني بسرور لا مزيد طوبى لثالثا بفرارك لقد مددنا مدخل المياه . فاجبت
 الحمد لله . فارفع المرساة حالا . فاجاب كيف هذا ماذا تعني بهذا الكلام يا نري
 ماذا قد حصل . فاجبت لانسبل بل مر الملاحين حالا ان يرفعوا المرساة بسرعة
 عظيمة . فادخلت كلامي جذبا على انه امر الرئيس ان يرفعها وينشر الشراعات
 ففعل . وسرنا يرمح نفقت من البر واكتها لم تكن شديدة . فبعد ذلك دخلت
 بو الى قاعة المركب واخبرته بما بالقلب . فاحضرنا الرجلين اليها فاخبرانا برؤية
 الامر وكان الخبر طويلا جدا . وفي اثناء استماعه اتى ملاح باب القاعة وقال
 قد اخبرني الرئيس ان اخبركما ان مراكب تطاردنا . فقلت كيف هذا . فقال
 ان خمس سفن ملوثة رجالا تطاردنا . فقلت الظاهر ان في كلامها صدقا
 فجمعت حولي جميع الملاحين وقلت لم ان البعض يحاولون الفاء القبض علينا
 ومعا ملتنا كلكم من بحر فمل تتكاثرون معنا على المدافعة عن انفسنا وعن المركب
 فاجابوا جميعا بسرور نعم نعم حتى الموت ثم سألت الرئيس كيف نظرت هل
 ينبغي ان نقاتل عن انفسنا لانني قد هزمت على مصادمهم حتى الموت . فاجاب
 الاوفى ان نرجمهم بكلنا الكبيرة بحيث لا يقدر ان يدنوا منا فان لم يقد
 ذلك نرجمهم بالرصاص متى اقتربوا منا لنمنعهم عن الصعود الى المركب ونقتلهم .
 والمظنون انه ليس معهم ما يكسرون به الجوانب ليدخلوا اليها

فامرت المدفعية ان يوجه المدفعين من مؤخر المركب نحو السفن القادمة
 وان يلاها برصاص وقطع جديد وما اشبهها وهكذا نهانا المدافعة عن انفسنا .
 هذا وكما يستقدم كل الوسائل لاسراع سير المركب . اما الرمح فكانت مبردة .

وكان يرى السفن الخمس المذكورة عن بعد نجد المسير وقد نشرت جميع شرائعها
 فلكي تخفى النظر فيها وتعرف جهتها نظرتنا اليها بالأكبر قرأنا ان نشر
 منها كانتا انكليزيين وقد تقدمنا البنية نحونا مسافة نحو ميلين . اما سيرها
 فكان اسرع من مسير مركبنا . فتأكدنا انها تدر كانا عن قريب . فلما دنا
 منا قليلاً اطلقنا مدفعاً ملوفاً باروداً فنقط للبين اننا نرغب ان نكلم من فيها
 قبل القتال ورفعتنا راية بيضاء علامة السلامة . فلم نجيبها على ذلك بعلامة القول
 وهي راية بيضاء ايضاً بل نشرنا في السفينتين رايتين حمراوين علامة لطلب
 القتال فصارنا حتى دنا منا مسافة رمية كفة مدفع . فانزلنا راية السلامة ورميناها
 برصاص . فلم تأخر بل تقدمنا مسافة يسع من فيها كلامنا يوق الكلام . فكلنا
 يو فائلين لم لا تدنوا منا لتلا يصيكم ضرر . فلم يجدر ذلك نعماً فانها طاردتنا
 وحاولنا الاقتراب من مؤخر المركب ليصمد من فيها اليه . فلما تأكدنا انه لا نجاة
 الا بالمصادمة لانهم تشبهوا بالثلاث السفن التابعة فامرت الملاحين ان يدبروا
 المركب بحيث نصير السفينتين عند جنبه ففعلوا . فاطلقنا خمسة مدافع عليها
 فاصاب احدها السفينة المتأخرة وكسر مؤخرها . فاضطر من فيها ان ياتوا
 شرائعاً ويتقدموا الى مقدمها لتلا يدخلها الماء فتفرق فوقفت عن المسير . اما
 السفينة المتقدمة فلم تأخر بل جددت في المسير فمنا انصنا لربها بالرصاص
 والحديد . وفي اثناء ذلك وصلت إحدى السفن المتأخرة الى السفينة التي لحق
 الضرر بها لتخلص من فيها من الفرق . فعرضنا ثانية المسألة على الذين في
 السفينة التي اقتربت منا وسألناهم ماذا يريدون منا . فلم يجيبونا بشيء . بل
 تقدموا بالسفينة اليها فاصدين الصعود الى المركب من المؤخر . فلما رأى مدفعي
 مركبنا وكان ذا حلاقة في اطلاق المدافع ونحكيهم نوجوها اطلق مدفعين عليها
 فاختلأ . فضح من فيها ولاحوا يرايهم (علامة للسرور عند الاقتراب) ودنوا
 منا . على ان المدفعي ملأها حالاً واطلقها ثانية فلم يصب السفينة بل اصاب من
 فيها ورأينا ان الكلبة اضرت بكبير من منهم . ثم حولنا جانب المركب اليها

واطلقنا عليها ثلاثة مدافع فاصابها حتى كادت تفرق لان احدى الكرات
كسرت دفتها ونسما من مؤخرها فلقوا شرعاعها واضطربوا جدا . ثم اطلق
المدفعي مدفعين عليها واحده حظ من فيها اصابها على اننا لم نر في اي مكان بل
رأيناها تفرق وبعض من ملاحها يسبحون في البحر . فلما رأيت ذلك انزلت
قارباً من مركبنا وامرت من فوقه ان يخلصوا من الفرق من يدركونه من ملاحها
وان يرجعوا بهم حالاً الى المركب لان بقية السفن كانت قد دنت منا . فذهبوا
وخلصوا ثلاثة رجال كادوا بفرقون . فلما رجعوا اليانا نشرنا كل ما عندنا من
الشراعات وجددنا المسير . فلما وصلت تلك السفن الثلاث ورأت ما قد حل
بالسفينتين المذكورتين رجعت هبا وقد عدلت عن مكائحتها . وهكذا نجونا من
الخطر الذي كان يهددنا وكان عظيماً على انني لم اعلم سبباً له . فعزمنا ان نغير
طريقنا بحيث لا يعلم احد مقصدنا . فتوغلنا في الجهة الشرقية من البحر متجهين
السيل الذي نر فيه مراكب اوربا وهي ذاهبة الى الصين ومجلات اخرى
فلما اجتمعنا عن الخطر وزال الخوف اخذنا نسأل الملاحين الذين
اندرانا بالخطر عما حل من كان في تلك السفن على مطاردتنا ومحاربتنا . فقال
البحراني ان الذي باعكم المركب هو ايس سرقه بعد ما قتل رثومة وثلاثة من
ملاحيه عند ملنا . اما انا وابربعة من ملاحي المركب غير الذين قتلوا فكنا معه .
فلما حل به الموان هربنا الى الغابات ونها فيها برهة طويلاً . فماعدني
الضادير على الوصول الى الشاطئ فترلت في البحر واخذت اسبح حتى ادركت
مركباً جرمانياً كان قريباً من الشاطئ لانه كان قد ارسل قارباً طالباً الماء . فلما
وصلت الى بانافيا صادفت ملاحين من ملاحي مركبنا وكانا قد تركا الباقيين
فاخبراني ان الذي فر هارباً بالمركب باعاً في بنغاليا لجمهور من اللصوص
الذين ركبوهم وساروا به فاصدبتهم المراكب . وانهم كانوا قد هاجموا مركباً
انكليزياً ومركبين جرمانيين مخوفين بالبن المضاع فاستولوا على ما فيها
فلما سمعنا هذا اندهشنا جداً . فقال شريكنا باصاية لو تغلب علينا . فطاردونا

فلما لا محالة لان ما يلزم عنا كان كافياً لان يحكموا علينا بالقتل خاصة لان
قاضيها هو خصمنا . فالأوفق ان نذهب الى بغداد دون ان تأتي غير مكان .
فقرر هناك عما طرأ علينا ونبرهن اننا اشهرنا المركب بالنار دون قصد الصلب
والهيب . فان التزمنا ان نخضع لها كة يكون ذلك امام قضاء منصفين فلا
يحكمون علينا بالقتل ثم يحثون عن تفاصيل الدعوى
فانصوبت رأيه في اول الامر ولكن لدى التأمل في نتائجي قلت انه بلوح
لي ان في رجوعنا الى بغداد خطراً عظيماً لاننا في الجهة الثانية من مضيق ملقا
فان عرف بنا الانكليز والبرمان يحيطون بنا من كل جهة ويقتلون النبط
علينا ونحن فازرون فيحكمون علينا بالقتل بسبب مجرد الفرار من امامهم . ثم سألت
الملاحين الانكليز عن آرائهم فاجابوا اننا نفع لاننا في ايديهم . فازعج ذلك
شريكى وكل من في المركب فصممنا على تغيير طريقنا والذهاب الى شاطئ
توفكان ومن ثم الى الصين قاصدين التجارة ومع المركب ثم الرجوع في مراكب
اعالي تلك البلاد الى بغداد . فاستحسن الجميع هذا الرأي فلما عن طريقنا الاول
وتوطنا في البحر فلا تصادف مراكب انكليزية او جرمانية . فتضايقنا من جري
طول السفر لانه فضلاً عن مضادة الريح كان قد قل زادنا وكادنا في خطر
الوقوع في ايدي مطاردين لانه ربما سبقنا احد من القرصنة التي كنا قاصدينها
او صادفنا مركب لمن فيه اطلاق على اخبارنا فهاجنا قاصداً الاسيلاء على
المركب والقبض على من فيه . فارتبكت جداً وحرث في امري لان المخاطر التي
دامتنا والتي كنا في خطر الوقوع فيها كانت كثيرة . فوجدت نفسي حينئذ في
اسوء حال ولم ايت قط في مثلها لانه لم يطاردني احد حوائي كلها من جري
عمل مغامر للديانة والمروءة لابل لم افعل شيئاً يجلب على العار والمهوان . فان
المصائب التي المني كانت نخصبة ونشأت عن حوادث مكبرة عدد من نسطع
اخباري . اما الآن فتغير الواقع لانني مرى ومع ذلك كان يطاردني من ساء
الظن في ولا يصني لكلامي لا يرى نفسي بل يحكم علي قبل ان نسطع . فهذا هو

الذي حركني الى الجدي في طلب النجاة . على اني لم اعلم الى اين ينبغي ان اذهب
 لانجيو . اما شرهني فخاف جدا ولكن عند ما رأي ارباكي ونجيري اخذ بقومتي
 وشجعني على مصادمة الرزايا بطلب صفري وقدم ثابة وان بصف محاسن
 المرافية التي كما ذاهبين اليها . وقال انه يذهب بنا الى الصين الداخلية او خليج
 تونكان ومن ثم الى مكايو وهي من المدن التي تولاهم البورتوغاليون وكان فيها
 كثيرون من الاوربيين خاصة القموس الذين جاؤوها ليدخلوا الصين
 فصحبنا على الذهاب الى هناك واخذنا في المسير وبعد مدة وانما
 كثيرة وضيق بسبب قلة الزاد اشرفنا صباحا على المكان المذكور . فلدي التأمل
 في الاحوال الماضية وفي الخاطر فحبنا الدخول الى القرية فادخلنا المركب في
 بحر صغير فيه ماء كافٍ وذلك خوفا من المراكب التي نخشاه . وللقوف على
 حقيقة ذلك ارسلنا قارب المركب الى القرية فنجونا بذلك من خطرهم لانه
 في صباح اليوم الثاني دخل تلك الميناء مركبان امانان ومركب غير رافع راية
 على اننا ظننا اننا كنا قاصدين الصين . وفي نفس ذلك النهار مر مركبان
 انكليزيان قاصدين الحلات فسمعا وعكنا رأينا اننا محاطون بالاعداء . اما المكان
 الذي كما فهو فكان كانه فتر . اما سكانه فن ابرع الصوص لان السرقة كانت
 من جنسهم . ومع انه لم يكن لنا نعلق بهم الا لاجل ابتياع قليل من الزاد الزمنا
 بان نقبضهم كل الحب خوفا من الامانة . اما المكان الذي التينا فيه مرساة
 المركب فبعد بعض ايام عن يدوع ماء النهر . فانزلنا القارب وذهبنا الى
 الجهة الشمالية الشرقية الى الارض الداخلة في المياه التي ضمتها خليج تونكان العظيم
 فرأينا منها ان اعدائنا في كل جانب . واما سكان تلك الانطار الذي سبق
 ذكر بعض صفاتهم فتوحشون جدا فيوقون بالوحش جميع اهالي تلك النواحي
 لانه لم يكن لم نعلق بشعوب اخرى . وكانوا بمحاطون ببع السمك والزيت وما
 شاكلها . ومن عوائدهم ان يأسروا ملاحي المراكب الذين تكسر عند سواحلهم
 ويستعبدونهم . وقد تبرهن لنا صحة ذلك من معاملتهم ايانا هذه المرة كما ستري

فقد تقدم الكلام ان الماء كان يدخل المركب من حيث لا نعلم وانني عندما
انتهت المركب لتفريغ من وجه الانكليزيين والامانين القاصدين القاء القبض
علينا وجدت لعظم حظي انهم سدوا مكان دخولهم . ولكن عند الوصول الى
هذا المكان وجدنا ان المركب ليس بذي ضبط تام فعزمت ان نصدده الى البر
لتصله بعد ان نخرج منه ما فيه من الاتقال ثم نظف غمره . فشرعنا في اخراج
الاتقال من موانع وغيرها الى البر وبعد ذلك اوشكنا ان نصدده الى البر
ولكن تأخرنا عن ذلك لانه لم يكن لروما شدة بدالة فضلا عن عدم صلاحية
المكان . فقررنا ان نبله الى جانب واحد ونخصص الجانب الآخر وهكذا فعلنا
فلما رأى اهالي ذلك الحبل المركب على هذه الحال ظنوا انه قد غرق لانهم لم
يروا قبل مركبا مائلا خاصة لانهم لم يروا الرجال الذين كانوا يشتغلون في
الجانب الآخر . فكما نراهم يتقدمون الى الشاطئ من كل ناحية . ثم بعد نحو
ساعتين او ثلاث ركبا احد عشر او اثني عشر فاركا في كل منها لمانية او عشرة
رجال قاصدين دخول المركب ونهب ما فيه واسر ملاحوه ليقدموه عبيدا
للملك او حاكمهم الذي لم يسمع عنا شيئا البتة . فتقدموا الى المركب واخذوا
يسمرون حوله حتى وصلوا اليها ووجدونا نشغل مجد في تنظيف ودهن وما اشبه
فوقفوا بقواربهم قبالتنا واخذوا يفرسون فيها برقة . فادعشنا منظرهم لاننا لم نعلم
مقصدهم وما الذي جعلهم على الاتيان اليها . على اننا استصوبنا ان نهيئ انفسنا
للمدافعة . فاستغنينا بنوح هذه الفرصة واصعدنا بعضنا الى المركب ليأثروا بالسلحة
لمن في القوارب التي كنا نشغل فيها . فلما رأى اولئك الموحشون اننا ننقل
بعض الاسلحة الى القوارب قرأ رأيهم لدى الحائرة مدة ربع ساعة ان المركب
مكسور واننا اخذنا في نقل بعض اسلحة من القوارب لخاصها من الفرق
وان ما كنا نشغله في جاسوه وسانط لعلهم فان لم يصح هذا نكون على الاقل
قد خلصنا بعض اسلحة ثمينة فبما على ذلك هجموا هجمة واحدة على رجالنا الذين
في القوارب لانهم ظنوا ان المركب وما فيه وملاحوه لم لانه كان قد غرق

فلما رأى ذلك رجالنا ونحنوا كثيرة عددهم خافوا جداً ونحروا في امرهم
 لان مركبهم كان رديهاً جداً فنادونا قائلين ماذا ينبغي ان نفعل . فقلت لمن على
 جانب المركب فلو ادخلوا حالاً المركب ثم امرت من في قواربنا ان يأتوا
 البجعة الثانية منه ليصعدوا اليه . اما نحن الذين كنا في المركب فشرعنا بكل قواربنا
 ان نفوت . على ان الذين كانوا على جانبهم وكذلك الذين كانوا فيه لم يقدروا
 ان يتشاوروا امرى لان الصيادين وصلوا اليهم . وفاربان من قواربهم وصلوا الى
 قاربنا الكبير واخذوا منها بلقون القصب على بعض رجالنا لئلا يهرمون . فاول
 من قبضوا عليه كان ملاحاً انكليزياً وهو من ذوي الندره وكان في يده بندقية
 لم يحاول اطلاقها بل التامها بجانيه كمن قد اصابه جنون . ولكنه عرف كيف
 يصادم عدوه بطريقه اخرى وفي انه قبض عليه وجره بالقوة الى قاربهم ثم امسك
 اذنيه وضرب رأسه على جانب القارب فقتله حالاً فقبضون ذلك اخذوا ردتهم
 احد الملاحين الهولنديين وكان واقفاً بجانيه وقتل خمسة منهم طعناً بجرحهم او كانوا
 قد حاولوا الدخول الى قاربنا . على ان ذلك لم يكن كافياً لردع اربعين
 او خمسين بربراً لا يخشون الموت لانهم لم يعلموا انه يهددهم . فاحذوا بدخول
 القارب الكبير وكان فيه فقط خمسة من رجالنا لولنافعوا عنه

وكان الجار قد ذوب زفتاً في قدر وزيهاً حاراً في آخر ليدمن به المركب
 وزفت المكان الذي دخلت منه المياه . وكان يد ممعق ومفرقة كبيرة من
 حديد . فدخل اثنان من الاعداء القارب الذي كان فيه ممعق الجار فلأ
 المفارقة زفتاً وزيتاً مغلياً جداً سورما بها فاصابها حال كونها يكادان يكونان
 عربابين فتالما جداً وصاحا وطرحا أنفسهما في البحر من شدة ألم حريق الزفت
 والزيت . فلما رأى ذلك الجار ناداه قائللاً لاشئت بذاك يا جاك لرمهم به ونقدم
 هو ولا مفارقة ثابته كبيرة جداً وربما ما فيها ومكنا حتى اصاب ذلك كل من
 كان منهم في القوارب الثلاثة فعلا لم ضجه وعويل وصياح لم يترق اذني صوت
 اكبر منه . واكثر الناس يصرخون متى نالوا . على ان كل انه تصرخ في

ظروف كمن بأصوات تختلف عن غيرها بحسب لئسها . اما اصوات هولا
البرابرة فلا اقدر ان اصفا وصفا صحيحا . على اني اقول انها حاكت اصوات
الذئاب التي سمعتها في الغابة بالقرب من لا تكبروك كما تقدم الكلام . فانهزم
البرابرة هزيمة مائلة مضحكة جدا فدرني ذلك لاننا دافعنا عن انفسنا واموالنا
دون ان نهرق دماء كثيرين . لان قتل رجال رابرة كان يكسرني جدا وان
يكن ذلك للدفاع عن حياتي لاني كنت اعرف انهم كانوا يظنون ان ما
يفعلونه هو ما ينبغي لم فعله . وكنت اقول في نفسي ان من اكراه الامور عندي
ان التزم بان اهرق دماء ابناء جنسنا البشري للدفاع عن انفسنا . وكنت
افضل احتمال مصائب واخطار كثيرة على سفك دم ارداء البشر واسراعتي .
ولا ريب ان كل من تزين بالتميز ومحنة الانسانية من الذين يدركون مقدار عزة
الحياة يسلطون مني في ذلك ان نعتي في

وكنت انما وشريكي والملاحون الذين صعدوا الى المركب نجهد في ترجيعهم
الى مركزه الاصلي فبعد انصاب قبيلة نجحنا وارجمنا المدافع الى محلاتها . فبعد
ذلك ناداني المدفعي قائلا يا سيدي مر الذين في قواربنا من رجالنا ان يجهدوا
من امام المدافع لاني ارغب ان اطلق المدافع عليهم . فاجبت ان لا يفعل لاني
التجار يجارب عنا . فامرته ان يربد القدر رفقا وزجرا ويوصي الطبايع ان يمتني
باحتفاظها غالية ولم تمنح اليها لان الرعية التي حلت في قلوب اعدائنا اخرهم عن
مهاجمتنا ثانية . اما ارفاقهم الذين لم يصلوا اليها فلما رأوا ما حل بهم وان المركب
عائم على وجه المياه رجعوا عن مقصدهم لعلهم انهم قد ارتكبوا الغلط في ما فعلوه
وعكنا نحاصنا من هذه الممعة المضحكة . وبعد ما عرودنا ارضا واصول البحار وخبر
ونحو ستة عشر ختيرا عرشنا على الرجل مع قطع النظر عما ربما صادفناه من
المصائب . لاننا تاكدنا ان الاقامة هناك تجعل جمهورا غنيرا من البرابرة يحيط
بنا فلا بقدر التجارب على مصادمتهم رفقا . فبأننا المركب للمفر في القدر . والبناء
ذلك الشبنا المرساة في مكان بعيد عن الدامني وهبنا انفسنا للقتال . فلم نحش

عدوا . ففي القديس بعد ان فرغنا من تنظيم داخلية المركب ووجدنا ان الماء لا يدخلنا رغبتنا في ان نذهب الى خليج تونكان لتنف على خبطة مفاصل المراكب الانكليزية والجرمانية ولكننا لم نجاسر ان نأتي لئلا يجل بنا الويل والموت . فحولنا طريقنا الى الجهة الشمالية الشرقية قاصدين جزيرة فورموزا وغراضنا نرصد خوفا لئلا تصادف سفنا انكليزية او جرمانية . فسلطنا سبلأ يودي الى جرائم مانايس او المغيلة وذلك نجبا للسبل الذي تسلكه مراكب اوربا . وبعد مدة سرنا الى الشمال فوصلنا الى جزيرة فورموزا ودخلنا منهاها لكي تنزود ماء وقوتا . اما اهلها فكانوا من اللطف والرفقة والعناية والامانة والصدق على جانب عظيم . فقدموا لنا كل ما نحتاج اليه دون ان يحاولوا محادتنا في الاسعار والاختد والمطام وما ذلك الا من جهة تأثيرات الديانة المسيحية التي يشرع بها احد النورس الالمانيون . ومن جهة ما لاحظناه في اسفاري هو ان الديانة المسيحية اثرت تأثيرات حسنة جدا في من اعتنقها وان لم تبلغ الى الخلاص بآخره عن التهام يحيى سنيتها ونواحيها

ثم سافرنا الى الجهة الشمالية قاصدين سواحل بلاد الصين حتى قطعنا جميع القربى التي تاتيها مراكب اوربا وكما نجهد جدا ان لا تقع في ايديهم خاصة في تلك البلاد البعيدة لانهم اذا التقوا النبط طلبوا فيها يهلكونها ويضكون المركب وما فيه . فلما ظننا اننا قد تجاوزنا الاماكن التي نخشى ان تصادف فيها مراكب اوربا عزمنا على الذهاب الى المينا الاولى التجارية فسرنا نحو الشاطئ واذا قارب قد اقترب قليلا منا وفيه دليل يورثنا في اننا عارضنا طلبنا خدمات لانه عرف من منظر المركب انه من المراكب الاوربية الغربية . ففرحنا جدا لاننا كنا في احتياج اليه واصعدناه الى . فبعد ذلك رجع القارب الذي انما يو دون ان يسألنا عن مقصدها

فلاح لي اننا قد حصلنا على دليل يذهب بنا حينا شتيا . ففرحت انكم معي عن الذهاب الى خليج تونكان وموسم في شمالي الصين . فقال وقد نيسم اني

اعرف حق المعرفة ذلك الشئ ولكن ماذا تصدون ان تفعلوا هناك . فاجبت
 نرغب ان نبيع بضائعنا وان نشتري بضائع صينية وحريراً منسوجاً وغير منسوج
 الى غير ذلك ثم رجع في الطريق التي اتينا بها فقال ان احسن مكان لبيع
 بضائعكم وشراء بضائع صينية هو مدينة ماكاو . فان فيها كل ما تريدون والمناخ
 بخير فقلت له وقد كنت في بكثرة كلامي ونعرض لما لا يعني . اننا نرغب في
 التفرج على مدينة باكين العظيمة عاصمة ملكة الصين وكرسي ملكها المشهور .
 فاجاب بيدي ان نذهب الى نانكيو ومن ثم نصل في البر الذي يمر في وسط
 تلك البلاد العظيمة حتى مدينة باكين . فاجبت انه لا ميل لي الى ذلك لغير اني
 ارغب ان اسالك هل تقدر ان تذهب بنا الى مدينة نانكيو ومن ثم تذهب الى
 باكين . فاجاب كيف لا . وقد ذهب الى هناك منذ برهة بمرور مركب جرمانى
 كبير . فلما سمعت هذا الخبر ارجف جدي خوفاً لاني كنت افضل مصادفة
 ابلهس على ان اصادف مراكب المانية . لانه لم يكن عندنا اقل ريب ان ذلك
 يؤدي بنا الى الهلاك لعدم احتدارنا على مصادمتها خاصة لان جميع المراكب التي
 تأتي تلك الجهات هي من المراكب التي تفوق مركبنا حجماً وقوة

فلما رأى الدليل اننا في وجهه في من جرى ذكره مركب المانية قال
 يا سيدي لا تخف الجرمانيين لاني اظن ان دولكم لا تخاف الآن دولهم . فاجبت
 نعم على اني لا اعلم ماذا يصنع بنا مركب اقوى من مركبي اذا صادفنا في محلات
 لا تبلغها قوانين ملكنا . فقال اكم اسم بالخصوص فاذا تخفون . الا تعلم انهم لا
 يتعرضون للمراكب التجارية

فلما سمعت هذه الكلمات تصاعد الدم بعنف الى وجهي وتغيرت حركتي في
 عروقي فارتبكت جداً حتى اني لم افكر ان اضبط نفسي . اما الدليل الشجع فلحظ
 ذلك بسهولة

فقال لي يا سيدي اراك مرتبكاً في افكارك بعيد ما ابدته لك فارجوك
 ان تعجل ذيل المعذرة لاني قد اطالت الحديث واكثرت السؤال عما لا يعني .

فأذهب الى حينئذ تشاء . اما انا فاقبل كل ما تأمرني به . فاجبت لاريب ان افكاري متغيرة لاني لم اصم على الذهاب الى مكان معلوم خاصة لانك ذكرت لي شيئا عن مراكب اللصوص وحالة المركب وفوتو غير كافية لمصادمتهم على اني اظن انه ما من مراكب من مراكبهم في هذه النواحي . فاجابني لا تخش ضرا لاني لم اسمع بهم في هذه البحار منذ خمس عشرة سنة غير انه منذ نحو شهر بلغنا ان في صياح مركب لصوص . ولكنه ذهب الى الجهة الجنوبية . اما ذلك المركب فلم يكن قويا وقادرا على المهاجمة لانه لم يبق لذلك . وبلغنا ان ملاحيو الانبياء الذين فروا به بعد ان قتل قبطان المليون في جزيرة مرماطره قد حولوا الى مركب لصوص . فاجبت متجاهلا . هل قتل الملاحون قبطانهم . اجاب لا ولكن المظنون انهم اهاجموا الى قتل او كانت لم في قتلهم لانهم بعد موتو استغفوا الفرصة وفروا بالمركب . اجبت انهم يستغفون القتل كالمهم قتلوا بايديهم . قال كيف لا ولابد من ذلك متى صادفهم مركب انكليزي او جرمانى وقد اتفقوا بانهم ان صادفوه لا يرجعون من فيه بل يعاقبونهم اشد العقوبات . فاجبت قد اخبرني انه قد خرج من هذه البحار فكيف بصادفونه . قال ان ذلك لمستصعب غير ان جميع المراكب التي تأتي هذه البحار عندها وصف تام له فن مجرد النظر الرو عن بعد يعرفونه فيناء على ذلك فكيف انباء القبض عليهم في هذه البحار او في سواها ولا اظنه قد بعد كثيرا عنها لانه منذ مدة طويلة اني خليج صياح في نهر كاموديا وراة بعض ملاحيو الجرمانيين الذين تركهم ارفاقهم في البر مع القبطان عند ما فروا يوافقتة سنن انكليزية والمائة كانت راسية هناك حينئذ وكادت تلقي القبض عليهم لو ساعدت السفن المتأخرة المنبعين المتدعين حق المساعدة ولكما تأخرت عن ذلك فاستغفم الفرصة من فيه ورموها بطائفات المدافع فخطروها قبل ان تقدمت ليجدها السفن المتأخرة وبعد ذلك توغل في البحار فتأخرت عن ان تقفوا اثر السفن المذكورة بعد ان حصل لبعضها ما حصل ولذلك قد اخبرته ولمن فيه جميع اصحاب المراكب التجارية الشر ونحالتي على

شئ كل من يقع في أيديهم من رأكبو

فاجبته هل يشقونهم قبل الوقوف على خبرهم والمجت عن حنيفة ذنبهم .

اجاب باسدي لا يخفى عليك انه لا حاجة الى القصاص والتدقيق في امر رجال
اشرار كرمس وملاحه لانهم ان اوثقوا بعضهم ببعض الآخر وعلقوا كلك مدقع
في اعناقهم واغرقوهم في لجة البحر يكونوا متصفين

ولم اكن اخشى الدليل لانه كان تحت سلطتي في المركب فقلت له يا سدي
الدليل اعلم اني خوفا ما ذكرت طلبت اليك ان تذهب بنا الى نأكون دون
الذئاب الى ما كانوا او الى محل آخر حيث ربما صادفنا مراكب انكليزية ان
جرمانية . لانه لا يخفى عليك ان رؤساءنا من الفيلطي الطبايع الشكيبين الذين
لا يعرفون الحق والعدل ولا ان يسلطوا بحسب سنن الله وقوانين البشر . ولكم
نظرا لا تقارم بمناصمهم وعدم ادراكهم حنيفة فروضهم يركبون القتل لمناصه
الاصوص . ويناصون من انهم نهية باطلة دون القصاص عن الحنيفة . فاسأل الله
ان يهدي حقا وحقا بالرجوع الى وطني لا يطلب بعضهم الى الحاكمة على اعمال
كذلك فيعلمون كيف ينبغي ان يسلطوا مع مراعاة الحق والعدالة . ولا ينبغي ان
يعامل احد بظلم . مذنب حتى يثبت عليه الذنب . ثم قلت له ان هذا نفس
المركب الذي تتكلم عنه والذي عاجبنا مراكبهم . ثم وجدت له المعركة وسوء
اداره من عاجبنا منهم . واخبرته عن كنهية ابناء المركب وعن معاملة الجرمانيون
لنا . وعن الاسباب التي تجعلني ان اصدق ان ملاح المركب الاولين قروا
بعد ان قتل قبطانة المالكون . واما ما قالوا من ان ملاحه صاروا لصوص بحر
فلا اصل له وكان من فروض من عاجبنا منهم ان يثبوا عن حنيفة ذلك قبل
ان يثاقبوا ويترسوا بان تصادهم المناصه عن انفسنا واولادنا ولا ريب ان دم
من قتل منهم في تلك المعركة بطلانهم الله . فادعني الدليل هذا الخبر فقال
لنا انكم قد اصبتم في تجنبكم المراقب التي ثابها مراكب الكوريين وذهابكم الى
شمال الصين فاشير عليكم بان تبيعوا المركب هناك لان ذلك سهل وان تشدوا

مركبا آخر صينيا وان لم يكن يحكم البناء كمركبكم ليرجوا بوجاهتكم واموالكم
الى بنغاليا او مكان آخر. فاجبت ان هذا هو مقصدي بعد وصولي الى مكان
اقدر ان ابيع فيه مركبي واشترى غيره. فقال ان كثيرين يرغبون في ابتاع
المراكب في نالكون وفيها مراكب يحكم الرجوع فيها الى بلادكم. ولا ريب اني
اقدر ان اجد من يشتري ومن يبيعكم غيره فاجبت بارك الله في ذلك. على اني
اخشى ان اكون واسطة لجلاب الهوان والويل على من يشتري فانك اخبرني ان
الانكليز والجرمان يعرفون المركب من وصفه فحونا صادفوه يحكمون على من
فروا بالقتل دون فحص وان يكونوا غير الذبيح فزوا بوجاهتكم الى سائخذ
الوسائط التي تتكبد بردهم عن المعارضة للمركب ومن فيه. لانه لا ينبغي عليك
ان اعرف جميع رؤساء المراكب التي تأتي هذه الجهات فساخبرهم عن حقيقة الامر
وانهم قد ارتكبوا الغلط في ما فعلوه. لانه مع ان ملاحو فروا بوجاهتكم لوصفكم
وفضلا عن ذلك ان الذين اشتروا هم غير الذين فروا بوجاهتكم وقد اشتروا لمعاينة
القبارة. ولا ريب عندي انهم يصدقوني ويمتنعون عن الحكم على من فروا بالموت
قبل ان يفحصهم ويفنون منهم على حقيقة خبرهم

وكنا نسير قاصدين نالكون. فبعد ان سرنا نحو ثلاثة عشر يوما وصلنا الى
الجهة الشرقية الجنوبية من خليجها. فبلغنا هناك ان قد تقدمنا مركبان جرمانيان
فتشاورت انا وشريكى على ماذا ينبغي ان نفعل لنخلص من الخطر الذي كان
حيث نريد دنا فاربعنا ولم نعلم ماذا نفعل وكنا نشتهي ان ناتي مكانا نستأمن
به على انفسنا مع قطع النظر عن بعد وقرب. فسألت الدليل اما من مكان
وراء صحور او في مصب نهر تقدر ان تدخله ونرسو فيه دون ان يرانا مركب
اوربي ويمكننا فيه ان نتم اشغالنا مع الصينيين. فقال لي ان خليجا غرب كانشكان
صغيرا بعد عنا الى الجنوب مسافة قصيرة وباتية القموس ليدخلوا منه الى
داخلة الصين ليعلموا الصينيين الديانة المسيحية. ولاننا براكب اوربا. اما
المكان فليس من الحالات القبارية. غير ان اليابانيين بانونة احمانا. ليشترى

البضائع الصينية

فاجمع رأينا على الذهاب اليو. اما اسمها فقد برح عن فكري وليس له قيد
في اوراقنا وكنت قد دونته في مفكرة مع اسماء محلات اخرى ولكنها تعطلت
بالماء. على ان اذكر ان التجار الصينيين او اليابانيين الذين تعاملوا معنا حينئذ
يدعون باسم هو غير الذي اخبرنا عنه الدليل. فقبل ان ذهبنا الى المحل
المذكور اتينا مرتين الى الشاطئ حيث رحونا في بناءة الامر لتتبدد ماء فقلنا اننا
نلك المحل بالترحاب واحضروا كل ما يحتاج اليو من الارز واصول اشجار
وشاي وطبور فاحذنا ما منهم بالتمام. ثم رفعنا المرساة ونشرنا الشراعات وشرنا
قاصدين المحل المذكور آنفا. وكانت الريح ضدنا فلم نصل الا في خمسة ايام.
فلما دخلنا ذلك الخليج فرحنا جدا وشكرنا العناية التي اوصلتنا اليو سالمين
وسمحت لنا ان ندوس اليابسة ثانية. وعزمت انا وشريكاي على ان لا نركب ذلك
المركب المتكود المحظ انما وفق الله سبحانه وتعالى اشغالنا فانتقم لي مما قاسيته في
هذه السفرة من المخاوف والمشاق ان اشفي حياة واتعيا حياة من بخامره المخوف
دائما فهي امر من الموت لانها تثقل على الفكر وتسلب راحة الانسان وتبطل
يوم على الدوام ان عدوه قريب منه. وكان يحال لي ان رؤساء المراكب
الانكليزية والجرمانية من الذين لا يصغون لصراخ المظلوم ولا يتصفونه ولا
يبرزون بين الارباب والاشرار ولا بين الصريح والكذب. ولو وقعنا في ايديهم
واصفوا لما نديو من اخبار ما حصل لنا لاقتنعوا اننا لسنا من اللصوص. واكرر
برهان على ذلك هو البضائع التي كانت معنا ودخلنا الى فرض نجيبها اصوص
البحر وعدد رجالنا قليل. ومن قصد السلب في البحر ينبغي ان يكون عبدة
من المدافع والمهمات البحرية والرجال ما يكفي لمقاومة اعظم المراكب للاستيلاء
عليها. اما نحن فلم يكن عندنا ما يكفي من هذا القليل. اما الذين في المركب
من الملاحين والمتوظفين فكانوا من شعوب مختلفة وذلك هو برهان كاف لمن
يستولي علينا من اوروبا. اننا لسنا من الذين فروا بالمركب لانه كان قد بلغني

ان عندم اسماء ملاحه الاولين مع اوصاف كل منهم ولكن قوة الخوف اعتمدت
 عن هذه الامور جميعها واولني من جنودها جيشا عرمرما فهاجني وكسر كل
 جنود المدافعة . فكنت اخاف ما لا يمكن حدوثه . وقلنا في انفسنا ان الذين
 طاردونا في تلك السفن تكبروا جدا من غم فجاحهم ومن المحاصرة التي المت
 بهم حتى انهم ان تمكنوا من القبض علينا يهلكونا قبل الفحص وما يوكد لم ظنهم
 ويثبت ما بلتهم عنا هو كون المركب الذي كنا فيه هو نفس المركب الذي فر
 به ملاحوه خاصة بعد ما صادناهم . ولو كنت انا في ظروفهم وهم في ظروفي ربما
 كنت احكم عليهم انهم لصوص دون فحص واصفاء لما يدونه لتبرير انفسهم
 فاقفنتني واقلنت شريكى هذه الامور ونفت النوم من اجفاننا . فكنا كثيرا
 ما نحلم بالحمل والاختاب (اي المشقة) وبالطارية والكفاج وبانهم القوا القبض
 علينا . ففي احدى الليالي حلت حلتا محيئا جدا فتراى لي ان الجرمانيون قد
 دخلوا مركبنا واني اذافع عنه واطعن ملاحا منهم فاستند علي الخوف بهذا المقتدر
 حتى اني ضربت جانب المركب بقبضة يدي ضربة شديدة جدا فجرحت وانكسرت
 . فاصل اصابي فاقظني الالم

وما كان يزيد خوفي وبلالي هو تصوري فع المعاملة التي ربما عاملونا بها
 ان امثلوا علينا خاصة ان كانوا من الجرمانيين الذين كانوا قد ساءوا بمعاملة
 بعض ابناء وطننا وانهم بالعذابات المختلفة ربما ساقوا بعض ملاحينا الى الاقرار
 بذنوب لم يرتكبوها قط او ان يجازوهم لانهم اثبتوا لوصفينا وهكنا يقتلوننا
 جميعا بشهادة باطلة صدرت من كان يتعذب بعذابات لا نطاق . وربما حطم
 على فعل ذلك طمع الاستيلاء على المركب وما فيه . ولما نحو اربعة او خمسة
 الاف ليرا انكليزية

فصلبت هذه التصورات راحتي وراحة شريكى ليلا ونهارا . فلم يلح لنا قط
 ان روساء المراكب ليس لهم سلطة ليقاصونا . واننا ان سلنا لم لانسلم لم القوانين
 يقتلنا وانهبنا . وان فعلوا ذلك بطالبون به عند وصولهم الى اوطانهم . ولكن

هذا لم يكن بليلتي لانه ما الدائدة بعد انقضاء الاجل
 انه يلحق بي ان اذكر هنا التأملات التي كانت تطرق افكاري من جهة
 احوالي العمومية والخصوصية وكنت اقول في نفسي اني انا الذي صرفت نفسي
 اربعين سنة من حياتي في الرزايا والمخاطر حتى ادركت الغاية التي يطلبها كل
 البشري وفي الاقبال على الميمنة المحتبة دون نصب وكذا قد طرحتم نفسي في مخاطر
 ومشاق ورزايا لا طاقة لي على احتمالها. واني انا الذي قد تخلصت من مصائب
 ومخاطر كثيرة في صغر سني وتغلبت عليها سائهي ايام غربي في هذا العالم معلناً
 بمشقة في محل بعيد جداً عن وطني كبحر حال كوني بربنا. فكنت افكار
 الدنيا تعرض لي وانا غائص في بحار هذه التأملات. فكنت اقول في نفسي
 الظاهر ان العناية الالهية قد قدرت علي ذلك فلمس لي منها مهرب فينبغي ان
 اخضع لما يشكر. لانه مع اني بريء من الخطايا ضد ابناء جنسي الادميين لست
 بظاهر من الخطايا ضد خالقي. فالواجب علي ان انقص نفسي لاري ما هي
 الخطايا التي اذكرها وانقص القصاص عليها. فاناً من الواجب علي الخضوع
 التام كما لو حدث لمركبي حادث باذن الله فانكسر. ولكن ضعف الطبيعة
 البشرية وشرفها قد ذهب بي من هذه الافكار وقادني عن غير معرفة الى
 الاحساسات الطبيعية. فكنت اقول اني لا اسلم قط ان اقع في يد اقوام ظلمة
 اشرار ليقولوني. انه احب الي الوقوع في ايدي البرابرة الذين لا محالة يقتلونني
 اما اولئك فرما يذبونني بعذابات وحشية لا طاقة لي على احتمالها. كيف اسلم
 بذلك وانا نفس ذاك الذي كنت اصم وانا نكافح البرابرة ان ادافع عن نفسي
 بالقوة حتى الموت. فاذا بمعنى عن ذلك الآن وانا اعلم ان الوقوع في ايدي
 اولئك هو اشد عذاباً من الوقوع في ايدي البرابرة. لان البرابرة لا ياكلون
 اسنهم حتى يموت. اما اولئك فالعذابات التي يذبون بها من وقع في قبضة
 ايديهم هي فائقة الحد والوصف فعند ما كانت تغلب هذه الافكار ناك كان
 يجري الدم بجمرة في جمدي واشعر كان عيني تنفذان لمياً كآني في وسط

المركبة معتدلاً على المدافعة حتى الموت ولو غلبت قبل ان ياتيني داعي اليه
ورأيت اني على حمة الوقوع في ايديهم لحرقتم المركب بنا اجمع غير تارك لم
ما يتصورونه

فلما نزلنا الى البر زالت تلك الخواف والصورات التي افلقنا. اما شريكى
فاخبرني انه حلم ان حملاً ثقيلاً جداً موضوعاً على ظهره لم يصبه على جبل
عالٍ فاقى الدليل البرنوغي وإزالة عن ظهره اما الجبل فاخفى من امام عينيه
فراى ان الارض امامه سهلة هبة المسلك. فلارهب ان جميع من كان في
المركب عند ما وصلنا الى اليابسة شعر ان حملاً ثقيلاً ارفع عن ظهره. اما انا
فشعرت ان ثقل زال عن فؤادي. فصمنا على ان لا نساغر بعد في ذلك
المركب. فلما وصلنا الى الشاطئ هب لنا الدليل منزلاً ومخزناً لبضائعنا. اما
المنزل فكان بيتاً صغيراً واما المخزن فكان مثله وما مبنان من قصب يحيط بهما
حاجز من قصب كبير لئلا يدخلها اللصوص وكانوا كثيرين جداً في تلك البلاد.
فلما نساغن على اموالنا ارسل لنا حاكم تلك البلدة حراً وفضلاً عن ذلك
كان عندنا جندي متفاد عند الباب. فكانا نعطيهم قليلاً من الارز ونحرق
غرش ونصف كل يوم فكان يجهد نفسه ليرضينا ويرمنا على اموالنا
وكان قد مضى الوقت الذي تروج فيه السوق في هذا المكان غير انه
كان لم يزل راسياً في الميناء اربع سفن ومركبان يابانيان مشحونان بضائع صينية
وعرفنا الدليل بثلاثة قسوس كاثوليكين ساكنين في تلك البلدة يعلمون
الصينيين الديانة المسيحية وكان احدهم فرنسويّاً يدعى الاب سمعان وانثاني
برتوغلما والثالث جنوبياً. اما الاب سمعان فكان لطيفاً رفيق الجاسب. واما
الانسان الآخران فكانا يتجنبان المعاشرة وظهر لنا من سلوكها انها غير متفنين
اصول التداخل واللفظ. فكانا يجهلان جداً في القيام بحق فروضها الدينية
من تعليم وصلاة وغير ذلك. اما المبشرون فلا يعلمون الصينيين من الديانة
المسيحية غير بعض صلوات يرددونها ومع ذلك كان القسوس شديدي الايمان

بأنهم ينالون الخلاص بواسطتهم ولذلك كانوا يفاسون مشاق شديدة وأخطاراً
كبيرة واضطهاداً لا مزيد عليه لأجل تعليمهم بعض أمور من الديانة المسيحية .
فكانوا يزورون كثيراً هؤلاء القموس وتاكل معهم . أما الأب سمعان فكان قد أمره
رئيس القموس في الصون أن يذهب إلى باكين قصة الملكة . فكان ينظر
قدوم قسيس آخر من ما كودا لذهب معه . فكان كل ما اجتمعنا يلج علي بالذهاب
معه إلى هناك ويقول لي أريك كل ما يستحق النظر والاعتبار في هذه الملكة
العظيمة وأريك أكبر مدينة في العالم وهي باكين التي تفوق كبراً لوندرا وبارند
معاً (هذا في الزمان الماضي)

ففي أحد الأيام كنت جالماً عند تناول الطعام وأوانح السرور تلوح
على وجهي فآخذ يلج علي بالذهاب معه إلى باكين فظهرت مولاً إلى ذلك
فازداد بالحاج علي وعلى شريكه مرافقتي وأعدا إيانا باننا نرى ما نصو اليه
العين . فلما فرغ من كلامه قال له شريكه كيف هذا يا ابنا سمعان الانعلم اننا
من المرافقة فهل نلذ لك مرافقتنا . فاجاب ان جل علي هنا هو نبشير الوثنيين
وما ادراك اني لا ابشركم وإدخلكم في حوز الكنيسة البطرسية الجامعة المقدسة .
فقلت له اذا لا تقتر عن تبشيرنا الطريق بطولها . فاجاب اني لا أثقل عليكم
بللك لانه لا ينبغي عليكم ان مذهبا لا يطلب اليها التجرد عن الصفات التي تقتضيها
رفعة الجانِب واصول المعشر . وفضلاً عن ذلك نحن الآن كابناء وطن واحد
اذا اننا وجدنا في بلاد بعيدة غريبة في غير قارتنا ونحن من قارة واحدة . فان
كننا اننا الآن كفره مثلاً وأنا مسيحي ربما بعد مدة نصير جميعنا مسيحيين . ألسنا
من ارباب المدن . فاذا تقدر ان نلتقي ونحدث ونترافق كمهندسين دول
ان ينقل بعضنا على البعض الآخر او يبين احداًنا حاسيات رفيقو

فسرتني جداً كلماته وذكرني الخوري الذي كان معي في الجزيرة وكلمة
فاني هذا كثيراً في جملة أمور منها الغيرة الدينية والاشعار بشدة الخطايا والذنوب
وحجة الديانة الممرطة إلى غير ذلك من الصفات التي تزين من تعاطي مهنة

خدمة الدين وإرشاد البشر

فلنرجع الى ذكر ما فعلنا لجهة نصريف بضائعنا ومركبنا ناركيت ذكر
الاب سيمان برقة . ولئن كان لم يفارقنا قط ونحن هناك ولا قدر عن الاحتاج
علينا بالذهاب معه الى ياكين . فاقول اننا ارتبكنا جداً في امر نصريفها لانه لم
يكن رواج لسوق التجارة فكذت اذهب الى نانكون لاجل تنعيم اشغالي على ان
العناية الالهية اعتنت بنا وباشغالنا حيث نزلت وسهلت علينا جداً فتفرغنا من كل
امالي بالرجوع الى وطني . على انني لم اكن اعلم حيث نزلت كيف يهيم لي ذلك في
احد الايام اننا الدليل البرنوغالي ومعه تاجر بابائي وسأفنا عن انواع البضائع
الموجودة معنا فاخبرناه . فاشترى منا كل الاثيون الذي كان معنا شئ
جيد ودفع لنا الثمن قطع ذهب منها من معاملتهم ومنها سبائك وزن الواحدة
نحو احدى عشرة اوقية . فظننت برغب ان يشتري المركب ايضا فسالته فاني
مازاً كنت فيه . على انه بعد مرور بضعة ايام اناني ومعه احد القسوس ليترجم عني
ومعه وقال لي بلسان الترجمان انني اشتريت كثيراً من بضائعكم ولم يكن لي
حيث نزلت بل الى اشياع المركب لانه لم يكن معي مبلغ كاف لدفع ثمنه . ولكن
ان سمحت للملاح المركب ان يهروا به معي الى يابان ادفع لك اجرتك ومن ثم
ارسلهم به الى الجزائر القبلية بشحنة بضائع . وادفع لك اجرتك فيل ذهابي ولدي
رجوعه الى يابان اشترى المركب نفسه وادفع ثمنه لن تقووس بقبضه . فاصفيت
الى كلماته بلغة وملت الى الذهاب معه بنفسه لاني مع كل ما حصل لي من
الاعطال والمصائب لم ازل اميل كل الميل الى الله والنجولان في العالم . فسالته
هلا تقدر ان تستأجر المركب لينقل بضائع الى الجزائر القبلية دون ان يرجع الى
يابان لانه كان قد خطر لي يبال ان اذهب منها الى البحار الجنوبية . فقال
لاني ارجب في ان يرجع المركب الى يابان بشحنة تخصني . فاستأجر المركب الى
يابان ومن هناك اذهب حتما شئتم فلت الى قبول ما عرضة . على ان شريك
الذي كان احكم معي معني عن ذلك قائلاً ان اعطال البحار كثيرة وفضلاً عن

ذلك ان اليابانيين هم من الذين لا يعرفون دينا ولا يتبعون على كل من مكنهم
 الفرصة من التعمدي طوبى وانهم منهم الاساقفة والقسوس الجزائر القلبية .
 والحلاصة عزمنا على ان نسال الرئيس والملاحين هل يرغبون في الذهاب الى
 يابان ففي اثناء ذلك قدم اليّ القتي الذي كان قد تركه لي ابن اخي الرئيس
 عد ما اخرجوني من المركب وقال بلوح لي ان في هذه السفرة مكاسب باهظة
 فيعرفني ان اذهب معك الى يابان على انه ان تمتعت عن ذلك ارجوك ان
 تسع لي ان اذهب كساجر او كوكيلك كما يحسن لك بك . فان رجعت الى اسكتلندا
 او قدر الاله اجعاني بك اتعم الارباح وفي رحلتك . فشدت عليّ مفارقة ولكني
 لدى التأمل في الحاج الذي ربما صادفته وفي انه فني بقدر على مصادمة
 الاعمال واحتمال المهائب اذنت له بالذهاب . على اني اخبرته انه ينبغي ان
 استشير شريكه في ذلك ففي القدر اعطيتك جواباً قاطعاً . فاجبرت شريكه
 فقال لا ينبغي عليك ان اتفق قد تولى امر هذا المركب وقد عزمنا ان لا نغير فيه
 بعد . فان رغب ففك في الذهاب و اعطوه حصة نصف حصتي في المركب . فان
 احبنا الله واجتمعنا في اسكتلندا بنا اسمنا على نصف الارباح . اما النصف الثاني
 فبقى له هذا ان قدر الله له نجاحاً ولا فلا حول ولا قوة الا بالله
 فلما رأيت ان شريك الذي لم يكن له اقل تعلق بذلك القتي قد رغب
 تلك الهبة العظيمة تحركت في الغيرة وعرضت الكرم وروية مثلها . وجميع
 الملاحين رغبوا جداً في الذهاب الى يابان فصحبت لم بذلك بعد ان كتبنا صكاً
 للقتي بان نصف المركب له واخذنا منه صكاً آخر بهتمد انت بقاسمنا على
 نصف الارباح ثم ركبا المركب وساروا في قاصدين يابان . اما الفاجر الياباني
 فذهب معهم واحسن معاملتهم جداً وسلك بامانة لا مزيد عليها . وكان القتي
 من تديبات اليابانيين وجلب له رخصة من الحكومة ان يزل الى البر لانه لم
 يكن حشده مأذوناً للاوربايين ان يدخلوا البلاد اليابانية دون اذن مخصوص
 ودفع له اجرة المركب وذهب الى الجزائر القلبية وقد ضمن المركب بضائع

يابانية وصينية وارسل معهم وكيل نحن ياباني فبدل ما كان معه من البضائع
ببضائع اوربية واطياب مختلفة وعند ما وصل الى يابان دفع له ذلك التاجر
اجرة حسنة جداً . وعند ما رأى ان الفتي لا يرغب في ان يبيع المركب ثمنه ثمنه
ثالثه وارسله لحسابه الى جزائر مالتا ليس . فاختد معه الفتي بعض بضائع خاصة
وباعها هناك باثمان جيدة جداً . وتعرف باشخاص من ذوي الثروة والاعتبار .
فاستاجر منه المركب والي مانيلا ليأخذ له بعض مهام الى كابلوكو في امريكا وهي
في مكسيكو واعطاه ورقة رخصة ليغزل الى البر ويسانفر الى مدينة مكسيكو
ومن ثم يذهب مع كل رجاله الى اوربا في اي مركب اراد . فصادف توفيقاً في
سفره الى كابلوكو وباع مركبه هناك وحصل اذن ان يذهب برا الى بورتو بالي
ومن ثم الى جاميكا بكل امواله . وبعد نحو ثمان سنين رجع الى انكلترا بال
غريم جداً وسباني ذكر ذلك ان شاء الله

اما الملاحان اللذان انفلتا من الوقوع في ايدي من طاردنا من الانكليز
والبحرمان ونحن في نهر كاسبوديا فيستحقان الشكر الوفي والاکرام الزائد والجماعة
التيقة لانها انفلتا من هلاك كان يهددنا دون ان نعلم به . وكانا شريرين
طالين الدخول في سلك لصوص البحر . لانها ظننا منهم فلذلك اخبرنا
بنصد الانكليز والبحرمان لناخذها معنا ونقسم عليها ما نسله . وقال احدهما لي
ان الذي حملا على اخباركم يا اخبرناكم به هو امل الدخول في سلك قوم
الشرار ليجول في البحار معهم فاصدين السلب والنهب ومع ذلك كانوا بعضنا
غير المجازاة نظراً لمعروفها وقبائلاً بحق وعدي لها بالمكافاة ان صدق خبرها
دفعتم لها الاجرة التي ادعيا انها مستحقة لها من مركبها ومبلغاً وامراً من الزنود
وهدية وقرمت الانكليزي الى رتبة مدني في المركب لان المدني كان قد رقي
الى رتبة نائب القبطان . اما البحرمان في فرقته الى رتبة رئيس القارب فمرراً جداً
بذلك وخدموا في المركب مهمة وامانة لا مزيد عليها
وهكذا اصبحت في مكان يبعد جداً عن وطننا . فالظاهر الي كفا كس

اطلب القرب اليو كان يحدث ما يعندي عنه . فان كنت اعد نفسي بعيداً
ومتيماً عن وطني وانا في بنغاليا فاذا يحق لي ان اقول الآن وقد اتممت عنه
مسافة طويلة وامسيت غريباً في سواحل الصين دون امل الرجوع اليو . على
ان الادل القرب بالرجوع هو انه بعد نحو اربعة اشهر مروج السوق في المكان
الذي كنت مقياً فيه فأتاني اليو كثيرون من تجار الصين ويايان فابتاع منهم
بضائع كثيرة ومركباً صينياً اذهب بهما فيو الي حثا شنت . فعزمت على ان
انتظر ذلك . وفضلاً عنه اتى انا وشريكى لم تكن نحسب من اللصوص ونحن
خارج المركب المذكور فكان يمكننا ان نعاثر الى اوربا بمركب انكليزي ان
جرمالي هذا اذا انت المراكب ذلك المكان فعزمتا على القيام فيو الى ان تدرك
الغاية وامل الرجوع قريباً بسلامنا . فلكي ننتزه ونفزع على البلاد كنا نذهب احياناً
الى داخلها فاول مكان اتيناه مدينة نانكين وهي من المدن التي نعتنى الذكر
وفيها ما يلفد زائروها . واما عدد سكانها فهو حسب رجم اهلها نحو ربوة .
اما ارقنها فهي مستنبة جداً . على انه لدى التقدم للمقابلة ساكنها وحالتهم ومعالمهم
وكيفية معيشتهم وحكومتهم وغمام ومجدهم ببلادنا بيان القرى وانهم لا يهتفون
الذكر بالمقابلة . ولا ريب ان غنى هذا الشعب وقوته ومعاملته وتجارته قد هشتا
جداً . ليس لانه ليس عندنا نظيرة اولانا لم نر له شيئاً ولكن لاننا لم نتظر ان
نجد شيئاً من ذلك في بلاد نسمع ونحن بعد دون عنها ان اهلها جهلة متوحشون
فعد ما نأتينا نرى ما نراه من تلك الاشياء فنحن قلوبنا عجباً ودهشة لاننا لم
نكن نتظر ان نرى اشياء كهذه . فان قطعنا النظر عن ذلك فاما في المشابهة بين
قصورها وقصور اوربا الملكية وقوة مدنها وغناها ومجدها وقوة مدن اوربا
وغناها ومجدها وبين تجارهم وتجارة انكادرا وهولاندا وفرنسا واسبانيا وليست
مشابهة بين مراكبنا ومراكبهم وحصوننا وحصونهم وتجارتهم البحرية وتجارتنا .
ابسوخ ان نقابل بعض مراكب صغيرة غير محكمة البناء بمراكبنا العظيمة المينة
ومراكب دولنا العربية القوية التي بكل عن وصفا القلم . ولا شك ان تجارة

لوندرا وحدها تنوق نصف تجارة كل ملكة الصين العظيمة. وإن مركبا حربيا
واحدًا انكليزيا او جرمانيا او فرنسويا محمولا ثمانون مدفعا بقدر ان يصادم
كل عارات الصين الحربية ويغلب عليها. وكذلك يصح القول في جيوشهم
وفي كل قوات ملكهم. لانه لا ريب لو اجتمع مليون مقاتل من جيشهم الجرار
حول مدينة محصنة في اوربا وما حباها عشرين لا يقدر ان يفتحها وكذا ان
صادمة ساعة واحدة لايل لو اجتمع ثلاثون الف راجل وعمدة آلاف فارس
من جيوش الانكليز او جرمانيا المنظمة يقدر ان يهزم وجميع قوات الصين
وفرسانها. لانه ما من مدينة محصنة في الصين تقدر ان تدافع شهرا واحدا
جيشا نظير الجيش المذكور. لان الحظيم الباربة غير محفنة الطاق وبارودهم
ضعيف جدا وعساكرهم غير منظمة ولا تعرف صناعة المهاجمة والدفاع والرجوع
فبئس على ذلك انه حدثت كل الاندهاش عند ما رجعت الى وطني وسمعت
اخبارا كثيرة عن قوة الصين ومجدها وعظمتها وغناها وتجارتها. لان الذي
ظهر لي من امرهم بالاحمال على جانب عظيم من الجهل وكذلك حكومتهم
التي لا تليق ان تتولى امر غير من كان مثلم. ولو لم تكن المسافة بين الصين
وروسيا بعيدة جدا لما حكم امبراطور الروسيين واستولى على ملكهم دون صعوبة
الينة. ولو ان امبراطور الروسيين الحالي الذي يقال انه طالب التقدم
والارتقاء وحاربهم عوضا عن محاربتهم ملك اسوج وبروج الذي قد بلغني انه
غلب جيشه في معركة اخيرة لاصاب ورتن عسكرة في فن الحرب واستولى
على ملكة الصين عوضا عن ان يكسره عدو المذكور. اما زراعة الصينيين
فهي في عدم كثرتهم وتجارتهم ومعاملهم. اما علومهم فتافسة فاسدة فلا يهتمون
فيها ولا يهتمون عن حقائقها ومع ذلك يظنون انهم يتفوقون كل اهل العالم علما.
اما علم الملك فلا يعرفون منه شيئا حقيقيا وما ثبت ذلك هو انهم عند انكشاف
الشمس يظنون ان تبيها قد صعد عليها واخذ في بيعها فيشرعون في الفرار
الرعب في قلب الصين فيركن الى الفرار

فلما كل ما تعرضت لذكره من حالة البلدان العباسية فلا انعرض لمثل
ذلك بعد بل اقتصر على اخباري لان المقصود انما هو الوقوف على غرائب
الحوادث التي طرأت علي

الفصل الثالث والاربعون

ذهاب روينن الى باكن وسفره من الصون

انني كنت بهيئاً جداً عن وطني ومع ذلك كنت امل كل المل الى
الذهاب الى باكن لاجل الفرج على تلك المدينة العظيمة التي كثيراً ما اطيب
برصها صاحبي القديس سمعان . فبعد برهة اتى انفس من المنظر من مدينة
ما تاور ففوضت الامر كله الى ارادة شريك . فلدى الغامل برهة في ذلك فر
رأته على السفر معها وذلك ما يتكفل لنا بعدم الخروج عن السيل . اما الوالي
فهو من جملة نواب الملك الذين يحكون على مقاطعات عظيمة . فعند ما ذهب
الولاية من مكان الى آخر يستمعون منهم من الحشم والخدم جهوراً غفيراً
ويعتبرهم الشعب جداً واحالي المدن والقرى المجاورة للطرق التي يسلكونها
بخدمون لم ولن معهم كل ما يلزم من المأكولات والمشروبات . وكثيراً ما
لحق بهم الفرس من جرى كثرة المصاريف التي يتكبدونها للقيام بحق اعتبار
حاكمهم الذي يشرفو الطريق التي تجاور قراهم مجاورهم ما لا طاقة لهم على حمل
عوضاً عن ان يكرم عليهم بما يرقى اسباب راحتهم ورفاهتهم . اما سفرنا فكان
رفقة الحشم وكان بخدم لنا احالي البلاد اكثلاً لانا مراقبون للنائب المقم . على
ان وكل خرج كان يطلب الرنا كل يوم دفع من ذلك بحسب اسعار البلاد
ومعكنا يكون النائب قد سمح لنا بالسفر معه حال كون سفرنا بكلفة مالا . فكان

عدد الذين سافروا مع مثلنا نحو ثلاثين رجلاً وكانت بقدم لم الاهالي الزاد
والنائب الختم كان يقبض الثمن

فبعد نحو خمسة وعشرين يوماً بلغنا باكين وقد قطعنا مسافة طويلة جداً
من بلاد الصين ملوثة من السكان . على اني اظن ان زراعتها غير مفضلة بل
في درجة منخفضة جداً . اما معيشة الاهالي فدنية تربية جداً بالنسبة الى معيشة
اهالي بلادنا ولكم لا يسلطون بذلك لانهم لم يروا معيشة ام اخرى ليدركوا
الفاوت الكائن بينهم وبين شعوب اخرى . ومع ذلك نرى انهم من الكبرياء
والافتقار على جانب عظيم . اما انا فلاح لي ان معيشة اهالي امركا المرارة
الاصليين تفوق كثيراً معيشة الشعب الصيني . فان اولئك غير حاصلين على
شيء ما برقي اسباب راحتهم وهم مرنضون بحالتهم غير طالبيين الزيادة لانهم لا
يعلمونها اما هؤلاء فمع فقرهم يراهم متكبرين يتفخرون بما ينبغي ان يخجلوا منه فهم من
بنتي الجوار والعبد عدد لا طائفة له على القيام بمعيشة كأنه يجهل مثل العامة
القاتل على قدر بساطك مد رجلك . ومع ان الطرق كانت سهلة جداً لان
الحكومة كانت تعني بها كل الاعتناء كنت افضل السفر في صحاري بلاد التبر
على السفر في هذه البلاد التي اهاليها وهم في خضوض الجبال والفاقة يظهر
من التبر والتكبر والمظلم ما لا مزيد عليه فكثيراً ما سخرت انا وصاحبي النسيب
سمعان بهم وصرفت معه اوقاتاً كثيرة بالسرور ونحن نشاهد فقراء ذلك الشعب
يتفخرون ويظهرون من الكبرياء ما يفضك . مثلاً في احد الايام مررنا بجانب
منزل شيخ فلاح وكان يبعد عن مدينة نانكين نحو عشرة اميال وكنا قد تشرعنا
برفتنا نحو ميلين . فكان مسافراً في هيئة ملكة نظراً لكثرة عدد حشوه فكان
معه نحو اثني عشر رجلاً وكان ثوبه وحماً قذراً جداً وهو من نسج ملون من
الظنن نسجه العاية شيئاً . وكان معلقاً في اطراف رديه اشياء مختلفة الهبات
والالوان . اما صدرته فكانت اقدر من صدرية العام التي يلبسها وهو ينقطع
الختم تسمت منها رائحة تجلب الطاعون . وهذا يدل على ان حضرة الشيخ المذكور

هو من الأكلين الذين يمتنون جداً في امرئسمين اجماد م . اما جواده فكان
ضعيفاً جداً حتى كاد يسقط تحت ثقل جناب فارس المخدم . وكانت وراثة
عبدان بضربان الحيوان المنكود الحظ . وكان يد جناب المذكور عداً
يضرب بها الفرس على راسه كلما كان يضربه عبده على كملو . فهذا هو وصف
الشبح المذكور . فكان يتقدمنا في الطريق هو وحشمه . فلما وصلنا الى القرية
اتينا فيها نحو ساعة للراحة . فلما سرنا مررنا بجانب منزل جناب فرأينا جالساً
في حديقة صغيرة امام باب منزل ياكل بايدي جاربهين فعرفنا انه اذا اطلنا
الفرس فيو يمزجاً ظاناً اننا قد ادعشنا بعظمو وكرامته فوقفنا برهة نفرس
فيو . فكان جالساً في ظل شجرة وفي يد كل من الجاربتين المذكورتين ملحقة
كانت طعامه والاخرى تلتقط بالمعلقة ما كان يسقط من الارز على الحصى
وصدرو . فتأملت اذ ذاك بجهاالة الانسان وما بحيلة افتقاره على فعله من
الامور المذمومة التي لا يقع لها . فبعد ان تعرفنا فيو برهة سرنا وقد خلفنا له من
الافتقار باندھاشنا بعظمو ما سره جداً . اما الشمس فتأخر عنا وتقدم منه ليحقق
الطعام الذي كان ياكله جناب الشبح المذكور فكان من ارز واعشاب تنوح
منها رائحة مسكية ومعه قطعة لحم مسلوق فهذا كان طعام جناب ورءا اكل منه
ايضاً اربعة او خمسة خنامين كانوا واقفين بعداً عنه

اما نائب الملك الذي سافرنا معه فلم نر كثيراً من خصوصيته واحواله
لانه كان محاطاً بالحشم من جميع الجهات . على انه لاح لي انه ليس معه فرس
كريم وان فرسه كاضعف الافراس التي نجر عجلات البضائع عندنا ولم انكن
من تحديق النظر فيو لانه كان مضطرباً باغطية ثيبه فلم يكن يظهر منه غير رجلاه
ويديه ورأسه

وكان السرور مائلاً فاني لانه لم يكن ما يكدرني او يجيني الا ان فرسي
زلت به القدم وهو قاطع في نهراً فرماني فيو ول ثنائي وعطال كئيباً صغيراً
كنت اكسب فيو اسماء البلدان والمدن التي كنا ناتيها . وبعد مدة دخلنا مدينة

بأكن وكان معي الخادم الذي تركه لي ابن أخي وكان أميناً صادقاً نبيها . اما
 شريكى فلم يكن معه غير خادم من افاريو . اما الدليل البرتوغالي فاحب ان
 يرى عاصمة بلاد الصين فاخذناه معنا اليها ودفعنا عنه جميع مصاريفه وكان
 يتوهم بيننا وبين الصينيين لانه كان يعرف لغتهم ولغة الفرنسيين وقليلاً من
 اللغة الانكليزية . وانفعنا يوجداً . فبعد ان صرفنا اسبوعاً في القاعدة المذكورة
 تقدم اليّ وقال وهو يسم يا سيدي ارجو ان اخبرك ما يسر قلبك . فاجبت
 يسر قلبي ماذا عماء ان يكون . انني اظن ان ما من شيء في هذه البلاد يسرني
 او يكدرني . فاجاب نعم اخبرك بما يسرك ويكدرني . فاجبت كيف هذا فاجابني
 نعم يكدرني لانكا (اي انا وشريكى) قد اتفقا في معاهدة بعيدة عن البلدة التي
 اسكنها والآن اقم تذهبون الى وطنكم اما انا فكيف ارجع الى بلادى دون فرس
 ومركب ودرهم . فطلبت اليه ان يوضح كلامه فقال انب هنا قافلة من التجار
 الروسين والهولانديين آخذة في الاستعداد للذهاب براً الى مدينة موسكو
 ومنذهب بعد نحو اربعة او خمسة اسابيع . فلارهب انكا تذهبان معنا وتتركاني
 ارجع وحدي الى بلدي

فصرني جداً هذا الخبر حتى انني لم استطع التكلم فبعد برهة رجعت الى نفسي
 وقلت له من اخبرك بذلك هل تحققت الخبر . قال نعم فاني صادفت هذا
 الصياح تاجراً ارمياً وهو من اصحابي وقد عزم على الذهاب معهم ومنذ برهة
 وجيزة رجع من استراكان وكان يقصد الذهاب الى تونكان ولكنه بدل عن
 رأيه الاول وقد عزم على ان يذهب مع القافلة الى موسكو ومن ثم يذهب في
 نهر ولكنا الى استراكان . فاجبت اننا لا نتركك ترجع وحدك الى ماكاو . لانني
 ان وجدت ميلاً الى الرجوع الى انككترا ارجو ان تكون معي فان رفضت
 تجلب على نفسك البشارة والموت . ثم انتهت شريكى لاستشهاده بذلك فاجابني
 اني متفاد كل الانقياد الى ارادتك لانه ما من شيء يعينني عن السفر لاني قد
 سلمت نفسي وبضائتي الى من اركن اليه في بنغاليا واحب ان تشتري من نقائس

للمضائع الصينية ونذهب بها الى انكلترا ونبيعها هناك ومن ثم يمكن الرجوع الى
 بنغاليا براكب السفينة الهندية وهكذا فر رأينا على الذهاب وعزمنا على ان نأخذ
 الدليل البرتوغالي معنا الى موسكو وان شاء الله فالى انكلترا دون ان يتكبد
 شيئا من المصاريف حتى الشخصية . وهذا لا يوازي الغاية لان مراقتنا لنا كانت
 ناضجة لنا جدا فكان دليلنا في البحر وسماواتنا في البر . فكل ما بعناه من البضائع
 التي كانت معنا في تلك البلاد كان باجتهاد و مروءة خاصة تعرفنا بذلك
 الفاجر الهابالي . وهذا وحده يساوي أكثر من مائة ليرة . فلدى العمل في
 ذلك فر رأينا ان تدفع له مبلغ من النفود يساوي حسب شخصي نحو مائة وخميس
 وسبعين ليرة انكليزية علاوة على مصروف ومصرف فرسوي لشري بها بضائع
 صينية ليبيها في انكلترا وينفع بارباعها . اما مصروف الفرس الذي يحمل
 تلك البضائع فن مالو . فاحضرتة اليّ وقلت له بناء على شكواك من الرجوع
 وحدك الى وطنك قد صممت ان لا تدعك ترجع اليه بل ان نذهب معنا الى
 اوربا مع القافلة التي اخبرني عنها . وقد احضرتك امامي وامام شريك لي نفق
 على ارادتك من هذا القيل . فقال وقد مر رأيت ليس معي درهم ليد احياجالي
 في الطريق قبل وصولي الى اوربا . فاجبت انا نعلم ذلك وقد صممت على ان
 قد لك يد المساعدة نظرا لمروءتك واجتهادك ومودتك . ثم اخبرته بتفاصيل ما
 عزمنا عليه من هذا القيل . فلما سمع ذلك كاد يظهر فرحا وقال اني اذهب
 معكما حتما ثرومات ولو قطعنا الارض من مشرقها الى مغربها ثم اخذنا معي
 انفسنا للسفر فانقضى ذلك اربعة اشهر وبضعة ايام لانه لا يعني ان جميع الداهيين
 مع القافلة هم من القبار فمصرفون زمانا طويلا لاجماع البضائع وبعثه انفسهم للسفر
 فذهب شريك والدليل الى المدينة التي دخلناها في اول الامر لانهما
 بعض اشغال لنا كانت متعلقة هناك . اما انا فذهبت الى نالكيين مع تاجر تعرفت
 به فيها وكان قد اتى الصين لقضاء بعض الحاجات . فاشتريت من ذلك
 المكان ثمن قطعة من الاطلس الصيني السميك ونحو مائتي قطعة مخدنة الالوان

من نسج الحرير الثمين وبعضها مطرز بالنقوش الذهبية . واثبت بها الى باكين
حيث انتظرت رجوع شريكى والدليل . واشترينا ايضا كمية وافرة من الحرير
الغبر المنسوج وغير بضائع . فبلغ ثمن ما اشترينا من البضائع الصينية ثمن
ثلاثة آلاف وخمسمائة ليرة انكليزية وكما قد اشترينا ايضا كمية من الداي
وجوز الطيب وكبس الفرفل والانبيج النطنبة الثمينة فحملناها جميعها على ثمانية
عشر رجلاً خلا التي ركبناها والفرسين اللتين حملناها زادنا والثلاثة جمال التي
اخذناها علاوة عليها . فبلغ عدد الجمال والخيل التي كانت لنا المئة والعشرين .
فخرجنا من باكين برفقة القافلة في غرة شهر شباط . اما القافلة فكانت عظيمة جداً
واظن ان عدد الخيل التي كانت معها تبلغ الاربعمائة والرجال المائة والعشرين
وجميعهم متفادون اسلحة تامة مجهزة للمقاومة عن انفسهم ما ربما يدافعون من العدوان .
لانه كما ان عرب البادية يهاجمون قوافل الشرق يهاجم القوافل من بلاد .
على ان اولئك هم اشد فتكاً وقسوة . اما جسيمة رجال القافلة فمختلفة على ان
نحو ستين رجلاً منهم كانوا من تجار موسكو . ولعظم حظنا وجدنا بينهم خمسة
تجار من اهالي اسكونلانا وكانوا من ذوي الاخبار والافهام على الاشغال .
فبعد ان قطعنا مسافة يوم جمع حراسنا الخمسة جميع القافلة خلا الخدم للمشورة
وهذا الاجتماع هو المنظر في ما يلزم اراحة القافلة وتأمينها . تدفع كل منابغا
من النفود للتزود واجرة الحراس والحشم وما اشبه وصار ترتيب القافلة ونظم
احوالها . فصار تعيين مديري وقواد لادارة رجال القافلة لدى الاقتضاء لاجل
مصادمة من ربما يهاجمنا وهذا من الزم الامور لانه ظهر لنا انه لابد من اخذ
الاحتياطات اللازمة لتلاجل بنا الدمار والموت

اما البلاد التي ساكنها فكانت مملوءة من السكان ومن عملة الخريف
المعروف بالغار الصيني . ففي احد الايام تقدم اليّ الدليل الذي كثيراً ما
ينهي الى الفرج على ما لم اتبه اليه من نفسي وقل لي هم اريك ما لم تر مثله
فيمكنك ان تقول انك رأيت شيئاً في هذه البلاد . فطابت اليه بالهاج ان

يخبرني ماذا عسى ان يكون ذلك الشيء. فاخبرني انه بيت مبني من الخرف
 الصفي. فقلت له هل يوطنهم مبنية من تراب اراضهم فاذن في جميعها مبنية من
 الخرف الصفي. فاجاب لا لاي شيء هذا المقصود لان ذلك البيت انا هو مبني
 من الخرف الصفي الذي يرسل الى بلادنا ونفخر به جداً وهو عظيم. فقلت له
 ان ذلك لمكن ألاقدر ان تضع ذلك البيت في صندوق وتذهب به الى
 انكلترا فان كان ذلك من الممكن نفدريو حالاً. فاجاب متدمعاً أنملة على
 رجل فروع عائلة نحو ثلاثين نفساً. فلما سمعت ذلك رغبت في الفرج طرد
 فصدته وإذا هو بيت من خشب مغطى بالتراب الذي يصنع منه الخرف الصفي
 اما خارجه فكان ابيض لامعاً جميلاً جداً لان الشمس كانت قد احرقته وكان
 منظره كمنظر الخرف الصفي المحروق الذي يباع بالثمان عالة في انكلترا. اما
 داخله فكان مغطى بالخار المذكور متفوشاً بنفش جميل جداً بعضه بالذهب
 وكذلك ارض الحجر واستقنتها ومنها ما كان لونه يضرب الى السواد بلع كالبلور
 الصافي. هذا هو وصف ذلك البيت المدهش ولا ريب انه يحق لاهل الصين
 ان يفتخروا بتلك الصناعة الخفية على سواهم من الامم. ولو امكني لصرفت عشرة
 ايام في التفرج على ذلك البيت وصناعة الفريفة وبلغني ان في حديقته بركة
 مصنوعة من ذلك الخار واشغالاً دقوقة تظهر براعة الصيادين في تلك الصناعة.
 على ان ابلغني عنها وانا في انكلترا بفوق جداً الخفوة ولا يصدق صاحب
 القفل السليم الذي من جملته انهم يصنعون سفناً من ذلك الخار وكذلك
 صواريخها وشراعاتها. اما مفادها فقالوا انه يسبح خمسين رجلاً وذلك كما لا يخفى
 ضرب من الحال ولم اصدق شيئاً منه. فاخبرني عن القافلة تخرج على ذلك
 البيت نحو مائة من عند ما ادركها فرض علي رؤسها جزاءً ثمانية عشر
 غرشاً وقال لي انا الآن لم يرل داخل سور البيت العظيم ولو تأخرت عن
 القافلة ولحق خارجه لكان الجزاء اربعة اضعاف مما المبلغ ولجعلتك تطلب
 المغو من مجلس المشورة. فوجدته بان لا اقل ما يجل باصول القافلة ورأيت

ان المحافظة على قوانينها هو من الامور الضرورية التي تشكل بدفع الخطر
عن نفسي

فبعد يومين قطعنا السور العظيم الفاصل بين بلاد الصين وبلاد الهند
وقد بناه احد ملوك الصين لمنع هجمات الهند وهو من العجائب التي تعجبني
الذكر والتأمل فانه مبني فوق جبال وفي اودية صعبة الممالك اما طوله فهو نحو
الف ميل انكليزي وهو اطول من تلك البلاد لانه مائل في اكثر المواضع.
اما علوه فهو نحو اربعة باعات وكذلك سبائكته في اكثر المحلات. استمرت القافلة
نحو ساعة ثم من باب ذلك السور وكنت قد وقفت في اولها كل تلك المدة
انفوس في ذلك الحائط. اما دليل القافلة وهو من الصينيين فكان قد اطلب
بوصفه فعند ما رآني انفس فيو رغبت في ان ينف على حفاة ما اقوله عنه.
فقلت له انه نافع جدا لردع الهند فاشي وقد استحسن الجواب. اما الدليل
البرتغالي فضحك حتى استلق على ظهره وقال يا سيدي ان لي كلامك معنيين.
فاجبه ماذا تعني بذلك فاجاب ان اظاهر كلامك معنى ولما طو آخر لانك
قلت انه نافع لردع الهند اي انه لا ينفع لغيري. والي فهمت المقصود من
كلامك اما الدليل الهندي فقد فهم منه ما بواقته. فقلت هل تظن انه يمنع
جيشا من جهوشنا عن الدخول الى الصين او لانه يهدمه طلقات مدافعنا في عشرة
ايام وما اسهل هدمه ببارود بوضع في اساسه فقال لا ريب في ذلك. اما
الدليل الصيني فرغب جدا ان يعرف ما قلت للدليل البرتغالي عن ذلك
السور. فاذنت لصاحبنا الدليل ان يجبره بذلك بعد بضعة ايام وكان قد
قرب وقت رجوعه الى وطنه لانا كنا قد خرجنا منه ولم يكن لنا حاجة به. فلما
بلغ ما قلته عنه صمت ولم يتوه بشي. فبما بعد بخصوص اقتدار بلادهم وعظمتها
فبعد ان قطعنا ذلك السور العظيم العديم المنفعة دخلنا بلادا قايمة
السكان واما اليها ساكنون المدن والقرى الكبيرة لانه لا امنية لهم خارجا فان الهند
بهاجمون كل من صادفوه متربدا او ضعيفا غير قادر على مصادمتهم. فالتزمنا

بان نساfer معاً دون ان يتأخر احدهنا عن الثانية لاننا رأينا كثيرين من سحابة
 القدر يحولون حولنا على اني عند ما رأيتهم عن قرب عجزت من ان ملكة قادرة
 نظير مملكة الذين تخشى مهاجمات امة نظير امة الترانهم لا يعلمون صناعة
 الحرب ولا هم من الاسلحة ما يتكلمون من التلك بجمهور منظم يحسن الحاربة مثله
 الاسلحة القوية . اما خيلهم فهي ضعيفة جداً غير قادرة على الركض وشن الغارات .
 ففي احد الايام اعطى دليلاً اذنا لغو ستة عشر رجلاً منا ان يذهبوا ويصطادوا
 الغنم البرية . وكانت مربعة المجري على انهم لا يستطيع الركض مسافة بعيدة
 ولا بد من ان المطارد يصطاد منها شيئاً لانها تكون قطعاً كل قطع نحن
 ثلاثين او اربعين كبشاً وعدد ما يطاردونها الصياد يهرب من امامه وبعد ان
 تركض مسافة قصيرة تنعبد فترى فينا كما تصطاد الغنم صادفنا نحو اربعين
 ثوراً وبها كانوا يصطادون الغنم مثلاً او كانوا يترقبون شيئاً آخر فلما رأنا احدهم
 نلح في حوق كان معه اما صوت البوق فهو رافع ولا ارغب في ان اسمع مثله
 قط . فلما سمعنا ظناً انه علامة يجمع بها جميع المرافقين وهكذا حصل فانه في
 برهة وجيزة جداً نراهم لنا على بعد نحو ميل جمهور منهم يبلغ نحو الاربعين ان
 الخمسون رجلاً . فلما سمع صوت البوق احد ارفاقنا وكان ناجراً روساً ساكناً
 في موكو قال لنا لا ينبغي ان نضيع لحظة واحدة بل ينبغي ان نهجمهم حالا .
 فاورقنا اجمع في صف واحد وقال لنا اطلب عزيمتكم على المصادمة . فاجبتهم ثم
 قد عزمنا على ان نفعل ما تراءى موافقاً . فتقدم نحوهم وتبعنا . اما هم فاجتمعوا
 سوية دون نظام ولا ترتيب يفرسون فينا . فلما رأونا تقدم نحوهم رمونا بهائم
 على انها لم تصب احداً منا . وذلك ليس لانهم لا يحسنون الرماية بل لان المسافة
 التي حالت بيننا وبينهم كانت بعيدة فلم تنقطعها بهائم فوقعت امامنا . فلو كانا
 قد منا نحو ثلاثين ذراعاً نحوهم لاصابت كثيرين منا وجرحت البعض ان لم
 تقتلهم . فلما رأينا ذلك وقفنا وكانت المسافة بيننا وبينهم بعيدة ومع ذلك امرنا
 فاندنا ان نطلق عليهم بنادقنا . ثم نهجمهم حاداً عليهم ونفالمهم ضرباً بالسيف

فعلنا كذلك . اما فائدنا فع انه كان تاجراً كان من الخالي والنجاعة وحسن
التدبير على جانب عظيم وكانت فيه الاهلية لان يستلم امره جيش في مهمة
القتال . فلما امر كاهم اطلقنا غاراتنا في اوجهم جردنا سبوقنا . ففروا هاربين
وقبضنا طالدين قبلنا اعمالنا الصرب فيهم . على ان ثلاثة منهم كانوا في الجهة
الشرقية منا فانهم لم يفرروا بل اوتوا الى ارفاقهم ان يرجعوا ليصادمونا وكانوا
متفلسون الاخشاب اما فصحهم فعلقوها في اكشافهم . فلما رآهم فائدنا البطل
الصندي بهجم عليهم دون ان يطلب مساعدة احدنا وضرب احدهم بالسفل
بندقته فالتفت على الارض وقتل الآخر بدارتو لما الثالث ففر هارداً . وهكذا
لما الانتصار ولاعدنا الكسرة والعار . على اننا خسرتنا ما كنا نؤمل ان نهطادة
من قطع الغنم الذي اجلته صوت اطلاق البنادق فهربت من هناك . فلم يقتل
ولا جرح احد منا . اما النذر فقتل منهم خمسة ولم يعلم عدد المجرى . وكما
حيث لم نزل في مساكن الصيدين ولذلك لم يكن النذر قوة وجسارة كالتى لم
في بلادهم . فبعد نحو خمسة ايام دخلنا قفراً واسعاً جداً فصرنا فيه ثلاثة ايام
فالتزمنا ان نحمل الماء فوضعتاه في آنية من جلد كما يفعل من ينقطع صغره بلاد
العرب . فمألت حراسنا لمن عسى ان تكون هذه الاراضي . فاجابوا انها القم
بين بلاد قرقاش او النذر والصين فلا تخص احداً . على انها تحسب من المملكة
الصينية التي لا تعني البتة في ان تحميها من هجمات اللصوص وقطاع الطرق .
ولذلك ملا هو اشد الاماكن التي تنطعها خطراً مع اننا ناتي قفراً الوسع منها
فبينما كنا نسير في ذلك النذر الخفيف صادفنا مرتين او ثلاثاً بعض النذر .
على انهم لم يتعرضوا لنا والظاهر انه كان لم يقصد آخر فكانت مثلنا مثل الذي
مر على اليمس عازماً ان لا يكلمه ان لم يكن البادي منه في الكلام . غير انه بعد
ذلك صادفنا جموداً منهم فدنوا منا كثيراً ونرسوا فينا ليدروا هل يتقدرون
على مهاجمتنا فلما ابدنا عنهم مسافة قريبة ولفب منا اربعون رجلاً مستعدين
للمصادمة . اما النافلة فتدعتنا فبعد ان نرسوا فيها مرة ونحن على تلك الحال

اشوا راجعين على ائمتهم وم راجعون رمونا بخمسة نبال فاصابوا فرسا من حولنا
واضروا به جفا . فتركناه ورامنا وتقدمنا في سبيلنا ولو رمونا حوثلر بالنبال
لما اصابتنا بعد المسافة بيننا وبينهم . فمرنا بعد ذلك مدة شهر وكنا لم نزل في
اراضي الصين اما الطريق فلم تكن سهلة كالطريق التي داخل السور العظيم . اما
الاعالي فكانوا يسكنون المدن والقرى المحصنة لتحصينهم من هجمات الفتر . فبعد
برهة وصلنا الى بلدة تبعد مسافة يومين ونصف يوم عن مدينة فادم فرغبت
اينباع جبل منها لان فيها جمالا كثيرة للبيع وشجولا . وكثيرا ما كانت نطلبها
الشواغل التي تمر من هناك . فنوضت ذلك الى رجل صيني رحاقتي حملني على
الذهاب معه فصد الفرج عليها اما المكان الذي هو نروج سوق بيع الجمال
والخيل فكان يبعد عن البلدة نحو ميلون حيث يحافظ عليها حرس معين اذلك
من قبل الحكومة المحلية وكنت قد تعبت من ركوب الخيل فانبت ذلك المكان
ماشيا ومعني الدليل البرنوغالي والرجل الصيني . فلما دخلنا البلدة وجدناها
مدينة في مكان وافي فقدر شحاطة بسور مني بخجارة دون كلس او حلون وعدد
بابها واتف بعض عنود صينيين لمحافظة على البلدة . فبعد ان اشرىيت الجمال
ودفعت الثمن اشرىيت راجعا فاصدا الفافلة . اما الرجل الصيني الذي كان
معني فصار بالجمال . فبينا كنا سائرين هجم علينا قوم من الفتر فتقدم اثنان منهم
وقبضا على الصيني واخذاه من الجمال اما الثلاثة الباقون فلما رأوني انا وشريكي
مجردين من الاسلحة خلا سبف كمت متفلسا يو تقدموا الينا فسلطت سبفي فلما رأى
ذلك الذي تقدم الي وفد لانه لا يخفى ان الفتر من الجاهل على جانب عظيم .
فتقدم الي الآخر وضربني على راسي فسنطت على الارض مغشيا علي ولم اشر
حيثلر بالمر الضربة فكنت كمن في غيبة واندمشت كل الاندهاش عند ما رجعت
الى نفسي ورأيت اني على تلك الحال . اما الدليل البرنوغالي الذي قدر لي
الله عن يدو النجاة فكان قد وضع قبل ان اتينا المدينة غدارة في جيبو دون ان
اعلم بها وارعرف بذلك الفتر لما تجاسروا انت بهاجمونا لانه كالا يخفى بصبح

الجبان شجاعاً عند ما لا يرى خطراً يهدده . فلما رأي على تلك الحال كاد
 يغيب عن الصواب غضباً وجرى الدم بجملة في عروق فقدم الى الرجل الذي
 كان قد ضربني واسمك يدك باحدى يدي وامالة نحو واعطى الرصاص في
 راسي فالتفت قليلاً على الارض فخطت يداي . ثم تقدم بسرعة شديدة الى الذي
 اوقفنا عن الممر وربما بهم كان دائماً يفتلده فاعطاه على انه اصاب جواده
 وجرحاً جرحاً بلياً في وجهه وقطع يواحدى اذني . فلما شعر الجواد بالمرح
 هاج وماج حتى انه احما فارتد عن تدبيره وجد المسير كهروب الرج اما فارتد
 فثبت في ظهره . ثم وقف الجواد على رجلاه فسقط الثوري عن ظهره . ثم سقط
 الجواد عليه . وتقدم الصبي الذي كان يقود الجمل وعند ما رأى الثوري ساقطاً
 على الارض هجم عليه ولم يكن معه ما يعلقه او يتناول حربة قدمة كنت على جانب
 الثوري الساقط وطعن بها راسه فاخذ اعلاه . اما الدليل فكان لا يزال يبارز
 الثوري الثالث . على انه لم يهاجمه لانه كان واقفاً بفارس فودعت يده
 قد اصابه جنون . فوقف الدليل في مكان واحد ولا عذارته فلما رآها الثوري
 المذكور فرها رباً ومكنا فلك هم الدليل الذي دعوته من ذلك الوقت البطل
 وفي اثناء ذلك كنت مطروحاً على الارض لا اشعر بما يجري . فلما فرغ
 الدليل من قتالهم كنت قد رجعت قليلاً الى نفسي فاستبعت كمن يستيقظ من
 نوم لذيذ . على اني عجبت لانني لم اعلم اين كنت ولا ماذا طرأ علي فبعد برهة
 وجيزة شعرت بالثور في جمدي فوضعت يدي على راسي فشعرت برطوبة ففكرتها
 واذا هي مخصبة بالدم فشعرت حينئذ ان الألم في راسي . ثم رجعت كل الرجوع
 الى نفسي وتذكرت ما حصل لي فوثبت على رجلي واخذت سيفي ونظرت الى
 ما حولي فلم ازل في عدواً هناك الا الثوري المتبول وجواده واقف بجانبه ثم نظرت
 واذا بمنفذ الدليل الصنديد قادم الي بعد ان ذهب ليري ماذا فعل الصبي
 بالثوري الساقط . فلما رأي واقفاً فرح فرحاً لا مزيد عليه ووثب واعتنقني بحبي
 لا مزيد عليه . لانه كان قد ظن ان تلك الضربة ذهبت بما نفع الدنيا وروى من

الى عالم الارواح للتطواف فيه . فلما رأى الدم ينظر من راسي سيرا الجرح ليري
مناظره فرأى انه لم يكن بلوغاً بل جرحاً صغيراً . وفي نحو ثلاثة ايام شفي الجرح
ولم اشعر به فيما بعد

فلم تكلمنا من انصره شيئاً لاننا حصرنا جلاً وكسبنا حسناً . فلما رجعنا
الى البلدة طلب اليّ الرجل الصيني ثمن الجمل المتهوب فلم ادفع له . فرغمنا
الدعوى الى قاض صيني فتصرف بحكمة وانصاف لا مزيد عليها . فلما قرر كل
من المدعي والمدعى عليه دعواه سأل القاضي الصيني برزانه انت خادم من .
فاجابه اني لست بخادم بل ذاهب مع هذا القريب (اي انا) . فقال القاضي
ومن طلب اليك ان تذهب معه . قال هو طلب اليّ ذلك . فاجاب اذا انت
خادمة وانت ذاهب معه . ولما كان الجمل قد تسلّم الى خادموه كان كانه قد سلم
اليه من الواجب عليه ان يدفع ثمنه . فلما رأيت ضالّة حكموا اندهشت جداً
واحتجنت مبنأ واصناره فدفعت ثمنه دون تردد وارسلت من يشتري جلاً
آخر ولم اذهب معه لان ما طراً عليّ في المرة الاولى كانت كافياً لي وخرني
عن ذلك

اما مدينة توام فهي مبنية على حدود مملكة الصين وعند اهل تلك البلاد
انها مدينة متبعة الحصون وبالخفة في حصنة جداً بالنسبة الى مدن تلك
الافطار لانه لا ريب لو اجتمع كل نذر فراقاش وهم عدة ملايين لما امكهم ان
يهدموا سورها بنياهم . على ان بعض طوائف مدافع لا تبقي منه حجراً على حجر .
فقبل ان وصلنا اليها بنحو يومين ارسل حاكمها رسلاً الى جميع الطرقات المجاورة
لما ليخبروا من يملكها من السياج والقوافل ان لا يتقدموا حتى يرسل لهم عمّاكر
تدافع عنهم لان جيشاً عرمرماً من المتمرّكانت يحول في نواحيها على بعد نحو
ثلاثين ميلاً

فاخرجنا هذا الخبر وسراً اعشاءه الوالي بالمسافرين وحصولنا على حرس من
الدين . فبعد يومين اتانا متنا جندي من جيش الصينيين الذي كان في الجهة

الشمالية وثلاثمائة آخرون من مدينة نواصير وساروا خوف . اما الثلاثمائة
جندى الذين من مدينة نواصير فساروا في مقدمة القافلة والمائتان ساروا في
مؤخرها ورجل القافلة على جانبي الجمال . فجددنا المسير ونحن على تلك
الحال وقد هيأنا انفسنا للمقاومة وكما نظن اننا قادرون على مصادمة عشرة الاف
من الفرس . على ان ارامنا تغيرت عند ما رأيناهم يتقدمون

ففي احد الايام صباحا بعد ان كنا قد خرجنا من بلدة حصنة تدعى شانكن
وصلنا الى نهر قنطمة . ولو علم جيش الفرس اننا نعبث في ذلك الوقت لما جونا
لانا كما في عدم انتظام وحرس مؤخرة القافلة كان بهما عنها . واكرم لعظم
حظنا لم يدركونا حينئذ

فبعد نحو ثلاث ساعات وكما قد دخلنا قفرا واسعا نظرنا امامنا واذا
الغيار قد حجب نور الشمس ورأينا العدو مقبلا وقد اطلق انة خيل

فلما رأى ذلك الحرس الذي في مقدمة القافلة وكان قد اطلب في الكلام
عن فرسيوارمדת فرائض واخذ الجنود يلتفتون الى الوراء وذلك كالاجلي
علامة الخوف والاستعداد للفرار . فلما رأى منهم ذلك الدليل البرتوغالي ناداني
قائلا لا بد من تجميعهم والافهريون فيجلون على كل القافلة الويل والموان .
فاجبته لقد احضرت فاذا ينبغي ان نفعل . فقال ينبغي ان يتقدم من رجال
القافلة خمسون رجلا يعضدونهم على الجانبين ويقفون عزم ولا ريب انهم
يشجعون وينافسون عما كل المقاومة ولا يفترون من امام وجه العدو فتقدمت
حالا الى قائدنا واخبرته بذلك فاضمت جدا وارسل خمسين رجلا منا لمقاومة
حرس المقدمة فصار خمسة وعشرون رجلا منا على الجانب الايمن وخمسة
وعشرون على الايسر . اما حرس المؤخرة فلما اليو امر المقاومة عن الجمال
والبضائع واذا سببت الحاجة يجدوننا بينة رجل

وفي اثناء ذلك كان يدنو منا جيش الفرس الجرار على اننا لم نعلم حقيقة عددهم
واكثرت لم يكن اقل من عشرة آلاف رجل . فدمت منا فرقة منهم للفرج عدونا

وقوتنا . فلما رأى قائدنا ان الرصاص يصيبهم امر الذئب على جاني حرس
الماندمة ان يجمعوا بسرعة عليهم ويرموا بالرصاص ففعلوا كذلك . فرجعت
تلك الفرقة الى بقية الجيش رما لتجبرهم بما يصادفهم ان هاجمونا . فانرفهم ذلك
الطلق جدا وانزعهم حتى انهم مالوا عنا بعد ان وقفوا برهة يشاورون في ما ينبغي
ان يفعلوا وهكذا عدلوا عن مهاجمتنا خوفا . فمرنا ذلك جدا لانه كان من
المستعصم ان ننصر على جيش يفوق عددنا كثيرا

فبعد يومين وصلنا الى مدينة نواغ فذهبنا الى الوالي وشكرناه جدا لاجل
اعتنائنا بنا وجمعنا من رجال القافلة نحو مائة ليرة انكليزية وقدمنا لها هدية لحرس
الذي ارسله لنا . واقبنا فيها يوما واحدا الصريح من انساب السفر ومشاقه .
وكانت من المدن المحصنة وفيها نساعة من الجود لاجل صيانتها وذلك لان
الروسين كانوا قد هجروا البلاد المجاورة لما لصعوبة حفظها وتأمين اهاليها
بعد ما عن بلادهم . فتولى ذلك الصينيون لانهم اقرب اليها من الروسين
فبعد ذلك مرنا وعبرنا نهرين عظيمين وقمرين مخيفين ومرنا في احدهما
سنة عشر يوما وفي اليوم الثالث عشر من شهر نيسان وصلنا الى حدود بلاد
روسيا . اما القلعة الروسية التي عند الحدود فاطن ان اسمها قلعة اركونا وهي
مدينة في غربي نهر اركونا

فرجعت جدا عند ما رأيت اني قد دخلت بلاد ملك متمدن غير وائي .
ومن حال في العالم نظيري بين الشعوب الموحشة والوثية يرى ان يوتا عظيما
بين المتمدنين اولئك الاقوام الذين يمدون المحركات والمصنوعات والحيوانات
الى غير ذلك تاركين - يول الله - ساكنين في حيل الشيطان ومن الجولان بين
شعوب متمدنة مدينة بدت حقيقي . فتاديت الناجر الاسكونلاندي المتمدن ذكره
وقلت له السلام عليك ها قد دخلنا بين شعب متمدن فليبارك اسم الاله الذي
حفظنا واوصلنا الى هنا بسلام . فسيم وقال لا تفرح كثيرا بذلك لان اهالي هذه
البلاد حاصلون من الهند على اسم ومن المصرية على اسمها . فقلت له ومع

ذلك افضلهم على عدة الاوثان والبلدس . فاجاب بل هم شر منهم خلا بعض
العساكر الروسية سكان المدن وجميع سكان هذه البلاد على معاينة نحو الف
ميل هم وثيرون

ان الافاعي وان لانت ملامعها عند الغلب في انبائها العطش

النصل الرابع والاربعون

سفر روبنصن في بلاد روسيا

ودخلنا اكبر اقسام اليابسة فكان النهر بعيدا عنا شرقا مسافة نحو التي
عشر الف ميل وبحر البلطيك نحو التي ميل لجهة الغرب والمضيقي بين انكلترا
وفرنسا نحو ثلاثة الاف ميل لجهة الغرب ايضا . وبحر النجم لجهة الجنوب نحو
خمس آلاف ميل . والبحر القبيح الشمالي نحو ثمانمائة ميل . فلما دخلنا ملكة
روسيا وذلك قبل ان نصل الى مدن كبيرة لم نر ما يستحق الذكر . على اننا راينا
ان جميع الانهر التي عبرناها تسري الى الجهة الشرقية . ووقفنا على حقيقة ذلك
من مطالعة الرسوم التي كانت موجودة مع بعض رجال القافلة . وان جميع
تلك الانهر كانت تصب في نهر عظيم يدعى امور . وذلك النهر لا بد ان
ان يصب في الاوقيانوس الصيني . وكان قد اخبرنا البعض ان مصب ذلك
النهر مسدود بقصب كبير جدا يحيط كل سنة نحو ثلاث اقدام وطوله عشرون
او ثلاثون قدما على التي لم اصدق هذا الخبر ولم نعتقد احد لانه من الانهر التي
لا تأخذ المراكب ولذلك لا يهتم احد بالتحص عن عمق واحواله . قال لنا ولذلك
فلنرجع الى ما كنا في صدده من اخبار تلك السفرة العظيمة . فبعد ان عبرنا
نهر اكون اخذنا في السفر رويدا رويدا دون ان نتجهد انفسنا وكنا نستخدم

بسرور لا مزيد عليه المدن التي اعتنى اميراطور روسيا ببنائها في محلات مختلفة
من تلك البلاد وكانت يرسل العساكر اليها للحفاظ على اهلها والمسافرين
الذين تذهب بهم القنادير اليها كالحراس الذين كانت ترسلهم الملكة الرومانية
الى اطراف مالكا فحينئذ توجهنا كفا فصل الى مدن حكومتها وعساكرها من
النصارى . واما اهلها فن الوثنيين الذين يقدمون الذبايح للاصنام ويعبدون
الشمس والقمر وكل نجوم السماء . وكانوا اشد توحشا من جميع الوثنيين الذين
صادفناهم . على انهم لم يكونوا يأكلون لحوم الادميين . ففي احد الايام كنا سافرين
في قدر واسع جدا في اول ملكة روسيا بين نهر اداكوانا ومدينة تدعى
رتزنسكو اهلها من الروسين والقمر فبلغنا قرية فدخلنا للتفرج على كنييسة مريشة
اهلها التي كانت تشبه معبشة الوحوش . وكانوا يقدمون حيث ذبيحة لعمودهم
وكان على خشبة قديمة صنم من خشب هيئة نحكي هيئة ابليس الخيفة . اما راسه
فلم اقدر ان اصنعه ولا اشبه بشيء ما نراه في هذه الدنيا . اما اذناه فكانا حول
اذني الحمار مرتفعين وعيناه كبيرتين جدا تشبهان جبهة الانسان . وانه نحكي
طوله واعوجاجه قرني الجاموس . وله ذواربع زوايا مقربة كنف الاسد وفيه من
الاياب والاسنان ما يحكي اياب الخنازير واسنانها . اما ثيابه فكانت رقيقة قدره
جدا . وكانت عباة من جلد الغنم صوفه من الجهة الخارجية وكان على راسه
قبع نيري كبير جدا يخرج منه قرنان معوجان . اما علوه فكان نحو ثمانية اقدام
وذلك دون ان يكون له رجلان او ساقان

وكان هذا الصنم الخيف موضوعا خارج القرية فلما دنوت منه وجدت
سنة عشر او سبعة عشر شخصا مطروحين على الارض حول تلك الخشبة القذرة
الرائحة التي لا تسمع ولا تبصر . فلم يظهر لي من ثيابهم هل هم من الرجال او من
النساء لانه لا فرق بينها في الملبوس ولم يكونوا يفركون فاسيا كذلك الخشبة
الموضوعة بينهم وكنت قد ظننت في اول الامر انهم اخشاب . على اني بعد ما
دنوت منهم وثبتا من اماكنهم واقفين على ارجلهم وصرخوا صرخة ماثلة نحكي

عوي حلة كلاب ثم ذبحوا من هناك وقد لاحظت على اوجهم لوائح الكدر لضعفها
لم وهم يصلون لمعبودهم المصنوع بايديهم . فنظرت الى امامي فرأيت عند
باب الكوخ مصروع من جلود غنم وبقر ثلاثة رجال كالذين يذبحون النعم
وظائنتهم منهم . ولكن عند ما دنوت منهم قليلاً رأيت في يد كل منهم شيئاً
طويلة وفي وسط الكوخ المذكور عملاً صغيراً وثلاثة كباش مذبوحة والظاهر
ان هذه الحيوانات هي ذبيحة قدموها عن اولئك الذين كانوا مطروحين حول
هذا الصنم يصلون والثلاثة رجال هم الكهنة الذين ذبحوا تلك الذبائح
فتحركت في عواطف الحزن والاف الذي لا مزيد عليه عند ما رأيت انباء
البشر الذين خصهم الله ببركات لا تحصى وفضلهم على سائر مخلوقات يدي
وهمهم نفساً عزيزة وعقلاً لاجل خالقه ويتجده في عبادة اياه جاحدين تلك
النعم والبركات كافرين بالهم الحكيم الجواد مطروحين حول تلك الخفية القدرة
صنعة ايديهم وهم يقدمون لها التمجيد والعبادة والوقار الذي يليق بالله الخفي
جل شأنه . فلاريب ان ذلك هو من نتائج الجهل والعمى التي يمي بها الجنس
اعين في البشر لانه يغار من عبادتهم لمخالفهم . فقدر يتجاوز واسطة يكتمهم
بها اليه فيعدهم عن الرب سبحانه وتعالى فيذهب بهم الى اسفل السافلين الى
حالة ترتفع منها فرائض الطمع البشري ونهتز من رذائلها الطبيعية باسرها . على
انه ماذا ينود اولئك الوثنيين تأملني ونهجي من الحالة التي اوصلتهم اليها جهالتهم
بعد ان اكون تأكدت ذلك بالعمان لانه لا اقتدار لي على ازالة ذلك الغشاء
عن اعينهم . فلدي التامل في حالهم تحول حزني الى غضب . فتقدمت بسرعة
الى ذلك الصنم الخفيف وضربت بسيفي قبة فطعته قطعته ثم تقدم احد رجالي
وامسك الحبة ومزقها . واذا صرخة هائلة قد ارتفعت من ذلك المجهور ورنيت
في الافاق ونهبتها صرخات راتمة تصاعدت من كل جهات تلك القرية .
وفي برهة وجيزة اجتمع حولي منهم اكثر من مائتين او ثلاث مئة بعضهم متفكرين
قسيماً ونوالاً فتألمت من بينهم وعزمت ان اتهم ثانية

أما العاقلة فكنت في البلدة التي كانت تبعد عن قرية الصم قليلاً مدة
ثلاثة أيام لقضاء بعض الحاجات منها ابتاع افراس عوضاً عن التي عجزت
بسبب رداءة الطريق وطول المسافة. فرأيت أنه يكفي نعيم منصدي بالرجوع
إلى القرية المذكورة. فاجريت بقصدي الحاجر الأكمي الذي كان من الجسارة
والشجاعة على جانب عظيم ونصصت عليه ما رأيته وأوقفته على حافته حساسي
ومقدار الغضب الذي تولاني عند ما رأيت أنه من الممكن أن يخط الحرس
البشري إلى تلك الحافة. وأني أن وجدت أربعة أو خمسة رجال يذهبون معي
أذهب وأحرق تلك الخشب المصونة فأيمن لمن يعيدها أنه لا اقتدار لها على إغاث
نفسها من الهلاك ولذلك لا يمكن أن تصحق العبادة لأنها لا تقدر أن تنفع من
يعيدها أو أن تضر به

فحضرني الحاجر المذكور وقال وهو يسم أن غيرتك صموده ولكن ماذا
يتمكنك ذلك. فقلت أفي أقوم بحي فروضي نحو خالي الذي تعدى حدود
شريعته هؤلاء الوحوش البهيمية. فاجابني أن ذلك لا يجديك نفعاً لأنك لا
تقدر أن تدرك الغاية المقصودة وهي تبلغ عدة ذلك الصم الأسباب التي جعلت
على إحراقهم وإقناعهم أن هذه العبادة هي باطلة ولا تخلصهم بل تجلب عليهم غضب
الاله الخفي ولا ريب أنهم يجمعون عليك وعلى من معك ويقتلونكم الويل
والويل لأن هؤلاء الأقوام هم من الذين لا يقدرون عواقب الأمور بل يصادون
الموت محاماة عن عبادتهم الوثنية. أما إقناعهم بالحنائق المذكورة فهو ضرب
من الخيال لأنك لا تحسن التكلم بلغتهم. قلت من هذا ليس في كل
هذه البلاد من يحسن الكتابة أو القراءة. قال ليس من يميز بين الألف والمائة
قلت بالنعانة حالم ومهما قلت لا بد من إحراق هذا الصم. لأنه قد
يكون إحراقه دليلاً بين لم فباحة عبادتهم وبطلانها. فقال رويدياً رويدياً فإن
التأمل في عواقب الأمور يجني من سوء العاقبة. أفي لا أهلك عن الذهاب
والإفهاد إلى ما تعرضك عليه غيرتك المديونة. على أفي أقول لك تأمل في

عواقب الامور قبل فعل ما ربما اورث الندامة . لانه لا يخفناك ان امبراطور
روسيا قد تملط بالقوة الجبرية على هؤلاء النفر . فان احترقت صميم اظن انهم
يخشعون لاحالة الوفا ويذهبون الى والي نادرتكوا الروسي ويطلبون اليه
ترضية فان لم يرهم ربما جاوروا بالعصيان على الحكومة واثاروا عليها فتنة وهكذا
تكون قد تجددت بسببك الحرب بين روسيا والنفر

فتأملت كثيراً في ما قاله على اني لم اعدل عن عزمي بل بقيت مصراً كل
الاصرار وصرفت كل ذلك النهار وافكاري مرتبكة طالباً نعيم مقصدي .
فبعد المساء اخذت اجول في شوارع المدينة فصادفت التاجر الاكوسي المذكور
فقال لي ارجو ان اكلك . فقلت له قل عسى ان يكون خيراً . قال اظن اني
قد اخزنك بكلامي عن نعيم من عندك الجليل وقد اقلني ذلك جداً لاني اكره
عبادة الاصنام قدر ما تكرهها انت . فاجبتني حياءً لك قد اخرت نعيم ذلك العمل
على ان كلماتك لم تنصلك من افكاري واظن انه لا بد من اجراء ذلك قبل
السفر من هذا المكان لاني وقعت في ملاءك ايدي البرابرة كترضية على ما افعله
بعبودهم . قال لاسمع الله ان نموت بايدي برابرة مثل هؤلاء لانهم يذبونك
لاحالة اشد العذابات . فقلت له كيف تظن انهم يعاملونني . قال بكل قسوة
وكذلك شاهدنا ما فعلوه برجل روسي كان قد امان عبادتهم كما فعلت انت .
فالتفوا القبض عليه واستأثروه بعد ان اصابوه بهم في رجله بحيث لم يقدر على
الفرار من امامهم . وبعد ان جردوه من جميع ثيابه اجلسوه على مكان مرتفع
قليلاً واحاطوا به واخذوا يرمونه بالنبال فكانت تدخل حتى اخترقت جسده
ثم احرقوه بالنبال في جسده ليعملوه ذبيحة للصنم . فسالته النفس هذا الصنم .
قال نعم . فقلت له اني اخبرك بما فعله ملاحم مرصينا باهالي بلدة ماد كسكر
لانهم قتلوا احدهم فقصصت عليه خبر تلك الحادثة بالانفصال ثم قلت له انه لمن
الواجب ان نعمل باهالي هذه القرية كما فعل اولئك باهالي تلك البلدة
فتأمل كل القائل بما قلت وقال لي عندما قلت له انه من الواجب معاملته

اعالي هذه القرية كما عامل الملاحون سكان تلك البلدة انك لاخطأت كل
الخطاه لان الذين تناولوا الرومي ليسوا اعالي هذه القرية بل قرية تبعد عن هذه
مسافة نحو مئة ميل . اما الصنم فهو نفسه لانهم يذهبون به بالاحتفال من مكان
الى آخر . فقلت من الواجب علينا ان نقاس الصنم ولا بد من ذلك ان انتهت
في قويد الحباء هذه الليلة

فلما رأى انه لا بد من تفويض المأرب قال وقد استحسن الفاية التي لا اتركك
تذهب وحدك بل اذهب معك واستصحب معاً احد أبناء وادي وهو من
الاشداء اصحاب غيرة خاصة من جهة ما ينكس راية الجيس . وبعد ذلك
ذهب ثم رجع الي بذلك الرجل وهو من الاكويين يدعى القبطان رشادسون
واخبرته بما شاهدت ويقصدني . فقال لي الي اذهب معك وارافضني في ذلك
الى الملاك . فعزمنا على الذهاب نحن الثلاثة لاغير وكنت قد طلبت مساعدة
شريك فقال لي اني اذل نفسي للمنافعة عندك ولكن هذا العمل لا ينبغي . فعاهدنا
على القيام نحن ما عزمنا عليه في الليل القادم دون ان يعلم بها احد وقرر رأينا
ان نأخذ خادمي معنا

غير انه لدى النامل في ذلك برهة نقضنا ما تعاهدنا به فبهلاً وعزمنا ان
نؤخر ذلك الى الليلة الثانية لان المناقلة كانت صعبت على السفر في صباح تلك
الليلة فان طالب الوشون نرضيه من الوالي الرومي على ما فعلناه لا بقدر ان
يطلب ذلك منا بعد ان نكون قد خرجنا من البلد . اما الناجر الاكوي فكان
يهم كثيراً بامر نفهم المقصد دون ان يعلم بها احد ودون ان يعرفنا الوشون
فاناني شوب وقبع من التي يلبسها التمر وقوس ونبال ويثقلون نفوسهم والقبطان
المذكور . فصرفنا الليلة الاولى بتعظيم ما يشعل حالاً تحرق به الصنم فخرجنا
باروداً باجراه اخرى سرية الاحتراق واخذنا مواد تمكنا من نوال المرغوب
بوقت قريب

فلما جن الليل وكان حزيناً قبل نصف ساعة اننا المكان الذي كنا قد

رأينا الصنم فيه . اما اهالي القرية فظهر لنا انهم لم ينجسوا ان يصيب صنمهم ضرراً .
 وكانت اليوم مظلة تلك البدر يرسل نوره منها ويهر قليلاً ميلنا وما
 حولنا فرأينا الصنم وما يحيط به فنظرنا الى ناحية البيت الذي كنا قد رأينا فيه
 كهنة ذلك الصنم فرأينا نوراً . فتقدمنا الى البيت فسمعنا صوت حديث نحوي
 خمسة اوستة رجال . فقلنا ان احرقنا الصنم بهرف هؤلاء فيخرجون ويخمدون
 النار ويخلصونه فاذا ينبغي ان نفعل . فصرفنا مدة في التشاور ونحمرنا في امرنا
 جداً فبعد برفة لاح في افكارنا ان نذهب بالصنم من هناك الى مكان آخر حيث
 نخبره دون ان يشعر بنا احد . فلما تقدمنا اليوم وجدناه قبلاً جداً بحيث لا
 ندر ان نهض عن الارض البتة فارتبكنا جداً . فقال القبطان اظن من الموانق
 ان نغرق البيت باولئك الرجال وكل ما خرج احدهم نضربه على راسه فنقله
 فاجرتني لاسلم يقتل احدهم ما لم نجعل الضرورة اليوم فاجاب الناجر الاكوسي
 قائلاً ان الموفق ان نأرم ونوثم ونجلمهم بقرب صنمهم وهو يحترق
 فاستمعنا لاجع هذا الرأي كل الاخصان خاصة لانه كان معنا من الخبال
 ما يكفينا لربطهم وعزمنا عليهم وان نخرج الجهد في ان لا يعلموا صبح او صوت
 يستهبط به سائر اهالي القرية فتمكثرون علينا . فتقدمنا الى باب البيت
 المذكور وقرعنا فلما سمع الكهنة الذين داخله صوت قرع خرج احدهم ليرى
 من يقرع الباب فالتفتنا حالاً عليه الفبض وسددنا فاهاً ولوثقنا يديه وراه ظهره
 وذهبنا به الى قرب الصنم ولوثقنا هناك رجله ايضاً واجلسناه على الارض .
 وبعد ذلك رجع اثنان منا الى الباب ينتظران خروج رجل آخر ليعلا به
 كالاول . فانظرنا مدة طويلة ولكن لم يخرج احد . فلما رأى الرجل الذي كنا قد
 خافناه ليجرس الرجل الموثوق اننا قد ابطنا رجوع اليه ليرى ماذا فعلنا . فقرعنا
 الباب ثانية قرعة خفيفة واذا رجلان خارجان ليريا من الذي يقرع الباب
 فقلنا بهم كالاول وذهبنا جميعاً اليها الى قرب الصنم لثلاثا بقلنا والتمسنا بالقرب
 منه . ثم رجعنا الى البيت واذا اثنان خارجان من باب البيت وبعدهما ثلثي

فالتبنا القبط بسرعة لا مزيد عليها على الاثنين ولوثناها حالاً. فلما رأى ذلك الثالث رجع إلى الوراء وصرخ صوتاً عالياً. فنبه الناجر الأكوسي وقد أخرج من جيبه أجزاء مركبة إن أحرقتم تدخن جداً ورائحتها خبيثة. فاشتعلها ورماها بين يديهم في البيت. فقبضون ذلك كما قد أوثقنا الرجال وألصقناها إلى القبطان وخادمي وبعد أن ربطنا أيديها ربطنا أحدها برفقته. فاختلنا إلى محل الصنم وتركناها هناك ليربأ هل ينخلصهم معبودهم من الأسر والضيق ورجعنا على الدور البنا. فلما ملأ الدخان البيت حتى كاد يخنق بؤ من كان باقياً فيه واشتعل جراب جلد ملأاً مزيجاً بلبور كعنة مصابيح دخلنا البيت فوجدنا فيه أربعة رجال فقط وقد نولى أمرهم الخوف وفرائصهم ترعد وقد خارت قواهم وباتوا لا يتحركون على التكلم لأن الدخان كاد يقتلهم. فالتبنا القبط عليهم وأوثقناهم كالآخرين دون أن نعلم صوت وذلك بعد أن أخرجناهم من البيت لأنه لم يكن لنا طائفة على احتمال الدخان الذي كان حزيناً قد ملأه. ثم ذهبنا بهم جميعاً إلى محل الصنم واجلسناهم هناك واختلنا في تدبير ما يمكننا من إحراقه بسرعة فقدمنا بروج بارود وجر جهنم وغيرها أجزاء من التي نخرق حالاً وملأنا عينيها وفتة وأذنو باروداً ووضعنا كمية وافرة من البارود المجهول (يقال له في لسان العامة قبع الشيطان) في قبو ووضعنا عليه كل الأجزاء السريعة الاحتراق التي كنا قد أثبتنا بها وشرعنا نبحث عن شيء آخر سريع الاحتراق بسفنا في نيل المرغوب. فقال الناجر الأكوسي التي رأيت قرب البيت عشياً يا بنيًا وسار هو والقبطان وأثنا بكبير من فوضنا حول الصنم ثم حملنا قنود أرجل السجودين ووضعنا ما كنا نعدنا به أفواههم أمام الصنم ثم اشتعلناه. فكلنا هناك نحو ربع ساعة حتى احترق البارود الموضوع في عينيها وأذنو واشتعل راسه وغيره من كل التغيير وأصبح قطعة من خشب دون هيئة فوضنا حوله من المشب الخفاف ما يكفي لحرقه بجهنم حتى لا يبقى منه غير الرماد. وشرعنا نهب أنفسنا للرجوع إلى البادية فقال الناجر الأكوسي لا نذهب الآن لئلا يطرح

انفسهم هؤلاء الجيلاء في اللهب ليهلكوا مع معبودهم لانهم لا يحبون المدينة بعدة
فبقينا هناك حتى احترق العصب اجمع وتحدث النار ثم انتهبنا راجعين الى البلدة
ففي صباح ذلك اليوم اشتغلنا في تهيئة انفسنا للسفر. اما ارفاقنا فلم يعلوا
بما فعلناه وكانوا يظنون اننا كنا نائمين في فرشنا لانه لا ينبغي ان من يصم على
السفر في الصباح لانه من ان ينام لم يدر على ذلك دون انزعاج

اما ما فعلناه بالصم فلم يتو امره لانه في نفس ذلك الصباح اتى جمهور
غدير جدا الى امام ابواب المدينة وطلبوا الى الوالي الروسي بالحاج وكلام فيج
الرضية لاجل امانة كهنتهم وحرقت صلبهم شامسبونكو. تخاف منهم جدا اهل
المدينة لانهم قالوا ان عدد النصارى الذين احاطوا بالمدينة حينئذ لم يكن اقل من
ثلاثين الف رجل. فارسل الوالي الروسي معيدين من قبله ليطنوا نيران
الفتنة ويحسوا الكلام معهم ويؤكدوا لهم انه ليس له اطلاع على ما اخبروه به
وانه لم يخرج من معسكره احد في تلك الليلة التي احترق فيها معبودهم. فان
افروا له باسماء الذين صنعوا ذلك يجرى قصاصهم لا محالة. فاجابوه بلسان
معنديه بكلام قاس. فلهذا انت جميع اعالي تلك البلاد يقدمون الاحترام
لشيشونكو العظيم الساكن الشمس فلا يخاسر بغير ان يبين مثاله خلا احد
النصارى الكفرة فاذا لابد من ان نشهر الحرب عليك وعلى جميع الروسيين
النصارى الكفار

وكان امبراطور الروسيين قد امر الوالي ان يعامل النصارى معاملة حسنة
وان يجنب اجراء ما بينهم وبخسهم. فلم يحاول بحسب كلامهم غير اللاتق
لولا بسبب الوفاق حرب بينهم وبين. لمكو. فاجابهم ان ما فائدة ذابحة اليوم
الى روسيا وربما فعل احد رجائا ذلك فلو وقف على الخيفة بدعوم ويسألهم.
فلما بلغهم ذلك يكن باليهم نوعا. اما الوالي فقبلا ما يقين وعده ارسل واستخضرننا
الى حضرنه واخبرنا بتفاصيل ما حصل ثم قال ان كان احدكم قد فعل ذلك
فعلوه بالفرار. وعلى كل الاحوال سرعة خروجكم من تلك البلاد اوفق لكم

فأذهبوا لما لنا فأرضهم بالكلام على قدر امكاني . فنع ما صنع الوالي المذكور
ولا ريب انه احسن معاملتنا جدا . اما رجال القافلة فلم يكن لاحد منهم اطلاع على
ما فعلناه ولم يسي الظن فيها احد لانا لم تكن من محبي القدي والفرع . فلما
سمع قائدنا كلام الوالي استغفم الفرصة وحرنا بسرعة يومين وليلتين دون راحة .
فوصلنا الى قرية تدعى بلونوس . فلم نمكث فيها برهة طويلة بل اسرعنا في المسير
فاصدقنا اقلها من روسا طالين الاسنان على انفسنا . ولكن بعد ان خرجنا
من بلونوس يومين وكنا سافرين في الطريق لاحت منا القافلة الى الورا فرأينا
الغياب قد حجب نور الشمس . فعلينا من ذلك ان التدر بطاردونا . فلما دخلنا
قرا عظيما مررنا في الجهة الغربية من بحيرة كبيرة تدعى ساكن اوزر فرأينا
جيشا عسريا من الفرسان سافرين الى الجهة الشمالية ثم توجهوا نحو الجهة الغربية
التي كنا سافرين نحوها لانهم ظنوا اننا نسير الى تلك الجهة اما نحن فغيرنا طريقنا
وسرنا نحو الجهة الجنوبية . فبعد يومين انجبلنا عنا والظاهر انهم ظنوا اننا نندمام
نجدوا المعبر في طلبنا حتى وصلوا الى نهر اورا وهو نهر عظيم عند مصبه . اما
المكان الذي عبرناه فهو ضيق وماؤه قليل

والظاهر انهم بعد ان وصلوا الى النهر ولم يدركونا عرفوا انهم قد اخطأوا
في الذهاب نحو الجهة الشرقية فرجعوا اليها في اليوم الثالث وادركونا عند
الغروب . اما نحن فلما لم نحظ كما قد ضربنا خيامنا في مكان موافق جدا
ليست فيه تلك اليلة . لانا لم يكن في تلك القفار مدن او قرى فنقدر ان نبيت
فيها غير مدينة جارونا التي كانت بعدة عنا نحو يومين . اما القفار فكان يجري
فيه بعض نهيرات صغيرة تنصب في نهر اورا وكانت بعض اشجار غضة ابنة
على ضفافها وكما قد ضربنا خيامنا في ضيق في وسط غابة غضة . وكنا ننظر
هاجعة النار في صباح ذلك المساء

ولم يعلم احد غيري وغير من احرق في النظم سبب مهاجمتهم لنا لانهم
ظنوا ان ذلك بحسب عادة النار في تلك القفار الذين كثيرا ما كانوا يهاجمون

القوافل فمن عوائد السباح ان يحصلوا انفسهم ايضا نزلوا لنلا بداههم اولئك
 الوثنيون فيتلون بهم الويل والدمار وكان مركزنا في ذلك المكان من احصن
 المراكز التي نزلنا فيها في مدة سترنا . فكان يحيط بنا على جانبينا غابان وامامنا
 نهير فلا يقدر العدو ان يهاجمنا الا من وراء او من امام وهذا صعب لان النهير
 كان يحول بيننا وبينهم وفضلاً عن ذلك سترنا انفسنا من تلك الجهة بالاحمال
 والجمال والحمل واما من ورائنا فنقطنا اشجاراً وسددنا بها المدخل . ومكنا
 صرفنا ذلك الليل ولم يداهمونا كصوص بل ارسلوا الينا رسولا من قبلهم يقول
 سلونا الثلاثة الذين اعانوا رجال صفنا واحرقوا معبودنا بالنار لكي نخرقهم كما
 احرقوه فان اجبت طلبنا ذهبنا عنكم دون ان تؤذيكم والا فنهلككم جميعاً . فاندش
 رجال القافلة عند ما سمعوا هذه الكلمات واخذ بعضهم بفارس في البعض الآخر
 ليسوا من تلوح على وجهه لوانع الخوف . ولكن لم يفتوا بذلك على الحقيقة ولا
 اقر احد . فاجابهم قائدا بلسان معتمد انه لم يفعل ذلك احد منا ونحن نجار
 نجد في طلب الرزق لا نؤذي احداً ولا نتمدى على حقوق احد . فاذا علمهم
 بالبحث عن غرماهم في مكان آخر فالأوفى ان لا يمدوا علينا فان فعلوا فنحن
 مستعدون ان ندافع عن انفسنا

فلم يرتضوا بهذا الجواب بل تقدم منهم جمهور غفير اليها فلما رأوا انها محصون
 انفسنا لم نجاسروا ان يعبروا النهير بل وقفوا في الجهة الثانية . فعند ما رأينا
 انهم كثيرون جداً ارتعدت فرائصنا خوفاً لانهم كانوا نحو عشرة آلاف فارس
 قوفقوا هناك برمة ثم صرخوا صرخة هائلة ورمونا بنياهم . على انها لم نصب احداً
 لاننا كنا قد سترنا انفسنا . ثم بعد ذلك برمة مالوا الى يميننا فظنناهم قاصدين
 ان يهاجمونا من وراء . فلما رأى ذلك رجل قوماني من مدينة جاراوينا وكان
 من الماهرين في اختراع الحمل قال لقائدا الى ذاهب لارسل كل هذا الجيش
 الى مدينة ساهيلكا وهي تبعد عنا مسافة نحو اربعة او خمسة ايام الى الجهة الشرقية
 منا . فننكد قوسه وسهامه وركب فرسه وسار من ورائنا في الطريق التي تؤدي

الى نائيركوا . فبعد ان سار مائة دار دورة كبيرة واتى جيش الفتر فكان
 كانه اتى من المدينة المذكورة عن قصد ليخبرهم ان الذين احرقوا معبودهم قد
 ذهبوا الى ساميلكا برفقة فافكة كفار ابي مسيحين وانهم قد عزموا ان يحرقوا
 ايضا المعبود ساليزر العظيم وهو معبود التوكيزيين . وكان هذا الرجل من الفتر
 قصدة قوي ومالوا هنا وقد جدوا المبر الى ساميلكا . فبعد نحو ثلاث ساعات
 تواروا عنا في تلك الفتر فسرنا نحو جاراويتا وفيها عسكر رومى منهم وقد
 اسما منهم على انفسنا . فلما وصلنا الى هناك كان الشعب قد اضمنا فكننا
 خمسة ايام

وكان امامنا مغارة مشددة لا تقدر ان نطعمها الا في ثلاثة وعشرين يوما .
 فاشترينا خياما لبيت فيها ليلا . اما دليلنا فاباع ست عشرة عجة لنقل زادنا
 والماء فكننا نحيط بها محل نزولنا في الليل فنعلمنا من عجرات الفتر ان داهنا
 احد منهم وكانت حاجرا متعاقبا لانا جمهور لا يقدر ان يضر بنا ما لم يكن
 غديرا جدا

فقطعنا تلك المغارة التي لا بيت فيها شجر ولا ينطعم احد على انا رأينا
 بعض اكواخ ينطعم الفتر وم الذين يصطادون الوحوش . واحيانا ينادون
 القوافل الصغيرة . اما نحن فلم نرى منهم جمهورا وبعد قطعنا وصلنا الى بلاد
 مأهولة اي ان فيها مدنا وحصونا وفيها عساكر امبراطور الروميين للصفاطة على
 القوافل والمدن والقرى من عجرات الفتر ولولا ذلك لما تمكن احد ان يملك
 تلك البلاد وقد اصدر الامبراطور اوامر مشددة جدا الى جميع ولائ تلك
 البلدان ان يجهدوا كل الاجتهاد في وقاية القوافل وحمايتهم وحمايتهم
 واذا علموا ان الفتر قد خرجوا بقصد التملك والذهب ان يرسلوا مع القوافل
 جنودا نصابتها والمدافعة عنها فاخذني الفاجر الاسكونلندي الذي كان يعرف
 والي ارنسكوى الى مركزه فقال لي بالترحاب وقال لنا ان نلتم انكم محاجون
 الى البحر ان ارسل معكم خمسين جنديا

وكنتم اظن ان القرايا من اوربا يعمانا في بلاد اعالها . يمدون . على الى
 انعطأت بظلي ووجدت انه لا بد من اجهاز بلاد المتوغمين الذين من الجهالة
 والعبادة على جانب عظيم ويمدون الاصنام مثل القفر . ولكن لما كانوا تحت
 سلطة الروسين كانوا لا يمدون على احد مع انهم متوغلون كل التوغل في عبادة
 الاصنام . اما لباسهم فهو جلود الوحوش وكذلك يومهم ولا يفرق الناظر اليهم
 بين لباسهم ورجالهم من اللبس . ولما يكسو الفلج وجه الارض به يكون مغارات
 تحت الارض لما مسالك توصل من واحدة الى الاخرى

اما معبوداتهم فهي عديدة جدا منها الخيول والبدر والشمس والماء والفلج
 وكل ما لا يدركون حقيقة صفاته وما عملوه فقد موت الذبايح والعبادة لجميع
 العناصر وكل ميت من يومهم فيه صنم يقيم له من فروع العبادة فسرنا في القفر
 نحو اثني عشر يوما دون ان نرى بيتا او شجرة قالتمنا ان نأخذ معنا زادنا وماعنا
 فبعد ان قطعناه وشرنا يومين وصلنا الى مدينة مبنية على شاطئ نهر جانيزي
 العظيم تدعى باسيو وهي الحد الكائن بين قارتي اوربا واسيا . اما اعالي هذه البلاد
 فهم من الوثنيين المتفرجين في احوال الجهالة والعبادة والفرح خلا الروسين
 الساكنين بينهم . فقلت لوالها الذي تعرفت بمقابلته ان اعالي ولايتك ليسوا
 بمحاصرين على وسائط النهر وتعلم الديانة السجدة مع انهم من رعالي الدولة
 الروسية . فقال لا ريب في ذلك على انه ليس من متعلقات ملكنا ان يهتم في
 تنصر رعاياء القفر المدوليين اما اعاناه فهو باقان سياستهم واخصائهم لسلطنته .
 فنصبرم يكون بلرسال قسوس مبشرين لا بولاة وجنود قال ذلك مجده .
 فسرنا من هناك الى نهر اوبي فاطمين بلادا محصية ولكن اراضيها غير محروقة
 واعاليها قليلون وسياستها غير جيدة مع انها من احسن تلك البلدان . اما اعاليها
 فهم وثنيون خلا الروسين الشرقيين سياستهم . وهذه هي البلاد التي يفتي اليها
 ملك الروسين الذين يقاصمهم فصاحا شديدا ولا يفقدون ان يخرجوا منها
 ولم اصادف اثناء ذلك شيئا يستحق الذكر حتى اننا مدينة نورولسك وهي

قاعدة سيبيريا وكان لنا جيتنة مدة سبعة أشهر نسافر في تلك البلاد قاصدين
 أنكلترا وليس موسكو كنية القافلة وكان قد ابتدأ فصل الشتاء فعندنا ديوان
 مشورة أنا وشريكنا لتشاوري في ما ينبغي أن نفعل لنصل الى مقصدنا بعد أن
 انفصل عن القافلة. وكان قد أخبرنا أهل تلك البلاد أننا إن أردنا السفر فنقدر
 أن نسافر في وسط فصل الشتاء والثلج مغطى وجه الأرض بجبال ترحف زحفاً
 على وجه الثلج الجامد يجرها الليل ليلاً ونهاراً دون فتور البتة ويسافر الروسيون
 في الشتاء أكثر من الصيف لأن الثلج يغطي كل وجه الأرض جبالاً مع أوديتها
 فلا يرى منها غير سطح مستو أيضاً وكذلك الأنهر والبحيرات فمن أراد أن
 يسافر فيها بقدر على ذلك دون خطر لأن المياه تيبس صلدة كالصخر الأصم. على
 أنني لم أكن أميل الى السفر والبرد يجر اللسان عن وصفه وربما اضرب من
 عرض نفسه وكان مقصدي الذهاب الى أنكلترا وليس الى موسكو كما سبق
 الكلام. فكان لابد من أن اذهب مع القافلة حتى جازوسلو ومن ثم غرباً الى
 الى نادفا وخليج فينلند ثم الى وانتزك حيث ربما نهر لي يبع ما معي من البضائع
 الصينية بأثمان جيدة أو أن انفصل عن القافلة في بلدة دويتا ومن ثم اذهب
 برفقة ستة أيام الى أركانجيل ومن ثم أركب مركباً يذهب بي الى أنكلترا أو
 هولاندة أو هيرغ

أما السفر في فصل الشتاء في إحدى هاتين الطريقين فهو كما تقدم صعب
 ودونه أخطار. لأن البلطيك يجلد في ذلك الوقت ولا تسري فيه السفن.
 أما السفر براً فهو أشد خطراً من السفر في بلاد النهر والمغوليين. وأما السفر
 عن طريق أركانجيل فهو ضرب من الخيال لأنه عند وصولنا اليها لا نجد فيها سفناً
 لأنها تذهب عنها في الشتاء وكذلك التجار يذهبون الى موسكو. فان اتيناها
 التزم أن اصرف الشتاء في بلدة باردة خالية من السكان والفراد فيها قليل.
 فذلك عزم على أن انفصل عن القافلة وأبقى في تورلنسك لأن فيها من
 الزاد ما يكفي ومن الناس من تطيب معاشرتهم. ولا أخشى أن يضربني البرد

او يسهل لا يقتدر على ان استأجر حجرة محكمة البناء واضرم فيها نارا فطرد عن
برودة الشتاء

اما هواء هذه البلاد فيختلف جدا عن هواء جزيرتي القبوة حيث لم اشعر
يبرد فيها الا حينما مرضت بالحمى والبرداء . ولم اضرم نارا الا لطبخ الطعام اما
الآن فصنعت نارا ثقيلا جدا وعيادة تندرني حتى التدم جميعها من البرد والحمى
الذي كان يصيبني من البرد

اما طريقة تدفئة الخانات هنا فهي غير طريقة انكلترا اي اضرام النار في
كل مخدع من الدار فتمت الطوائف احدى هذه الدورات الموقدة في امكة نصنع
لها في حائط الحجر يبرد المخدع بالهواء الذي يدخله من الداخل . اما في هذه
البلاد فيضرمون النار في محل من حديد يوضع في مكان مخصوص وتبعث منه
السايب قد من مكان الى آخر في الدار فيصعد منها الدخان مارا في كل المخدع
التي نرقبها . فان خرج احد من مخدع الى آخر يبرد الحرارة بدرجة واحدة
فلا يضر به التغيير واختلاف درجات الحرارة . وهكذا كنا نستدفئ في دارنا في
هذه البلاد دون ان نرى محل النار ولا تكون الحرارة في حجرة من البيت اشد
منها في سائر الحجرات ولا يدخلها الدخان الذي يضر بالاعين

لمن الامور المستعرة ان اناسا من ذوي اللطف يكونون في بلاد نظير
هذه قرية من الاوقيانوس القجد واحاليها غير متدينين . ومنهم كثيرين
روبويسكي وغيرهم وبعض خوانين . فعرفي بكثيرين منهم الفاجر الاسكونلاندي
قبل ان سافر مع القافلة . فكان يزورني كثيرا ومنهم وبصرفوت عسمرني
ليالي الشتاء الطويلة . فكان ذلك يسرني جدا

اني اقيت هنا ثمانية اشهر اي مدة الشتاء وكان باردا جدا واشد البرد عليها
فلم تقدر ان تخرج من البيت دون ان تلف اجسادنا بالبرد ونغطي بوجوهنا
نار كين متفدا صغيرا للتنفس ومفذين صغيرين للعينين . اما النهار فكان من
الحس الى الست ساعات لا اكثر . على ان صفاء الجو في اكثر الايام وبهاض

الطلع المائر وجه الارض كانا بيران قليلاً في الليل فلم يكن في تلك البلاد
ليل حالك السواد الا في النادر . اما خيولاً فوضعاها في مكان تحت الارض
وكادت تموت من قلة الأكل . اما الخيل التي استأجرناهم ليهولونا ويسوسوا
خيولنا فكانا نلزم حماراً بعد حمار ان نعني بهم ثلاً يؤثر البرد في اطراف
اجسادهم فنحفظ ومع ذلك لم ندمر برود داخل محادها لان حيطانها كانت
سمكة وبناؤها محكمة ونوافذها صغيرة وزجاجها مزدوجاً . اما طعامنا فكان في
الغالب لحم الابل والضان والجاموس القديم والخبز الجيد الخبز كالنشاط
والسمك القديم من انواع مختلفة . ومنه جميعها يهشونها في فصل الصيف لاجل
الشفاء . وكما نشرب الماء المزوج المشروب حار وكان الصيادون يفرحون
للصيد غير مبالغين بقلة البرد والثلج والمطر وبأنفسنا بلحم جيد لذيقاً جداً واحكاماً
بلحم الضباع على اننا لم نأكله . وكانت معنا كبة واقرة من الشاي فكانا نقدم منه
لاصحابنا المشفقين ليشربوا . وهكذا كنا نصرف اوقاتنا بالراحة والبحور

ففي شهر آذار اخذت الابل فطول والبرد يقل فاجتأ المرافون والهار
يستأجرون مركبات زحفت فذهب بهم فوق الثلج الى مفاصلهم . ولما كنت
قاصداً ان اذهب الى اركانجيل وليس الى البلطيك او موسكو فلم اجد من يذهب
حينئذ لان المراكب تأتي في ذلك المكان من الجنوب قبل شهري ايار وحزيران
فان وصلت اليه في اوائل آب اصل في الوقت الذي تبدى المراكب فيوان
ترجع من هناك الى بلاد روسيا في اوريا للاختبار بيع القرو هناك واشباع ما
يحتاجون اليه في فصل الشتاء والبعض ذهبوا المقصد نفسه الى اركانجيل . ولكن
لما كانوا ملتزمين ان يرجعوا فاطلعت الساعة نفسها سبغوني ثلاً بداهم الشتاء
وم راجعون في الطريق الى اوطانهم

وكانت قد اشترت كبة واقرة من الاقربة الثينة بدلتها ببعض بضائع
من التيمات بها من الصن خاصة بكبس القنفل وجوز الطيب بدلت أكثرها
وباعتها بعض في اركانجيل باثمان فزهد كثيراً عن التي يمكن ان اجمعها في لوندرا .

أما شريكى فسرنا جدا اقامتنا في تلك المدينة مدة طويلة لانه كان بهم أكثر
منى في امر تصرف البضائع بارها بها

ففي أوائل شهر حزيران خرجت من هذه المدينة المنيعة في أقصى الأرض
التي قلنا يجمع احد باخبارها لانه اجهتها التجارية . أما قافلنا حينئذ فكانت قليلة
جدا وكان معنا من الخيل والجمال نحو الثلاث وثلاثين منها احد عشر حصانا
وكان كل من رآني مع هذا الحشم يظنني رجلا عظيما جدا . فبعد ان سافرا
برهة وصلنا الى مفازة طويلة صعبة المسلك وهي من اودية المنارات التي قطعها
لانها لم تكن مستوية بل بعضها عال جدا وبعضها منخفض جدا على اننا كنا
نظن انه لا خطر فيها علينا من اللصوص وانهم لا يأتون هذه الجهة من نهر اوني
وكان مع رفيقي الذي لحق بي من هنا من اغنياء الروسين خادم امون من
سيريا يعرف جيدا الطرقات فكان يبل بنا عنها لئلا نلتزم ان نمر في المدن
الكبيرة التي منها تومار ومولوس وكاسكوس وغيرها وفيها جنود روسية
كانت تدقق البحث عن كل من كان يمر بها لئلا يمر احد المخفيين المشهورين
فيأتون بلاد روسيا في اوربا . فكانا نمر في النمار ونبيت في خيامنا خارج المدن
التي يمكننا ان نجد فيها كل ما نطلبه من لوازم المعيشة . اما الانهر فعرف حق
المعرفة اننا كنا نكبد تلك الانعاب والاضطراب لاجل . فكان يلزمنا ان ندخل
المدن ونبيت فيها اما هو فكان ينام خارجها وفي الصباح يواظبنا الى مكان نعلمه
له قبل الافراق مساء

فبعد ان عبرنا نهر كاما وهو الحد بين قارتي اسيا واوربا . وابتدأنا المدينة
الاولى في اوربا وهي سولوس كاسكوس وكنا نؤمنها اعاليها واحالي البلاد المجاورة
لها أكثر غدتا واحسن حالا من اعالي بلاد القتر على اننا وجدناهم مثلهم في حاة
الجمل والغنم يمدون الارثان واحالي الصحراء العظيمة التي طولها نحو سبعة
مئات على ان طولها من حيث قطرها لم يكن أكثر من مئتي ميل . اما هو بما
فلاصنام ماقتها . ولما مررناهم فهي وحشية خلاها الى المدن والقرى المجاورة لها

واما اليها من النصارى ولكثرتهم على جانب عظيم جداً من الجهل والغباء الدينية
 فيينا كما سالكين تلك الصحراء رأينا نحو اربعين او خمسة واربعين فارساً
 متكبين القسي والبال فلم نعلم من هم ولا جسيمهم ولا مقصدهم . فتقدموا منا
 مسافة رمي رصاص دون ان يتكلموا معنا على انهم احاطوا بها من كل جهة
 ونفروا فوالله بركة . ثم تقدموا وسدوا الطريق دوننا فلما رأينا ذلك تقدمنا
 اجمع وكنا نحو ستة عشر رجلاً الى امام حائلنا واصطفينا باعظام ثم وقفنا عن
 المسير وارسلنا خادماً ليرى ماذا يكون منهم . فتقدم اليهم الخادم وفي يده راية
 بيضاء علامة للمسالمة واداهم واكتفى لم يفتح كلامهم مع الله كان يتكلم جملة من لغاتهم
 وهي فروع من اللغة الاصلية . على انهم اشاروا له ان لا تقدم وان تقدم يرمونه
 فيقولون . فرجع اليها دون ان يخفى خيبرهم . واكتفى قال بلوح لي من فاهم انهم
 من ترك الملوك فلا بد من ان يكون غيرهم في هذه الصحراء

فبعد نحو نصف ساعة تقدموا اليها فاجروا فتواروا في غابة صغيرة
 ليظفروا منها من اين ينبغي ان يجمعوا علينا . وبعد برهة عدلوا عن ذلك وذهبوا
 عما عندنا رأونا مستعدين ان تصادمهم كل المصادمة . اما نحن ففرمنا على ان
 لا ندعب من هناك في ذلك الليل . وكان في الجهة الشمالية منا غابة صغيرة تبعد
 عنا ربع ميل فصممنا على ان نأبها ونحصن انفسنا هناك من هجمات اللصوص
 الذين ربما هاجروا . لانه لا ينبغي ان اتجار الغابة الغضة نحمينا من نبالهم وفضلاً
 عن ذلك لا يتدرون ان يجمعوا علينا دفعة واحدة ومكانا يتدد قوتهم بالتفرق .
 وذلك هو رأي الدليل البرنوغالي الذي فاق جميعنا في حسن التدبير والنجاة
 في الضيقات . فتقدمنا بسرعة شديدة الى الغابة ودخلناها . اما اللصوص
 فكناوا واقفين في مكانهم دون ان يعرضوا لنا . فلما دخلنا الغابة رأينا ان بيوتاً
 عظيماً يخرج من جانبها ويمر في احدى جوانبها ثم يلتقي بنبوع آخر ويمر بان
 سوية وها ينبوع نهركبير يدعى وارنكا . اما الارض التي تحيط بالغابة فكانت
 بوحلة فلا تقدر الخيل ان تسلكها بسهولة والانجار التي هي اكثر من مئتي نخرة

غضة كبيرة جداً. فاستأمتنا فيها على أنفسنا من هجمات اللصوص ما لم يهاجمونا مشاة
 فيينا كما نتظر هجوم الأعداء الذين لم يرأوا واقفين في موقفهم كان الدليل
 يقطع بعض اغصان الأشجار ويسترنا بها. فقبل الغروب بساعتين هجموا
 علينا وقد انهم فجأة صغيرة فبلغ عددهم اجمع نحو الثلاثين فارساً. وترأى لنا
 ان بعضهم كان نساء. ولما حملوا علينا اطلقنا بندقية دون رصاص ونادينا في
 اللغة الروسية ماذا تريدون لا تقتربوا منا. على انهم هجموا بسرعة شديدة حتى
 وصلوا الى جانب الغابة فظهر لنا انهم لم يعلموا اننا قد حصنا أنفسنا بحيث لا
 يقدرون ان يصلوا اليها بسهولة. وكان قد تولى امرنا الدليل البرتوغالي فقال
 لنا لا تطلقوا البنادق الا بعد ان يدنو منكم مسافة رمية رصاصة فدارة لكي لا
 يخطئهم رصاصنا فقلنا له ما تراه موافقاً مرأى. فلم يدعنا نرهم حتى اقترب
 منا بعضهم مسافة ذراعين. فعند ذلك قال لنا اطلقوها. فاطلقناها بعد ان
 احكنا توجيهها فقتلنا اربعة عشر رجلاً منهم وجرحنا كثيرين من الرجال
 والخيول. لان كلانا وضع رصاصتين او ثلاثاً في بندقيتي

فارتبكوا ورجعوا الى الوراء مسافة نحو مئتي ذراع. ففي أثناء ذلك ملأنا
 بنادقنا وخرج بعضنا من الغابة وامسكنا اربعة او خمسة من خيلهم التي كان قد
 قتل فرسانها ودنونا من بعض القليل فظهر لنا من ثيابهم انهم من الغنم فادهمنا
 وجودهم في تلك النار البعيدة جداً عن بلادهم

ففي ذلك لم نتم كثيراً بل صرفنا الليل نحصن مكرنا. فلما اصبح الصباح
 رأينا الأعداء الذين خال لنا انهم قد انكسروا كسرة نذرهم بان لا يعودوا
 الى المواجهة قد تكاثروا جداً وبنوا احد عشر او اثني عشر كوخاً على مسافة تبعد
 عنا ثلاثة ارباع الميل كانهم فاصدون ان يحاصرونا. فادهمنا ذلك كل
 الاندهاش. اما انا فقلت في نفسي ان حماي قد دنا فلا مهرب منه. ومع ان
 الخوف من فقدان كل اموالي كان عظيماً لم يعادل خوفاً من الوقوع في ايدي
 اقوام برارة متوحدين في نهاية سفري بعد ان اكون قد نجوت من كل المضاعف

والرزايا والاضطراب التي دأبني واموت قتيلاً وأنا في منظر من البلدة التي اسافر
مها في مركب من مراكب وشقي . اما شربكي فاستند غصبه وقل ان قتلنا
اموالي بفضي بي الى الموان فاحب الي الموت قتلاً من الموت عبثاً . ولذلك
عزم على المداومة حتي يقتل

اما الدليل البرنوغي فقال اننا لثندرون على مصادمهم والغلب عليهم
ومكنا صرفنا ذلك النهار في الشاور في ما ينبغي ان نفعل . فبعد المساء وجدنا
ان عدد اعدائنا اخذ في التكاثر شيئاً فشيئاً وقلنا انهم في الصباح ربما ارادوا
فاخذت اسقبر من المختارين الذين اتينا بهم معنا من تورلوسكي عن طريق
مكننا المرور بها دون ان يدري بنا اعداؤنا فنصل الى احدى المدن او القرى
التي يمكن ان نأخذ منها حراً بجرسونا في الطريق حتي نقطع هذه الصحراء .
فقال خادم الامر ان كنتم ترغبون ان تخلصوا من محاربتهم فانا اذهب بكم
ب طريق شاذة لجهة نهر بتر دون ان يدري بكم اللصوص ولكن لا افعل هذا
دون امر سيدي . لانه قال انه لا يرغب في الفرار بل يفضل المحاربة . فقلت
له انك لم تفهم مقصد سيدي فانه عاقل حكيم ولا يطلب القتال دون حبيب يلجأ
الى ذلك . ونحن نعلم انه من الشهامة على جانب عظيم واعماله تشهد له بذلك .
ولكنه يعرف حتى المعرفة ان ثمانية عشر رجلاً لا يقدرون ان يصادموا خمسمائة
رجل ولا يجب ان يفعلوا ذلك ان وجدوا سبيلاً الى الفلص . فان كنت تظن
انه من الممكن ان ينجو منهم ان جددنا المسير في الليل فعلينا ان نذهب .
فاجاب ان امر في سيدي ان افعل ذلك ارفعن حماي ان اصابكم ضرر فقلنا
الى سيدي سراً ان يصدر هذا الامر فكرم باصداره وشرعنا نهي انما الفرار
فلما اسبل الليل سمعنا اضراراً في الخيل الذي نزلنا فيه لكي نفي مشوبة
بعد دهبنا من هناك فوظن النمر اننا ياقون في الاجرة . اما دليلنا فلم يضر بنا
حتى طلعت النجوم ليعرف بها طريقته وكما حينئذ قد حملنا الجبال والخيل فخرج
بنا من الاجرة وقد استدل على الطريق فجمع القطب الشمالي . وبعد ان سرنا نحن

ساعتين طلعت البدر فقمنا ذلك لاننا خفينا ان يرانا اعداؤنا بنورو . وفضلنا
مسافة نحو ثلاثين ميلاً قبل ان اصبح الصباح على اننا انما خجلنا جداً . فوصلنا
الى قرية روسية تدعى كرماتسكوس فقلنا فيها واربعاً من الشعب ولم نسمع
شيئاً عن اعدائنا المذكورين

وقبل الغروب بنحو ساعتين نما حتى صباح الغد . وبعد ان عبرنا نهراً
صغيراً يدعى كارتزا وصلنا الى بلدة كبيرة تدعى اوزوميز اهلها من الروميين
فقلنا هناك ان جماعة عديدة من الفتر كانت تجول في القنار . على انه بلاننا
ايضاً انه لا خطر علينا منهم لاننا قد قطعنا الاماكن التي يأتونها فصرنا جداً ملا
الخبر . واخذنا خيلاً غير التي كانت معنا لان الشعب كان قد اضاها . ومكنا
خمسة ايام في تلك البلدة فنخرج من مضاف الطريق . فمررت انا وشريكى
على ان نمطي الدليل ثمن عشر غنارات مد بدلالة مخلصنا من الهلاك

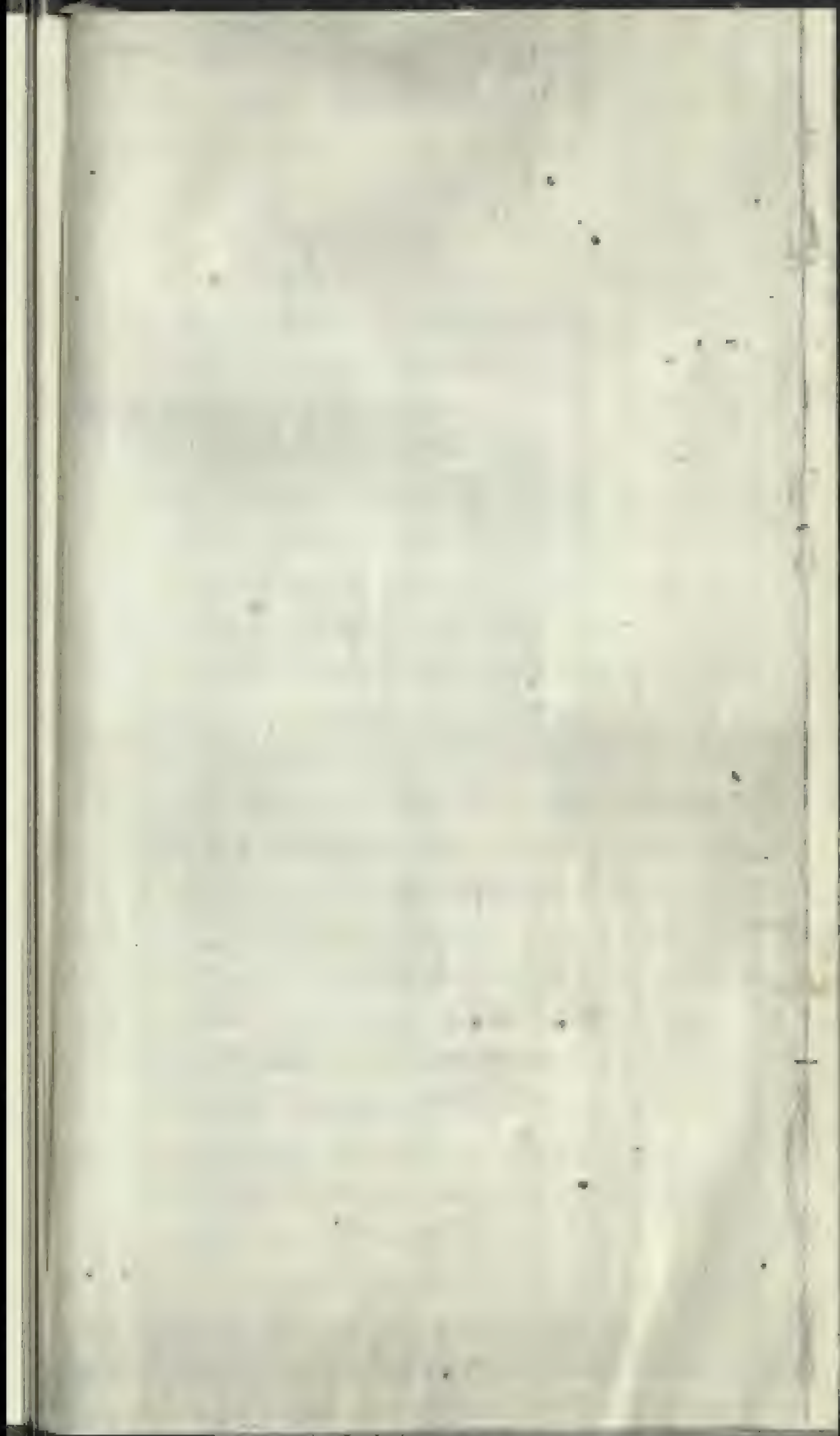
ثم مرنا مدة خمسة ايام فوصلنا الى مدينة فيسليا المبنية على شاطئ نهر
ورزوكرا الذي يصب في دونا . وكنا قد قاربنا الوصول الى نهاية سفرنا لانه
وكنا المنفر على ذلك النهر الذي يأتي بنا الى اركانجيل في رمة سبعة ايام . ففي
اليوم الثالث من شهر تموز اتينا لاورشكوي فاستأجرنا فاردين لشحن وفارب
ركوب فانزلنا اليها بضائعنا وركنا احدهما في اليوم السابع من تموز فوصلنا
بسلام الى اركانجيل في اليوم الثامن عشر منه بعد ان صرفنا في السفر مئة مئة
وخمسة اشهر وثلاثة ايام مع الفاية الاشهر التي صرفناها في توبواعي . فبقينا هنا
سبعة ايام تنتظر قدوم المراكب واذا مركب من هيرغ قد دخل الميا وذلك
قبل الوقت الذي تدخل فهو غير مراكب بنحو شهر . فقلنا اننا ربما قدرنا ان نبيع
بضائعنا في مدينة هيرغ باسعار لو تدرا نسمها فاحناً جرنا ذلك المركب وانزلنا اليه
البضائع . ووضعت حافظة عليها

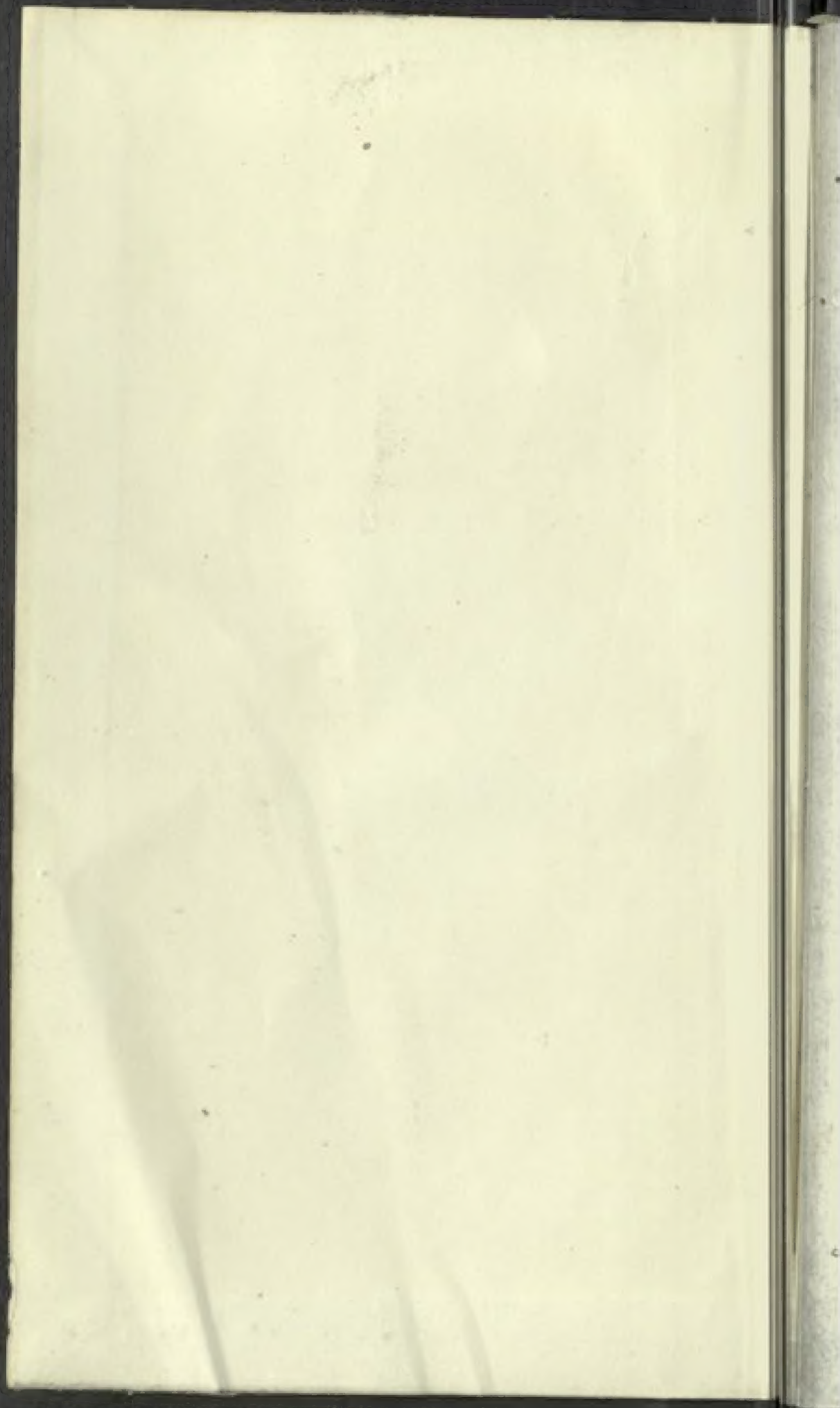
ففي اليوم العشرين من شهر آب مرنا في المركب المذكور ووصلنا الى
الاسب في اليوم الثامن عشر من شهر ابلول . فبقينا هناك بضائعنا المصينة

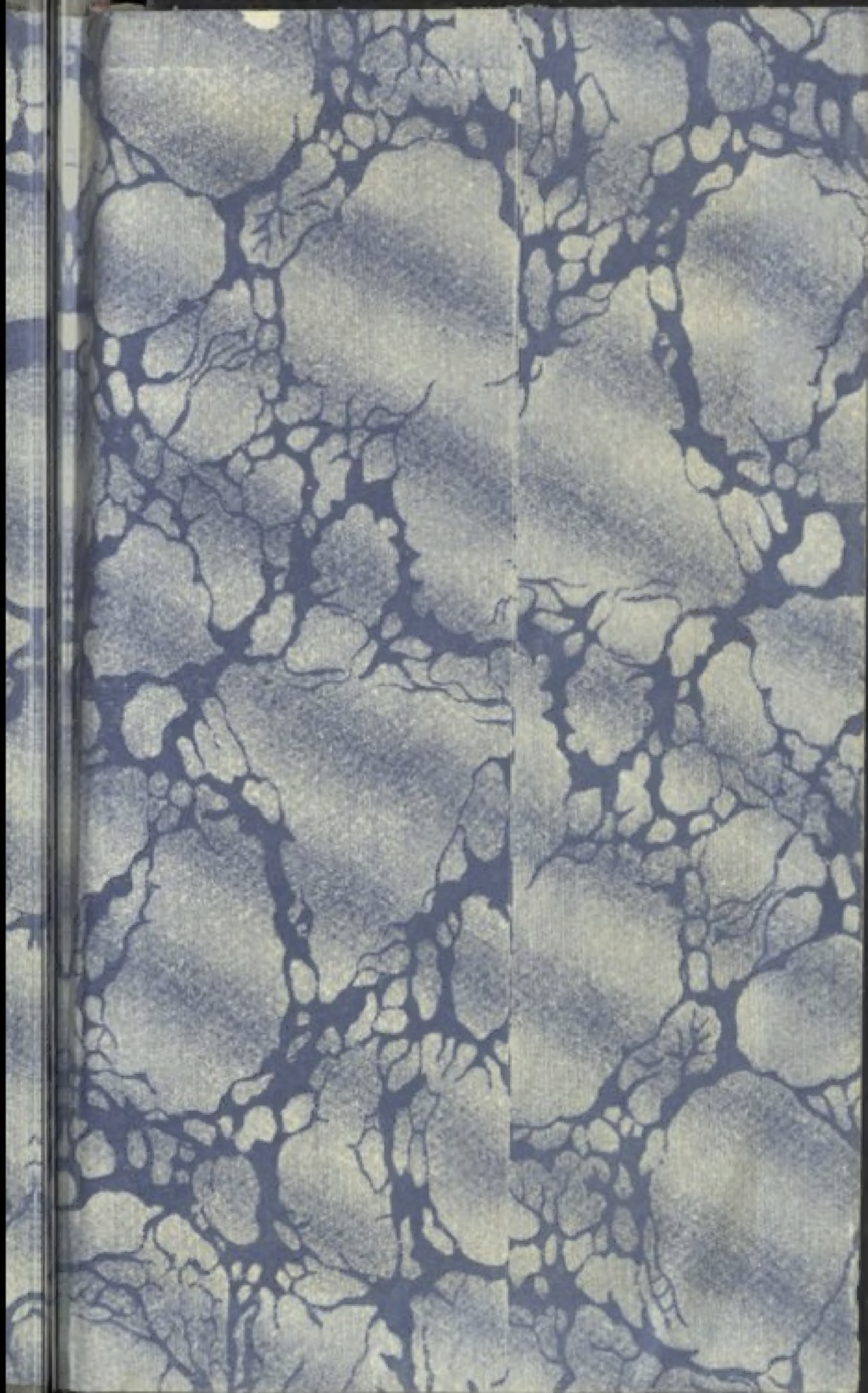
والسبيرة بالثمان جيرة جداً اما الرمح ففحصناه باننا وكان ذهب كل منامته
ثلاثة آلاف واربع مائة وخمسا وسبعين ليرة الكثرية وسبعة عشر شلينا وثلاثة
بنات مع نحو مائة ليرة فيه جواهر انيت بها من يانغالوا
وبالتالي انيت را الى هناك بعد ان صرفت مدة اربعة اشهر في هاتج ومن
ثم ركبت مركبا وانيت لوندرا قد دخلنا في اليوم العاشر من شهر كانون الثاني
سنة ١٧٠٥ بعد ان غبت عن انكلترا عشر سنوات وسبعة اشهر. فمكنت فيها
وقد عزمت على ان اهي نفسي لسفر اطول جداً من جميع هذه
الاسفار وهو سفر الابدية بعد ان صرفت اثنين وسبعين
سنة بالبحولان والمصائب والانعاب فادركت
بذلك قيمة السكون والراحة وركة
ختم ايامنا بالسلام

قد انهي الجزء الثاني من مبرة روتن كروزي ووانتهت اسفاره









AMERICAN UNIVERSITY OF BEIRUT LIBRARIES



00504293

LIBRARY

